

بحر الألف

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي

الجزء الثاني

مكتبة المعارف
بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ : هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياساتهم ، واعتقاداتهم ، وأديبهم ، ولغتهم .
والأدب : (كل رياضة محمودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل)
وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاة ، تكون أيضاً بمزاولة الأقوال الحكيمة التي تَتَضَمَّنُهَا لغة أي أمة .
واللغة : ألفاظٌ يُعَبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم ، وهي من الأوضاع البشرية .
وأدب لغة أي أمة : هو ما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور آخلتهم وطباعهم . مما شأنه أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويثبِّت اللسان .

وتاريخ أدب اللغة : هو العلم الباحث عن أحوال اللغة ، نثرها ونظمها في عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعفها ، وعما كان لها من التأثير البين فيها .
واللغة العربية : إحدى اللغات السامية ، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر ، التي كانت تسكن الجزيرة المرسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا .
وهذه الأمة : منها القدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة ، وينطقون باللغة العربية سليمة وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات :

أولها : العرب البائدة ، وهؤلاء لم يصل إلينا شيءٌ صحيحٌ عن أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، وإلا ما جاء في الحديث النبوي ، ومن أشهر قبائلهم : طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعيليق ، وعبد ضخم .

وثانيتهما - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم
ومن أمهات قبائلهم : كهلان وحمير .

وثالثتها - العرب المستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين
والممتزجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعدد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم
ربيعة ، ومُضَرُّ ، وإياد ، ونزار .

ومنها المحدثون : وهم سلاسل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلاسل غيرهم
والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الأطلنطي) إلى ما
وراء بحر فارس ودجلة ؛ ومن أعالي النهرين إلى ما وراء جاوه وسومطرة .

المقدمة الثانية في توضيح بعض ما في المقدمة الأولى

اعلم أنه يوجد في الجنوب الغربي من آسيا إقليم واسع الأرجاء ، تبلغ مساحته
رُبْعَ أوربا تقريباً ، تَسَاهل الأقدمون فسمّوه « جزيرة العرب » ، مع أن الماء لم
يحيط به من جميع جهاته .

يتألف غربي هذا الإقليم من جزأين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً ،
أما الحجاز فقطر فير ، قلت مياهه ، وأجْدَبَتْ أرضه ، واشتدت حرارته ، يعتمد
أهله على الأودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أن يذتفعوا كثيراً بالماء
الذي ينزل من السماء ، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يكتفيهم من اختزانه
واستخدامه عند الحاجة إليه ، وأشهر مدينته مكة والمدينة والطائف .

وأما اليمن فقد اشتهر قديماً بالغنى والخصب والحضارة ، كثرت أمطاره
وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فن أن يذتفعوا بها ، فأنشأوا السدود يسيطرون
بها على الماء جمعاً وتصريفاً ؛ وأشهر مدنه صنعاء ، وجران ، وعدن .

وهذان الدطران ، أعني - الحجاز واليمن - أبعد البلاد أثراً في حياة العرب
وفي تاريخهم السياسي ، والاقتصادي ، والأدبي .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبَينَ ما ترى فيها وأبعده مدَى صحرائها في داخلها. وهي متنوعة في طبيعتها، فسهلة لينة حيناً، وصلبة انتثرت فيها الحصباء حيناً، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً. وهذه الصحراء في جملتها قفر، تسطع الشمس عليها في الحر فتلفح أرضها وأهلها، ويعتمد ساكنوها على ما تُثبته البَقاع عَقِب المطر فترعاه إبلهم وشياههم؛ وهم يأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها.

المقدمة الثالثة في نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسابون أن يفسّموا الشعوب إلى أجناس، ويُسمّوا كل جنس باسم خاص يجمعها؛ فاعتادوا أن يُسمّوا الجنس الذي منه العرب (الجنس السامي) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام، وعدّوا من هذا الجنس البابليين والآشوريين والعبرانيين والفينيقيين والآرمينيين والحبشيين. ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب؛ كما اختلفوا في أن أصل (الجنس السامي) نشأ في آسيا (في جزيرة العرب أو أرمينية أو على شاطئ الفرات أو نشأ في إفريقية ثم نزع منها إلى آسيا).

ومن قديم وهؤلاء العرب يُنقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليانين) ويذكر النسابون أن عرب الشمال يرجعون في نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام، ويُسمون النزاريين نسبة إلى نزار من نسل إسماعيل وعرب الجنوب من نسل قحطان، ويسمون اليانين أو القحطانيين، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع في جملتها إلى أن عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة.

ولسنا نقصد أن عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسب، وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها، بل نعي أن كلا من الحجازيين واليانين عُنصر

يختلف في نسبته ودمه عن العنصر الآخر، ولكن كانت بين العنصرين صلات،
وَرَحَلَ قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها ، فكان في
الحجاز عرب من اليمن وكان في اليمن عرب من الحجاز .
وكل من اليمانيين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل .
فاليمانيون : يتفرعون إلى فرعين كبيرين : شعب كهلان وشعب حخير
فشعب كهلان : أشهر قبائله طييء ، وهمدان ، ولخم ، وكندة .
وشعب حخير : أشهر قبائله قضاة ، وتنوخ ، وكتب .
والحجازيون : كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين : ربيعة ، ومضر
فشعب ربيعة ، أشهر قبائله : بكر وتغلب .
وشعب مضر ، أشهر قبائله : قيس ، وتميم ، وهذيل ، وكنانة ، وقريش ،
وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عدّها ، وكان بين هذه
القبائل حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب ، والمنازعات ، والتهاجي
ما ملئت به كتب التاريخ والآداب .

المقدمة الرابعة في اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبل أن العرب واليمانيين ومن إليهم يُعدّون (ساميين)
فبلغاتهم التي يتكلمون بها تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات
السامية وقد عرفت على النحو الذي نعلمه ، حول آخر القرن الخامس للميلاد .
ويذهب الباحثون في علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب
اللغات إلى اللغة الأصلية التي تفرّعت منها اللغات السامية ، نظراً لاحتباس العرب
في بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين إليها ، وضعف العلاقة بين أهلها وغيرهم
من الأمم .

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمانيين انقسمت لغتهم إلى مضرية ، وحخيرية
وكانت هناك فروق بين اللغتين عظيمة في الألفاظ اللغوية ، وفي الصيغ ، وفي

التراكيب ، وفي اللهجات ؛ ولكن حدث 'قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز وبعبارة أدق (لغة قريش) ، تسود وما زالت كذلك حتى ظهرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هي لغة جزيرة العرب جميعها . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، ودينية ، واقتصادية — ستأتي الإشارة إليها بعد .

المقدمة الخامسة في تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأمة كانوا أهل بدو لم تمكنهم بداوتهم من أن يدونوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم كاليمنيين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يعتمدون الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأمم الأخرى كالإغريق والرومان والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب 'قبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التي نعني بآدابها وتاريخها إنما عرفت في هذا العصر .

هذا العصر سمّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلي ، والأدب الجاهلي ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر والأنساب والإمعان في سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص . ولكنها كلها لم تدون في الكتب إلا في القرن الثاني والثالث للهجرة ، فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم 'محتصونها ويصحتحون بعضها ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك ورد كثير من آيات القرآن الكريم وصحيح الحديث يروي لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ، ويكشف

لنا من غموضها

بدلنا ما صحّ من تاريخهم على أنه قد أنشئ على تخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان : إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الفساسنة في الشام بجوار الرومان ؛ وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئونها نظام الفرس وإمارة الفساسنة تتبع في كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة حضارة يزرعون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مثترفون ، وقد رُوي لنا الكثير عن ترف أمراء الفساسنة في الشام ، وعن حضارة الحيريين ، وما كان لهم من خَوَرْنَقٍ وسدير .

أما داخل الجزيرة والحجاز، إذا أنت استثنيت بعض سكان المدن المشهورة — مكة ويثرب والطائف — فكانوا أهل بدوٍ واحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويوغلون بها في الصحراء ، ويتطلبون منابت العُشب ، ومراعي الشجر ، ومواد الماء ، ويأكلون مما تخرجه الأنعام .

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هي الوحدة التي يُبنى عليها نظام حياتهم ، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أبٍ واحد ، وقلّ أن ينتسب إليها من لم يُساهمها في نسبها إلا عن طريق الخلف أو الولاء^١ .

تسود أفراد القبيلة فكرة العصبية ، فكل فرد يتعصب لقبيلته ويُعنى بحفظ

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمه القبيلة التي أسرته ، ويسمى حليفاً لها . وكانوا يميزون استرقاق الأسرى ، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق . وهذه الصلة تسمى الولاء .

نسبه ويفتخر به ، ويخنو على من 'يشاركه' ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد
والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجع الأفراد في إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عدا غالبة - 'تغير' عليها ، وتغتم من مالها ورجالها ، والأخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيشتقى بنا إن أصبنا أو 'نغير' على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب في الجاهلية عدا من ذكرنا قبل 'حكومة' تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأن شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد الى المواطن ، لا الى القبائل ، والخلال العصبية وقيام الجامعة الوطنية أو الدينية مقام العصبية القبيلة ، وهي أمور لم تتوافر للعرب في جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم الى أسر ، ونظام الأسرة كان في هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطور السلطة الأبوية ، إذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذ الكلمة على كل افراد الأسرة ، يتصرف في مالهم وفي شئونهم ويقطع في الأمور دونهم ، وهو المرجع الأعلى لهم جميعاً ، وكان بعض هذه الأسر تمتاز بصفات ، وأعمال تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أمية في قريش ، وبيت زُرارة في تميم وهكذا .

(١) الواثر القائل ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير في علينا .

المقدمة السابعة في أخلاقهم

تري أن اكثر العرب أهلُ بدو . ولأهل البدو صفات خاصة يتمدحون بها ويُكثرون في شعرهم من ذِكْرِها والتغني بها. ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ما جاء في قول « تأبط شراً » أحد الشعراء الجاهليين ' إذ يمدح ابن عم له بأنه قليل الشكوى من الهم ينزل به، بعيد الهمّة واسع الامل يسير وحيداً لا يهاب، ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها ، (عداء) يسبق الريح السريعة، إن نام فإنما تنام عينه، ولا ينام قلبه، وإن صحا كانت عينه ديدبان قلبه. وله سيف صارم، ان أصاب به قرناً استقبلته المنايا مُتهللة، لا يخشى الوحدة بل يأنس بها، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضل في سيره، كما لا تفضل الشمس، وهذه الصفات، كما ترى، هي (المثل الاعلى) لبندوي لا للحضري.

قد تمدحوا بالمروءة وأكثروا من ذكرها، وهو لفظ يجمع قانون الشرف، عمادُه الشجاعة والكرم والوفاء، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النزال والقتال والدفاع عن الامل والقبيلة ونجدة المستصرخ. وأكثر ما يتجلى فيه الكرم ايقاد النيران ونحر الجزور، واطافة اللاجئين.

(١) قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شقى النوى والمسالك
يظل بمومة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث تلتحي بمنخرق من شدة المتدارك
إذا حاء عينيه كرى النوم لم يزل له كالى من قلب شبحان فاتك
ويجعل عينيه ربيثة قلبه الى سلة من حديد أخلق صائك
إذا هزه في عظم قرن تهلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس ويهتدي بحيث اهتدت أم النجوم الشوائك
المومة المفاضة التي لا ماء فيها، وجحيشاً: وحيداً، ويعروري ظهور المهالك: يركبها، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس إذا ركبتها عارياً ليس عليه شيء، ووفد الريح أولها والمعنى انه يسبق الريح لحفته، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق؛ خاص خاط والشبحان الحازم، والفاتك الذي إذا هم بشيء فعله؛ ربيثة القلب ديدبانه - ويريد بالسلة السيف الذي يستل، أم النجوم: الشمس.

فأما الشجاعة فيمثلها في نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمَعْزَاءِ شِدَاءً^١
 وَبَدَتْ « لَيْسَ » كَأَنَّهَا بِدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّتْ
 وَبَدَتْ نَحَاسَتُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا
 نَارَلْتُ كِبَشَهُمْ^٢ وَلَمْ أَرَّ مِنْ نَزَالِ الْكِبَشِ بُدًّا^٣
 هُمْ يُنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْذِرُ إِنْ لَقِيتُ بِأَنْ أَشُدًّا
 كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ بِيَدَيَّ كَحَدًّا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِغْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَايَ زَنْدًا
 أَلْبَسَتْهُ أَثْوَابَهُ وَخَلَقَتْ يَوْمَ خَلَقَتْ جِلْدًا
 أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أَعْدَ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدًا

وأما الكرم ، فمن خير ما يمثله في نظرهم قول عتبة بن ربيعة :

فَقَالُوا غَرِيبُ طَارِقٍ طَوَّحَتْ بِهِ^٤ مَتُونُ الْفِيَا فِي الْخَطُوبِ الطَّوَانِحِ^٥
 فَقَمْتُ وَلَمْ أَجِثْ مَكَانِي وَلَمْ تَقُمْ^٦ مَعَ النَّفْسِ عِلَاقَاتُ الْبَخِيلِ الْفَوَاضِحِ
 وَنَادَيْتُ شَبْلًا فَاسْتَجَابَ وَرُبَّمَا^٧ ضَمْنَا قَرَى عَشْرَ لِمَنْ لَا نَصَافِحَ^٨
 فَقَامَ أَبُو ضَيْفٍ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ^٩ وَقَدْ حَدَّ مِنْ فَرْطِ الْفَكَاهَةِ مَا زَحْ^{١٠}
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقُ صَحَائِحِ^{١١}

(١) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة ، ومعنى يفحصن بالمعزاء شداً : أي أنهم يؤثرون في الأرض الصلبة لشدة عدوهم (٢) كبش القبيلة : رئيسها (٣) الخطوب الطوانح : أي المصائب المهلكة ، وطوحت به : حملته على ركوب المهالك (٤) شبل اسم ابنه : وقرى عشر أي ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته (٥) أبو ضيف يريد نفسه (٦) إلى جذم : متعلق بقام في البيت قبله . ويريد يجزم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقة .

جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عدّ مالُ الكثيرين المنائح^١
لنا حمد أدبُ باب المثين ولا يرى إلى بيتنا مالٌ مع الليل رائح^٢
قد أحبوا كثيراً، وشربوا الخمر، ولعبوا الميسر، وشُعِفُوا بالصيد، وطرَبُوا
للغناء وتآقوا إلى السمر، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأديهم.

المقدمة الشاهنة في دينهم

كان للعرب في الجاهلية دينٌ، ولكنه دين ضعيف، لا يُخلصون له ولا يصل
إلى أعماق نفوسهم، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم
فنرى فيه الصيد كثيراً، والخمر والنساء والميسر كثيراً، والفخر والهجاء ووَصَفَ
القتال كثيراً، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفة دينية، وقل أن نرى فيه
ذكر الله وتمجيده، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون.

انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض بقاع جزيرة العرب، فقد كان فيهما
مستعمرات يهودية أشهرها «يثرب» وهي سُميت بعدُ «بالمدينة»، كذلك
انتشرت اليهودية في اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، ولكنها كانت في
نزاع مستمر مع النصرانية.

وانتشرت النصرانية في سائر الجزيرة، وفي غساسنة الشام، وسائر قبائله
وزاحمت اليهودية في اليمن، وكان أشهر مراكز النصرانية في اليمن «مدينة نجران». وكان
القديسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويدكرون
البعث والحساب والجنة والنار، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدي بن زيد
وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين
السائد في الجزيرة وهو الوثنية، فقد عبد العرب الأصنام، وعظموا الأوثان ونصبوها

(١) المنائح: جمع منيحة وهو الماقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها ما
دام فيها لبن (٢) يقول إن مالنا قليل فأبذلنا بركة بفناء الدار انتظاراً للضيف
وهي ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل
ما للكثيرين أصحاب المثين.

في الكعبة ، وقرَّبوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام اللات والعزى ومناة (وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة في ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن متحضرة بعض تحضر ، فالأثار التي عُثِر عليها في اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها بدل دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تدرَّب إليهم شيء من علوم الفرس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والفلسفة في انشام تسرب إليهم شيء من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أمة عريقة في المدنية كانت تتصل بالفرس ، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية - أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلاً .

وعلى الجملة كان للعرب معرفة بالأنساب ، وبشيء من أخبار الأمم ، وبشيء من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعد أن يكون معومات عملية أولية وتجارب بنقصها الاستقراء . ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعير ونقص وأمثال وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التي أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما ستري .

المقدمة العاشرة في عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أي أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التي تقع بين ظهراني هذه الأمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهي بظهور الإسلام . ومُدته نحو خمسين ومائة سنة .

الثاني : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية ؛ ويبتدىء بظهور الإسلام ، وينتهي بقيام دولة بني العباس سنة (١٣٢) هـ .
 الثالث عصر بني العباس ؛ ويبتدىء بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ
 الرابع عصر الدول التركية ؛ ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهي بمبدأ النهضة الأخيرة سنة (١٢٢٠) هـ
 الخامس عصر النهضة الأخيرة ؛ ويبتدىء من حكم الأسرة المحمديّة العلوية بمصر .

العصر الأول : عصر الجاهلية حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلاً ، وأعرقها قدماً ، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس ، أو يحول في الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق - وهي على هندمة أوضاعها ، وتناسق أجزائها لغة قوم أميين ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النمو ، ودواعي البقاء والرقى ، ما قلما يتهيأ لغيرها وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :
 (١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم .

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادي أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبني في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم أنه كان لسباً في اليمن عرم تحبس المياه خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سبباً في تفرق قبائل سبأ في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقليل (تفرقوا أيدي سبأ) .

(٢) هجرة اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة ، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : عكاظ ، وحنجلة ، وذو المجاز .

وأهمها سوق عكاظ ؛ وكانت تقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومفاداة الأسرى ، والنحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين في الشعر « النابغة الذبياني » ، ومن أشهر خطبائها « قس بن ساعدة الإيادي » . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضرها منهم الرجال والنساء . ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب بهتذيب لغتهم .

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار . ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاوضة ، وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة .

ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة . وقد تنحط صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات المعجبات أشبه ، وبين الحالين مراتب وجل بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجاها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعيشية والدينية، وتلك الأحوال تتمثل «في أغراض اللغة، ومعانيها، وعباراتها»

أغراض اللغة في الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية، ووصف مرافقها من حل وتراحل، وانتجاع كلأ، واستدراغ غيث، ونسج حيوان.
- (٢) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات، وما يتبعها من الحظ على إدراك الثأر، والنفاخر بالانتصار، والتباهي بكرم الأصل والنسب.
- (٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك.

معاني اللغة في الجاهلية

- تجمل معاني اللغة فيما يأتي :
- (١) في قصر معاني المفردات على ما تقتضيه البداوة والفطرة الغضة الحالية من تكلف أهل الحضر وتأنقهم.
 - (٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم في (الإنشاء) إما في التعقل المستنبط من الحس، والمشاهدة، أو الطبع، أو التجربة، أو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء، وإما في التخييل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادي.

عبارة اللغة في الجاهلية

- تلخص أحوال العبارة في الجاهلية فيما يأتي :
- (١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية، أو معان مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي قد يصبح بعد قليل وضعاً جديداً.

(٢) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربي من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً في شعرهم
(٣) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف.

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب إلى قسمين : نثراً ، ونظماً .
فالنظم هو الموزون المقفى ، والنثر ما ليس مرتبطاً بوزن ولا قافية .

النثر - المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منشوراً : لإبانتة عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل : وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة ، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع ، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأن ، يلقيه على جماعة في أمر ذي بال ، وهذا ما يسمى (الخطابة) ، وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به أو لحفظه الخلف ، أو لبعده الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة) : إذن فأقسام النثر ثلاثة : محادثة ، وخطابة ، وكتابة .

وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى « النثر المرسل » وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى « السجع » وهو نوع الخلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يتعمد التزامه ، ولحسن وقعه في الأسماع ، وحوكه وتأثيره في الطيباع ، وكان أكثر ما يستعمل في الخطابة ، والأمنال والحكم ، والمفاخرات والمفاخرات .

المحادثة ، أو : لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة العربية المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها ، ولا فرق بينها في البلاغ ، إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع ، والتألق في العبارة .

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ .

الخطابة

لما كان جُلُّ العرب في جاهليتها قبائل مُتَبَدِّية لا يربطها قانون عام ولا تضبطها حكومة مُنظمة .

ومن شأن المعيشة البدوية شغل الغارات لأوهى الأسباب ، والمدافعة بالنفس عن الرُّوح والعرض والمال ، والمهاة بقوة العصبية وكرم النجار وشرف الخصال ، وللقول في ذلك أثر لا يقلُّ عن الصَّول ، كانت الخطابة لهم ضرورة ، وفيهم فطريَّة . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشيءٌ من خطبهم كما كان ذلك في الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر .

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعد منزلة أسمى من الشعر ، لا بُدَّ إليه بتعاطي السفهاء والعامَّة له وتلوُّثهم بالتكسب به ، والتعرض للحرِّم ، فنسبته بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف .

وكان لكل قبيلة خطيب ، كما كان لكل قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفي المفاخرات والمنافرات ، والوصايا ، وغير ذلك .

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك والتزويج أن يخطب قائماً ، أو على نشز ومرتفع من الأرض ، أو على ظهر راحلته ، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه ، وإظهار ملامح وجهه ، وحركات جوارحه ، ولا غنى له عن لوث وعصب العمامة ، والاعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس ، وربما أشار بإحداها ، أو بيده .

وخطباء العرب كثيرون (من أقدمهم كعب بن لؤي) وكان ذا نفوذ عظيم في قومه ، حتى أكبروا سموته ، وذو الإصبع العدواني وهو خرثان بن محرث

(ومن أشهرهم) قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس^١ والغبراء، وخويلد بن عمرو العطفاني، خطيب يوم الفجار^٢، وقس^٣ بن ساعدة الإيادي، خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى: وهم أكثم بن صيفي، وحاجب^٤ بن زرارة التميمي، والحارث بن عباد^٥، وقيس بن مسعود^٦ البكري، وخالد بن جعفر^٧، وعلقمة بن علاثة^٨، وعامر بن الطفيل^٩ العامريون، وعمرو بن الشريد السلمي^{١٠}، وعمرو

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راحته حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفروسيه، الخطار والحنفاء، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق، فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة؛ ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة وفي القصة روايات أخرى (٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي ﷺ (٣) ستأتي ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم، وهو الذي وفد على كسرى حين منع قتيبا من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومنحه مطلبه وتعهده له حاجب بحسن الجوار. ورمه عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم (٥) كغراب كان خطيباً مؤثراً، وشاعراً بليغاً، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن اعتزلها، وله فيها قصيدة مشهورة منها:

قرباً مربوط النعام - مني لقحت حرب وائل عن حبال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين كان كريماً عالي الهمة من أفضل العرب، حسباً ونسباً وكانت تقر له كلها بذلك هي وكسرى أيضاً. وكان له حظيرة فيها مائة من الإبل لأضيافه إذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها (٧) سيد من سادات بني عامر. خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة. (٨) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والمقل الراجح والحسب الواضح (٩) هو ابن عم لميد الصحابي شاعر متين، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسماً، ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه (١٠) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل إلى الفخر والصرافة في القول - ولقد بلغ من تغاليه في ذلك أنه كان يأخذ ابنه معاوية وصخرأ في المواسم العامة.

ابن معديكرب^١ الزبيدي ، والحارث بن ظالم^٢ المرّي .

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ، ويرشدكم إلى عبادة الخالق . ويقال إنه أول من خطب على شرف ، وأول من قال في خطبه « أما بعد » ، وأول من اتكأ على سيف ، أو عصا في خطبته ، وكان الناس يتحاضرون إليه ، وهو القائل : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » ، وسمعه النبي ﷺ قبل البعثة يخطب في عكاظ ، فأثنى عليه ، وعمر قس طويلاً . ومات قبيل البعثة - ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ وهي - أيها الناس : اسمعوا وعشوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساج ، وسماءٌ ذات أبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهارٌ مجراة ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يُقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه ، إن الله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرأ و يروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول :

في الزاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للناس ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد حربي اليرموك والقادسية وأبلى فيها البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه (٢) كان شجاعاً فاتكاً وخطيباً شاعراً يميل إلى معاقرة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه .

لا يرجع الماضي إلينا ولا من الباقيين غابر
أيقنتُ أني لا أحيا لهُ حيث صار القوم صائر

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي

هو أعرف الخطباء بالأنساب ، وأكثرهم ضرباً أمثال ، وإصابة رأي وقوة
حجة ، وقل من جاراؤه من خطباء عصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان
على كسرى ، واقعد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .
وقد عمر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي ﷺ وجمع قومه وحشهم على الإيمان به ،
وفي إسلامه روايات . وكان في خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلو الألفاظ ،
دقيق المعاني ، مؤلفاً بالأمثال (راجع خطبه في فن المناظرات الآتية)

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأدباء : صناعة إنشاء الكتب والرسائل ، وإذا كانت
الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط ، فأوّل حلقة من سلسلة الخط
العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي ، ومن هذا اشتق
الآرامي ، والمسنند ، بأنواعه ، والصفوي ، والشمودي ، واللحياني ، شمالي
جزيرة العرب . والمحيريّ جنوبيها .

ورواة العرب يقولون : إنهم أخذوا خطهم الحجاري عن أهل الخبرة والأنبار .
أما الكتابة : بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة
متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً
في ممالك التبابعة جنوباً ، ومأثوراً عن ممالك المادرة والفساسنة شمالاً ، ولذلك
استعمل الخط المسند المحيري عند الأولين من عهد مديد ، والأبباري المحيري عند
الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم ، ولا من كتب فنونها
ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادم عهد أهلها ، وعدد استكمال البحث بعد في بلادها .

ولم يُعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتاب هذه الصناعة إلا (بعمديّ بن زيد العبادي) الذي كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أميين - ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرفوا الخط (آخرَ عصور الجاهلية) ، وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم : باسمك اللهم ، ومن فلان إلى فلان ، وأما بعد .

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة .

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتهما قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ، ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة وقِدَمُ تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، وهم التَّبابعة في اليمن ، والمناذرة ، والفساسنة في الشمال - وإذن تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب ، والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، ونحوها معروفة في الجنوب والشمال ، مدونة في الكتب ، وإن لم يحفظ لنا الدهرُ صوراً منها - أما البدو منهم : وإن كانوا أميين يفتنون الصناعات ، فلا غنى لهم عن تجربة ترشدُهم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبمَ يتميز الأقرباء من البداء ؟؟ فأكسبهم ذلك علم النجوم ، والطب الضروري ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والمرافة ، والزجر ، وقرض الشعر .

أما علم النجوم وهو معرفة أحوال الكواكب - فقد كانوا أبرع

في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمنة الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكلدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج .

ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني) .
الطب الإنساني والحيواني (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون .
ومن مشهورهم (الحارث بن كسلدة الشقفي ، وابن حذيم التميمي) .
الأنساب : علم تتعرف به قرابات التي بين بعض القبائل وبعض ، فتلحق فروعها بأصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حساستهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأسلافهم .

ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيد بن الكيس النعمري ، وابن لسان الحمرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسابهم .

الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم ، وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصص الفيل ، وحرب البسوس ، وحرب الفجار .

وصف الأرض : هو معرفة كل بقعة وما يحاورها ، وكيف يهتدي إليها .
ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم ، واطلع على وصفهم ، وكيف كانوا يحددون الحقيير منها بحدود قلما تجد به مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم .
الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله وبردائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نوادر شتى .

القيافة : ضرب من الفراسة وهي الاهتمام بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الإنسان وأعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق ، والكيس .
 وإذا نظروا عِدَّةَ أشخاص أَلْحَقُوا الابنَ بأبيه ، والأخَ بأخيه ، والقريبَ
 بقريبه وعرفوا الأجنبيَّ من بينهم - وممن اشتهر بالقيافة (بنو مدليج، وبنو لهب) .
الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خُصِّصَتُ الكهانة بالأُمُور
 المستقبلية والعِرافة بالمَاضية ، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية
 على الحوادث الآتية ، لما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب في الكهانة اعتقاد
 عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم
 عن الرؤى ، ويستطبُّونهم في أمراضهم . وممن اشتهر من الكهانة (رِشْقُ أنمار ،
 وسطيح الذئبي) ومن الكواهن (طريفَةُ الحَير ، وسَلَمَى الهمدانية) ومن
 العرافين عرَّاف نجد الأبلقُ الأسدي ، وعراف اليمامة رباح بن عَجلة)
الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان ، وحركاته ، وسائر أحواله على
 الحوادث بقوة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجارين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذليُّ ، ومُرَّةُ الأسدي .
 ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكلة كلبيد بن ربعة القائل :
 كَلَمْتُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
 وكضابئة بن الحارث القائل :

وَمَا عِلَاجَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَقِّ نَجَاحًا وَلَا عَنْ رِيْشِهِنَّ يَخِيبُ
 وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ خَشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

النظم - الشعر - الشعراء

النظم : عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً - ويرادفه الشعر

عندهم - أما المحققون من الأدباء فيخصصون الشعر بأنه الكلا الفصيح الموزون المعبر غالباً عن صور الخيال البديع . ولما كان الخيال أغلب مادته أ، العرب (تجوّراً) لفظ الشّعر على كل كلام تضمّن خيالياً ، ولو لم يكن مُقفّسى ، ولجريه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقفية كان النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بَسْطاً وقَبْضاً وترغيباً و ت من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي ، ولذلك ي في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا في الحقائق النظرية ، ولا النفس ترتفع بصور المحسوس الباهر، وما انتزع منه من الخيال الخليّ لحة عليها؛ وإراحته لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى ذلك نغم الوزن الشديد الشبه بتأثير الإيقاع والتلحين الذي يطرّب له الحيوان ، فضلاً عن

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشّعر لبدأوتهم ، وملاءمة بيئته الخيال فالبدويّ لحيته ، واستقلاله بأمر نفسه ، يغلب على أحكامه الم ويسلك إليه من طريق الشعور ؛ ومعيشه البدوي فوق أرض نقية التّ سماء صافية الأديم ، ساطع الكواكب ، ضاحية الشمس تجلت لحيّ الوجود وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها، و متعینها فهم بها في كل وادٍ ، وأفاض منها إلى كل مراد ، وكان له م وفصاحة لسانه أقوى ساعيد ، وأكبر مُعاضيد ، ويشعر الإنسان بط الشعر متأخر في الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر فليست إلا السجع ، لما فيه من معاللة الفِقَر ، والتزام القافية ، والميل - فكان من ذلك المقطعات ، والأراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإبل ، و بها المكارم . ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه أمامهم الأوزان ، وأطالوا القوافي ، وقصّدوا القصيد .

وقد خفّي علينا - كما كثر الأمم - مبدأ قول الشعر ، وأول من قا

أما ما 'نسب من الشعر' ، إلى آدم ، وإبليس ، والملائكة ، والجن ، والعرب البائدة ، فهو حديث 'خرافة' .

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته (إلى مهلهل بن ربيعة) وأقدم مقطعاته إلى (نقر) لعلمهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل : العنبر بن عمرو بن تميم ، ودريد بن زيد بن نهد ، وأصغر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب الكلبي ، والأفوه الأردني ، وأبو دؤاد الإيادي ، وقد روي أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وأن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع (المهلهل ابن ربيعة التغلبي) في قتل أخيه كليب ، فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً ، وتبعه الشعراء . مثل (امرئ القيس) وعلقمة ، وعبيد ، ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة .

هذا يحمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ، ونشأته في الجاهلية .

أما ما يتعلق بمادته وجوهه فإنه يرجع إلى أغراضه ، وفنونه ، ومعانيه ، وأخيلته ، وألفاظه ، وأساليبه ، وأوزانه ، وقوافيه .

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنسيب ويسمى (النسيب والتغزل) . وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن ، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر ، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه واقتبح به القصيد ، لما فيه من كل اجتماع إنساني ، والبدو أكثر الناس حباً لفراغهم .

والفخر : هو تمجيد المرء بخصال نفسه وقومه ، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرتهم ، ووفرة قسائلهم ، ورفعة حسانهم ، وشهرة شجاعتهم .

والمَدح: وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، أن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية - وشاع المدح عندما ابتذل الشعر ، واتخذ الشعراء مهنة ومن أوائل مداحيهم : زهير - والنابغة - والأعشى .
والرثاء : وهو تعداد مناقب الميت ، وإظهار التفجع والتلهف عليه ، واستعظام المصيبة فيه

والهجاء : وهو تعداد مثالب المرء وقبيله ، ونفي المكارم والمحسن عنه .
والاعتذار : وهو درء الشاعر التهمة عنه ، والترقق في الاحتجاج على براءته منها ، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه : و (النابغة) في الجاهلية فارس هذه الحلبة .

والوصف: هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع ، كأنه يراه أو يشعر به ، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيس وأبو دود الإيادي) .

والحكمة والمثل : فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به ، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت ، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت ، فالأمثال ميزان يوزن به رقي الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها . وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكماً مقبولاً ، أو تجربة صحيحة ، تليها عليها طباعها بلا تكلف - وأكثر الشعراء أمثالاً : (زهير والنابغة) .

(٢) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الإبانة عما يخالج نفسه من المعاني في أي غرض من الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعاني ما هو عادي في البدوي والحضري

والعربي والعجمي كالأخبار الصادقة، وأوصاف المشاهدات، وشرح الوجندات كما يملئها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق؛ ومنها ما هو غريب نادر، انتزعه الخيال من المراثيات البديعة والأشكال المنتظمة، وذلك يسمى المخترع، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والإكثار منه.

وإذا قسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمور الآتية:

(١) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة. (٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع (٣) قلة المعاني الغريبة المنزع، الدقيقة المأخذ المتجسمة في صور الخيال البديع، والتشبيه الظريف، والاستعانة الجميلة والكتابة الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك (٤) قلة تأنيدهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق، فيدخلون معنى في معنى، وينتقلون من غرض إلى آخر اقتضاباً وبدون تخيل ولا تلطف.

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمماً بدوية تنظم الشعر بطبعها، من غير مُعانة صناعة ولا دراسة علم - غلب على شعرها صراحة القول وقلة الموارد فيه، والبعد عن التكلف وصحة النظم، والوفاء بحق المعنى - أضف إلى ذلك الأمور الآتية:

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوع لها، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها. (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هُجرت عند المحدثين. (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادراً. (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية، ومتانة الأسلوب، بحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز، أو قلة الإسهاب، لا إذا دعت الحال.

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية، وتعرف أصول وضعية، وإنما كانت تنظم بطبيعتها على حسب ما يهتئ لها إنشادها، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزناً سماها بحوراً وزاد عليها الأخفض بحراً، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا « ميزان الذهب في بحور شعر العرب » .
وشعر العرب رَجَزُه وقصيدُه يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شُعراء الجاهلية : أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جهل منهم أكثر ممن عُرف، وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغته ، أو كثرة المروي من شعره ، أو قرب عهده من الاسلام زمن الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة، وحُكْمٌ نافذ ، وسلطان غالب، إذ كانوا ألسنتهم الناطقة بكارمهم ومفاخرهم. وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرّهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نَبَغَ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشرون الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذَبٌّ عن حياضهم ، وتخليدٌ لمفاخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يُهَنَّثُونَ إلا بغلام يولد ، أو شاعر يذبح ، أو فرس تلتج .

وكانت طريقة نظم الشعراء ارتجالية، فتأتسهم ألفاظه عفواً، ومعانيه رهواً، كما وقع للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، أما من اتخذ منهم صناعة يستند بها ويلتمس به الجوائز، وينشده في المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح، لجعله رفيق الحاشية، حسن الديباجة، يصح أن يقال فيه إنه المثل الأعلى. للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحاً في حويلات زهير ، واعتذاريات النابغة .

وقد غبر الناس دهرًا طويلًا لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة ، لا يمدحون عظيمًا طمعًا في نواله ، ولا يهجون شريفًا تشفيًا منسه وانتقامًا ، حتى نشأت فيهم فئة امتنعت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والأمراء ، كالنابغة الذبياني وحسان بن النعمان بن المنذر ، وملوك غسسان ، وزهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان وأمية بن أبي الصلت مع عبدالله بن جدعان أخذ أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسؤفة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله متجراً يتجر به ، فتحامى الشعر الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعراء

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) الجاهليين . (٢) طبقة المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام . (٣) طبقة الإسلاميين ، وهم الذين نشأوا في الإسلام ، ولم تفسد سلبقتهم العربية ، وهم شعراء بني أمية . (٤) طبقة المولدين أو المحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا . والشعراء الجاهليون يُقسّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة ، أو للكثرة إلى طبقات كثيرة ، نذكر منها ثلاثاً : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمر بن كلثوم ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني (٣) الطبقة الثانية الأعشى ولبيد بن ربيعة المامري ، وطرفة بن عبيد . (٣) الطبقة الثالثة عنتره ابن شداد ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمّة ، والمرقس الأكبر ، والحارث ابن حليزة اليشكري - ومن الأدباء من يُقدم ويّزيد

(١) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حنندج بن حنجر الكندي شاعرُ اليمانية . وآبأؤد من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضرية خاضعة للملك كندة - وآخر ملك عليهم هو حنجر أبو امرؤ القيس - وأمه أخت مُهلهميل وكندسيب .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويُعاقِرُ الحمر ويغازل الحسان فَمَقَّتَهُ أبوه ولمّا لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه ، حتى جاء نبأ ثورانِ بني أسد على أبيه وقتلهم له لانه كان يَعْسِفُ في حُكْمِهِ لهم ، فقال : (ضييعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سُكْرَ غداً ، اليومَ نَمْرُ ، وغداً امرؤ) وأخذ يجمعُ العدة ، ويستنجدُ القبائل في إدراك ثأره ، فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيراً ، ثم اشتدت به عيلة قررج فمات منها ودُفِنَ بأنقره ؛ وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعتبرُ امرؤ القيس رأس فحول شعراء الجاهلية ، والمقدم في الطبقة الاولى ، فهو أول من أجاد القول في استيفاف الصحب ، وبُكاء الديار وتشبيه النساء بالطباء واللمها والبَيْض ، وفي وصف الخيل بقيد الاوابد ، وترقيق النسيب وتقريب مأخذ الكلام ، وتجويد الاستمارة ، وتنويع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفْتَحِشُ في تشبيه بالنساء ، وتحدثه عنهن ، ويُسْتَم من شعره ، رائحة النبيل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كَهَدَابِ الدَّمَقْسِ الْمَقْتَلِ
وقوله : وَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضِجٍ صَفِيفٍ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيدٍ مُعْجَلِ
وقوله : وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
ولكننا أَسْمَى لَجِدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ أَمْثَالِي

وشعره : وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الالفاظ ونجهم المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلل من حُسْنِ الديباجة ، وبديع المعنى ودقة النسيب ، ومُقَارَبَةِ الوَصْفِ ، وسهولة المأخذ ، مما كان لخلقه أجمل مثاله في محاكاته ولم يقل الشعر كاسباً .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمرو بن قنينة الضبي :
 سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرًا وحلت سليمى بطن ظبي فعمر عرا
 فدعها وسلّ آلهم عنها بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
 عليها فتى لم تحمِل الأرض مثله أبرّ بيشاق وأوفى وأصدرا
 إذا قلت هذا صاحبٌ قد رضيتُهُ وقرتُ به العيذانِ بُدلتُ آخرًا
 كذلك جدي لا أصاحبُ صاحبًا من الناس إلا خاني وتغيرًا
 ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يخزُفْ عليه لسانه فليس على شيءٍ سواهُ بخزانِ
 وقوله : وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رَضِيتُ من الغنيمَةِ بالإيابِ

معلقة امرئ القيس

قفّانِيبك من ذكري حبيبٍ ومَنزِلِ بسِقطِ اللوى بين الدخولِ فحَوِّمِ^١
 فتوضّحْ فالْمُقَرَّاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لما كَسَجَتْهَا منْ جَنُوبٍ وَشِمَالِ^٢
 ترى بَعَرَ الآرامِ في عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانِهَا وَكَأَنَّهُ حَبٌّ فَلْفَلِ^٣
 كأني غَدَاةُ البَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا كَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَافِيفُ حَنْظَلِ
 وقوفًا بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجْمَلِ^٤

(١) اللوى ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ، والجمع ألواء وألوية ، وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقرّاة : كلها أسماء أما كن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمح أثرها والمراد من (جنوب وشمال) ريح الجنوب وريح الشمال
 (٣) الآرام جمع رئم وهو الظبي خالص البياض . والعرضات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء ، والقيعان : فناء الدار (٤) أي وقوف صحبي على مطيهم بسمرات الحي ، ونصحوا لي بالتحمل والاحتمال .

وإن شِفائي عَبرةٌ مُهراقبةٌ^١ فَسَهْلٌ عِندَ رِسمِ دارِسٍ مِنْ مُعَبُولٍ^٢
 كَدَّ أَبْكَ مِنْ أُمِّ الحَوَيرِثِ قَبْلَها^٣ وَجَارَتْها أُمُّ الرِّبابِ بِمَأْسَلٍ^٤
 إِذا قَامَنا تَضُوعُ المِسْكِ مِنْها^٥ نَسِيمُ الصَّبَا جِاءَتْ بِرِيتِنا القَرَفْلُ^٦
 ففاضَتْ دُمُوعُ العَينِ مِنْ صِبابَةٍ^٧ عَلى النَحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي بِمَحْمِلِي^٨
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ البَيْضِ صالِحِ^٩ وَلا سِما يَوْمٌ بِسِدارَةٍ جُلُجُلٍ^{١٠}
 وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعِذارى مَطِيطِي^{١١} فِيا عَجَبًا مِنْ كورِها المَتَحَمِّلِ^{١٢}
 فَظَلَّ العِذارى يَرْتَمِي بِلِجْنِها^{١٣} وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدِّمَقْسِ المَفْتَلِ^{١٤}
 تُدَارُ عَلَيْنَا بالسِّدِيفِ صِخَافُها^{١٥} وَيُوتِي إلينا بِالْعَبِيطِ المَتَمِّلِ^{١٦}
 وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدرَ خِدرَ عَنزِيزَةٍ^{١٧} فَقالَتْ لَكَ الوِيلاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي^{١٨}
 تَقُولُ وَقَدْ مالَ الغَبِيطُ بِنّا مَعًا^{١٩} عَقَرْتُ بِعِيري يا أَمْرًا القِيسِ فانزِلِ^{٢٠}
 فقلتُ لَهَا سِيري وَأَرْحِي زِمَامَها^{٢١} وَلا تُبْعِدِني مِنْ جِناكَ المَعْلِلِ^{٢٢}
 دَعِي البَسْكَرَ لا تَرِني لَهُ مِنْ رِدايِنا^{٢٣} وَهاقِي ذِيقِنا جِناةَ الهَرَقِ نَفْلِ^{٢٤}
 بِشَفْرِ كَمِشَلِ الاقْحوانِ مُنَوَّرِ^{٢٥} نَقِي الثَّنايا أَشْنَبِ غَيْرِ أَثْعَلِ^{٢٦}

(١) عبرة مهراقبة دمعة مسكوبة ، والمعول المستعان به (٢) الدأب الشأن .
 (٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته . والربا الرائحة ، والمراد أنه إذا قامت
 هاتان المرأتان يضوع منهما المسك . كما يأتي النسيم بشذا القرنفل . (٤) المحمل على
 وزن منبر حمالة السيف (٥) ابتداء الشاعر بذكر حو دث شبابه وملاعب صباه ،
 وخص بالذكر أيامه بدارة حلجل ، وهي مكان ، ننجد ، وسيجدثنا عن لوهه أطيّب
 الحديث (٦) مطية الشاعر هنا ناقته (٧) هذاب الدمقس أطراف الحرير والمفتل :
 المفتول (٨) السديف : قطع السنام والصحاف : جمع صحيفة القصعة والعبيط لحم الذبيحة
 تنحدر من غير علة ، والمثمل الشهي (٩) العبد هنا لودج وعنيزة اسم لحيوبته ، إنك
 مرجلي أي فاضحي بين رجائي ١٠١ العبيط الرجل ، عقرت بعيري دميت ظهره
 لثقلك (١١) الجنى : الشهد للمل الشهي (١٢) الذكر : البعير ، الرداف : هو
 أن يركب اثنان على دابة واحدة - أذيقنا جنا القرنفل أي مكثنا من ثغرك العطر
 (١٣) الاقحوان زهر أبيض جميل شبهه الدم . ر العذاب أشنب فيه بدورقة وصفاء .

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومُرضع
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت
أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل
أغرك مني أنت حبك قاتلي
وأنتك قسّمت الفؤاد فنصفه
فإن تلك قد ساءت لك مني خليقة^١
ومبا ذرفت عيناك إلا لتضربي
وبينة خدر لا يرام خباؤها
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً
إذا ما الثرى في السماء تعرضت
فجئت وقد أنضت لنوم ثيابها
فقال يمين الله ما لك حيلة^٢
فألهيتها عن ذي ثنائم يحول^٣
بشق وتحق شقها لم يحول^٤
علي وآلت حلفة لم تحلل^٥
وإن كنت قد أزمعت صرمتي فأجلي^٦
وأنتك مهما تأمرني القلب يفعل
قتيل ونصف بالحديد مكبل^٧
فسلي ثيابي من ثيابك تذلل^٨
بسهميك في أعشار قلب مقتل^٩
تمتعت من لحوها غير منعجل^{١٠}
علي حراساً لو يسروني مقتلي^{١١}
تعرّض أثناء الوشاح المفصل^{١٢}
لدى الستر لا لبسة المتفضل^{١٣}
وما إن أرى علك الغواية تنجلي^{١٤}

(١) يحول ماضى عليه حول. يريد أن يقول إني رجل أفقن الذماء، حتى لا تنجوا مني الحبلى ولا المرضع، مع أنها في شغل بالحمل والرضاع (٢) في هذا البيت صورة فائنة من صور الجماع (٣) تعذرت: تمنعت. أي مضت في عنادها وتجنّبها - آلت حلفة: أقسمت يميناً؛ لم تحلل: لم تقيد اليمين بحلها هو ولم يستثن فيها (٤) أزمع الأمر، وأزمع عليه. إذا ثبت عزمه على إمضائه. الصرم بفتح الصاد وضمة الهجر والقطيعة والإجمال: الرفق (٥) مكبل: مقيّد (٦) الخليقة: السجية والطبيعة والثياب هنا القلب وتذلل تسقط والمعنى: إذا ساءت لك خصلة من خصالي فسلي قلبي من قلبك (٧) السهام: العيون. قلب. مقتل: أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحببة. غير معجل غير مضطر إلى العجلة (٩) الأحراس: الحراس وحراس جمع حريض وأسر الأمر أضمره (١٠) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها. والوشاح المفصل: هو المرصع بالذهب أو الزبرجد (١١) أنضى الثياب: خففها. والمتفضل هو الذي يلبس ثوباً واحداً حين يأوي إلى فراشه (١٢) مال لك حيلة: أي لا بصر لك بمواقب الأمور. (١٣) - جواهر الأدب (٢)

خرجتُ بها أمشي تجرُّ ورائنا على أثرينا ذيلَ مرطٍ مرَحَلٍ^١
فلما أجزنا ساحةَ الحَيِّ وانتحت بنا بطنَ خَبَتٍ ذي حَقافٍ عَقَنَقِلٍ^٢
هَصَرْتُ بفوْدَيَّ رأسها فتأملتُ عليَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رِيًّا المَخْلَخِلِ^٣
مُهَفِّفَةً بَيضاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَّحَنَجِلِ^٤
كَبُكِرَ المِائِنَةُ البَيَاضُ بَصْفَرَةٍ غداها نَمِرُ المِاءِ غَيْرُ المَحَلِّ^٥
تَصُدُّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتَّقِي بناظِرَةً من وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلٍ^٦
وجيدٌ كَجِيدِ الرِّئِمِ ليس بفاحش إذا هي نَضَّتْهُ ولا بِمُعْطَلٍ^٧
وفرعُ يَزِينُ المَتَنَ أَسْوَدَ فاحم أثيث كَقَيْنِو النَخْلَةِ المَتَعَشِكِلِ^٨
غداثُها مُسْتَشْزَرَاتٌ إلى العُلَى تَضِلُ المِدارِي في مُشْنَى ومُرْسَلٍ^٩
وكشَحَ لطيفٍ كالجدِيلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ كأنبوبِ السَّقْيِ المَذَلِّ^{١٠}

(١) المرط كساء من صوف أو خز مرجل، فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رجال (٢) جزت المكان: قطعته وخلفته، انتحت: قصدت، الخبت: الغضاء الواسع والعققل: الوادي العظيم (٣) هصرت فوديتها: أملتها إلى، والفودان: جانبها. الرأس هضم الكشح: دقيقة الخصر، ريا المخلخل: بضه الساق (٤) مهففة ضامرة البطن. غير مفاضة. غير مسترخية اللحم؛ الترائب موضع القلادة من الصدر والسحنجل المرأة المجلوة ه المفاة الخلط والشاعر يشبه خليلته ببديضة النعام لأول عهدا بمزج الصفرة بالبياض (المحلل: الذي كدرته الإبل، يصف حبيته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات، وإنما هي سيدة مترفة تشرب الماء النضير (٦) تصد: تصدق، تبدي: تعيد الصد، أي تصد. الأسيل: الرقيق، صفة لموصوف محذوف هو الخد، وجرة: مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ومطفل ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتقي الحب بعين مملوءة بالعطف، كما تنظر إلى طفلها الطيبة الرؤوم (٧) الرئم: الظبي، نضته: رفعته، معطل وعاطل: لا حلية فيه (٨) الفرع الشعر (٩) مستشزرات: مرتفعات والغدائر خصل الشعر، المداري: الأمشاط (١٠) الجدِيل: الوشاح والمذلل اللين، ومنه شجرة مذلة معطفة الأغصان، يناها كل أحد.

ويُضْحِي فتيتُ المسكِ فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل^١
وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل^٢
تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة^٣ 'مُتْسَى رَاهِب مُبْتَل'^٤
إلى مثلها يَرْنُو الحليم صباصة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول^٥
تسلت^٦ عمايات^٧ الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسل^٨
ألا رُبَّ خصم فيك لوى ردّته نصيح على تعذله غير مؤتل^٩
وليل كموج البحر أرخى سُدُوله^{١٠} عليّ بأنواع الهموم ليبتلي^{١١}
فقلت له لمسا قطى يحوزره^{١٢} وأردف أعجازاً وناءً بكل كل^{١٣}
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل^{١٤} بصبح وما الإصباح منك بأمثل^{١٥}
فسيالك من ليل كان نجومه بكل مُغارِ الفتل شدّت يذبل^{١٦}
كان اثريتا علقت في مصامها بأمراس كتنان إلى صمّ جندل^{١٧}

(١) انتطقت المرأة : لبست المنطق أو النطاق، والتفضل لبس الثوب الواحد.
وعن هنا، بمعنى بعد، أي لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكتمس بعد عربي،
ونوم الضحى من عادات المترفات (٢) العطو التناول، ورخص: لين ناعم، وهو
وصف للبنان، وشثن: خشن وأساريع جمع أسروع والإسحل شجر يستاك به.
(٣) يقول: تضيء محبوبتي الظلام كأنها منارة الراهب في المساء (٤) اسبكرت:
اعتدلت واستقامت، ودرع المرأة قميصها (٥) تسلت: تكشفت وانزاحت، عمايات
جمع عماية، وهي الفواية والضلال. ومنسل: سال، ولم يسأل عن هواها فؤادي.
(٦) ألوى: عسر. والتعذل والعذل اللوم. غير مؤتل غير مة صر (٧) السدول
الستور، يبتلي: يختبر. وهو يصف الليل بتعمد إيدائه (٨) قطى الليل طال
والجور الوسط، وفي رواية، بصلبه: ناء بهض، والكلكل: الصدر (٩) أمثل
أفضل، يذكر أن مومه موصولة، فليس الصبح خيراً من الليل (١٠) معار:
محكم شديد، ويذبل اسم جبل، يصف نجوم الليل بالثبات (١١) في مصامها:
في موضعها، أمراس جمع مرس وهو الحبل، والجندل الأصم: الحجر الصلب.

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل^١
 وواد كجوف العير قفر قطعت^٢ به الذئب يعوي كالخليع الممئل^٣
 فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تقول^٤
 كلانا إذا ما نال شيئاً أفاتنه ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل^٥
 وقد أغتدي الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل^٦
 مكر مفر مقبل مدير معاً كجلمود صخر حطته السيل من عل^٧
 كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل^٨
 على العقب جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل^٩
 مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن عباراً بالكديد المركل^{١٠}
 يزل الغلام الخف عن صهوانه ويلوى بأثواب الغنيفة المثقل^{١١}
 دير كخزوف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل^{١٢}

(١) العصام : حبل تربط به القرية ، ومرحل كثير الحمل والترحيل (٢) يقال للموضع الذي لاخير فيه ، والعيل : المسيب الذي ألقى حبله على غاربه (٣) قول : صار ذا مال (٤) أفاتنه : ضيعه ومن يحترث حرثي وحرثك : من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف (٥) وكنات : العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد الوحش النافرة ، وقيد الأوابد مبالغة في سرعة العدو ، والهيك : الصخم من كل شيء (٦) مكر مفر : سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . يصف عدو الفرس في كره وفرد وإقباله وإدباره يجلاميد الصخر تحطها السيول (٧) كيت خالط حرته سواد ويزل يسقط ، عن حال متنه : عن وسط ظهره الصفواء الملاء المتنزل المطر ينزل من السماء (٨) وجياش إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج اهتزاه صهيله ، المرجل : القدر ، يشبه صهيل جواده حين يجيش حمية بالقدريحين تفور (٩) مسح : عدا . السابحات والسوابح : الخيول . الونى : الضعف والتعب ، الكديد الأرض تكدها بحوافرها الدواب . المركل : المكدود (١٠) الخف الجلد أو الخفيف الغنيفة من لا رفق له بركوب الخيل ، المثقل : الثقيل ، يريد أنه لا يذل لغير سيده وهو وصف بديع (١١) درير : كثير الجري ، الوليد : الصبي ، والخزوف شيء يدرره في يديه بخيط فيسمع له دوي نحلة أو بلبل . أمره فتلته .

(١) أَيْطَلَا ظِيْرٍ وَسَاقَا نِعَامِيْ ۖ وَإِرْخَاءُ سُرْحَانِيْ وَتَقْرِيْبُ تَنْقُلٍ^١
 ضَلِيْعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ۖ بِضَافٍ ۖ وَيَقِي الْأَرْضَ لَيْسَ بِأَعْنَزَلٍ^٢
 كَانَ سَنَا اِثْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَشَحَى ۖ مَدَاكَ عُرُوسٍ أَوْ صِلَابَةٍ حَنْظَلٍ^٣
 كَانَ دِمَاءُ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ ۖ غَنَصَارَةٌ ۖ حِنَاءٌ بِشَيْبٍ مُرَجَّلٍ^٤
 فَحَنَّا لَنَا سِرْبٌ ۖ كَانَ نِعَاجُهُ ۖ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأٍ مُذْيِلٍ^٥
 فَأَدْبَرْنَا كَالْجَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَتَيْهِ ۖ يَجِيدُ مُعَمِّمٍ فِي الْعَشِيرَةِ نَحْوَلٍ^٦
 فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُوسَهُ ۖ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلٍ^٧
 فَعَادَى عِدَاءٌ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْمَجَةٍ ۖ دِرَاكَا ۖ وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُفْسَلِ^٨
 فَظَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضَجٍ ۖ صَفِيْفٌ شَوَاءٌ أَوْ قَدِيدٌ مُعْجَلٍ^٩

(١) الأيطل الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معاً
 (٢) ضليع قوي جنبين ، استدبرته : نظرت إليه من خلف (٣) المداك والمدوك
 الصلابة يذكر أن الجواد إذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقاً لامعاً
 كما تلمع صلابة الحنظل و مداك العروس ، وإنما خص صلابة الحنظل لما يترك بها من
 الدهن اللامع : وخص مداك العروس لقرب عهدده بالطيب . وإن امرئ القيس
 لشاعر فنان ! (٤) الهاديات : المتدمات ويريد بها هنا الفرائس ، مرجل : مسرج ،
 يذكر أن دماء الفرائس ينحره كمصارة الحناء بالشيب المرجل ، وكلاهما يلمع من
 الخضاب (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج : البقر ، دوار : اسم صنم ،
 مذيل : طويل الأطراف (٦) الجزع : الخرز ، لأن لونه يجزع إلى بياض وسواد ،
 والمفصل بيده : أي الذي فصل بين حباته بالذهب أو الزبرجد ، الجيد : العنق المعمم
 والنحول : كرام العم والخال : يشبه النعاج بالجزع المفصل في جيد من كرم عمه
 وخاله (٧) الهاديات : السابقات المتدمات . الجواهر : المتخلفات ، في صرة : في
 صياح شديد ، لم تزيل : تتفرق (٨) عادى عدا : جمع بين ثور ونعجة ، دراكا :
 تباغاً ، لم ينضح بماء : لم يعرق (٩) الطهاة جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف ،
 صف على النار ليشوى وفي الشمس ليقعد .

ورحنا يكاد الطرف يقصرُ دونه متى ما ترقق العينُ فيه تسفلُ^١
 فبات عليه سرجهُ ولجامهُ وبات بعيني قائماً غيرَ مُرسلُ^٢
 أصاح؟ ترى برقاً أريك وميضه كلهج اليدين في حبي مكللُ^٣
 يضيء سناه أو مصابيح رآهيب أهان السليط بالذبال المفتلُ^٤
 قعدت وأصحابي له بين ضارج وبين العذيب، بعد ما متأملُ^٥
 على قطن بالشيم أين صوبه وأيسره على الستار فيذببلُ^٦
 فاضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الأدقان دوح الكنبلُ^٧
 ومرو على القنان من نفيانته فأنزل منه العصم من كل منزلُ^٨
 وتياها لم يترك بها جندع نخلة ولا أطمأ إلا مشيداً يجندلُ^٩
 كأن ثبيراً في عراني وبله كبير أناس في يجاد زمملُ^{١٠}

(١) يكاد الطرف يقصر دونه أي أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق: تنظر إلى أعلا، تسفل: تنظر إلى أسفل ٢ يريد أنه بات مقيداً مسرجاً ملجماً، ليستطيع الفارس امتطاه متى شاء (٣) ومض البرق ومضاً ووميضاً ومضاناً، لمع لمعاً خفياً ، الحبي : الحباب المتراكم (٤) السليط ، الزيت الجيد ، الذبال، جمع ذبالة ، وهي فتيلة المصباح وفي رواية : آمال ٥ ضارج اسم ماء ببلاد طيبة ، والعذيب اسم ماء قريب منه ، ومتأمل أي مأمول (٦) قطن اسم جبل ، الشم النظر إلى البرق ، الصواب : أي المطر ، والستار ويذببل جبلان (٧) يسح الماء يسكبه ، وكتيفة اسم أرض دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة والكنبل نوع من الشجر الضخم (٨) القنان : اسم جبل لبني أسد، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول وفرداها أعصم سميت بذلك لاعتصامها بالجبال (٩) تياها اسم أرض ، الأطم : القصر يريد أن المطر لم يترك بتياها إلا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار (١٠) ثبيراً : اسم جبل ، عراني وبله : في طغيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، زممل : ملفف .

كَأَن ذُرًّا رَأْسُ الْهَجِيمِ غَدَوَةٌ من السيل والغمامِ فلكة مغزَلٌ^١
وَأَلْقَى بِصَحْرَاءَ الْغَبِيطِ بِعَاعَهُ نزول الياني ذي العيابِ المحمِلُ^٢
كَأَن مُكَاكِيَّ الْجَوَارِ غَدِيَّةٌ صبحن سُلَافًا من رَحِيقِ مَفْلَلٍ^٣
كَأَن سَبَاعًا فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةٌ بأَرْجَانِهِ الْقَصَوَى أَنَابِيشُ عَنَصَلُ^٤

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية : أحدُ فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمهم بمكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجللاء معنى ، ولطف اعتذار - ولقب بالنابغة لشبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير - وهو من أشرف ذيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غرض قليلًا من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب ، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم ، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه إلى أن وثى به عند النعمان أحد بطانته ، فغضب عليه وهم بقتله ، فأسر إليه بذلك عصامٌ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام ، المنافين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصل واعتذر إليه بقصائد عطف على قلبه ، وعثر النابغة طويلاً ، ومات قبيل البعثة .

(١) الهجر . اسم جبل ، وذرا رأسه ، أعاليه . الغمام : ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش (٢) الغبيط أراض لبني يربوع ، بعاعه ثقله - العياب جمع عيبة ، وهي ما يضع الرجل فيه - تناعه (٣) المكافي : ضرب من الطير يصيح في الغدوات - صبحن : شرين شراب الصباح - السلاف والسلافة : صفوة الخمر - الرحيق : الخمر ، مفلل وضع عليه فلفل يريد أنه لذاع (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل البصل البري .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى ، وحسن المظم ، وقلة التشكف حتى عُدَّ عند المدققين من الشعراء كجبرير أنه أشعر شعراء الجاهلية ، وأغراه تكسُّه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح ، حتى مدح الشيء وضده .

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني أبيت اللعن ^١ أنك لمستني	وتلك التي أهتم ^٢ منها وأنصب ^٣
فبت ^٤ كان المائدات ^٥ فرشن لي	هراساه به يُعلى فراشي ويقشَب ^٦
حلعت فلم أترك لنفسك ربيعة	وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بُلغْتَ عني جناية ^٧	لميلغلك الواشي أغش ^٨ وأكذب
ولكنني كنت امرأاً لي جائب ^٩	من الأرض فيه مستراد ^{١٠} ومذهب
ملوك ^{١١} وإخوان إذا ما أتيتهم	أحكّم ^{١٢} في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم	فلم ترم في شكرهم لك أذنبوا ^{١٣}
فلا تتركني بالوعيد كأنني	إلى الناس مطلي ^{١٤} بالفار ^{١٥} أجرب ^{١٦}
ألم تر أن الله أعطاك سورة ^{١٧}	ترى كل ملك دونها يتذبذب ^{١٨}
ولست بمستبق أخاً لا تلمسه	على شعث ^{١٩} أي الرجال المهذب ^{٢٠}

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك الحنم وجذام (٢) أصير لأجلها ذام (٣) أتعب (٤) الزائرات في المرض (٥) شوكة كأنه حسك (٦) يخلط (٧) ذنباً وفي رواية: خيانة (٨) الجانب الناحية وأراد به الشام (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١٠) بدل من مستراد ومذهب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١١) قال الأصمعي: كما فعلت أنت ب قوم قريبهم. وأكرهتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنباً عليهم (١٢) القطران (١٣) منزلة رفيعة وشرفاً (١٤) يضرب أراد بهذا البيت والذي قبله تسلية النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفبة (١٥) تلمه تصلحه. والشعث الفساد ، والمهذب المتقى من العيوب ، يعتذر بذلك عن زلته .

فإن أك مظلوماً^١ فغبد^٢ ظلمته وإن تك ذا عُنْتَبَى^٣ فمثلك يُعْتَبَى^٤
ومن أبلغ المعلقات والمطولات أيضاً :

معلقة النابغة الذبياني

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ، ماذا تحيون من نؤي وأحجار^٥ ؟
أقوى وأقفر من نعسم وغيره هوج^٥ الرباح بهابي الترب موآر^٥
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا^٦ عبر أسفار^٦
فاستعجمت دار^٧ نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار^٧
فما وجدت بها شيئاً ألوذ به إلا الثام^٨ وإلا موقد النار^٨
وقد أراني ونعماً لاهين معاً والدهر والعيش لم يهضم^٩ بإمرار^٩
أيام تخبرني نعم وأخبرها ما أكرم الناس من حاجي وأسراي^٩
لولا حبال من نعم علقت بها لأقصر القلب عنها أي إقصار^{١٠}
فإن أفاق لقد طالت عمايته والمرء يخلق طوراً بعد أطوار^{١١}
نبتت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ودعياً لذاك العاتب الزاري^{١١}
رأيت نعماً وأصحابي على عجل والعيس للبين قد شدت بأكوار^{١١}
فريع قلبي وكانت نظرة عرضت حيناً وتوفيق أقدار لأقدار^{١٢}
بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدنا لم أؤذ^{١٢} أهلاً ولم تفحش على جار

- (١) جعل غضبه ظمناً لأنه عن غير موجب (٢) رضا (٣) يرضى (٤) عوجوا : قفوا. الدمنة : ما اجتمع من آثار الديار، النؤي ما يكون حول الحباء لمنع المطر (٥) أقوى : خلا ، أقفر : صار قفراً ، هوج جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة هابي الترب : ساقيه ، مواريحي ويذهب (٦) سراة اليوم : وسطه. والأمون ، الناقة القوية المأمونة (٧) استعجمت : عبت الجواب ٨ ألوذ به : أفزع إليه ، الثام : نوع من النبت الدقيق الضعيف (٩) أمر العيش إمراراً صار مراراً (١٠) الحبال : جمع حباله وهي الشرك ، أقصر : كف وانصرف (١١) العماية الضلالة والطور الحال ويخلق يتغير (١٢) ريع من الروع وهو الفزع ، والحين : الهلاك.

تلوثُ بعد افتضال البرد مثرها لوثاً على مثل دِعْص الرملة الهاري^١
والطيب يزاد طيباً أن يكون بها في جيد واضحة الخدين معطار^٢
تسقي الضجيع إذا استسقى بذى أشر عذب المذاقة بعد النوم مخمار^٣
كان مشمولة صرفاً بريقتهما من بعد رقدتها أو شهد مُشتار^٤
أقول والنجم قد مالت أواخره إلى الغيب : تثبت نظرة حار^٥
ألهة من سنا برق رأى بصري أم وجه نعم بدا لي أم سنا نار
بل وجه نعم بدا وللليل مُعْتَكِر^٦ فلاح من بين أثواب وأستار
إن المحول التي راحت مُهَجَّرة يتبعن كل سفيه الرأي مغيار^٧
نواعم مثل بيضات بحنية يحفز منه ظليماً في نقار^٨
إذا تغنى الحمام الورق هيجني وإن تغربت عنها أم عمار^٩
ومهمه نازح تعوي الذئب به نائي المياه عن الوراد مقفار^{١٠}
جاوزته بعلندة مناقلة وعر الطريق على الإحزان مضمار^{١١}
تجناب أرضاً إلى أرض بذى زجل ماض على الهول هاد غير محيار^{١٢}

(١) تلوث تلف وافتضال البرد هو التوشح به : والدعص : الكثيب الصغير
والهاري : المنهار (٢) الجيد العنق . معطار : كثير العطر ووضوح الخد إشراقه
(٣) الأشر حسن الثغر وتحرير أطرافه مخمر عطر تقول وجدت خمره الطيب أي
رائحته (٤) المشمولة المخمر والصرف الخالصة ، والريقة : الريق . والمشتار : الذي
ينزع العسل من بيوت النحل (٥) حار مرخم حارث (٦) المحول : الهوادج ويريد
بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير ، مغيار : غيور (٧) الحنية والمحنو :
منعطف الوادي ٨ الورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة تألف الشجر الوريق . وأم
عمار واقعة موقع البديل من الضمير في (عنها) ٩ المهمه : الوادي الوحش ، نازح :
بعيد . الوراد : جمع وارد مقفار : لا أنيس به (١٠) علندة : شديدة وهو
وصف للناقة ، مناقلة : سريعة نقل القوائم في جري بين العدو والخبب .
الإحزان : المشي في الحزن ، وهو ما صلب من الأرض . مضمار : كثير الضمور
(١١) تجناب : تقطع وتجنب ، الزج : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

إذا الرُّكَّابُ وُنتَ عنها رُكائِبُها تشذَّرت ببُعِيدِ الْفَتْرِ خُطَارُ^١
 كأنَّما الرُّحْلُ عَنْهَا فَوْقَ ذِي جَدَدٍ ذبَّ الرِّيَادُ إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَارُ^٢
 مَطَرُودٌ أَفْرَدَتْ عَنْهُ حَلَائِلُهُ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ أَوْ مِنْ وَحْشٍ ذِي قَارُ^٣
 مَجْرَسٌ وَحَدٌّ جَابَ أَطَاعَ لَهُ نَبَاتٌ غَيْثٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ مَبْكَارُ^٤
 سِرَاتُهُ مَا خَلَا لِبَانُهُ لَهْقُ فِي الْقَوَائِمِ مِثْلُ الْوُثْمِ بِالْقَارِ^٥
 بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ شَهْبَاءُ تَسْفَعُهُ بِحَاصِبِ ذَاتِ إِشْعَانٍ وَإِمطارِ^٦
 وَبَاتَ ضَيْفًا لَأَرْطَاةٍ وَالْحِجَاءُ مَعَ الظَّلَامِ إِلَيْهَا وَأَبْلُ سَارُ^٧
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَّتْ ظِلْمَاءُ لَيْلَتِهِ وَأَسْفَرَ الصَّبْحُ عَنْهُ أَيُّ إِسْفَارِ^٨
 أَهْوَى لَهُ قَانَصٌ يَسْعَى بِأَكْلِبِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ مِنْ قَنَاصِ أُنْمَارِ^٩
 مَحَالِفُ الصَّيْدِ هَبَّاشٌ لَهُ لَحْمٌ مَا إِنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَيْرَ أَطْهَارِ^٩

(١) وُنت : من اللونى ، وهو الضعيف . تشذرت : نشطت . الفتر : الضعيف .
 خطار كثير الخطران برجليه على الدقة يحشها على المضي (٢) ذو الجدد : هو ثور
 الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمرة . والذب : الدفع ، والرياد والارتباد
 التجول ، (٣) مطرود : مشرد ، ووجرة وذوقار موضعان ، والوحش إذا أفردت
 عنه حلائله جن وأكثر من العدو في أرجاء الفضاء (٤) مجرس : خائف وذلك أن
 يسمع جرس الإنسان أي صوته - وحد : وحيد . جاب صلب شديد تقاع له
 الكلأ وأطاع : إذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء . الوسمي : أول المطر . ومثله
 المبكار (٥) سرائه ظهره ، لبانه : صدره ، لهق : أبيض ، القار : شيء أسود
 تطلّى به السفن (٦) ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيها ربيع باردة - تسفعه . تلفعه
 وترميه . والحاصب الريح تقذف بالحصباء وهي الحصى (٧) الأرطاة : شجرة مرة
 والوابل المطر الغزير ، والساري يسح بالليل (٨) أهوى له : انقض عليه ، أكلبه :
 كلابه . الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بمعصب ظاهري الكف . وعريها
 محمود في الرجال ، أنمار اسم لقبيلة مشهورة بالصيد (٩) هباش : كثير الهبش
 وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ، أي مكاسب أطهار جمع طمر : وهو
 الثوب الخلق .

يسمى بغضب براها فهي طاوية^١ طول ارتحال بها منه وتَسْنِيَار^١
 حتى إذا الثورُ بعد النفر أمكنه أشلى وأرسل غطفاً كلها ضار^٢
 فكراً محمية من أن يفتر كما كراً المحامي حفاظاً خشية العار^٣
 فشكّ بالروق منه صدرُ أولها شكّ المشاعب أعشاراً بأعشار^٤
 ثم انثنى بعدُ للشاني فأقصده بذات ثغر بعيد القمر نَعَّار^٥
 واثبت الثالث الباقي بنافذة من باسل عمام بالطعن كَرَّار^٦
 وظل في سبعة منها لحقن به يكرُّ بالروق فيها كَرَّ إِسْوَار^٧
 حتى إذ ما قضى منها لبانتته وعاد فيها بإقبال وإدبار^٨
 انقض كالنكوب الدرّي منصلتاً بهوي ويخلط تقريناً بإحضار^٩
 فذاك شبه قلوصي إذ أضرت بها طول السرى والسرى من بعداً - غار^{١٠}
 لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن ترّبعهم في كل أصفار^{١١}
 فقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائيه لوثبة الضاري^{١٢}
 لا أعرفن ربّ ربّا حوراً مداً بها كأنهنّ نعاجٌ حول دَوَّار^{١٣}

(١) الغضب: جمع أغضب، وهو اللين الناعم. طاوية جائعة (٢) أفر: العدو. أشلى: تهلل أشلى: وتقول أشليت الكلب للصيد (٣) محمية: حفاظ والمحامي الذائد والمدافع (٤) الروق القرن، المشاعب: الذي يشعب الفدح ويصدعه (٥) أقصده: رماه بذات ثغر: أي بطعنة ذات ثغر وانثغر هنا الشق، بعيد القمر بعيد الغور. نعار له نعر (٦) نافذة أي ماضية. باسل: من البسالة وهي الشجاعة (٧) الإِسْوَار الرامي الحاذق! (٨) لبانتته: حاجته (٩) منصلتاً: الانصلات هو المضي في سرعة (١٠) القلوص: الناقة والسرى: السيز بالليل (١١) أفر: واد خصيب حماء النعمان. وبنو ذبيان قوم النابغة (١٢) منقبض على برائته متحفز للوثوب وثبة الأسد الضاري (١٣) الربرب القطيع من البقر شبه به النساء حور جمع حوراء، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها والمدامع: العيون. والنعاج يريد بها هنا أيضاً النساء ودوار: صنم كن يطفن حوله.

ينظرن شزراً لى من جاء عن عرُص بأوجه منكرات الرق أحرار^١
 خلف العضاريط لا يوقين فاحشه مستمسكات بأقتار وأكوار^٢
 يذرفن دمناً على لأشفار منحدراً ياملن رحلة حصن وابن سيار^٣
 إما عَصِيَت فإني غير منفلت مني اللصابُ وجنبا حبرة النار^٤
 إذ أصنع البيت في سوداء مظلمة تقيد العير لا يسري بها الساري^٥
 تدافع الناس عننا حين نركبها من انظالم ندعى أم صبار^٦
 ساق الرفيدات من جوش ومن خردي وماش من رهط ربعي وحجار^٧
 قرمي قضاة حلاً حول حجرته مداً عليه بسلاف وأنفار^٨
 حتى استقر يجمع لا كفاء له يففي الوحوش عن الصحراء جرار^٩
 لا يخفض الرز عن أرض ألمها ولا يضل على مصباحه الساري^٩
 وغير تني بنو ذبيان خشيته ، وهـ عليّ بأن أخشاك من عار

(١) النظر الشزر هو النظر في إعراض يؤخر العين كنظر الساغص، العرض؛
 الجانب منكبات الرق أحرار صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية (٢) العضاريط:
 الخدم، لا يوقين فاحشة يريد أن السبي عرضهن للمسكر أي الفحشاء الأقتاب: جمع
 قتب: وهو عود الرجل والأكواع الرجال (٣) الأشفار منابت الهدب
 (٤) اللصاب: جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل والحرة: أرض ذات
 حجارة سود نخرت كأنها حرقمت بالنار (٥) سوداء مظلمة وصف لحرة النار،
 تقيد العير تمنعه من المشي (٦) الرفيدات، بنو ربيعة من كلب بن وبرة جوش:
 جبل ببلاد بني الفين، ربعي وحجار رجلان من قضاة (٧) قرمي قضاة. صفة
 لربعي وحجار والمراد الرجل القوي المتين. حلا: نزلاً، مداً عليه: أمداه
 السلاف: من يتقدمون المسكر والأنفار: من يتكون الجيش من أفرادهم.
 (٨) استقل: نهض: لا كفاء له، لا نظير له، والجرار الجيش الكثير كائن:
 يحمر بعضه بعضاً.

(٩) الرز: الصوت. ألم نزل يعني أنه لا يهاب أرضاً ينزل بها حتى يخفض صوته

(٣) زهير بن أبي سلمى المزني المصري

هو زهير بن أبي سلمى : واسمه ربعة بن رياح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعظم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمة ، وأكثرهم تهديداً لشمره .

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أهله شعراء ، رجالاً ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري ، وأول ما أعجبه من فعله وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحرث بن عوف في الصلح بين عيسى وذيبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت ثلاث آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته ، وهي إحدى المعلقة السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستجيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملا قال : أنعموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت ، وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ، متديناً مؤمناً بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتعن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم
وعمر زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب رؤية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولا سيما مطولاته ، حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها في أربعة أشهر ، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات ، ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرمًا

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوانه طرُقًا
من يلق يوماً على علاته هرمًا يلق السباحة منه والندى خلُقًا
لو نال حي من الدنيا بكمرة أفق السماء لنالت كفه الأفقًا

وشعره يمتاز أولاً بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه ، بحيث يودع اللفظ اليسير المعنى الكثير .
وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .
وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي ، والبعد من وحشي الكلام وغريبه .
ورابعاً بقلّة الهذّر والسخف في كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقل فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع .
ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً :

معلقة زهير بن أبي سلمى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم	بحومانة الدراج فالمتثلم ^١
ديار لها بالرقمتين كأنها	مراجيع ^٢ وشم في نواشر معصم ^٣
بها العين والآرام ^٤ يمشين خلفه	وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم ^٥
وقفت بها من بعد عشرين حجة	فلأيا عرفت الدار بعد توهم ^٦
أناني ^٧ سفعاً في مفرس ^٨ مرجل	ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم ^٩
فلما عرفت الدار قلت لربما	ألا انعيم صباحاً أيها الربع ^{١٠} واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظمائن	تحملن بالعلياء من فوق جرثوم ^{١١}

- (١) أم أوفى امرأة زهير . ودمنة الدار : الأثر . لم تكلم : لم تظهر أي ، أمن دمن . أم أوفى دمنة لم تتكلم . وحومانة الدراج موضع . وكذلك المتثلم .
(٢) الرقمتان : اسم مكان ، مراجع الوشم : خطوطه ، ونواشر المعصم : عروقه
(٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء وأطلاؤها : أولادها . والمجثم المكان الذي يقمن فيه يمشين خلفه : فوجاً بعد فوج وسرباً بعد سرب .
(٤) حجة : سنة (٥) الأناني : الحجارة توضع عليها القدر . سفع : سود .
ومفرس المرجل : الموضع الذي يكون فيه . والنؤي : ما يحفر حول الخيام لمنع السبل . جذم الحوض أصله . لم يتثلم لم يتكثر (٦) الظمائن . الجبال عليها الهودج : العلياء وجريم : موضعان والتحمل الارتحال .

جعلنَ القنَّانَ عن يمينٍ وحزَنهُ^١ وكم بالقنَّانِ من محلٍّ ومحرمٍ^٢
 علونَ بأغماطٍ عتاقٍ وكلَّةٍ^٣ ورادَ حواشيها مُشاكِهةَ الدمِ^٤
 ظهرنَ من السَّوبانِ ثمَّ جزَعنه^٥ على كلِّ قبني قشيبٍ ومُفأَم^٦
 ووركنَ في السَّوبانِ يعلو مَتْنهُ^٧ عليهنَّ دَلَّ النَّاعِمُ المتنعِمِ^٨
 بكركنَ بكوراً واستَحَرْنَ بِسَجرةٍ^٩ فهنَّ وَوادي الرسِّ كاليدِ للقمِ^{١٠}
 وفيهنَّ ملهٍ للصِّديقِ ومنظرٍ^{١١} أنيقٍ لعينِ الناظرِ المتوسِّمِ^{١٢}
 كأن فتاتِ العهنِ في بَكلِ منزلٍ^{١٣} نزلنَّ به حبَّ الفنا لم يحطَمِ^{١٤}
 فلما وَرَدنَّ الماءَ زرقاً جِمامهُ^{١٥} وضمنَ عصيى الحاضرِ المتخيمِ^{١٦}
 تذكرني الأحلامُ ليلي رَمَنَ نطفِ^{١٧} عليه خيالاتُ الأحبةِ يحسِمِ^{١٨}
 سمى ساعيانَ غيظِ بنِ مرةٍ بعدما^{١٩} تبزلُ ما بينَ العشيرةِ بالدمِ^{٢٠}
 فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حوله^{٢١} رجالُ بنوهِ من قريشٍ وجِرمِ^{٢٢}
 يميناً لعمِّ السَّيدانِ وجدقما^{٢٣} على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومهزمِ^{٢٤}

(١) القنَّان : اسم جبل . الحزن : ما غلظ من الأرض (٢) : الأغماط : ثياب
 تفرش بها الهودج . وعتاق : حميدة الحوك . والكلَّة : الستارة الناموسية وإيراد
 موزونة ، مشاكهة مشابهة (٣) السَّوبان : اسم وادٍ جزعنه : قطعنه قشيب :
 جديد مفأَم : واسع (٤) وركن في السَّوبان . عرجن عليه ، متنه ظهره
 (٥) استَحَرْنَ : سرين سحراً ، كاليد للقم : يريد أنهن في قريش من وادي الرسِّ
 كاليد للقم ؛ لأنها لا تخطئه في قربها منه (٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب
 أحمر وفيه نقط سود (٧) جِمام الماء : ما اجتمع منه والجِمام الزرق الميماء الصافية
 ووضع العصي كناية من ترك السير . الحاضر : النازل على الماء ، المتخيم : المقيم .
 (٨) في كتاب مدامع العشاق بحث مفضل عما قاله الشعراء في طيف الخيال .
 (٩) الساعيان في هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان وإليهما يوجه
 زهير الثناء ١٠ البيت هو الكعبة وجِرمهم اسم لقوم كانوا ولادة البيت قبل
 قريش وأبائهم الله لبغيتهم (١١) السحيل : الخيط المفرد المبرم المقبول ، والسحيل
 هنا والمهزم كناية عن الرخا . والشدة .

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَ مَا تَفَانَسَا وَدَقَسَا بَيْنَهُم عِطْرًا مِثْشَمٌ^١
 وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نَذَرَكِ السَّلْمَ وَاسِعًا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمٌ^٢
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوَاطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَآثِمٍ^٣
 عَظِيمَيْنِ فِي عَلَيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِجُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
 وَأَصْبَحَ يُجْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكِمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مَزْنَمٍ^٤
 تَعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمُثَسِّنِ وَأَصْبَحَتْ يَنْجَمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمٍ^٥
 يَنْجَمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُم مِلْءًا مَحْجَمٍ^٦
 أَلَا أَبْلَغَ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ وَذُبْيَانٍ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مَقْسَمٍ^٧
 فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكِمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
 يُؤَخِّرُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُنْذِرُ لِيَوْمٍ حِسَابٍ أَوْ يُعَجِّلُ فَيُنْزِلُ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُو وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ
 مَتَى تَبْعُثُوهَا تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَضْرِي إِذَا ضَرَبْتُمُوهَا فَتَضْرِمُ^٨
 فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرُّحَى بِنِقَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْشِجُ فَتَشْمُ^٩

(١) مِثْشَم : امرأة تبسع عطرًا . فإذا حاربوا اشتروا منها كافورًا لموتهم

(٢) واسعًا خالصًا من شوائب الأحقاد .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمآثم الإثم . وهو العدوان .

(٤) يجدى : يساق . إفال : جمع أفيل وهو الفصيل . مزنم : معلم .

(٥) تعفى : تمحى ، الكلوم الجروح ، ينجمها . يؤديها أقساطًا .

(٦) المحجم : وعاء ينلقى فيه الحجام الدم عند القصد .

(٧) أي : هل حلفتم لا تعملون شيئًا يرقض ما تحالفتم عليه .

(٨) يقال ضربته فضرى : أي هجته فهاج . تضرم : تشتعل

(٩) النقال : جلد يبسط تحت الرحى عند الطحن .

فتنتشج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم^١
فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم^٢
لحي حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم^٣
كيرام فلاذو الضغن يدرك نبلة^٤ ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم^٥
راعوا أمارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غماراً تقترى بالسلاح وبالدم^٥
فقتضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلاء مستوبيل متوخم^٦
لعمري لنعم الحي جرّ عليهم^٧ بما لا يؤاتيههم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحاً على مستكنة^٨ فلا هو أنداهما ولم يتجمجم^٧
وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي عدوتي بألف من ورائي ملجم^٨
فشدّ ولم ينظر بيوتاً كثيرة^٩ لدي حيث ألفت رحلها أم قشعم^٩
لدى أسد شاكي السلاح مقذف^{١٠} له لبد أظفاره لم تقلّم^{١٠}
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعاً وإلا يبند بالظلم يظلم

(١) غلمان أشام : غلمان شؤم . وأحمر عاد : هو عاقر الناقة .

(٢) القفيز اسم مكيال .

(٣) حي حلال : حالون في مكان واحد متجاورون يعصم الناس أمرهم . يسلم

الناس برأيهم . والمعظم : الحادث الرهيب .

(٤) النبيل : النار ، الجارم : المجرم .

(٥) الظمأ الهدنة بين الحربين والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تضرى : انفجر .

٦ الكلاء : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبيل متوخم : مستنقل مردوم .

(٧) الكشح : الجنب ، مستكنة : مضمرة .

(٨) ألف ملجم : يريد ألف فارس ألجوا خيولهم .

٩ لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة ، قومه وأنصاره ، يريد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هي المنية .

(١٠) شاكي السلاح : شاعر السلاح . مقذف به كثيراً إلى الحروب ، لبد

الشعر : اللبد على منكبي الأسد .

لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم
ولا شاركوا في القوم في دم نوفل
فكلاً أراهم أصحبوا يعقبونته
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
ومن يوف لا يذمتم ومن يفض قلبه
ومن هاب أسباب المنايا ينلنسه
ومن يك ذا فضل فيمجل بفضله
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه
ومن يغترب يحسب عدو أصديقه
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
ومهما تكن عند امرئ من خليفه
وكان ترى من صامت لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
وإن سيفاه الشيخ لا حلم بعده
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

دم ابن نهيك أو قتيل المثلثم
ولا وهب منهم ولا ابن المحترم
علالة ألف بعد ألف مضتتم
يطسع العوالي ركبت كل لهزم
إلى منطمئن البر لا يتجتمجتم
ولورام أسباب السجاء بسلمتم
على قوميه يستغن عنه ويذمتم
ولا يعفها يوماً من الذل يندم
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
يفره ومن لا يتشقر الشتم يشتم
وإن خالها تحفى على الناس تعلم
زيادته أو نقصه في التكلم
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
ثمانين حولاً لا أبا لك ينسم

- (١) الزجاج أسفل الرمح ، والعوالي : جمع عالية . وهي أعلاذ اللهزم :
السنان الطويل والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهي لا تقبل ، أطاع عواليه وهي
قتالة . أي من لم يطع باللين أطاع بالشدة .
- (٢) الذود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : يريد به أنه من طمع الناس أن يبطشوا
بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعني من لم يدفع الظلم بمثله يظلم .
- (٣) المصانعة : المداراة ، يضرس : يضرع بالأضرار . والمنسم الحافر

وأعلم ما في اليوم والأمنس قبيله ولكنني عن علم ما في غنيد عم
رأيت المنايا خبط عشواء من نصيب قتيه ومن تحطىء يعتمر فيهم
سألنا فاطيم وعدنا فنعمدتم ومن يكتر التسأل يوماً سيحترم

(٤) عنزة العبسي

هو عنزة بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغريبتها
وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة ، وأبوه من سادات بني عبس
وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عداد
العبيد ، ولذلك كان عنزة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله وخيله
قرباً بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشب فارساً
شجاعاً ماماً ، وكان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض
العرب على عبس ، واستاقوا إبلهم ، ولحقهم بنو عبس ، وفيهم عنزة
لاستنقاذ الإبل ، فقال له أبوه : كبر يا عنزة ، فقال : العبد لا يحسن الكبر ،
إنما يحسن الحلاب والصر ، فقال ، كبر وأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً ، حتى
هزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين
فرسان العرب وساداتها .

وطال عمر عنزة حتى ضعف جسمه ، وعجز عن شن الغارات ، ومات
قبيل البعثة .

شعره - لم يشتهر عنزة أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه
الفروسية مكثفياً بها حتى عيّر يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر
فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي
كانت تسمى المذهبة أيضاً ، وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه ، وحسن دفاعه
عنهم ووفرة جوده مع رجاء فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجل الملاحظات .

معلقة عنتره العبسي

هل غادرَ الشعراءُ من مترَدَم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهم^١ ؟
يا دار عبلةَ بالجِواءِ تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي^٢
دارُ لآنسةٍ غضيض طرفُها طوَّع العنانَ للذيذة المتبسم^٣
فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدن^٤ - لأفضي حاجة المتلوم^٥
وتحلُّ عبلةَ بالجِواءِ وأهلُنا بالحزنِ فالصَّمتانِ والمنشلم^٦
حيَّيتُ مِن طلل تقادم عهدِه أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^٧
حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم^٨
علقتها عرضاً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم^٩
ولهد نزلت ، فلا تظني غيره ، مِني بمنزلة الحب المكرم^{١٠}
كيف المزارُ وقد تربع لها بمعنيزتين وهلنا بالفيلسَم^{١١}
إن كنت أزمعت الفراق فإنما زُمت ركابكم بليل مظلم^{١٢}
ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخنم^{١٣}

- (١) غادر : ترك ، متردم : أي شيء يصلح لم يكو وأصلحوه ٢ الجواء : بلد ، تكلمي : أفصحي وأخبري وعمي وأنعمي أي نعم الله صباحك وأدامك
سأله (٣) الفدن : القصر ، والمتلوم المترقب المنتظر ، وعني بالمتلوم نفسه ، ٤ تحل : تترك والصوان والصمان بمعنى واحد وهو مكان معروف عند العرب (٥) حييت لك مني التحية ، من طلل : المكان تقادم عهده ، أقوى : خلا من السكان ، أقفر : حرب ، الهيثم : الصقر ٦ الزائرين : بالهمزة الأعداء والزائر بالياء من الزيارة للأحباب والأصدقاء ٧ علقتها : أحبتها ، عرضاً : من غير قصد ، زعماً : طمعاً (٨) نزلت : حلت من نفسي منزلة الحب المكرم (٩) تربع الفوم : نزلوا في الربيع ، والمعنيزتان والغيلم : موضعان . يقول كيف أزورها وقد بمدت عني بعد قربها (١٠) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شدت .
(١١) راعني أفزعني والحمولة : الإبل ، تسف حب الخنم : تأكل بقلة لها حب أسود إذا أكله الغنم قلت ألبانها وتغيرت .

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم^١
 إذ تستبيك بذني غروب واضح عذب مقبلة لذيد المطعم^٢
 وكان فارة تاجير بقسيمه سبقت عوارضها إليك من الفم^٣
 أو روضة أنفاً تَضْمَنَ نبتُها غيثٌ قليل الدمن ليس بمعلم^٤
 جادت عليه كلُّ حُصرة فتركن كلَّ قرارة كالدرهم^٥
 سحاً وتُسْكَباً فكلُّ عَشية يجري عليها الماء لم يتصرم^٦
 وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المتزنم^٧
 هزجاً يحك ذراعاً بذراعهِ قدح المكب على الزناد الأجذم^٨
 تسي وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سَراة أدم ملجم^٩
 وحشيتي سرج على عبل الشوى نهد مراكلهُ نبيـل الهزم^{١٠}
 دل تبلفني دارها شدنية^{١١} لعنت بمحروم الشراب مُصرم^{١١}

- (١) الحلوبة : الناقة في ضرعها لبن ، الأسحم : شديد السواد (٢) تستبيك : تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها (٣) فارة : الفارة هنا وعاء (٤) الروضة : الحديقة ، والأنف : التام في كل شيء ، والدمن : المطر الخفيف ، والمعلم ذو العلامة (٥) البكر : السحابة في أول الربيع وفي عاداتها أن لا تمطر (٦) لم يتصرم : لم ينفذ ولم ينقطع وخص مطر العشي لأنه أكثر ما يكون صيفاً (٧) خلا : انفرد ، ببارح : أي بتارك ، غرداً : مترعاً والتفريد : الترنيم (٨) الهزج سريع الصوت ، يحك ذراعهُ أي يمز إحداها على الأخرى قدح المكب : الذي أكب على الزناد يقده على التوالي : الأجذم الزناد القصير ، وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق الغدير (٩) الحشية : الفراش المحشو ، يعني أن حبيبتهُ تسمى : تصبح مستريحة ناعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارساً لها ومدافعاً عن القبيلة (١٠) حشيتي : فراشي ، سرج : السرج مسا يوضع على الجواد . عبل : غليظ ، الشوى : القوائم يريد جواده . (١١) تبلفني : توصلني ، دارها : منزلها ومقامها .

خَطَارَةٌ غِيبٌ السُّرَى زِيَّافَةٌ تَطْسُ الْآكَامُ بِذَاتِ خُفٍّ مِثْنُهَا^١
 وَكَأَنَّمَا أَقْصَى الْآكَامِ عَشِيَّةٌ بِقَرِيبٍ بَيْنَ الْمَذْمُومِ مُصَلِّمٌ^٢
 تَأْوِي لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حَزَقٌ يَمَانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْنُظُمٌ^٣
 يَتَبَعْنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنٌ نُحْمِمْ^٤
 صَعْلٌ يَعُودُ بِذِي الْعَشِيرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَمِيدِ ذِي الْفَرْ وَالطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ^٥
 شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرِ ضَيْنٌ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفَرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ^٦
 وَكَأَنَّمَا تَنَأَى بِجَانِبِ دَقِيقِهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَوِّمٌ^٧
 هِرٌّ جَنِيبٌ كَلَمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضِبِي أَلْقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ^٨

- (١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديا : غيب السرى : أي بعد السرى زيافة تسرع في مشيها (٢) أقص : أكثر، والآكام المرتفع من الأرض، النسمان : الظفران المقدمان في الخلف ، مصلم : مقطوع الأذنين .
 (٣) تأوي : ترجع وتسكن ، قلوص : جمع قلووص وهي الناقة الشابة ، حزق : جماعات (٤) يتبعن : يحطن به ، قلة الرأس : أعلاه ، والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت .
 (٥) صعل : صغير الرأس دقيق العنق ، يعود : يأتي إلى بيضه ، ذو العشيرة : اسم مكان شبه ذكر النعام بالعبد الأسود عليه فروة طويلة .
 (٦) الدحرضان : اسم مورد من موارد الماء زوراء : عوجاء مائلة من النشاط . والديلم الأعداء . والمعنى أنها تجافت عن الحياض لحوقها منها .
 (٧) ينأى : يبعد ، والدف : الجنب ، والوحشي : الجانب الأيمن من البهائم . وسمي الجانب الأيمن وحشياً لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب . هزج العشى : صوت الهر الذي يחדشها لأن السنانير أكثر ما تصيح في العشيات والمؤوم : عظيم الرأس . (٨) هر جنيب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردّها باليدين وبالفم . والمعنى أنها كثيرة النشاط في ساعة العشى وهي ساعة الفتور عند سواها من الإبل فكأنها من نشاطها يחדشها هر تحت إبطها

أَبْقَى لَهَا طَوْلُ السِّفَارِ مُقَرَّرٌ مَدًّا سِنْدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمُتَخَيِّمِ^١
 بَرَكْتُ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكْتُ عَلَى قَصَبِ أَحْشِ مُهْضَمِ^٢
 وَكَأَن رِبًّا أَوْ كُحَيْلًا مَعْقَدًا حِشْرَ الْوَقُودِ بِهِ جَوَانِبَ قَقْمِ^٣
 يَنْبَاعُ أَمِنْ ذَمَرِي غَضُوبَ جِسْرَةٍ زَيْتَافَةٍ مِثْلَ الْفَيْنِيقِ الْمَكْدَمِ^٤
 إِنْ تَغْدِقِي دُونِي الْيَنْسَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخَذِ الْفَارَسِ الْمُسْتَلْثَمِ^٥
 أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ
 فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظِلْمِي بِاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ^٦
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَكَ الْهَوَاجِيرُ بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ
 بَرْجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ قَرَنْتُ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ^٧
 فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعَرَضِي وَافِرٌ لَمْ يَكْلَمْ^٨
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي^٩
 وَحَلِيلَ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مَجْنَدَلًا تَكْوُ فَرِيصَتَهُ كَشَدَقِ الْأَعْلَمِ^{١٠}

(١) أَبْقَى : ترك . طول السفار : طول السفر وامتداده ، والمقرم : المبني بالآجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه تكش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة المماس (٢) الرِّدَاعُ مورد لبني سعد ، الأحش : الذي في صوته خشونة ، المهضم ، المحرم ، وقيل الكسر ٣ الرب ما بقي من عصارة التمر . الكحيل الفطران - معقدًا أو قد تحته حتى انعقد .

(٤) يَنْبَاعُ : ينفعل ، والذافران : العظمان الناتئان خلف الأذنين ، زَيْتَافَةُ : متبخثرة في سبيلها ، والفنيق : الفجل من الإبل ، والمكدم : المعضع ، والكدم : العض ، وفي رواية المقرم

(٥) تَغْدِقِي : ترخي القفاح على وجهك ، طَبُّ أي خبير حاذق والمستلثم : الذي لبس اللامة وهي الدرع (٦) الأَسْرَةُ : الخطوط والطرنق التي وسطها - قَرَنْتُ شَدْتُ بِكَأْسٍ أُخْرَى ، أَزْهَرُ : إبريق من فضة ، والمقدم المصطفى .

(٧) شَرِبْتُ : سكرت ، مُسْتَهْلِكٌ : مستنفد .

(٨) صَحَا : أفاق من سكره (٩) الحليل : الزوج .

سبقت يداي له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابع هندی تعاورة الكماة مكلم^١
طوراً يعرض للطعان ونارة يأوي إلى حصد القسي عرمرم^٢
يخبرك من شهد الوقائع أنثني أغشى الوغى وأعيف عند المغنم
فأرى مغانم لو أشاء حويتها فيصصني عنها الحيا وتكرمي
ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هرباً ولا مستسلم^٣
جادت يداي له بعاجل طعنة بثقف صدق الكعوب مقوم^٤
برحبة الفرعين يهدي جرسم بالليل مغتس الذئاب الضرم^٥
فشككت بالرمح لأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم^٥
فتركته جزر السباع ينششنة ما بين قلعة رأسه والمعصم^٦
ومشك سابعة كنت فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم^٦
ربذ يده بالفداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم^٧

- (١) تعاورة : يطعنه ذا مرة وذاك أخرى . الكماة الشجعان ، مكلم : مجروح
(٢) الحصد : الكثير الحكم . والقسي : جمع قوس ، والعرمرم : الشديد ،
وقيل الكثير (٣) المدجج بالسلاح . كره الكماة نزاله : خافوا منه .
(٤) الرحبة : الواسعة . حرسها : الصوت - والمغتس : المبتغي والطالب ،
والضرم : الجياع (٥) فشككت : شققت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .
(٦) المشك : الدرع ، السابعة : السابلة أضافها لنفسها وهو جائز ، هتكت :
فضحت وكشفت ، فروجها : جمع فرجة الخرق النافذة ، الحقيقة الراية والمعلم ،
الذي قد أعلم نفسه بعلامة في الحرب .
(٧) الرنذ السريع الضرب بالقдах الحاذق في لعبها . إذا شتا : لأن القحط
أكثر ما يأتي العرب في الشتاء .

لما رآني قد نزلت أريدُه
فطعننننه بالرمح ثم علوته
عهدي به مدّ النهار كأنما
بطل كأن ثيابه في سرحة
ولقد ذكرتك والرماح نواهل
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها
يا شاة ما قنصتُ لمن حللت له
فبعثتُ جاريتي فهدت لها اذهبي
قالت ، رأيتُ من الأعادي غرة
وكانما التفتت يجد جداية
نبئتُ عمراً غير شاكر نعمتي
ولقد حفظت وصاة عمي بالضحي
في حومة الحرب التي لا تشكي
إد يتقون بي الأسنة لم أخيم

أبدى نواجذه لغيمر تبسّم^١
بمند صافي الحديدة بخند^٢
خضب البنان ورأسه بالعظم^٣
يخندى نعال السبب ليس بتوأم^٤
مني وبيض الهند تقطر من دمي
لعت كبارق ثورك المتبسّم
حرمت علي وليتها لم تحرم
فتجسّسي أخبارها لي واعلمي
والشاة ممكنة لمن هو مرثم
رشاء من الغزالان حرّ أرتم^٥
والكفر نخبة لنفس المنعم
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
غمراتها الأبطال ، غير تغمغم
عنهما ولكني تضايق مقدمي^٦

(١) أبدى نواجذه الخ . كلع في وجهي فبدت أضراسه (٢) الخند من الخندم وهو القطع (٣) خضب: طلى - والعظم شجر أحمر (٤) بطل لأنه يبطل العظام بسيفه . وقيل وهو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل في حماه ثأراً - والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وإنما تستظل بها . وتعرف عند العرب بطول ساقها (٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعني جارته لأن من كانت له جارة فهي في حماه ، وكانت محرمة كالأم والأخت .

(٦) الجيد العنق ، والجداية بكسر الجيم وفتحها الظبية أتى عليها خمسة أشهر أو ستة . والرشاء : الغزال الصغير .

(٧) يتقون بي يجعلونني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت . لم أخيم : لم أجد تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداء مرةً قد علا وابنِي ربيعة في الغبار الأقم^١
 ومخلفهم يسمعون تحتَ لوائهم والموتُ تحتَ لواء آل محلس^٢
 أيقنتُ أن سيكون عند لقاءهم ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم
 لما رأيت القوم أقبلَ جمعهم يتدامرون ككررتُ غير مُذمم
 يدعون: عنترَ، والرماحُ كأنها أشطانُ بشر في لبان الأذم^٣
 ما زلتُ أرميهم بغرّة وجهه وللبانِ حتى تسربل بالدم
 فازورَ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتجمحم^٤
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وكان لو علم الكلام مُكَلَّمي
 والخيلُ تفتحمُ الغبار عوابسًا من بين شيطمة وأجرد شيطم^٥
 ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارسُ «ويك» عنتر أقدم^٦
 ذُلُّ ركابي حيث شئتُ مُشايمي قلبي، وأحفزُهُ بأمرٍ مُبرم^٧
 ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابني ضمضم^٨
 الشامي عرضي ولم أشتهمها والناذرين إذا لم ألقهما دمي

(١) النداء: الصياح، الأقمم الأسود الحالك (٢) هو ابن عوف الشيباني الذي يضرب به المثل في الوفاء والعزة يقال (لا حرب وادي عوف) . (٣) الأشطان جمع شطن وهو جبل البشر ، شبه الرمح به لطوله ، واللبن بالفتح ، الصدر . (٤) ازور : مال ، وشكا لو كان يستطيع الشكوى ، والعبرة بفتح العين ، البكاء والإشفاق (٥) تفتحم : تخوض ، والعوابس الكوالح ، والشظم والأجرد: القصير الشعر (٦) ويك كلمة يقولها المنتدم إذا ندم على ما فرط منه ، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف ، وقيل وي بمعنى أعجب أي عجباً لك يا عنتر (٧) ذل ، جمع ذلول ، والذلول من الإبل وغيرها سهلة القيادة ، وركابي ما أركبه ، وأحفزه ، أدفعه والمبرم المحكم (٨) والدائرة: ما ينزل بالناس من بلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم ، المريان ، قتلها ورد بن حابس العبسي ، وكان عنتره قتل أباها ضمضاً فكافاً يتواعدانه .

إن يفعلاً فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم^١

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ؛ وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وفا . الجيوش مظفراً ، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحنة في مجلس عمرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة أليشكري) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ، ثم خطري نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلى : واذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل تواء إلى بلاده بالجزيرة ، وأنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة - ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره - لم يشتهر عمرو إلا بملقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وغلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سامي الفخر البليغ :

معاقبة عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خور الأندرينا^٢

(١) يقول مها ينذراني ومها يشجاني فلن يبلغا مني مناهما فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور . والقشعم : الكثير من النسور (٢) هُبي ، استيقظي ، الصحن القدح العريض - فاصبحينا ، أي اسقينا الصبح ، وهو شرب الخمر في الغداة . والأندرينا ، جمع الأندر ، وهي قرية بالشام جمعها بما حوالها .

مشعشة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سحيا^١
تجور بذى اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حق يلينا^٢
تري اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لاله فيها مهينا^٣
صدت الكأس عذا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا^٤
وما شرث الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^٥
وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرينا^٦
إذا صمدت حنياها أريبا فما برحت مجال الشرب حق^٧
وأنا سوف تدر كنا المنايا تغالوا وقالوا قد روينا^٨
وإن غدا وإن اليوم رهن مقدرة لنا ومقدرينا^٩
قفي قبل التفرق يا ظعينا وبعد غد بما لا تعلمينا^{١٠}
بيوم كريه ضربا وطعنا نخبرك اليقين وتخبرينا^{١١}
قفي نألك هل أحدثت صرما أقر به مواليك العيونا^{١٢}
أبي ليل يعاتبني أبوها لوشك البين أم خنت الأمينا^{١٣}
تريك إذا دخلت على خلاء وإحوتها وهم لي ظالمونا^{١٤}
ذراعي عيطل أدماء بكري وقد أمنت عيون الكاشحيننا^{١٥}
تربعت الأجارع والمتونا^{١٦}

- (١) مشعشة: ممزوجة، سميت بذلك لأنه يظهر لها شمع كالشمس. والحص: الورس، سخينا: أي جدنا وتكرما من السخاء (٢) تجور: بمعنى تعدل وتميل. واللبانة: الحاجة (٣) اللحز: الضيق، الشحيح: البخيل (٤) صدت: أي صرفت (٥) أنا شر الثلاثة فتعدل عني الكأس (٦) حنياها: سورتها. أريبا: عاقلا (٧) الشرب: جمع شارب. المجال: موضع المجاورة. (٨) الكريهة: موضع الحب - أقر: أي امكن - مواليك هنا بنو عمك. (٩) الصرم: القطيعة. والوشك: السرعة واللين هنا الفراق والأمين: الوفي بالمعهد. (١٠) العيطل الناقة طويلة العنق - والادماء من الإبل والطباء البيضاء - بكر لم تلد تربعت: رعت الربيع، الأجارع: جمع أجرع، وهو الرمل

وثندياً مثل حقّ العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسيّا^١
 ونحراً مثل ضوء البدر وافى بأقام أناساً مدلجينا^٢
 ومثني لدنة طالت ونالت روادفها تنوء بما يلينا^٣
 وما كمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جننت به جنونا^٤
 وسالقي رخام أو بلنط يرن خشاش حليها رنينا^٥
 تذكرت الصبا واشتقت لها رأيت حولها أصلاً حدينا^٦
 وأعرضت اليامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتيننا^٧
 فما وجدت كوجندي أم ثقب أضلته فرجعت الحنيننا^٨
 ولا شطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا^٩
 أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا^{١٠}
 بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رويننا^{١١}
 فإن الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفيننا^{١٢}
 وأيام لنا غرّ طوال عصبتنا الملك فيها أن نديننا^{١٣}
 وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجريننا^{١٤}
 تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا^{١٥}
 وقد هرت كلاب الحي منا وشذبنا قتادة من يلينا^{١٦}

- (١) العاج : عظم الفيل . والرخص اللين . والحصان : العفيفة ، واللامس : المباشر . (٢) النجز : أعلى الصدر . (٣) لدنة أي لينة ، تنوء : بمعنى تثقل . (٤) المأكمة : رأس الورق . (٥) السالفتان : صفحتا العنق ، والرخام والبلنط : حجارة بيض . الخشاش : صوت الخيل . (٦) أصلاً أصبل : وهو العشي . (٧) أعرضت : قابلت . اشمخرت : ارتفعت . مصلت : مجرد . (٨) شقاها : يعني شؤمها . (٩) يعني عمرو بن هند . (١٠) الضغن : الحقد ويفشو : يكثر . الداء الدفين : السكامن . (١١) صفونا : جمع صافن ، وهي من الخيل . (١٢) هرت : نبحت ، وشذبنا أي قطعنا ، القتادة ، واحدة القتاد وهو الشوك .

وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طَلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُوْعِدِينَ^١
 نَعْنَمُ أَنْاسْنَا وَنَعِيفَ عَنْهُمْ^٢ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
 وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدُ^٣ نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَنَا^٤
 وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَرْبِ خَبِرَتْ عَلَى الْأَخْفَاضِ نَنْسَعُ مِنْ يَلِينَا^٥
 نَطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّسَاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا^٦
 بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيءِ^٧ لَدُنْ نَسْتَقُ بِهَارُؤُوسِ الْقَوْمِ شَقًّا^٨
 نَحَالُ جَاجِمِ الْأَبْطَالِ مِنْهُمْ وَنُخْلِسُ الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا^٩
 نَجْدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ وَتَشْرُ وَسُوقًا بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا^{١٠}
 كَأَنْ ثِيَابَنَا مِنْهَا وَمِنْهُمْ وَلَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَقُونَا^{١١}
 كَأَنْ سِيُوفَنَا فِيهَا وَفِيهِمْ خُضْبُنَ بَارْجُوانٍ أَوْ طَلِينَا^{١٢}
 إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيَّ نَخَارِبُقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا^{١٣}
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حِدٍ مِنْ الْهُوَلِ الْمَشْهُ أَنْ يَكُونَا^{١٤}
 بَفْتِيَانِ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا مُحَافَظَةً وَكُنَا السَّابِقِينَ^{١٥}
 يَدْهَدُونَ الرُّؤُوسَ كَمَا تَدْهَدِي وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ^{١٦}
 حَزَاوِرَةً بِأَبْطَحِهَا الْكُورِينَ

(١) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذى طلوح إلى الشامات نبغي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا (٢) يبين يظهر (٣) الأخفاض : عمد الأخسية (٤) تراخى : تباعد (٥) السمر : الرماح . والخطي : منسوب إلى الخط قرية على ساحل البحر . لدن : لينة . (٦) نخليها ، أي نقطع بها ، فتختلينا : أي تقطن والضمير راجع إلى السيوف أيضاً . (٧) نخال . تظن وسوق : جمع وسق ، وهو المكيال . بالأمايز : جمع أمعز وهو المكان الغليظ . (٨) نجد نقطع . الوتر الدخل وفي رواية [وبر] (٩) الأرجوان صبغ أحمر (١٠) المخاربق : ثياب صغار يلعب بها الصبيان (١١) الاسناف التقدم (١٢) الرهوة : رأس الجبل ، وذات حد أي كثيرة السلاح .

حُدَيَّا الناس كلهمُ جميعاً مُقَارَعَةُ بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا^١
 فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ فَتَصْبِيحُ خَيْلِنَا عَصَباً بَيْنَنَا^٢
 وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَتُغَمِّزُ غَارَةَ مُتَلَبِّبِنَا^٣
 بِرَأْسِ مَنْ بَنِي حُشَمِ بْنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السَّهْلَةَ وَالْحَزُونََا^٤
 بِأَيِّ مَشِيئَةِ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ؟ نَكُونُ لِقَبِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا^٥
 بِأَيِّ مَشِيئَةِ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ؟ تَرَى أَنَّنَا نَكُونُ الْأَرْدَانِيَا^٦
 بِأَيِّ مَشِيئَةِ عَمْرِو بْنِ هَنْدٍ؟ تَطْيِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا^٧
 تَهْدِدُنَا وَتَوَعِدُنَا إِنْ رُوِيْدَا مَتَى كُنْنَا لَأَمْكٍ مَقْتُوْبِيْنَا؟^٨
 وَإِنْ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أَعْمِتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا^٩
 إِذَا عَضَ الثَّقَافُ بِهَا أَشْمَازَتْ وَوَلْتَهُ عَشُورَ نَسَةِ زَبُونَا^{١٠}
 عَشُورَ نَسَةِ إِذَا غَمَزَتْ أَرْنَتْ تَشْجِ قَفَا الْمُثَقَفِ وَالْجَبِينَا^{١١}
 فَهَلْ حَدَّثْتَ عَنْ جِشَمِ بْنِ بَكْرٍ؟ يَنْقُصُ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَّلِينَا^{١٢}
 وَرَثْنَا مَجْدَ عِلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَحْ لَنَا حَصُونُ الْمَجْدِ دِينَا^{١٣}
 وَرَثْتُ مَهْلَهْلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهِيرُ أَنْعَمِ زَخْرُ الزَّاهِرِينَا^{١٤}

(١) الحديا التحدي في القتال، وهو طلب المباشرة. مقارعة من القراع في القتال وهو اصطدام الفارسين (٢) تبين جمع ثبة، وهي الجماعة (٣) تمنع: تبرع. المتلبيب: المتحيز (٤) الرأس السيد، وهو هنا الجماعة (٥) القيل: السيد. والقطين الحدم (٦) الازدراء: الاحتمار (٧) المقتوي: الذي يخدم بقوة. (٨ و ٩) القناة ههنا: العزة، والثقف: خشبة تفوم بها الرماح، واشمازت ارتفعت. والعشورنة: الشديدة الصلبة الزبونة: الدفوع (١٠) غمزت: أي لينت، أرنب أي صوتت - تشج: أي تجرح، المثقف: المصلح للرماح والمفهوم (١١) حشم بن بكر: جده، الخطوب: الأمور العظيمة (١٢) دينا: أي طاعة لها، وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم بن تغلب بن وائل (١٣) مهلهل: يعني عدياً أخا كليب، وسمي مهلهل لأنه أول من رقق الشعر.

وَعَتَّابًا وَكَلْثُومًا جَمْعًا بِهِم نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَا^١
 وَذَا الْبَرَّةِ الَّذِي حُدَّتْ عَنْهُ^٢ بِهِ نَحْمِي وَنَحْمِي الْحَجَرِينَا^٣
 وَمَنَا قَبْلَةَ السَّاعِي كَلِيبٌ^٤ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا^٥
 مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ تَجِدُ الْحَبْلَ أَوْ تَقْصِرِ الْقَرِينَا^٦
 وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا^٧ وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا^٨
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْ قَدْ فِي خَزَازِي^٩ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا^{١٠}
 وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ لَذِي أَرَاطِي^{١١} تَسْفُ الْجَلَّةُ الْخَوْرُ الدَّرِينَا^{١٢}
 فَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذْ التَّقِينَا^{١٣} وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا^{١٤}
 وَصَالُوا صَوْلَةَ فَيْمَنْ يَلِيهِمْ^{١٥} وَصُلْنَا صَوْلَةَ فَيْمَنْ يَلِينَا^{١٦}
 فَآبُوا نَالِ السَّابِ وَالسَّابَا^{١٧} وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ الْمُصْغَرِينَا^{١٨}
 إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ^{١٩} أَلُمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا الْيَقِينَا^{٢٠}
 أَلُمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمَنْكُمْ^{٢١} كَتَائِبَ يَطْعَنُ وَبِرْقَتِينَا^{٢٢}
 نَقُودُ الْحَبْلِ دَامِيَةً كَلَاهَا^{٢٣} إِلَى الْأَعْدَاءِ لَاحِقَةً نَطُونَا^{٢٤}
 عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِي^{٢٥} وَأَسِيفٌ يُقَمِّنُ وَيُنَحْنِينَا^{٢٦}
 عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ^{٢٧} تَرَى تَحْتَ النِّجَادِ لَهَا غَضُونَا^{٢٨}

(١) كلثوم : أبوه ، وعتاب : جده (٢) ذا البرة : كعب بن زهير بن تيم ،
 وسمي بهذا الشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة في أنف البعير (٣) قبلة الساعي :
 ضربه مثلاً كالكعبة في كثرة من يختلف إليه (٤) الكرينة : أصلها أن يقرن حمل
 صعب إلى حمل ذلول . وتعص : تكسر ، وهذا مثل ضربه (٥) الذمار ما يحق على
 الإنسان أن يحميه (٦) خزازي . موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت
 قضاة إذ ذاك وربيعة أحلفاً (٧) أراط : موضع واقعة كانت لهم ، وتسف :
 توكل (٨) بنو أبينا : يعني مضر بن نزار ، وربيعة بن نزار (٩) الصولة : الحملة
 (١٠) اليلب : جلود تفسج على هيئة الدروع وتلبس (١١) السابغة : الدرع
 الطويلة ، دلاص : براقة ، والنجاد : النطاق ، والغضون : التثني .

(٥ - جواهر الأدب ٢)

إذا وضعت عن الأبطال يوساً رأيت لها جلود القوم جونا^١
 كأن متونهم متون غندر تصفقها الرياح إذا جرينا^٢
 وتحملنا غداة الرّوع جرد عرفن لنا نقائد وافئليننا^٣
 وردن دوارعاً وخرجن شعماً كأمثال الرّصائع قد بلينا
 ورثاهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بئينا
 وقد علم القبائل غير فخر إذا قبب بأبطحها بئينا
 بأنا العاصمون إذا أطيئنا وأنسا الغارمون إذا عصينا
 وأنسا المنعمون إذا قدرنا وأنسا المهلكون إذا أتينا
 وأنسا الحاكوم بما أردنا وأنسا النازلون بحيث شينا
 وأنسا التّساركون لما سخطنا وأنسا الضاربون إذا ابئينا
 وأنسا المازلون بكلّ ثغر يخاف النازلون به المنونا^٤
 ونشرب - إدوردنا - الماء صفواً ويشرب غيرنا كدرأ وطينا
 ألا سائر بني الطماح عنا ودعيتا فكيف وجدتمونا^٥
 نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا^٦
 قرينناكم فمجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا^٧
 متى كنتمقل إلى قوم راحا يكونوا في اللقاء لها طحيننا^٨

(١) جونا : سوداً (٢) المتون : الأعالي ، شبه أعالي الدروع في بياضها ولمعانها
 بالغدر وهي الخيماص إذا حركتها الرياح (٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصير
 الشعر (٤) الثغر : المكان الخوف (٥) بنو الطماح ودعيتا : حيان من بني أسد بن
 ربيعة بن نزار (٦) نزلتم حيث نزل الأضياف : أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب
 ولم ننتظر أن تشتمونا (٧) قرينناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم
 فطحناكم طحن الرّحى ، والمرداة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة .
 (٨) أصل الرّحى ما استبدار من الشيء والرّحى هنا الحرب ، تشبيهها بالرّحى .

يكون ثقافها شرقيّ نجدي
 على آثارنا بيض حسبان^١
 ظمائن من بني جشم بن بكر
 نخاذر أن تفارق أو تهونا^٢
 أخذن على فوارسهن عهداً
 خلطن بميسم حسباً ودينا^٣
 ليستلبن أبداناً وبيضاً
 إذا لاقوا فوارس معلمينا^٤
 إذا ما رحن يمشين الهوينا
 وأسرى في الحديد مقرنينا^٥
 يقتن جبادنا ويقلن لستم
 كما اضطربت متون الشاريننا
 إذا كم نخمهن فلا بقينا^٦
 بشيء بعدهن ولا حيننا^٧
 وما منع الظمائن مثل ضرب
 ترى منه السواعد كالقلينا^٨
 إذا ما الملك سام الناس خسفاً
 أبينا أن يقرر الخسف فينا^٩
 ألا لا يجهلن أحدٌ علينا
 فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 ونعدو حيث لا يعدى علينا
 ونضرب بالمواشي من يلينا
 ألا لا يحسب الأعداء أننا
 تضعضعنا وأننا قد فدينا
 ترانا بارزين وكل حسي^{١٠}
 قد اتخذوا مخافتنا فريننا
 كأننا والسيف مسللات^{١١}
 ولدنا الناس طرا أجمعينا
 ملأنا البر حتى ضاق عنا
 كذاك البحر نملؤه سفينا
 إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً
 نخر له الجبار ساجديننا

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين. ولهوته: أي مقدار ما يطرح
 في فم الرحى من الحب (٢) أي نساءنا اللواتي خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن تفارقن
 أو يصرن إلى غيرنا (٣) الميسم : الحسن أي لمن مع جماهن حسب ودين .
 (٤) المعلم : الذي يعلم نفسه في الحرب بعلامة (٥) الأبدان جمع بدن وهي الدروع
 (٦) يقتن من القوت ، وهو الطعام جبادنا : جمع حواد ٧ نخميهن : ندافع
 عنهن . ما بقينا ما حيننا ٨ القلون جمع قلة ، وهي الخشمة التي يلعب بها
 الصبيان يضربونها بانقلاب . ٩ يقول إنما أعزاء لا تصل الملوك إلى ظلمنا .

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبتش حين نبتش قادرينا
تسادي المصنجان وآل بكر وننادوايا لكنندة أجمعينا
فإن تغلب فغلابون قدما وإن تغلب فغير مغلبينا

(٦) طرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكري : أقصر فحول شعراء الجاهلية عمراً ، ومال إلى الشعر والوقوع به في أعراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفيه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته ، فخرج على غلام يقرأها له ، ومضى طرفة ، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فألقى الصحيفة ، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره - يحميد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصر فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ، ومعاظلة في بعض التراكيب ، واسترسال في وحشي اللفظ وخفي المعنى وكذلك كار هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضاً .

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلال ببرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد^١
وقوفاً بها صخبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلى^٢
كان حُدوج المالكية غندوة خلایا سفین بالنواصف من دد^٣

- (١) خولة : امرأة من بني كلب . ونهمد : أكنة في بلاد خثعم . تلوح : تظهر .
(٢) وقوفاً : وافقين ، أسى : حزناً . تجلى : تحمل (٣) المالكية نسبة إلى مالك =

عدولية^١ أو من سفين ابن يا من^٢ يحور بها الملاح^٣ طوراً ويهتدي^٤
 يشق^٥ حباب الماء حيز^٦ ومها بها كما قسم الترتب^٧ المفايل^٨ باليد^٩
 وفي الحي^{١٠} أحوى ينفض^{١١} المردشادن^{١٢} مظاهراً^{١٣} سمطي^{١٤} لؤلؤ وزبرجد^{١٥}
 خذول^{١٦} تراعي ربرباً^{١٧} بخميلة^{١٨} تناول^{١٩} أطراف البرير وترتدي^{٢٠}
 وتبسم^{٢١} ، ألمى كأن مشوراً^{٢٢} تخلل^{٢٣} حر الرمل^{٢٤} دعص^{٢٥} له تد^{٢٦}
 سفته^{٢٧} إياة^{٢٨} الشمس إلا لثاته^{٢٩} أسف^{٣٠} ولم تكدم^{٣١} عليه بإئمد^{٣٢}
 ووجه^{٣٣} كأن الشمس ألقت^{٣٤} رداءها^{٣٥} عليه نقي اللون^{٣٦} لم يتخذ^{٣٧}
 وإني لأمضي^{٣٨} لهم عند احتضاره^{٣٩} بهوجاء^{٤٠} مرقال^{٤١} تروح^{٤٢} وتغتدي^{٤٣}
 أمون^{٤٤} كالواج^{٤٥} الإران^{٤٦} نسأتها^{٤٧} على لاجب^{٤٨} وكأنه^{٤٩} ظهر^{٥٠} برجد^{٥١}

= ابن صبيعة ابن عم عمرو، والحدوج الهوادج والقباب، والخلايا جمع خلية، السفينة الكبيرة. والنواصف: مجاري الماء إلى البحر. (١) عدولية: قديمة، وهي الكبيرة من السفن وهي تنسب إلى موضع يقال له ابن يامن، ملاح أو تاجر من أهل البحرين. (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر. والمفايل الذي يجمع تراباً ويخبى فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه في أحدهما فإن أصاب ظفر وإن أخطأ قهر ٢ أحوى في لونه سواد والمراد شجر الأراك والشادن ولد الطيبة إذا قوي (٤) الخذول: الملتحفة من الظباء، والربرب: القطيع من الظباء. والخميلة الشجر الملتف. البربر المدرك من ثمر الأراك. (٥) تبسم: يفتر ثغرها واللمى سواد في الشقة، والمنور: الأفعوان، تخلل: دخل فيه، حر الرمل: النقي منه (٦) الإياة: ضوء الشمس. اللثة مفروز الأسنان، يقول: أسنانها بيض ولثاتها زرق، أسف أي ذر عليه بإئمد. هو الكحل. (٧) ألقت وفي رواية حلت: رداءها. أي بهاءها، لم يتخذ: أي يضطرب حتى تصير فيه شقوق (٨) الهوجاء: الخفيفة الفؤاد، مرقال وصف للناقة بشدة السبر (٩) الأمون التي أمنت من أن تكون ضعيفة، والإران التابوت الذي يحمل فيه الموتى، نسأتها: أي زجرتها، والملاح الطريق، والبرجد: كساء من أكسية العرب.

'جاليةٍ وجنّاءٍ تردّي كأنها سفنّجةٌ تبّري لأزعرٍ أريد
 تباري عتاقاً ناجياتٍ وأتبعتهُ وظيفاً وظيفاً فوق مؤرٍ معبدٍ ١
 تربعت القفّين في الشول ترتعي حدائق موليّ الأسيرة أغيد ٢
 تريعُ إلى صوت المهبّ وتتقي بندي خُصل روعاتٍ أكلف مُلبد ٣
 كأن جناحي مضرٍ حيّ تكتنفا حفافيه شكّاتٍ العسيف بمسرّد ٤
 فطوراً به خلف الزمّل وثارةٌ على حشف كالشنّ ذاورٍ مجدد ٥
 لها فتخذان أكمل النحض فيها كأنهما بابا مُنيفٍ مُمرّد ٦
 وطى محالٍ كالخنيّ خلوفه وأجرنةٌ لزّت بدأي منضد ٧
 كأن كناسي ضالّةً يكتنفانها وأطر قيسيّ تحت صلب مؤيد ٨

(١) تباري تشابه ، والعتاق : الإبل الكرام ، واناقيات : المسرعات في السير ، والوظيف : ساق البعير ، والمور : الطريق ٢ تربعت : رعت أيام الربيع ، والقفان : موضعان موصوفان بالمرعى لجودتهما ، والشول : بفتح الشين من الإبل التي جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سمعة أشهر (٣) تريع : تصفي والروعة : الفرع ، والأكلف : الذي في وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل ، ٤ المضرحي : النسر ، تكتنفا : أحاطا ، حفافيه : جوانبه (٥) الطور : المرة الأولى ، والثارة : المرة الثانية ، والزميل : الرديف ، والحشف : الضرع الذي لا لبن فيه وهو المنقبض ، والشن : القربة الخلقة ، والذاوي : هو اليابس ، والمجدد الضرع الذي لا لبن فيه ولا لبن .

(٦) النحض : اللحم والمنيف : انشرف ، والمرد : المملس .

(٧) المحال : فقار الظهر ، والخني القسي : خلوفه : مؤخر أضلاعه ، وأجرنة : باطن عنق البعير ، لزّت : قرب بعضها إلى بعض فانضمت واشتدت ، بدأي : أعالي الأضلاع ، منضد ، أي بعضه فوق بعض .

(٨) الكناس : بيت الأطباء والضأن ، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الظبي حول الشجر : وأطر قسي أي عطفها وانحناؤها ، والصلب : الظهر والمؤيد : الموثق ، والأيد القوة .

لها مرفقان أفنتلان كأنها تمسّر بلسني دالج متشدد^١
كفنتطرة الرومي أقسم ربيها كتكتنفن حتى تشاد بقرمد^٢
صهايبية العننون مؤجدة القرا بعيدة وخذ الرجل مواردة اليد^٣
جنوح دقاق عندل ثم أفرعت لها كتفاها في معالي مصعد^٤
أمرت يداها فتل شزر وأجنحت لها عضداها في سقيف مسند^٥
كان علوب الذسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر قردد^٦
تلاقي وأحياناً تبين كأنها بناتق غر في قيص مقصد^٧
وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوضي بدجلة مصعد
وججمة مثل العلاء كأنها وعى الملتقى منها إلى حرف ميرد^٨

- (١) المرفق : مفصل العضد ، أفنتلان : مفتولان ، تمر : وفي رواية أمراً : فتلا ، السلم : الدلو له عروة الدالج الذي يمشي بالدلو من البشر إلى الحوض ، متشدد متكلف للشدة ، ومعنى ذلك أن الذي يسقي الإبل يجعل الحوض بعيداً عن البشر ، فإذا أخرج الدلو من البئر (٢) القنطرة : الحسر ، الرومي : أحد البنائين من الروم ، تكتنفن أي يحاط حوالها بالبناء ، وتشاد : ترفع (٣) صهايبية : بياض شيب . (٤) جنوح : مائلة في سيرها من النشاط ، دقاق متدفقة في السير ، عندل : عظيمة الرأس وأفرعت : رفعت ، في معالي : مرتفع . (٥) أمرت : فتلت فتلاً محكماً ، والشزر : الفتل إلى اليسار ، وأجنحت : أميلت ، والسقيف : هيا صدرها ، ومسند وفي رواية منضد بعضه على بعض . (٦) العلوب : الآثار ، والذسع : حزام الرجل والدأيات : مآخير الأضلاع ، موارد : طرق الماء ، والخلفاء : الصخرة الملساء ، والقردد : الأرض الصلبة (٧) تلاقي : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها (٨) الأتلع : الطويل يعني عنقها ، نهاض : كثير الارتفاع ، صعدت : ارتفعت ، السكان الدقل ، وهو مؤخر السفينة ، والبوصي ، ضرب من السفن ، بدجلة : نهر مصعد ، قاصد إلى العراق . (٩) الججمة : غطاء الرأس ، وهو يعني رأس الناقة ، والعلاء : السندان يضرب عليه الحداد ، وعي الملتقى يعني جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته .

وخذ^١ كقرطاس الشامي وميشفر كسبت^٢ الياني قد^٣ لم يجرد^٤
وعينان^٥ كالمويتين استكنتا^٦ بكهفي^٧ حجاجي^٨ صخرة^٩ قلت^{١٠} مورد^{١١}
طحوران^{١٢} عوار^{١٣} القذى فتراها^{١٤} كمكحولتي^{١٥} مذعورة^{١٦} أم فرقد^{١٧}
وصادقتنا^{١٨} سمع^{١٩} التوجس^{٢٠} للسرى^{٢١} لهمس^{٢٢} خفي^{٢٣} أو لصوت^{٢٤} منذ^{٢٥}
مؤلتان^{٢٦} تم^{٢٧} العتق^{٢٨} فيهما^{٢٩} كسامعي^{٣٠} شاة^{٣١} بحومل^{٣٢} مفرد^{٣٣}
وأروع^{٣٤} نباض^{٣٥} أحد^{٣٦} ملهم^{٣٧} كمرداة^{٣٨} صخر^{٣٩} في صفيح^{٤٠} مصمد^{٤١}
وإن شئت^{٤٢} سامي^{٤٣} واسط^{٤٤} الكور^{٤٥} رأسها^{٤٦} وعامت^{٤٧} بضبي^{٤٨} نجا^{٤٩} الخفيد^{٥٠}
وإن شئت^{٥١} لم ترقل^{٥٢} وإن شئت^{٥٣} أرقلت^{٥٤} مخاف^{٥٥} ملوي^{٥٦} من القيد^{٥٧} محصد^{٥٨}
وأعلم^{٥٩} مخروط^{٦٠} من الأنف^{٦١} مارن^{٦٢} عتيق^{٦٣} متى^{٦٤} ترجم^{٦٥} به الأرض^{٦٦} تزد^{٦٧}

(١) المشفر من البعير: كالشفة من الإنسان، والسبت: جلود البقرة إذا دبغت بالبرظ
(٢) المويتان، المرأتان المصقولتان. استكنتا: دخلتا (٣) طحوران: دفوعان،
العور الخبيث الذي يقع في العين وكذلك القذى، كمكحولتي: أي عيني. مذعورة
خائفة طردها القناص وأفزع، والمفرد: ولدها. (٤) وصادقتنا سمع يعني
أذنيها، والتوجس: التسمع، والهمس الصوت الخفي: والمندد المرتفع.
(٥) مؤلتان: محددتان كالحرية والعتق: الكرم، والمشاة: بقرة الوحش وتسمى
نمجة، وحومل: موضع معروف، ومفرد وحيد: (٦) أروع: فزع ونباض
فؤادها. أخذ: قليل الشعر، ملهم: أي مجتمع، كمرداة كصخرة ترددي بها
الحجارة لصلابتها: الصفيح الحجارة العريضة، صمد: مصلب (٧) سامي: ساوي،
واسط: وسط، الكور: الرجل، عامت مدت يدها كهيئة السابح في الماء.
الضبيين: العصدان، نجا سرعة، الخفيد الظليم، وهو ذكر النعام (٨) الإرقال:
ضرب من الأسير، والملوي من القد: السوط، المحصد: الحكم القتل (٩) الأعلم:
المشقوق المشفر الأعلى. المارن: ما لان من الأنف وهو مقدمه، عتيق: كريم
متى ترجم به الأرض: أي تضربها به يريد أنها إذا جطت رأسها إلى الأرض
أسرعت في السير وذلك لنشاطها وحدتها.

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ، ألا ليتني أفديك منها وأقتدي
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو أمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى خلعت أني عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خب آل الأمعر المتوقد^١
فدالت كما ذالت وليدة مجلس تري ربها أذبال سحل ممدد^٢
ولست بجلال التللاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد^٣
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقنصني في الحوانيت تصبطد^٤
متى تأتني أصيبحك كأساً روية وإن كنت عنها غانياً فاغن وأزدد^٥
وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصعد^٦
نداماي بيض كالنجوم وقسينة تروح علينا بين برد ومجدد^٧
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة لجس الندامى بضة المتجرّد^٨
وما زال تشرابي الخور ولذاتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومثلي^٩
إلى أن تحامتن العشرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد^{١٠}
رأيت بني غبراء لا ينكروني ولا أهل هذا الكطراف الممدد^{١١}

- (١) أحلت وثبت ، القطيع : السوط ؛ أجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع ،
والآل : ما يكون في أول النهار مثل السراب ، الأمعر : الأرض الغليظة التي فيها
حصى ، والمتوقد : المشتعل ٢ دالت : تبخترت الناقة ، والوليدة الفتية ترى ربه أي
مولاه . أذبال : أطراف الثوب متى يصل إلى الأرض ، والسحل : الثوب القطن
والممدد : المبسوط (٣) التلعة من أسماء الأضداد تكون المرتفع والمنخفض
(٤) حلقة القوم : مجالس أشرافهم ، والحوانيت : بيوت الخمارين .
(٥) تأتني : تجتني (٦) ذروة : الذروة أعلى الشيء (٧) الندامى : أصحابي على
الخمر ، والقسينة : الجارية ، والبرد : الثوب الأبيض . والمجدد : المصبوغ «لزعفران» .
(٨) رحيب : واسع . قطاب الجيب أي مجتمع الجيب . يصف صدرها بالرحب
والسعة (٩) الطريف الحديث المكنسب (١٠) المعبد : المذلّل المطلي بالقطران .
(١١) بني غبراء : اللصوص ، والطرف بيت من جلد : يعني أنه لا ينكره .

ألا أيهاذا اللائمي أحضرَ الوغى وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنتُ مُخلدي^١
 فإن كنتَ لا تستطيعُ دفعَ منيقي فدعني أبادرُها بما ملكتَ يدي
 فلو لا ثلاثُ هنَّ من عيشةِ الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي^٢
 فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشربةٍ كمت متى ما نعل بالماء تزبد^٣
 وكري إذا نادى المضافُ 'مجنباً' كسيد الغضا نيهته المتورد^٤
 وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ بهنكنة تحت الحباء المعتمد^٥
 كأن البرين والدماليج علقَت على عشرٍ أو خرّوع لم يخضد^٦
 فذرني أروي هامتي في حياتها نخافة شرب في الحياة مصرد^٧
 كريمٌ يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غداً أيننا الصدي^٨
 أرى قبرَ نحامٍ بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مُفسد^٩
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح مُنضد^{١٠}
 أرى الموت يعتام الكرام ويضطفي عقيمة مال الفاحش المتشدد^{١١}
 أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد
 لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لسكالطول المرخى وثنياه باليد^{١٢}

(١) اللائمي . اللاحي ، وفي رواية الزاجري (٢) كمت : خمر تضرب إلى السواد ، تعل : أي يصب الماء عليها (٣) كري : عطفي ، والمضاف الذي أضافته الهموم ؛ الدجن : المطر الخفيف ، معجب : أي يعجب من رآه ، والبهكنة : المرأة التامة الخلق ٥ ، البرين .: الخلاخل في أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أجلس مستو ضعيف العود شبه به عظامها وساعديها ملاسته واستوائه (٦) الشرب بكسر الشين وضمها اسم للمشروب والمصرد : المفلل (٧) يروي نفسه من الخمر في حياته والصدي : العطشان (٨) النحام : كثير السعال عندما يسأل والغوي : الذي يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل (٩) الجشوة : التراب المجموع . صفائح صم صلبة . المنضد ، المجموع بعضه على بعض (١٠) يعتام : يختار ، الخيار : الكرام والأماجد ، ويضطفي : ينتخب ، وعقيمة كل شيء خيرته والفاحش : القبيح السيئ الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الجبل ، وثنياه أي طرفاه ، ومعناه أن الإنسان وإن يطل عمره إلا أنه كالفرس لصاحبها إذا أرادها جذب الجبل إليه .

فإني أراي وابن عمي مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبعد^١
يَومُ وما أدري علامَ يَومُني؟! كما لا مني في الحَيِّ قرط بن معبد^٢
وأيأسني من كل خير طلستته^٣ كأننا وضعناه إلى رمس ملحد^٤
على غير ذنب قلته غير بني نَشَدْتُ فلم أغفل حمولة معبد^٥
وقربت بالقربى وجدك أني متى بك أمر للنكيسة أشهد^٦
وإن أدع للجلى أكن من حماها وين يأتك الأعداء بالجهد أجهد^٧
وإن يقدفوا القذع عرصك أسقيهم بكأس حياض الموت قبل التهذ^٨
بلا حدث أحدثته وكحدث هجائي وقذي بالشكاة ومطرد^٩
فلو كان مولاي امرأ هو غيره^{١٠} لفرج كربى أو لأنظرني غدي^{١١}
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشكروالتسأل أو أنا مفتدي^{١٢}
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند^{١٣}
فذرني وخلقي إنني لك شاكِر^{١٤} ولو حل بيتي نائبا عند ضرغدي^{١٥}
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد^{١٦}

(١) ابن عمي على خلافي، أتقرب إليه فيبعد عني (٢) ويبالغ ابن عمي في الجفاء فيلومني على ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن معبد (٣) أيأسني جعلني يائسا والرمس القبر والملحد : المقبور . (٤) وكل ما ألقه منه لا سبب له إلا أنني نَشَدْتُ : طلعت (٥) النكيسة بلوغ الجهد، وقيل الانتقاض (٦) الجلى : الأمر العظيم ، والحماة الذائدون (٧) القذع : الشتم القبيح (٨) أي هو متعدي علي بلا حدث أحدثته ، هجائي وطردني ، والمطرد : الطريد (٩) يقول لو أن مولاه رجلا آخر لفرج كربى وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم . (١٠) خانقي : مكرهي على شكره على ما لم يفعله، وإلا فأنا هدف سهامه (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجني لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل (١٢) ضرغدي : جبل بعميد (١٣) قيس بن خالد من بني شيبان، وعمرو بن مرثد ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو بن عم طرفة وجه إلى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكم وأما المال فلاك فيه ما لنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرقة عشر آمن إبله ، ثم أمر ثلاثة من بني بنيهم فدفع كل واحد منهم إلى طرفة عشر آمن إبل .

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني
أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفوه
فأليتُ لا ينفكُ كشحي بظانه
حُسامٍ إذا ما قتُ مُنتصر أبه
أخي ثقة لا ينثني عن صريبة
وبرك هُجود قد أثارت مخافتي
فمرت كهاة ذات خيف جلالة
يقولُ وقد ترّ الوظيفُ وساقها
وقالَ ذروه إنمسا نفمها له
فظلّ الإماءُ يمتلئ حُوارها
فإن متُ فانهيني بما أنا أهله
ولا تجعليني كأمريءٍ ليس همه
بطني عن الجلى سريع إلى الختنا
فلو كنتُ وغلا في الرجال لصرني
ولكن نفى عني الأعادي جرائتي

بنون كبرام سادة مسود
خشاش كراس الحية المتوقد
لعضب رقيق الشفرتين مهند
كفى العود منه البدء ليس بمعضد
إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي
واديها أمشي بعضب مجرد^١
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد^٢
الست ترى أن قد أتيت بمؤيد^٣
وإلا تردوا قاصي البرك يزدد^٤
ويُسئعي علينا بالسديف المرهد^٥
وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد^٦
كهمتي ولا يغني غنائني ومشهدي^٧
ذليل باجماع الرجال بلمسهد^٨
عداوة ذي الأصحاب والمتوحد
عليهم وإقدامي وصديقي ومحتدي^٩

١ البرك: الإبل الكثيرة الباركة، والهجود النيام (٢) الكهاد: الناقة البمينية،
والخيف الضرع، الجلالة الكبيرة، والوبيل العصا (٣) تر: بمعنى انقطع والوظيف
مستندق الساق من الإبل والختيل ٤ ذروه. اتر كوا عناده (٥) الحوار الصغير من
الإبل، والسديف السنام: والمرهد المنقطع صفاراً (٦) انعيني: اذكري من
الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشقي الجيب معروف، ويراد به
التنويه بشدة المصاب (٧) واحذري أن تجعليني هيناً كرجل لا يغني مثل غنائني،
ولا يقوم في الحرب مقامي ولا يشهد مشهدي في المجالس والخصومات (٨) البطيء:
الكسول المتقاعد، والجلى الأمر الخطير العظيم والختا الفساد (٩) يقول إن الجرأة
والإقدام والصدق وكرم الأنس منعته عنه أعداءه من الإساءة إليه

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَى بُعْمَةٍ نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَى بَسَرٍ مَدٍّ^١
 وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا حِفَاطًا عَلَى عَوْرَاتِيهِ وَالتَّهْدِيدِ^٢
 عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَقْ عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكُ فِيهِ الْفَرَائِصُ تَرَعْدُ^٣
 وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حُورَهُ عَلَى النَّارِ وَاسْتَوَدَعْتُهُ كَفَّ مُحَمَّدٍ^٤
 أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النَّفُوسِ وَلَا أَرَى بَعِيدًا غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمُ مِنْ غَدٍ^٥
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ^٦
 وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ^٧
 عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ مُفْتَسِدٌ^٨
 لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَوَاجِلٌ أَفِي الْيَوْمِ إِقْدَامُ الْمُنْيَةِ أَمْ غَدٍ^٩
 فَإِنَّ تَكُ خَلْفِي لَا يَفْتَنُهَا سَوَادِيَا وَإِنْ تَكُ قَدَامِي أَجِدَهَا مَرَّ صَدِي^{١٠}
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْتَفِعْ بِوُدِّكَ أَهْلُهُ وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِالْبُوسَى عَدُوَّكَ فَاْبْعُدِ^{١١}

(١) الغمة : الأمر الذي لا يهتدى له، والمعنى أي لا أتخير في أمري نهاري ولا ليلاً فيطول علي الليل، والسرمد الطويل (٢) العراك : الازدحام أي صبرت النفس عند ازدحام القوم في الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته (٣) الأصفر هنا الأسود : المحمد الذي يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شيء، وقيل الذي يضرب بالسهم أو الأمين في القمار (٤) ستبدي : ستظهر، ما كنت جاهلاً، يعني ما لم تسمع من قبل؛ ويفيدك بها من لم تسأل عنها (٥) سمع له بتاتاً تشتري له زاداً (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام إلا سعادة عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيراً .

(٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

(٨) وأنا وانت وغيروا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه (٩) فان تك خلفي : فهي جادة ورائي، ولن أغرب عن عينها، وإن تك قدامي فهي رقيقة مترصدة (١٠) إذا لم تنتفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكاناً قصياً .

(٧) معلقة أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسية - نشأ في بدء أمره راوية لخاله (المسيب بن علس) وقد عمي الأعشى وطال عمره، حتى انبلج فجر الإسلام وعظم أمر النبي ﷺ بين العرب، فأعد له قصيدة يمدحها بها وقصدها بالحجاز، فلقبه كفار قريش وصدوه على وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء، ويرجع إلى بلده ليتخوفهم أثر شعره ففعل، ولما قرئ من الياومة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات، ودفن ببلدته (منفوحة) باليامة.

شعره: ينعند (الأعشى) رابعاً للثلاثة الفحول: امرئ القيس، والنابعة، وزهير؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره، وكثرة ما روي له من الطوال الجياد وتفنته في كل فن من أغراض الشعر؛ واشتهر من بينهم بالنبالة في وصف الحمر حتى قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب.

ولشعره طلاوه وروعة، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء، ولقوة طبعه وجلبته شعره سمى (صناجة العرب) حتى ليخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر ينشد معك.

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل، ويخفف الشريف الناب، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى (المجذع الكلابي)، وقد كان أبا ثمان بنات عوانس رغبت عن خطبتهن الرجال لفقرهن، فاستضافه على فقره، فمدحه الأعشى ونوه بذكوره في (سوف عكاظ فلم يمض عام حتى لم تبقى حارية منهن إلا وهي زوج لسيد كريم). وكان الأعشى يتطرق في شعره ويتكسب به، وعدّه بعضهم من أصحاب المعانيات، وذلك قيسدته اللامية التي يمدح بها الأسود الكسبي، ومطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردُّ سُؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها لينشدها بسين يدي رسول الله ﷺ
يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ؛ وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليمُ مُسهدا
وما ذاك من عيشق النساء وإنما تناسيتَ قبل اليوم خلة مهّدا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفايَ عاد فأفسدا
شباب وشيبٌ وافتقارٌ وثروة فلهذا الدهر كيف تردّدا
وقصيدته التي أنشدها في مدح المخلوق أولها :

أرقتُ وما هذا السّهاد المؤرّقُ وما بي من سُقمٍ وما بي تعشق
ومنها :

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة إلى ضوء نارٍ في اليفساع تحرقُ
تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندي والمخلقُ
رضيعتي لبان ثدي أم تقاسما بأسحمت داجٍ عوض ولا تنفرقُ
ترى الجؤدي يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متنّ الهندواني رونقُ
يداه يدا صدقٍ فكفٌ مبيدةٌ وأخرى إذا ما ضنّ بالمال تنفقُ
وقيل : إن معلقته هي التي أولها .

ودّع هريرة إن الركب مرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل^(١)
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوحي الوحل^(٢)
كأن مشيتها من بيت جاريتها مرّ السحابة^(٣) ، لا ريث ولا عجل^(٤)

(١) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب له فولدت خليداً الآتي ذكره في شعره . (٢) الغراء البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع أي الشعر ، والعوارض هنا الراعميات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجي : الذي يشتكي حافره ولم يشف بعد ، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف إذا كان وحلاً ؟ أي يمشي في الوحل ، يعني أن هذه الجارية لسمها وتدلّها تمشي متمهلة متأيلة (٣) الريث البطء .

تسمع للجلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٍ زجل^١
ليست كمن يكره الجيوان طلعتها ولا تراها لسير الجار تختل^٢
يكادُ يصدعُها - لولا تشددُها - إذا تقومُ إلى جاريتها الكسل^٣
إذا تقوم يَضوع المسكُ صورةً والزنبقُ الورْد من أردانها شمل^٤
ماروضةٌ من رياض الحزن مُعشبة خضراء جادَ عليها مسبلٌ مهطل^٥
يضاحك الشمس منها كوكب عشرق مؤزر بعيم التبتِ مكتمل^٦
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل^٧
صدت « هريرة » عنا ما تكلمنا جهلاً بأُمّ خليلٍ حبل من تصل^٨
أئن رأيت رجلاً أعشى أضرت به ريب المنون ودهر مُفندٌ خبل^٩

(١) الوسواس: صوت الحلي والعشوق: شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صفار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى .
(٢) تختل: أي تتسمعه استراقاً ٣ يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المثرات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات متمعات (٤) يضوع المسك: أي تذهب رائحته هنا وهالك ، وأصورة: جمع صوار بالضم وهو نافذة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب: زيت الياسمين ، وأكمله ما كان يميل إلى حمرة ولذلك وصفه بالورد (٥) الحزن: الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا: موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقلعان (٦) كوكب كل شيء: معظمه ، ويريد به ما جماعة الزهر . أي يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يتفتح ويشرق عند شروقها: وهذا الزهر مؤزري يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتياف الإزار (٧) الأصل: جمع اصيل وهو من العصر إلى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الأزهار يعني أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة ٨ أم خليل كنية هريرة وقوله « حبل من تصل ! » استفهام تعجبي ، يعني إذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن . (٩) الأعشى الذي لا يبصر بالليل ، والمفند الآتي بالمفند وهو السفه في الرأي ، ومثله الخبال .

قالت هريرة لما جئتُ زائرَها : وَيَلِي عَلَيْكَ وَيَلِي مِنْكَ ! يَارَجُلُ^١
 إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً ؛ لَا نَعَالُ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَلْتَمَلُ^٢
 وَقَدْ أَقَوْدُ الصَّبَا يَوْمًا ، فَيَتَّبِعُنِي وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذَوَالشَّرَةِ الْغَزْلُ^٣
 وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبِعُنِي شَاوِرٌ مِشَلٌ شُلُولٌ شُلْشُلٌ شَوْلٌ^٤
 فِي فِتْيَةٍ كَسِيُوفُ الْهِنْدِ قَدْ عَلَمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَفْتَعَلُ^٥
 نَازَعَتْهُمْ قَضْبُ الرِّيحَانِ مَتَكُنًا وَقَهْوَةٌ مُرَّةٌ رَاوُوقَهَا خَضَلُ^٦
 لَا يَسْتَفِيمُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلَّوْا ، وَإِنْ نَهَلُوا^٧

(١) وَيَلِي عَلَيْكَ وَيَلِي مِنْكَ : أي أنفجع عليك لأنك تسمى بزيارتك لي في هلاك نفسك وأتمجع منك لأن زيارتك لي تجر إلى هلاكي (٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التي صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شاباً غنياً طروباً غزلاً يشرب الخمر مع فتان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : « إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نَعَالُ لَنَا . . . الخ » أي إن ترينا نتبذل مرة فنمشي حفاة فليس هذا دائماً دائماً فأننا أيضاً منتعلون فطوراً نفنقر وطوراً نغتني (٣) أقود الصبا الخ : أي أتصابي ، وآتي بأفعال الفتيان ويصحبني منهم الغزل ذوي الشررة وهي : نشاط الشباب . (٤) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوي : الذي يشوي اللحم ، والمشل : السواق الحفيف والشلول والشلشل : الغلام الحار الرأس الحفيف الروح النشيط في عمله والشول : من يشول بالشيء الذي يشتريه المشتري ، فيحمله له ويرفعه . (٥) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن مخفقة من الثقيلة ، وإسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة « هالك كل من . . الخ » خبرها فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمرة ، الراووق : الوعاء الذي تروق فيه الخمر وخضل : دائم الندى لا يخف لكثرة شربهم . (٧) راهنة داغة أمامهم أي لا ينتهون إلا إذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به « هات » ولو شربوا عللاً بعدنهل أي مرة بعد أخرى .

يسمى بهاذو زُجاجات له نطفٌ مقلصٌ أسفل السربال مُعتمِل^١
ومستجيب تحال الصنج يُسمِعه إذا ترَجَّع فيه القينة الفضل^٢

(٨) الحارث بن حلثة اليشكري

هو الحارث بن حازة اليشكري البكري، يتصل نسبه إلى يشكر رهط من بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة، ومعلقاته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البرص، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبناءهم، ليكف بعضهم عن بعض وليقيد منها المعتدي عليه من المعتدي، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم عنه، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشاً، وتزعّم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فتأهوا واهلكوا، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند، وكانت ضلعه مع تغلب، فهاج ذلك الحارث بن حازة، وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعلهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكرين، وقرّب الحارث من مجلسه، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة

(١) النطف : الفرطة من اللؤلؤ، ومقلص : مشمر، والسربال : القميص، والمعتمِل النشيط (المعنى) يسمنى بالخر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمِل نشيط . (٢) ومستجيب : أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحركاته . أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا الكاسات، وهو أيضاً نوع من الآلات الوترية، وترجع : تردد النغم، القينة : الأمة وقيل إذا كانت سغنية والمرأة الفضل . التي تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذلة .

وشعره : تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز ، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب ، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين ، ومعلقاته هي :

آذنتنا ببينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يَمَلُّ منه الشَّوَاءُ^١
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءُ ۚ فَأَدْنَى ديارِها الخِلْصَاءُ^٢
لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْيَوْمَ دَهْلًا وَمَا يَحِيرُ الْبُكَاءُ^٣
غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ «الثَّوِي» النَّجَاءُ^٤
بِزَفوفٍ كَأَنَّهَا هَيْقَلَةٌ أَمْ رِئَالٌ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ^٥
أَتَسْتُ نَبْأَةً وَأَفْزَعُهَا الْقَنْصَاءُ عَصْرًا وَقَدَدْنَا الْإِمْسَاءُ^٦
ثم قال :

وَأَنَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَسَاءِ خُطْبٌ نَعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ^٦
أَنْ إِخْوَانُنَا الْأَرَاقِمُ يَغْلَوْنَ عَلَيْنَا فِي قَبْلِهِمْ إِحْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبَرَاءَةَ بِمَنَابِذِي الذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ^٧
زَعَمُوا أَنْ كُلُّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْثُ مَوَالٍ لَنَا ۚ وَأَنَا الْوُلَاءُ^٨

(١) آذنتنا أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أي كثيراً ما تكرره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشدة ، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا . (٢) برقة شماء : مكان ، الخلصاء كذلك ، الثوي : المقيم . (٣) النجاء : الإسراع (٤) الزفيف : الإسراع في سيرها والمراد المبالغة في وصف الشاقة بالسرعة ، والهقلة الناعمة والرئال أولادها والواحد رال والدو المفازة والدوية المنسوبة إليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) آتست : أحست ، والنباة : الصوت الخفي ، القنصاء الصيادون (٦) نعنى به : نتعب به نحن دون غيرنا ، ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر ويغلون علينا يتجاوزون الحد في التقول علينا ، والقليل : القول والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء . (٧) الخلي هنا الخالي من الذنب . والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، لا تنفع عندهم البريء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم . (٨) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حمراً مثلاً مذنب .

أجمعوا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
 من منادٍ ، ومن مجيب ، ومن تصهال خيل خيال ذاك رغاء^١
 أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو ، وهل لذاك بقاء^٢
 لا تخلنا على غراتك ، إنا قبل ما قد وشى بنا الأعداء^٣
 فبقينا على الشناءة نتمينا حصون^٤ ، وعزة قعساء^٥
 قبل ما اليوم بيضت بعيون الناس فيها تعيط وإباء^٦
 وكأن المنون تردي بنا أر^٧ عن جونا ينجاب عنه العماء^٨
 مكفهرأ على الحوادث لا تر^٩ نوه^{١٠} للدهر مؤيد صماء^{١١}
 أيما خطية أردتم فأدر^{١٢} ها إلينا تمشي بها الأملاء^{١٣}

(١) أي يتلمسون أي ذنب ، ويتشاورون في الليل في أمر حربنا ، والتعبئة
 له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ قيل إن هذب
 البيتين أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتحال وأصدق وأوضحه تصويراً
 للحقيقة (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ أي لتزيينك الباطل
 دوام ٣ لا تخلنا : أي لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما
 زائد والمفعول الثاني محذوف . (٤) الشناءة : البعض . وتمينا ترفعنا ،
 والقعساء : الثابتة . أي فبقينا على بغضك لنا في عزة ثابتة وحصون منيعة من
 أن يصيننا منكم مكروه (٥) قبل ما اليوم أي قبل اليوم وما زائدة ،
 وبيضت بعيون الناس : بيضتها أي أعمتها والباء زائدة ، والتعيط الترفع والإباء
 (٦) تردي ترمي وترجم : والياء في « بنا » لتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلاناً
 لتلقين به الأسد ، أي لتلقين الأسد ، أي هو كالأسد ، والأرعن هنا الجبل الذي له
 حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب منه : ينشق عنه ،
 والعماء السحاب الأبيض (٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من
 الجبال الصلب المنيع ولا ترنوه لا تنقصه وتزال منه ، والمؤبد الدهية وصماء .
 لا تسمع اعتذارات . أي أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه
 الدواهي الصماء . (٨) الخطية : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر ،
 والأملاء جمع ملأ ، وهم الأشراف والرؤساء .

إن نبشتم ما بين مِلْسِحةٍ فالصَّا قَب فيه الأمواتُ والأحياء^١
 أو نقشتم ، فالنقشُ يُخَشِّمُه النَّا سُ ، وفيه الصلاح والإبراء^٢
 أو سكتمُ عنَّا ، فكنا كمن أغصمضَ عيناً في جَفْنِها الأَقْداءُ^٣
 أو منعتمُ ما تسألون فمن حُدَّ نُسْتُمُوهُ له عَلِمْنَا العَلاءُ ؟^٤
 هل علمتم أيام يُنتهبُ النِّساءُ سُ غِواراً لكل حي عِواءُ^٥
 إذ ركبنا الجمالَ من سَعَبِ البَحْرَيْنِ سِيراً حتى نَهاها الحِساءُ^٦
 ثم مِلْنَا على قِمِّ فأحْرَمْنَا وفيْنَا بنات مُرٍّ إمَاءُ^٧
 لا يُقيمُ العزيرُ بالبلدِ السَّهْلِ ، ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النُّجَاءُ^٨
 ليس يُنجي مُوائلاً من حِذارِ رَأْسٍ طَوْدٍ وَحَرَةٍ رَجُلَاءُ^٩

(١) ملحّة الصاقب : موضعان ، أي إن كانت الخطة التي ترضونها أن تثيروا القتال الذي وقع بيننا في هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أي فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحذفت الفاء الواقعة في جواب الشرط وهو فيه الأموات الخ ، للضرورة . أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو أن جواب الشرط الآتي له ولهذا . (٢) أو نقشتم أي دققتم في الاستقصاء ويحسمه : يتكلفه على مشقة (٣) وإن سكتم عنّا فانا نسكت ، ونغضي أعيننا على القذى لأن الحق في جانبنا . (٤) وإن منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذي أخبرتم أن له العلو علينا ، حتى تطمعوا فينا ؟ وحدث هنا تعدت إلى ثلاث مفاعيل . (٥) غواراً : أي مغاورة بعض على بعض ، والعواء الصباح . ٦ يريد بالسعف : النخل ، والحساء جمع حسي ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريباً أي هل علمتم إذا ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى إنتهينا إلى الحساء (٧) فأحرمنا أي دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا ، ومر أبو تميم . (٨) النجاة : الإسراع والفرار . والموائل الذي يطلب موائلاً أي ملجأ ، والطود : الجبل ، والحرّة الأرض ذات الحجارة السوداء والرجلاء : الغليظة .

(٩) لبید بن ربیعۃ العامری

هو أبو عقيل لبید بن ربیعۃ العامری أحد أشرف الشعراء المجیدین ، وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مُضَرّ ، وأمه عبسية ، نشأ لبید جواداً شجاعاً فاتكاً؛ أمّا الجود فورثه عن أبيه الملقبُ بربیعة المَعْتَزّين وأما الشجاعة والفتكَ فهما خصلتا قبيلته . إذ كان عمه مُلاعِبُ الأَسنة أحد فُرُسان مُضَرّ في الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العباسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين مُلاعِبُ الأَسنة ، وكان الربيع مُقَرَّباً عند النعمان يُؤاكله ويُنادمه ، فأوغرَ صدره على العامريين ، فلما دخل وفدهم على النعمان أعرض عنه فشقّ ذلك عليهم ، ولبید يؤمّنذ صغير ، يسرحُ إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره : فألحَ حتى أشر كوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام ، بهجاء لا يحالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ، ومَقَّت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم ، فكان هذا أوّل ما اشتهر به لبید ، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطوّلات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفودُ العرب على النبي ﷺ جاء لبید في وفد بني عامر وأسلم ، وعاد إلى بلاده ، وحسُن إسلامه ، وتذسّك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له في الإسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتبَ الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره : نبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان .
فمن قوله يرثي أخاه أربد .

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتَبَقَى الدِّيَارُ بَعْدَنَا وَالْمَصَابِعُ
وَقَد كُنْتُ فِي أَكْنَافٍ جَارٍ مُضْنَةٍ ففَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ قَافِعُ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حُلُوها وَرَاحُوا بِلَاقِعُ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
لِعَمْرٍكَ مَا تَدْرِي الضُّوَارِبُ بِالْخَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانُ : فَعَامِلٌ يُتَبَرَّ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعُ
فَمَنْهُمْ سَعِيدٌ أَخَذَ بِنَصِييبِهِ وَمَنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيشَةِ قَاسِعُ
وَمَنْ جَيِّدُ الشَّعْرِ وَأَبْلَغُهُ أَيْضًا :

معلقة لبئد بن ربيعة العامري

عَفْتُ الدِّيَارُ مَحَلَهَا فُسْقَامُهَا رِبْنَى تَأْبَدَ غَوُّهَا فَرَجَامُهَا^١
فَمَدَّافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّي رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيُ سِلَامُهَا^٢
دِمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسَا حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا^٣

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والإقامة . تأبد :
توحش . الغول والرجام : جبلان . (٢) الريان : واد بجمي ضربة ، ومدافع :
مجارى المياه به حيث يندفع السيل وعري : رسمها خلقاً : أي ظهر بالياً ،
والسلام : الحجارة . يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها آثار تشبه آثار الكتابة
على الأحجار . (٣) الدمن ما اجتمع من آثار الديار ، تجرم : مضى .

رُزِقَتْ مَرَابِيعُ النُّجُومِ وَصَابِهَا وَدَقُّ الرَّوَاعِدِ جُودَهَا فَرَّهَامِهَا^١
 مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مَدَجْنَ وَعَشِيَّةٌ مُتَجَاوِبٌ إِرْزَامُهَا^٢
 فَعَلَا فَرُوحُ الْأَيْهَتَانِ وَأُطْفَلَتْ بِالْجَهْلَتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَامِهَا^٣
 وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا عَوْدًا تَأْجِلُ بِالْفَضَاءِ رِيَامُهَا^٤
 وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطُّلُوعِ كَأَنَّمَا زُبُرٌ تَجِدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا^٥
 أَوْ رَجَعُ وَاشْتَمَّ أَسْفَ نُوُورَهَا كَفَفًا تَعْرُضُ فَوْقَ نَ وَشَامُهَا^٦
 فَوَقَفَتْ أَسَاطِهَا ، وَكَيْفَ سَوَّالُهَا صُمًّا خَوَالِدٌ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا^٧
 عَرِيَتْ وَكَانَ بِهَا الْجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا مِنْهَا وَغَوْدَرُ نَوَّيَا وَثَمَامُهَا^٨
 شَاقَتِكَ ظَمْنُ الْحَيِّ حِينَ تَحْمَلُوا فَتَكْنَسُوا قُطُنًا تَصْرُ خِيَامُهَا^٩
 مِنْ كُلِّ مُحْفُوفٍ يُظِلُّ عَصِيه زَوْجٌ عَلَيْهِ كَلَّةٌ وَقَرَامُهَا^{١٠}

(١) المربيع : أوائل الأمطار في الربيع . والنجوم : الأنواء ، وصابها : مطرها والودق : المطر . وجوده غزيره . ورهامه لينه وصغيره (٢) السارية : السحابة وغاد : يسير بالغداة . مدجن : مظلم ، لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والأرزام : صوت الرعد . (٣) الأيهتان : النبت أطفلت : أصبحت ذات أطفال ، الجهلتين الجهتين (٤) العين : البقرة وأطلاؤها أولادها ، والعود : حديشة النسيج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلا ، والأجل القطيع (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تحدد ظهورها الأقلام (٦) الواشمة : من تحلي الأيدي بالوشم (٧) الصم العواقي وهي الأثافي ، ما يبين : لا يظهر ٨ عريت : خلت . أبكروا : ساروا في البكرة ، وغودر : ترك ، والبؤي : حفرة حول الخباء تمنع السيل ، والثام : نبت ضعيف (٩) الظعن : الجمال عليها الهودج ، أو هي النساء في الهودج ، تكنست الأطباء : سكنت الكناس ، والقطن الهودج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير : يريد أن ظن الحي تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالاً يصفق بها الريح (١٠) محفوف : صفة للهودج يحف بالديباج ويزدن به جانباه ، يظل : يغطي أو يظلل والعصي هنا أعواد الهودج ، والزوج بساط يفرس على الهودج ، والكلة ستر قتيق ، والقرام : ثوب ملون مزقوش .



زَجَلًا كَانَ نِجَاجَ تَوْضِيحَ فَوْقَهَا وَظِيَاءَ وَجَرَةٍ عَطُفًا أَرَامُهَا^١
حُفِيزَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا أَجْزَاعُ بَيْشَةٍ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا^٢
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ «نَوَارٍ» وَقَدْنَاتُ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا^٣
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا^٤
بِمَشَارِقِ الْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَضَّرٍ فَتَضَمَّتْهَا فَسْرَدَةٌ فَرُخَامُهَا^٥
فَصَوَائِقُ إِنْ أَيْمَنْتُ فُظْنَهُ مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا^٦
فَاقْطَعْ لِبَانَةَ مَنْ تَعْرِضُ وَصَلَهُ وَلِشَرِّ وَاصِلِ خُسْلَةٍ صَرَامُهَا^٧
وَاحِبُ الْمُجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصَرْمُهُ بَاقٍ إِذَا ظَلَمْتَ وَزَاعَ قِيَامُهَا^٨
بِطَلِيحِ أَسْفَارِ تَرْكُنْ بَقِيَّةَ مِنْهَا وَأَحْنَقِ صَلْبَهَا وَسَنَامُهَا^٩
فَإِذَا تَغَالَى كَلْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكِلَالِ خِدَامُهَا^{١٠}

(١) زجل : الجماعة ، توضيح ووجرة ، موضعان ، النعاج : البقر ، عطفت
الظبية تعطف جيدها إذا ربضت ، يذكر أن النساء فوق الهودج كأنهن النعاج
أو الأراحم والأعلام (٢) حفزت : حثت على المسير وزايلها . فارقها ، بيشة : واد
والأجزاء منعطف الوادي ، الأثل : نوع من الشجر ، والرضام : صخور عظام .
(٣) نوار : اسم حبيته ، الرمام . القطعة من الجبل البالي ، يريد أن الوصل
تقطعت به الأسباب . (٤) مرية تنسب إلى مرة بن عوف ، فيد : موضع في
طريق مكة مرَامُهَا : منالها . (٥) الجبلان أجاسلمى ، محجر : جبل في بلاد
طيه ، فردة اسم أرض ، والرخاء : موضع كثير الأشجار . (٦) الصوائق :
جبل قرب مكة وتروى فصعائد وأيمنت : سارت نحو اليمين . وحاف : الصخرة
السوداء ، القهر : اسم موضع والطلخاء الفيلة . (٧) اللبانة : الحاجة ، تعرض :
تغير . (٨) واحب . أعط المجامل المسكافي ، وصرمه باق : أي وقطيعته باقية -
إذا ظلمت : إذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أي ملاكها . (٩) الطليح :
الناقة المعيبة ، وأحنق بمعنى ضم . (١٠) تغالى : ارتفع من الهزال وتحسرت :
تقطعت والكيلال الأعياء .

فلها هيبابٌ في الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جنبها^١
أو مليمٌ وسقت لأحقب لاهه^٢ طرد الفحول وضربها وكدامها^٣
يعلوها حدب الأكام مسحج^٤ قد رابه عصيانها ووحامها^٥
بأحزة التلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها أرآمها^٦
حق إذا سلخا جمادى ستة جزء أ فطال صيامه وصيامها^٧
رجعا بأمرهما إلى ذي مرة^٨ حصد ونجح صريمة إبرامها^٩
ورمى دوابها الفا وتهيجت^{١٠} ريح المصايف سومها وسهامها^{١١}
فتنازعا سبطاً تطير ظلاله^{١٢} كدخان مشعلة يشب ضرامها^{١٣}
مشمولة غلثت بنابت عرفج^{١٤} كدخان نار ساطع أسنامها^{١٥}
ففضى وقدمها وكانت عادة^{١٦} منه إذا هي عرّدت إقدامها^{١٧}
فتوسطا عرض السري وصدعا^{١٨} مسحورة متجاوزاً قلامها^{١٩}

(١) الهباب : النشاط . والصهباء : السحابة التي لم يكن فيها ماء ، والجهام الذي لا ماء فيه ، والجنوب : هي الريح اليمانية (٢) الملع الأتان التي قد بان حملها واسودت حملاتها (٣) يعلو : يرتفع الحدب . ما ارتفع من الأرض ، المسحج : المعضض رابه أي شككه . والعصيان : الامتناع ، والوحام : الكراهية للشيء . (٤) الأحزة : ما غلظ من الأرض التلبوت : موضع في نجد ، يربأ : يرفع ، قفر المراقب : عالي موضع الارتقاب ، والآرام : الأعلام (٥) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى ، جزء أ : أي إستغفينا بالرطب من الكلال عن الماء ، والصيام عن الماء وسلخا : أي مضى عليها ٦ رجعا . الأتان والحمار . بأمرهما . برأيهما ، ذي مرة قوة ، يعني الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والإبرام : الإحكام . (٧) الدواير : مآخير الحوافر : والسفا : شوك البهي هنا ، المصايف : المرعى أيام الصيف ، سومها . مرها . السهام وهج الصيف وشدة حره (٨) تنازعا : تجاذبا (٩) أسن الدخان : إذا ارتفع وكثر ، علثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ساطع مرتفع (١٠) توسط دخلا وسطه عرض السري ، ناحية النهر ، وصدعا قافر ، مسحورة : أي عينا مملوءة .

محفوفة وسط اليراع يظلمها منها مُصَرَّعُ غابرة وقيامها^١
أفتلك؟ أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها^٢
خنساء صيغت الفريز فلم يرمُ عُرُصُ الشقائق طوفها وبغامها^٣
لمقر فهد تنازع شلوة .. غبس كواسب ما يمن طعامها^٤
صادفن منها غرة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها^٥
بانت وأسبل واكف من دعة يروي الخائل دائماً تسجامها^٦
تجتاف صلاً قالصاً متنبذاً بعُجُوب أنقاء يميل هياسها^٧
يعلو طريقة متنها متواتراً في ليلة كفر النجوم ظلامها^٨
وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها^٩
حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكرت تزل عن الثرى أزالها^{١٠}

(١) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعني العين ، مصرع : بعضه فوق بعض والغابة ، الأجمة وهي الشجر الملتف (٢) أفتلك : الأتان ، أم وحشية : بقرة الوحش مسبوعة : أكل السبع ولدها ، خذلت : تأخرت عن البقر والخذول : المتخلفة ، وهادية متقدمة (٣) خنساء : قصيرة الأنف ، الفريز : ولد البقرة ، يرم : يبرح ، عرض أي ناحية ، الشقائق : جمع شقيقة وهي ما بين الرملتين وطوفها أي دورانها وترددها وبغامها : صوتها (٤) المفر ولد البقرة ، والفهد : الأبيض تنازع : تجاذب ، شلوه واحد الأشياء وهي الأعضاء ، وغبس الذئب الغبر وكواسب تكسب ما تأكل ، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها . (٥) صادفن : وجدن ، غرة : عفة ، فأصبنها ، أوقعنها ، لا تطيش . لا تخطى . (٦) أسبل ، هطل ، الواكف : المطريقيم أياماً لا ينقطع ، الخائل الشجر الملتف والتسجام ، كثرة المطر . (٧) تجتاف : تدخل جوفه ، أصلاً قالصاً ، يعني أصل شجرة ، يعقوب . أصل الذئب ، يعني أطراف الرمال ، منتحياً . (٨) الطريقة ، الخطة ، متواتراً . متتابعاً ، كفر غطى ، والغمام . السحاب . (٩) تضيء . تنير والجمانة . الحبة من اللؤلؤ ، سل نظامها . وهو الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ . (١٠) انحسر الظلام . انكشف ، أسفرت : دخلت في الإسفار وهو الصبح ، بكرت : غدت بكرة ، تزل ، تسرع ، الثرى التراب ، أزالها ، قوائها

عَلِيَّتْ تَبْلَدُ فِي 'نَهَاءِ صَعَائِدِ سَبْعًا نَوْمًا كَامِلًا أَيَامُهَا^١
 حَقٌّ إِذَا يَثُتْ وَأَسْحَقُ حَالِقُ^٢ لَمْ يَبْلِهْ إِرْضَاعَهَا وَفَطَامُهَا^٣
 وَتَسْمَعَتْ رِزَّ الْأَنْدِيسِ فِرَاعَهَا عَنْ ظَهْرِ غَيْبِ وَالْأَنْدِيسِ سَقَامُهَا
 فَفَدَتْ كَلَا الْفَرَحَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْخُفَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامُهَا^٤
 حَقٌّ إِذَا يَثُتِ الرَّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غَضِبًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا^٥
 فَلَحَقْنَ وَاعْتَكُرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ كَالسَّمِيرَةِ حَدَهَا وَتَمَامُهَا^٦
 لَتُدَوِّدَهُنَّ وَأَيَقُنَتْ بَنَ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحْمَمَ مَعَ الْخَتُوفِ حَمَامُهَا^٧
 فَتَقْصِدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضْرَجَتْ بَدْمٍ وَغَوْدَرَ فِي الْمَكْرِ سَخَامُهَا^٨
 فَبِتَلَكِ - إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى وَاجْتَنَبَ أُرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا^٩
 أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطَ رِيبةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةِ لَوَامُهَا^{١٠}
 أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي «نَوَارُ» بِأَنِّي وَصَّالٌ عَقْدَ حَبَائِلِ حَذَامُهَا؟^{١١}
 تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النُّفُوسِ حَمَامُهَا^{١٢}
 بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقَ لِذِيذٍ لَهْوَهَا وَنَدَامُهَا

- (١) عَلِيَّتْ : تحيرت ، تَبْلَدُ : تتردد ، وتتحير ، فِي نَهَاءِ : غاية ، الصَعَائِدُ : المكان نَوْمًا : أي متتابعة لياليها (٢) سَحَقُ : ارتفع ، وَالْحَالِقُ : المرتفع وهو ضرعها ، وَالْحَالِقُ : الجبل المرتفع (٣) الْفَرَجَانُ : ما بين القوائم ، مَوْلَى الْخُفَافَةِ : صاحبها (٤) الْغَضْبُ : جمع أغضب وهي الكلاب . (٥) اعْتَكُرَتْ : استمعت ورجعت مدرية : محدودة ، السَّمِيرَةِ : الرماح المنسوبة إلى سمير وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن (٦) لَتُدَوِّدَهُنَّ : أي تطردهن ، وَأَنْ قَدْ أَحْمَمَ : قدر ، الْخَتُوفُ : جمع ختف وهو الموت والحمام : الموت (٧) فَتَقْصِدَتْ : قصدت يعني قتلت ، كَسَابَ : إسم كلبه فضرجت : خلطت وغودر : ترك ، فِي الْمَكْرِ : موضع القتال ، سَخَامُهَا : اسم كلب . (٨) فَبِتَلَكِ : البكرة رقص . ارتفع اللوامع بالضحي . الآل ، وإجتنب : لبس ، أُرْدِيَةَ : جمع رداء . (٩) اللَّبَانَةُ : الحاجة ، لَا أَفْرَطُ : لا أترك ، وَالرِيبةُ : الشك والخافة ، أَوْ أَنْ لَا يَلُومَ (١٠) وَصَّالٌ : أي أصل ولا أقطع . (١١) تَرَكَ أَمَكْنَةَ يقول إذ رأى ما يكره تركها ، أَوْ يَرْتَبِطُ : يتلف ، وبعض بمعنى كل .

قد بت سامرها وغاية تاجر وافيت إذ رُفعت وعز مُدامها^١
أغلي السباء بكل أدكن عاتق أو جونة قدحت وفض ختامها^٢
بصبوح صافية وجذب كرينة بموتسّر تآله إيهامها^٣
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لأعل منها حين هب نيامها^٤
وغداة ريح قد وزعت ورقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها^٥
ولقد حمت الخيل تحمل شكتي فرط وشاحي إذ غدوت لجامها^٦
فعلوت مرتقياً على مرهوبة خرج إلى أعلامن قنّامها^٧
حتى إذا ألفت يداً في كافر وأجنّ عورات الثغور ظلامها^٨
أسهلت وانتصت كجيدع شيفة جرداء يحصر دونه جرامها^٩
رفعتها طرد النعام وفوقه حق ذا سخنت وخف عظامها^{١٠}
قلقت رحالتها وأسبل نحرها وابيل من زبد اللحم حزامها^{١١}
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ورد الحمامة إذ أجد حمامها^{١٢}
وكسيرة غراؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها^{١٣}

(١) بت سمرأ: أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر، ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعهم لذلك، عز: غلامد منها: خمرها وسميت مدامها لمداومتها في الدل (٢) السباء: شراء الخمر، وجونة: سوداء، والأدكن: الزق، قدحت غرقت. (٣) فرط: من صفة الفرس السابق، وشكتي: سلاحتي (٤) فعلوت: طلعت مرتقياً، الحرج، الضيق، والأعلام، الصوت، القتام، الغبار. (٥) ألفت يداً، يعني الشمس، والكافر، البحر، وأجن ستر، العورات: جمع عورة، موضع الخفاة، والثغر، موضع الخفاة أيضاً. (٦) أسهل، نزل السهل وانتصبت يريد الفرس، ومنيمة، يريد نخلة طويلة الجام: الصرام (٧) ركضها في المسير كما تطرد النعام وفوقه: فوق الطرد وسخنت جمعت، وخف عظامها، وأسهرت. فإذا عرقت جاد جريها ٨ الرحالة: سرج، والحميم العرق وأسبل نحرها: جرى (٩) إلى الماء وهو الورد، وترقى تعتمد، وتنتهي تقصد، كأنها حماء أجهد نفسه، ورد الحمامة، كاسرعها (١٠) يريد كم من خطة وحالة عظيمة. مشهورة حضرته وكنيت المقدم فيها، ترجى نوافلها: فضلها، ويخشى عليها.

غلب تشذّر بالدحول كأنها جن البديّ رواسباً أقدامها^١
 أنكرت باطلها ويؤت بحقها يوماً ولم يفخر عليّ كرامها^٢
 وخزور أيسار دعوت لحنفها بمغاليق مثنّابه أعلامها^٣
 أدعو بين لعاقير أُرْ مُطفّل بذلت لجيران الجميع لحامها
 فالضيف والجار الغريب كأنما هبطاً تباله نخصباً أهضامها^٤
 تأوي إلى الأطناب كل ررية مثل البلية قالص أهدامها^٥
 ويكلمون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمّد شوارعاً أيتامها^٦
 إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عظمة جشامها^٧
 ومقسم يعطي المشيرة حقها ومغذّم لحقوقها هضامها^٨
 فضلاً وذوكم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غناسها
 من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
 إن يفزعوا تلق المغافر عندهم والسّن يلمع كالكوكب لامها
 لا يطبعون ولا يبور فعالهم اذ لا يميل مع الهوى أحلامها
 فبنوا لنا بيتاً رقيقاً سمكه فسا إليه كهلهما وغلّامها^٩

(١) تشذّر: تهيأ للقتال النحول: الأحقاد، البدي مكان معروف بالجن،
 رواسباً يعني أنها ثابتة. (٢) يؤت أقررت. (٣) الأيسار: الذين يحضرون
 القسمة ويضربون بالقداح، والمغاليق السابغ من سهام الميسر. (٤) يقول عنده
 من الخصب مثل ما عند هل تباله من الرطب (٥) الرزية المرة متى أهزلها أهلها
 والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقد عينها وي طرح حفتها ويلذون وجها
 فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر له قدر ما بقيت قوائماً، الأطناب: حبال
 الفساطيط، والأهدام: الخلقان، وقالص: قصير مرتفع (٦) التكليل أن يوضع
 اللحم بعضه على بعض، الخلج: الجفان، شوارع: جمع شارعة وهي من صفات
 الأيدي، رأى أيديهم ممدودة للآكل. (٧) المحافل: المجامع. لزاز: قرن، لكل
 عظمة جشامها أي متجشم لها، متكفل بها. (٨) المقسم: يريد عامر بن الطفيل
 والمغذّم: الذين يأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع هذا، والهضم: النقصان.
 (٩) بنو: يعني آباءه وأجداده، السمك: المرتفع من الشيء.

فاقتنع بما قسم المليكُ فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانةُ قسمتُ في معشر أو في بأعظم حظنا قسماها
فهم الشعاة إذا العشيرة أفضعت وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للعجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
وهم العشيرة إن يبسطا حاسدا أو أن يميل مع العدو لثامها
ومنه قوله في الشعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي أم ضلال وباطل^٢
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله واسل^٣
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل^٤
وكل امرئ يوماً سيعلم غيبه إذا كشفت عند الإله الحاصل

ويعتبر لبيد من رثى نفسه قبل موته بقوله لابنتيه وهو محتضر :
تمنى ابتغاي أن يعيش أبوما وهل أنا إلا من ربعة أو مضر^٥
فإن حان يوماً أن يموت أبوكا فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر^٦
وقولا هو المرء الذي لا حليفه أصاع ولا خان الصديق ولا غدر^٧
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(١٠) علقمة بن عبدة التميمي

هو علقمة الفحل بن عبدة بن فاشرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران
امرئ القيس ، مات قبل الإسلام بزمان طويل ، وإنما قيل له «الفحل» من أجل
أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الخصي بن سهل
١١ السعاة : جمع ساع وهو المصلح ، وأفضعت : ابتليت بالأمر الفظيع . وهو
المهم (٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ، والنحب النذر
(٣) الواسل الطالب والراغب إلى الله ، أي أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه .

ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم، وقيل سمي «الفحل» لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن صلقها، لأنها فضلت علقمة عليه حين حكمتها في شعرهما.

(١١) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

طحا بك قلب في الحسان طرُوب بُعيد الشبابِ عصْرَ حان مشيب^١
يُكفني ليلى ، وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب^٢
منعمة^٣ ، ما يستطاعُ كلامها على باها من أنت تزار رقيب^٤
إذا غاب عنها البعل لم تفش مره وترضي إيابَ البعل حين يؤوب^٥
فلا تعدلي بيني وبين مغمر سقتك روايا المزن حين تصوب^٥
سقاك يمان ذو حي وعارض تروح به جُنْحَ العشي جنوب^٦

(١) طحا به قلبه ذهب به كل مذهب ، والطرُوب من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق إلى الشيء ، وبعيد ، تصغير : بعد . وحان المشيب : قرب أو انه ، أي أضللك قلبك الطروب في حبك الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : يكفني الخ (٢) شط وليها : بعد عنك قربها ودنوها ، ومواصلتها عادت : شغلت ، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهي الأمر الشاغل عن الشيء ، والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر (٣) منعمة : من النعم فهي محجة يعني بحراسة أهلها لها (٤) لم تفش سره : كناية أنها لم تخنه ، ولذلك هي ترضي إياه فلا يعجبها غيره ، وإذا قريء وترضى - بالضم - كان المعنى وتجعل إياه رضىاً حميداً بالأشك في صونها . (٥) فلا تعدلي فلا تروي والمغمر من الرجال . المحقق من الرجال الذي يستجبه الناس ، سقتك الخ يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أي تروي حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغي لها أن تحرص عليه ثم عاد إلى الدعاء لها فقال ، سقاك الخ . (٦) أي سقاك سحاب يمان يأتي من ناحية جنوبي نجد ، أصله يمني خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضاً عنها ، فعمل المنسوب معاملة المنقوض ، الحبي السحاب المتراكم =

وما أنت ؟ أم ما ذكرها ربعة^١ يخط لها من ثرمداء^٢ قليب^٣
فإن تسألوني بالنساء فإنني نصير بأدواء النساء طبيب^٤
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من وذهبن نصيب^٥
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب^٦
فدعها ! وسل^٧ لهم عنك بحسرة كهمك فيها بالرداف خيب^٨
إلى الحارث الوهاب أعلمت ناقتي بكلكلها والقصر بين وجيب^٩

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمي :

والحمد لا يشتري إلا له^{١٠} ثمن^{١١} مما يضمن به الأقواء معلوم^{١٢}
والجود نافية للمال^{١٣} - مهلكة^{١٤} والبخل مبق لأهليه ومذموم^{١٥}

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئاً كأنه يحبو، ويكون لذلك مطره غزيراً،
والعارض السحاب المعرض في الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية

(١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للأضراب بمعنى دل ، أي ما شأنك ؟ بل ما الداعي لذكرك ليلى ، وهي ربعة من ربعة وأنت تميمي ، وقد رحلت إلى بلادها حيث خط لها في ثرمداء قليب ، والقليب : البشر وثرمداء موضع ، ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال فإن تسألوني الخ : (٢) الأدوية جمع داء ، أي بطباعهن المعيبة التي بمنزلة الأمراض فيهن (٣) الثراء : الكثرة أي يحبن من يعلمن عنده مالا ، وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب (٤) الجسرة الناقة القوية الماضية ، وكهمك أي مثل همك في المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والرديف والردف كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائق . والخبيب : السير السريع . ٥ والحارث الوهاب : يريد به الحارث ابن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب خلاصه وفكه وأعمل الناقة : وجهها أو أجهداها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا . والقصران ضلعان يليان الترقوتين . والوجيب خفقان القلب أي أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها . وبأن ذلك في كلكلها وقصربيها لقرب القلب منها . (٦) يقول إن الحمد لا يشتري إلا بأثمان تضمن بها النفوس ، والحمد : الثناء والمدح . (٧) نافية أي مبيد ومهلك . والبخل الخ : أي أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء في نافية للبالغة مثل علامة ونسابة . (٧ - جواهر الأدب ٢)

والمالُ صوف قرار يلعبون به على نقادته واف ومجلوم^١
ومُطعمُ الغنم يوم الغنم مُطعمه أنى توجه ، والمحروم محروم^٢
والجهل ذو عرض لا يُستراد له والحلم آونة في الناس معدوم^٣
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد - مشئوم^٤
وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائه - لا بد - مهديم^٥

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشراف ثقيف، وأحد الملمسين للدين في الجاهلية، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .

منشؤه - نشأ بالطائف، وكان أبوه شاعراً مشهوراً، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رؤوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة، وتعبد ولبس المسوح، وحرم الخمر على نفسه وسك في الأوثان، وراى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب، فطمع أن يكونه؛ فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كُتِفَ باله، وحمله الحسد

١ القرار : النقد . وهي غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به : أي يتداولونه ويلعبون به ، واف : كثير ، ومجلوم : مجزوم بالجم أي المقص يريد أن منهم من يعطي القليل ومنهم من يعطي الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع (٢) المعنى : أن الذي جعل الغنم له طعمة فسيطعته في يوم الغنم أينما توجه . ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لاحالة . (٣) ذو عرض لك : لا يستراد له أي لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه ولا تريده ، آونة أحياناً ، ومفرده : أوان (٤) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شئوم والغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً من أن يصيبه الشئوم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥) يقول : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائه : أركانه التي يقوم بها .

والكد أن ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشاً ، ويرثي قتلاهم في وقعة بدر ، فمنه النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره في ذلك ، وروي أنه هو الذي نزلت فيه آية «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره في التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعر ما قاله عند موته :

كلُّ عيش وإن تطاول دهرأً منتهى أمره إلى أن يزولا
ليتقى كنتُ قبلَ ما بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوُعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن ذا الدهر غولا
واختص بأكثر مدائح في الجاهلية (عبد الله بن جدعان أحد سراة قريش وأجوادها) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأقام بقية حياته بالطائف إلى أن مات بها كافراً سنة تسع للهجرة .

شعره : يعدُّ أمية من أكبر شعراء القُرَى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره وكان أمية يسمي السماء : صاقورة ، وحاقورة ؛ ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه السَّاهور) ويسمى الله في شعره السلطيط ، والتغرور ، ونحو ذلك

ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه ، وبذكره بعض المعاني من القصص الخيالية ، والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ؛ ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء قبله ، ويتخلل ذلك شيء من الحكم والأمثال ، ومن شعره :

المجدُّ لله ممسانا ومصبحنا بالخير صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
ربِّ الحنيفة لم تنفد خزائنه مملوءةً طبق الآفاق سلطانا
ألا نبيُّ لنسنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا أن سوف تلحق أضرارنا بأولانا

الرواية والرواة

قد علمنا بما تقدم أن عامة المروي من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأميين، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روي لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة ، وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دواد الأيادي ، ورهير راوية أوس ابن حجر ، والأعشى راوية المسيب بن علس . واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب ، وهم محرمة بن نوفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل ابن أبي طالب .

العصر الثاني ، عصر صدر الاسلام ، ويشمل بني أمية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبهر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة ، أو صناعة أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة البدوية -

(١) خلفاء بني أمية هم :

- ١ - معاوية بن أبي سفيان (٤١ / ٦٠) ٢ - يزيد بن معاوية (٦٠ / ٦٤)
- ٣ - معاوية بن يزيد (٦٤ / ٦٤) ٤ - مروان بن الحكم (٦٤ / ٦٥)
- ٥ - عبد الملك بن مروان (٦٥ / ٨٦) ٦ - الوليد بن عبد الملك (٨٦ / ٩٦)
- ٧ - سليمان بن عبد الملك (٩٦ / ٩٩) ٨ - عمر بن عبد العزيز (٩٩ / ١٠١)
- ٩ - يزيد بن عبد الملك (١٠١ / ١٠٥) ١٠ - هشام بن عبد الملك (١٠٥ / ١٢٥)
- ١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ / ١٢٦)
- ١٢ - يزيد بن الوليد الأول (١٢٦ / ١٣٦) ١٣ - مروان الجعدي (١٢٧ / ١٣٢)

إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبهتها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بدياً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الاشراف من قريش وتميم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ، ويتفاهوا بلسان واحد ، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الاسلام فيهم ، وما ألفت سفسوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النسي الكريم لاماً لشعثهم ، موحداً لسكلمتهم مهذباً لطبايعهم ، مبيناً طريق الحق ، وجادة الصواب ، بشريعة عظيمة فكانت من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليّة ومملك كبير وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفتحهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعده لزعامة قومه وخلفائه وولائهم وفئتهم تحت ألويتهم بمالك الأكسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة حدث في حياتهم الفكرية واللسانية ، ما يمكن إجمالاً في الأمور الآتية .

الأول : شيوع اللغة القرشية ، ثم توحّد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها ، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الاسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش - وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم .

وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي الرسمية بين القبائل .

الثاني : انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها .
الثالث : اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً ، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضر .

الرابع : ارتقاء المعاني والتصورات وتغيّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظهور الالحن في الكلام بين المستعربين : من الموالي ، وأبناء العرب من الفتات ، وبعض العرب المكثرين من معاشرّة الأعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ناسب وصفها بقليل من كثير مما ينبغي أن يقال فيها

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية^١

القرآن كتابٌ أحْكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فيه آيات بينات، ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ راقية، ومراثع راقية، وآداب عالية بعبارات تأخذ بالألباب وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ (١) اعلم أولاً أن إعجاز القرآن من جهة أغراضه ومقاصده - فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلال. ونهاية في الإصابة وإطراد الأحكام: فمن تشريع خالد، وتهذيب بارع، وتعليم جامع وأدب بالغ. وإرشاد شامل، وقصص ومواعظ ومثل سائر، وحكمة بالغة، ووعد وعيد وإخبار بمغيب، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد. وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا في فن واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينبغي في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب؛ ولأمر ما ضربوا المثل لأمريء القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب والنابغة إذا رهب. ثانياً: من حمة ألفاظه وأساليبه - فلا تجد منه إلا عذوبة في اللفظ، ودماثة في الأساليب وتجاذباً في التراكيب، ليس فيها وحشي متنافر، ولا سوقي مبتذل ولا تعبير عويص، ولا فواصل متعملة. على شيوع ذلك في كلام المنفلقين وأهل الحيلة المتروين؛ حتى إنك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالا وتشمله نوراً وتكسوه روعة وجلالة، إلى إجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربي وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر عن إحصائه الإمام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام. ثالثاً: من جهة معانيه - فإنك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون - لا طراد صدقها وقرب تناوها واطمئنان النفوس إليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تماذج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابير وهو في جملة نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لا تبدل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقض: (إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكاتها، فهو آية الله الدائمة، وحجته الخالدة: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أنزلته الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمراء الكلام، وأبأه الصيم، وأرباب الأنفة والحمية، وبهرهم بيانه، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صح نظره، واستحصف عقله ولطيف ذوقه، رصد عنه أهل العناد والمكابرة واللجاج - فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا، ثم بعثرس سور مثله، فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا، فحق عليهم إعجازه - قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثرت فيهما ما لم يؤثر. أي كتاب، سماويًا كان أو غير سماوي، في اللغة التي كان بها، إذ ضمن لها حياة طيبة ووعراً طويلاً، وصانها من كل ما يشوه خلقها ويدوي غصارتها - فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علومًا جمة وفنونًا شتى لولا لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم - منها: اللغة، والنحو ومصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه.

جمع القرآن وكتابه

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل - وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار، فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - فأنسخوا تلك الصحف في

مُصحفٍ واحدٍ مُرتب السور - واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المستعربة، ولد في (مكة) ونشأ بها يتيمًا، وربته أمته آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وأرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي، وماتت أمه وعمره ست سنين؛ فعاله جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين، فكفله عمه أبو طالب.

وعندما بلغ أشده تولى رعي الغنم بالبادية مع إخوته في الرضاع، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام، فما من نبي إلا رعاها، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى؛ فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف الهائم سكن قلبه الرفق والرحمة، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هدب نفسه، وخلصها من شوائب الخلق الفريزية كالحدة والحسد، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة، وكان شريكه فيها السائب، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خويلد من سراة بني أسد، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها، فكان يعمل في مالها تاجرًا.

صفاته: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير المتروك، معتدل السمّن، ضخّم الرأس، عظيم الهامة، صلّت الجبين، سهل الخدين، واسع العينين أسودهما، أزج الحاجبين سابغهما، أهدب الأشفار صبّح الوجه مدوره مستوي الأنف مفلج الأسنان، رجّل الشعر حسنه، عريض الصدر، رطب الراحتين، سائل الأطراف، أزهر اللون، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض.

وكان عليه السلام أفصح قومه لسانًا، وأرجحهم عقلاً، وأصحهم فهمًا،

وأعظمهم أمانة ، وخيرهم جيواراً ، وأصدقهم حديثاً ، وأكثرهم انتصافاً بكارم الأخلاق .

ولما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونديراً إذ نزل عليه الوحى وهو قائم على جبل (حراء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله ﷺ يدعو لعبادة الله وخدمته أقواماً لا دين لهم إلا أن يستجدوا للأصنام فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر ومولاه زيد بن حارثة السكبي ، وحاضنته أم أيمن .

وجمع رسول الله عشيرته ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو نوفل ، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وقال لهم : « إن الرائد لا يكذب أهله » والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو إني كرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة) فقالوا له قسواً لا لبناً إلا عمه أبا لهب .

فلما جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبيه الأوثان سخرت منه (قريش) واستهزئوا به في مجالسهم وأضرموا له الحقد والعداوة وآذوه كثيراً ، وكان أشدهم في ذلك أبو جهل وعمر بن هشام بن المغيرة الخزومي القرشي .

ثم أسلم حمزة عم رسول الله وعمر بن الخطاب ، فقوي بهما وأسلم بمكة نفر من ولد الأوس ، والخزرج ، وهما قبيلتان من أهل (المدينة) وعادوا إليها ، فانتشر فيها الإسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وهاجرة إلى المدينة ابتداء التاريخ الهجري .

ولم يقاتل رسول الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمره مقصوداً على التبشير والإنذار ، فلما ازداد طغيان أهل مكة ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، وانتمروا مع غيرهم من مشركي العرب على قتل رسول الله ﷺ أذن الله سبحانه وتعالى بقتال المشركين كافة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في

(غزوة بدر) وثلاثينها غزواتٌ عدّةٌ كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته .

وبعث رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام وهم دحية الكلبي إلى هراقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأسدي إلى (الحارث الغساني) ملك البلقاء بالشام ، والحاطب بن أبي بلتعة إلى (المقوقس) أمير مصر ، وسليط بن عمرو العامري إلى (هوذة) صاحب اليمامة ، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي (أصحمة) ملك الحبشة فأسلم ، وعمرو بن العاص إلى (جيفر) وعبدا ملىكي عمان فأسلموا ، والعلاء بن عبد الله الحضرمي إلى (المنذر) ملك البحرين فأسلم ، وخالد بن الوليد إلى (بني عمد المدان) ، وعلي ابن أبي طالب إلى (بني مذحج) في أرض (اليمن) فأسلموا ، وأسلمت (همدان) وتابعتها سائر أهل (اليمن) وملوك (حخير) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب جميعاً على رسول الله ﷺ يبايعونه على الإسلام .

وحجّ رسول الله ﷺ في الناس خطبة الوداع وهي أكثر خطبه استيعاباً لأمر الدين والدنيا ، وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفي رسول الله ﷺ بالمدينة وفيها دفن - وله من العمر ٦٣ سنة قريّة ، وثلاثة أيام .

الحديث النبوي

كان رسول الله ﷺ أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعها مدداً ، يستمد منه الخلق سدادهم ، وإرشادهم في معاشهم ومعادهم - ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفّق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها - فجمعوا من كلامه ، ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ، ووَعَوْا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر - وكلامه ﷺ منزّه عن اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن ،

أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دنيهم ودنيهم ، بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر - لغة التخاطب - الخطابة - الكتابة

كانت 'لغة' التخاطب في مبدأ الإسلام بين العرب الخُلُوصِ والموالي النابتين قبيهم هي العربية الفصيحة المعربة - وكانت لغة الموالى الطائنين عليهم تقرُّب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول 'لبهم' فيهم ، أو قصر 'مقامهم' عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا هم إخواننا وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعب 'ذرية' اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم . أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامية منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هُجْنة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلاقتهم ، وتحاموا التزوُّج بالأعجميات ، وبالغوا في تربية أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدِّبين والمعلمين - كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمرؤهم اقتداءً بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحن منهم عدواً ذلك عليه عساراً لا يحى وسبباً لا تزول ، ومن هؤلاء اللّحانين 'عبيد الله بن زياد' ، والوليد بن عبد الملك ، وخالد القسري - مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم

ومن هنا يعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة في هذا العصر والخطباء

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ، كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوّالة من هلمها لتأييدها ونشره وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصد عنها: وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات - كان ظهور الإسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلم - وأثارت الخطابة من مكنمها فوق ما كانت عليه في جاهليتها؛ فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم باذئ أمره غير تبليغ القرآن واردة من طريق الخطابة، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال ، ولذلك كان 'دعاة' النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمّالهم كلهم خطباء مصاقع ولسناً مقاول، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي ينهض بأعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالخنجع العقلية والوجدانية، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة . وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مددٌ أيما مدد - ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، واغترقوا إلى عراقيين بزعمة الإمام عليّ - وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكسب الإسلام بمثلها ، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم، ولا يُشَقّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان)؛ ولم يعدّ كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي ، حتى من 'يعدّ عليهم اللحن'؛ ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل.

ما سَعِدَتْ به في هذا الصدر الأول، إذ كان القومُ ورؤساهم عرباً خُلصاً يسمعون القول فيتَّبِعُون أحسنه .
ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة، والاشتغال بالرِّداء، واختصار المختصرة، والخطبة من قيام .
وليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفلُ بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سلسلة القيادة على خلفائه وزعمائه، لفطرتهم العربية، ومحلمهم من الفصاحة والبيان، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب للكعبة، ثم قال :
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يبدعى فهو تحت قدسي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطيئ العند بالسوط والمصافي الدية مغلظة فيها أربعون خليفة، وفي بطونها أولادها . يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خُلِقَ مِن 'تراب'، ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله لحمدته ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لأعلي ألقاكم بعد

عامي هذا، في موقعي هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليّ تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت . أشهد ! فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها وإن ربّاً موضوعٌ ، وإن أول ربّاً أبداً به ربّا عمّي العباس بن عبد المطلب وإن الجاهلية موضوعة ، وأن أول دمٍ أبداً به دمٌ عامر بن ربيعة بن الحارث المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضوعةٌ غير السدانةِ والسقاية ، والعمد وشبهُ العمد ما قُتلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةٌ بعير ، فمن زاد فهو الجاهلية أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك ممّا تحقّرون من أعمالكم .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم : يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يُدْخِلن أحداً تَكَرَّهُوهن بيوتكم إلا بإذْنكم بفاحشة ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهنّ وتهجروهنّ في أ. وتضربوهن ضرباً غيرَ مُبرح : فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ و بالمعروف ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً ، ألا هل بلغت . أشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا أن نفس منه ؛ ألا هل بلغت . . . اللهم أشهد ! فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرنّ رقاب بعض ، فلمّاني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : ك وسنّي . . . ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم كلّم لآدم ، وآدمُ من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس أ عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . . . ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! قالوا : نعم ! قال الشاهدُ الغائب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَسِيثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَسَلًا ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِيَهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاسُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ، فَأَنَا أَخِذْتُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .

أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَنْتَ مَنَّكَ ، وَلَا تَخْنُ مَنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَفِرَائِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى .

أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه

هُوَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ عَمِيْقُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَيُحْتَسَمُ نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَّةٍ ابْنِ كَعْبٍ

وُلِدَ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ بِسِتَيْنِ وَبِضْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَنَشَأَ مِنْ أَكْثَرِمْ قُرَيْشٍ خُلُقًا وَأَرْجَحَهُمْ حِلْمًا وَأَشَدَّهُمْ عِفَّةً ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالْأَنْسَابِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَمَفَاخِرِهِمْ .

صَحَبَ رَسُولَ اللَّهِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَصَدَقَهُ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ : وَلِذَلِكَ سُمِّيَ «الصَّدِيقُ» وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَهِدَ

معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته ، حتى انتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى .

واحتلقت العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفُرس والرُّوم ، وتستولي على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مَفُوتَهاً قوي الحجة شديد التأثير ؛ يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لما مات رسول الله ﷺ اختلفت الصحابة فيمن يُبايعونه خليفة له عليهم ، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خُطبة لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه (خليفة) ، وهي :

حَمْدُ اللَّهِ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، وأول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ . أسلمنا قبلكم ، وقد منا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسَّابِقُونَ) المهاجرين والأنصار والذين اتَّبَعُوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفْيء ، وأنصارنا على العَدُوِّ ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تسدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فملا تَنَفَّسُوا على إخوانكم المهاجرين ما مَنَحَهم الله من فضله .

وخطب أيضاً حين بايعَ الناس البيعة العامة :

حَمْدُ اللَّهِ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني قد وُلِّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم ، فإن رأيتموني على حَقٍّ فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطلٍ فسدّدوني ،

أطيعوني ما أطيعتُ الله فيكم فإذا عصيتم فلا طاعة لي عليكم - ألا إن أقوام
عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أيضاً الناس ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على
نبيه ﷺ :

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم ، وهداكم به ،
فإن جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السميع والطاعة لمن ولاه الله
أمركم فإنه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فقد أفلح
وأدى الذي عليه من الحق وإيتاكم واتّباع الهوى ، فقد أفلح من حفظ من الهوى
والطمع والغضب . وإياكم والفخر ! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى
التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي ، وغداً ميت ؟ إفاعلموا يوماً
بيوم ، وساء ، بساء ، وتواقسوا دعاء المظلوم ، وعُدوا أنفسكم في الموتى واضربوا
فإن العمل كله بالصبر واحذروا ، والحذر ينفع ، واعملوا ، والعمل يُقبل ،
واحذروا ما حذركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا
وتفهموا ، واتقوا وتوقسوا ، فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ،
وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يحيب من
الأعمال ، وما يكره فإني لا آلوكم ونفسي . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا
بالله واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم ، فربكم أطيعتم وحفظكم حفظتم
واغبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم
وتسقطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم
وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء أو
السعادة فيما بعد الموت ؛ إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحد من خلقه

نَسَبَ يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، فإنه لا خيرَ في خيرٍ بَعْدَهُ النار ، ولا شرَّ في شرٍّ بَعْدَهُ الجنة .

من حكم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

(١) صنائعُ المعروف تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ (٢) ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . (٣) ثلاثٌ مَنْ " كُنَّ فِيهِ " كُنَّ عَلَيْهِ : البغي ، والنكث ، والمكر . (٤) كبرَ القول يُنْسِي بعضه بعضاً ، وإنما لك ما وُعي عنك . (٥) أصلح نفسك يَصْلَحْ لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أميرُ المؤمنين أبو حفص 'عمر بن الخطاب القرشي - ثاني خليفة لرسول الله ﷺ ، وأوّل من تَسَمَّى من الخلفاء بأمر المؤمنين (وأوّل مَنْ أَرَسَ بالتاريخ الهجري ، ومصرّ الأمصار ، ودَوَّنَ الدواوين .
وُلِدَ رضي الله عنه بعد مولد النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة ، حضرَ مع رسول الله ﷺ الفَرَوات كلها ثم لما قبض أَعان أبو بكر على تولية الخلافة ، ولمّا أَحَسَّ أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كِشْرَى وقَيْصَر .
وقتل غيلة الغلامُ الشقيُّ أبو لؤلؤة ، عبد المغيرة بن شعبة ، الجوسي ، لأنه لم ينصِّفه على زعمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجرة عمله . وكان قتلُه سنة ٢٣ هـ .
ومُدَّة خِلافتِه عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكان رضي الله عنه من أبين الناس مَنَظِيقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحِكْمة ، وأرواهم للشعر وأنقدم له .

ومن خُطْبِهِ خُطْبَتُهُ إِذْ وَلِيَ الْخِلاَفَةَ

صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس . إني داع فأمنوا :

اللهم ، إني غليظٌ فليُتني لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغليظة والشدة على أعدائك وأهل الدُّعارة والنِّفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيحٌ فسَخِّني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سُمة ، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقني خَفَضَ الجناح ، ولير الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الفعلة والنسيان فألهمني ذكركَ على كلِّ حال ، وذكر الموت في كلِّ حين ، اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاطَ فيها ، والقوَّةَ عليها بالنَّسيئةِ الحسنةِ التي لا تكون إلا بمنزَّتكَ وتوفيقك . اللهم ثبِّتني باليقين ، والبرِّ والتقوى ، وذكر المقام بين يديكَ ، والحياء منك وارزقني الخشوعَ فيما يرضيك عني ، والحاسبة لنفسِي ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات . اللهم ارزقني التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهمَ له والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيتُ ، نك على كل شيء قدير .

ومن خطبه في ذم الدنيا

إنما الدنيا أمل مخترم ، وأجل مُنقَض ، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءاً أفكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه ، بنس الجارُ الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن آبيت لم يعذرك ، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ، ومؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

- (١) من كتم سرَّه كان الخيارُ في يده . (٢) أشقى الولاة من شقيت به رعيته .
- (٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بفضك تلفاً .
- (٤) من لا يعرف الشرَّ كان أجدر أن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أعذرهم للناس . (٦) لا تؤخّر عمل يومك إلى غدك .
(٧) أثبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . (٨) من يؤسّ من شيء استغنى عنه .

ومن خطبته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

« ما بعد » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي^١ إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس^٢ بين الناس في وجهك وعدلك ومحلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك^٣ ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، السنة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً ، لا يمنعك قضاء قضيتهُ اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل ، الفهم ، الفهم فيما تلجلج^٤ في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعتمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليه ، فإذا حضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحققت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو محرباً عليه شهادة زور أو ظنينا في ولائ^٥ أو نسب^٥ ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودراً بلبينات والأيمان^٦ ، وإياك والقلق والضجر^٧ والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحّت نيته وأقبل على نفسه كفّه الله ما بينه وبين الناس ، ومن

(١) آس بين الناس : سو بينهم (٢) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .
(٣) تلجلج : تردد حتى كان موقع حيرة (٤) الكتاب : القرآن الكريم ،
والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير (٥) ظنين : متهم أي ينتسب
إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه ، فليس أهلاً للشهادة (٦) درأ : دفع ، يريد
منه الحدود (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق^١ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله^٢ فما ظنك بشواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام^٣ .

عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي ، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد 'نسخ القرآن المبين' ، ولد في السنة السادسة من مولد النبي ﷺ وآمن في السابقين الأولين وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازي رسول الله كلما إلا بدرأ - وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى سنة هو منهم - تنتخب الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا بالشورى عثمان ، فأكمل مغازي عمر ، ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباه بولاية الأقاليم ، فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين ، ومدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً

وكان رحمه الله من بلغاء الخطباء ، وأوجزهم لفظاً ، وأجزلهم معنى ، وأسهمهم عبارة ، ومن خطبه بعد أن بويع : وهي بعد الحمد والثناء :

أما بعد - فإني قد حملت وقد قبلت ، ألا وإني متبع ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً : اتباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسننتم ، وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن مالأ ، والكف إلا فيما استوجبتم - ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تشقوا بها ، فإنها ليست بثقة - واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

(١) أي ظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٢) شأنه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

ومن خطبه أيضاً وهي آخر خطبة خطبها :
 أما بعد - فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتزكوا إليها - الدنيا تنفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرونها الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، ولا تصيروا أحزاباً : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

من حكم سيدنا عثمان

(١) ما يزَعُ الله بالسلطان أكثر مما يزَع بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغمّ وقت سرورك .

الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب ، وابن عم رسول الله ، وزوج ابنته ، ورابع الخلفاء الراشدين - ولد رحمه الله بعد مولد النبي ﷺ باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أوّل من آمن به الصبيان ، وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى و نصرة رسول الله ما لم يُبْله أحد ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز . وامتنع عن بيعته معاوية ، وأهل الشام شيعة أمية ، غضباً منهم لمقتل عثمان ، وقلة عنايته (الإمام علي) بالبحث عن معرفة القتل على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام علياً غيلةً بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله وأكثرهم علماً وزهداً ، وشدة في الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ وخطبه

كثيرة ، منها خطبته - كرم الله وجهه - بعد التسخيم ، وهي :
الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل - وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له ، ليس معه إله غيره وأن محمداً عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أما بعد » فإن معصية الناصح الشفيق ، العالم
الجرّب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة^١
أمري ونخلتُ لكم مخزون رأيي ، (لو كان يطاع لقصير أمر)^٢ فأبيتُم عليّ
إباء المخالفين الجفأة المناهدين العصاة ، حق ارتاب الناصح بنصحه ، وضم الزناد
بقيد حه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن
أمرتهم أمري بمنعرج - التلوي فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأبو ستيان في أن يُبايعا له بالخلافة : أيها
الناس شقوا أهواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة وضمواعن
تيجان المفاخرة . أفلح من نهض يجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا مساء آحين^٣ ،
ولقمة يقص بها آكلها ، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه
فإن أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت ههنا
بعد اللئسما والتي ، والله لابن أبي طالب آنس بالمولود من الطفل بشدتي أمه ،
بل اندمجت على مكنون علم ، لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في
الطوي البعيدة .

من حكم سيدنا علي كرم الله وجهه

(١) روي الشيخ خير من مشهد الغلام . ٢ الناس أعداء ما جهلوا . (٣) الناس

- (١) أي حكومة الحكمين عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .
(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن
لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فتخالفه وقصدها لإجابة لدعوتها في قبولها زواجه
فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً .

من خوف الذل في الذل (٤) الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يذبو (٥) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدوة عليه (٦) قيمة كل امرئ ما يحسن (٧) المرء مخبوء تحت لسانه (٨) استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره (٩) خير أموالك ما كفاك وخير إخوتك من واصلك (١٠) الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره (١٢) من كذب لسانه كثرت إخوانه (١٣) بشر مال البخيل بمحدث أو وارث (١٤) بالبر يستعبد الحر (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذنب (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام (١٧) من أكثر فكره في العواقب لم يشجع (١٨) الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب (١٩) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع (٢٠) قلب الأحمق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه (٢١) يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء (٢٢) الولايات مضامير الرجال (٢٣) الناس أبناء الدنيا ، ولا يلأم الرجل على حُب أمه (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إباد الوائلي ، الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلب به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعِدُّه للعليمات ، ويتوكل عليه عند المفارقة .

قدم على معاوية وفد فطلب سحبان ليتكلم ، فقال : أحضروا لي عصاً ، قالوا ، وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ، ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلتكأ ولا

ولا ابتداء في معنى وخرج منه ، وقد بقي منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية ، أنت أخطبُ العرب ، قال سحبان : والعجم والجن والإنس . وكان سحبان إذا خطب يسيلُ عرقاً ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تحفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها بدانكم ، ففيها حبيتم ، ولغيرها خلقتم .
إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما أقدم ؟
فقدّموا بعضاً يكن لكم ، ولا تحلفوا كلاً يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُعاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها .

منشؤه : كان للحارث بن كعدة الثقفى طبيب العرب أمة تسمى 'سميّة' ، قد قرنها بعبد له رومي يدعى عبيداً فولدت له 'سميّة زياداً' هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة من قبل عمر ، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه .

ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد يجمع كثير ، وتمكن بجذاعه من إيقاع الشقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقي يتولى لعلّي الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية ، فأرسل له المغيرة بن شعبه يستقدمه ، فقدم عليه فادعاه أخاله واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أو ابن سميّة ، أو ابن أبيه .

وولاه معاوية العرايين ، وهو أول من جمع له بينهما ، فسار في الناس سيرة لم بها الشعث ، وأقام المغنوج ، وكبح الفتنة ، واشتط في العقوبة ، وأخذ بالظننة ، وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً ، وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، بل كان لا يغلق أحد بابيه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت آخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته) .

وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة البتراء^١ حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :

أما بعد : فإن الجهالة الجبلية ، والضلالة العمياء ، والغبيّ الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حماؤكم ، من الأمور العظام التي ينبئت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعته الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوكة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهضة يمنعون الفواة عن دلج الليل وغارة النهار ، قربتم القرابسة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ منهم يرد عن سفيحه ، صنع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرّم الإسلام ، ثم أطرقوا وراهم كنوساً في مكانس الرئيب .

(١) البتراء التي لم يحمد الله فيها .

حرام عليّ الطعام والشراب حتى أصع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوّله « لينّ في غير ضعف ، وشدة في غير عنف » وإني لأقسم بالله - لأخذنّ الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعين ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول : « إنج سعدت فقد هلك سعيئند » أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبته الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إحسن فجعلت ذلك دُبراً أذني وتحت قدمي ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتِك له سِتراً ، حتى يُبْند لي صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أفاظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم قرب مُبْتَسِس بقدمنا سيُسّر ، ومسرور بقدمنا سيَبْتَسِس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خَوَّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستَوْجِبُوا عَدْلَنَا وفَيْئَنَا بمناصحتكم لنا .

الحجاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أحد جبابرة العرب وساستها ، وموطد مملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ، ولد سنة ٤١ هـ وشب في خلافة معاوية .

وخدم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد - حتى كان ملكه ما بين الشام والصين - ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط بالعراق .

كان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعاً داهية عنيفاً ، قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ، وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار ، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق

فانه دخل المسجد - مُعْتَمِلاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً، متنكباً قوساً - يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فكثت ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض: قُبِحَ الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق. فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ اللثام عن فيه ، ونهض فقال :

أنا ابن جَلَا وطلاخُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
يا أهل الكوفة، إني لأرى رءُوساً قد أيسعتُ وحان قطافها، وإني لصاحبُها،
وكأني أنظر إلى الدماء تَرَقَّرَقُ بين العمام والمحيى ، ثم قال :
هذا أوانُ الشدِّ فاشتدَّي زيم قد لفها الليلُ بسَوَاقٍ حُطْمُ
ليس براعي إِبِلٍ ولا غنم ولا يحزَّار على ظهر وضمَّ
ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي أروَع خراج من الدَّوي
مُهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شَمَّرت عن ساقها فشدُّوا وجَدَّت الحربُ بكم فجحدوا
والقَوسُ فيها وَتَرٌ عُرْدٌ مثلُ ذراع البكر أو أشدُّ
لا يُدَّ مما ليس منه بُدُّ

إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشنان ، ولا يغمزُ جانبي كتغماز التين ،
ولقد قررت عن ذكاه ، وفنشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه)
نثر كنانته بين يديه ، فمعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً
فرماكم بي لأنكم طأأ أرضعت في الفتنة ، واضجعت في مراقد الضلال ، لأحزمتكم
حزْم السلة ^١ ، ولأضربنكم ضَرْب غرائب ^٢ الإبل ، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تختبئ بالعصي
لسقوط الورق وهشم العيدان .

(٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلط وعند الحوض أشد الضرب .

كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا قرأت^٢

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب^٣ بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجدر رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

طارق بن زياد

هو أحد قواد جيوش الوليد بن عبد الملك ، وكان خطيباً ميصقماً ، وبطلاً مقداماً بعيد الهمة ، يعشق المجد ، وتصبو نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ هـ بآلني عشر ألف جندي من مواطنيه ، يقلهم أسطول قوي ، قد جهز لذلك وعبر البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رؤدريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرة عدده وكال عسده ، فبادر طارق وأحرق أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع ، وقال لهم : «أيها الناس الخ » فاندفعوا على الأسبان اندفاع اليائس ، وهزمهم شر هزيمة ، ثم والى طارق فتوحاته في أسبانيا حتى قبض على (رؤدريك) آخر ملوك الفيزيغوط بها ، وقتله سنة ٩٤ هـ ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ، وها هي خطبته البليغة ،

أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصديق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام ، في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وقواته موفرة ، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن

(١) أقدر (٢) قطعت (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد .

امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبتم ربحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خيلاً هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوا ولا تحملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أرباً فيها بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فيما حظتكم فيه أوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميقة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزبائاً ، ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين ؛ واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم اليه ، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم «لذريق» فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي ، فإن هلكتم بعده فقد كفيت أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقيل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكتم قبل وصولي ، فاخلفوني في عزمي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده 'يخذلون' .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية : كان الخط في مبدأ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازي ، وهو أصل الفسخ ، وكان يكتب به النذر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبي ﷺ على قريش في يوم بدر ، وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم ، وفادى الكتاب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة .

فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحضّ ﷺ على تعلمها ؛ ومن أشهر كتّاب الصحابة : زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جُمهرة الكُتّاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازي ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي) وبه كانت تكتب المصاحف ، وحلى القصور والمساجد وسك النقود

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ ، فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتشخير في الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كتّاب الكُتّاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلي علامات في المصاحف «بصَبَغ خالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحروف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضممة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التشوين نقطتين ؛ وكان ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه .

ووضع بصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبي الأسود ، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع في الناس بعد .

الكتابة الإشائية قسمان : كتابة رسائل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف .

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب ونصحاؤهم كلهم كتّاباً ، ينشئون بملكتهم ، ولو لم يخطوا بيمينهم ، فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يملون كتبهم على كتفهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان « عمر » أول من دَوَّن الدواوين ، وكان كتّاب

الرسائل للخلفاء وعما لهم إما عرباً أو موالٍ يحميدون العربية ؛ أما كتّاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهل يكتبون بلغتهم ، ولما نسب من العرب من يحسن عملهم حوّلت هذه الدواوين إلى العربية زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الآء زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وقسّرت أمور الدولة ، وازدادت الأعمال وشغل الخلفاء على ان يلوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم عهدوا بها إلى كبار كتّابهم حتى انتشرت وصارت صناعة "محمكة" ، وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية ، وهي لغات أهم ذاء حضارة وعلوم ونظام ورسوم

ومن ذلاء : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أحد الواضعين لنظام الرسائل وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكتّابة آخر الدولة الأموية

مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية :

(١) الاقتصار في أعراضها على القدر الضروري لدولة عربية ، والاقتضا في معناها على الإلمام بالحقائق ، وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل ، واستعمال الألفاظ الفصحى والعبارة الجزلة والأساليب البليغة ، إذ كان الكتّاب والمكتوب إليه عرباً فصحاء .

(٢) مراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يستدعي الحال الإسهاب ، وبقي الأمر على ذلك ، حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية ، فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أولها ، وسلك طريقه من أتى بعده .

الكتّاب

كتّاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم

كثاباً بلفاء ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نسباً ، الشامي داراً ، شيخ الكتاتيب الأوائل وأول من أطال الرسائل ، ونشأ بالأنبار بليفاً حصيفاً .

وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليه أرمينية ، فكتب له مدّة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلي أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قال : إذا تطير معي ، قال : الآن طاب لي الشجود ، وسجد ، فاتخذ مروان كاتب دولته .

ولما دامت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلزمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان ، قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الفدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي ، وإلا لم تعجز عن حفظ حرّمي بعد وفاتي ، فقال له : إن الذي أشرت به عليّ أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك وأنشد

أسير وفاء ثم أظهر غدره فمن لي بعدد يوسع الناس ظاهره ؟
وبقي حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ، وأخذ عبد الحميد إلى السفاح وقتله سنة ١٣٢ هـ .

منزله في الكتابة : اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهّد سبلها

وميزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشئون ، وقصّرها في بعضها الآخر ، وأطالَ التَّحْمِيدَاتِ في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصةً ببدءها وختمها على حسب الأغراض التي تُكتب فيها ؛ وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجزُ عنه السَّحَرُ في خلب الأفتدة وجذب النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتبَ إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرىء لأدّى إلى وقوع الخلاف والفتن وقال لمروان : كتاباً متى قرأه بطلَ تدبيره ؛ فإن يكُ ذلك وإلا فاهلاك ، وكان الكتابُ لكبير حَجْمه يُحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مُسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه ، وكتب على جذاذة منه إلى مروان :

بحا السَّيْفِ أسطارَ البلاغةِ وانتحى عليك ليوثُ الغاب من كلِّ جانب

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصحف ، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء ، وفقهاء الصحابة .

ثم لما انتشر الإسلام في زمن بني أمية ، واختلطت العرت بالعجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن ، وأشفقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دونوا النسخ ؛ وكان أول من كتبَ فيه « أبو الأسود الدؤلي » وقد تلقى مبادئه عن « الإمام علي » وأخذ عنه فتيانُ البصرة ، وخصوصاً الموالي إذ كانوا أحوج الناس إلى النسخ ، واشتغلَ به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغلَ به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين . ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الفتاوى والرجوعُ فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ، ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين « عمر بن

عبد العزيز ، لأبي بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يُدَوَّن فيه من علوم اللغة والدين غير الذبح وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حبب إليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترجمت له ، ونسبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب « الملوك وأخبار الماضين » وأن وهب بن منبه الزهري ، وموسى بن عقبة ، كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب ، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرؤن بن أعين ، من السريانية إلى العربية ، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبها إلى من غنى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر .

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأقام بالأمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم لخطبها وانزعاجهم من وقعها ، فهموا يتحسسون الأول ، ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغازيه ، ما بين معانيد يتلمس مطعناً فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا للثاني ، بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالملاح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المردولة بازدراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهييمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن ؛ كالوعظة

والإرشاد ، ومدح الرسول ﷺ وأصحابه ... الخ .

ولبت الحال على ذلك مدّة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان
فِتْنِ أهل الردّة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألفوه عن أغراض
الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات
القتال .

ولما آل الأمر إلى بني أميّة ، وشغّب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح
الشعر لساناً يُعبر عن مقاصد كلّ حزب ، حتى أصبح حرفة عتيقة ، وصناعة
جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ،
حتى الخلفاء وأولياء عهودهم . ونصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من
حيث أغراضه ومعانيه وتصوراتهِ وعباراته بما يأتي :

أغراض الشعر وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة زمن النبي
ﷺ وخلفائه الراشدين

(٢) التحريض على القتال ووصفه - والترغيب في نبيل الشهادة رفعاً لكلمة
الله ، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .

(٣) الهجاء - وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجّن مشركي العرب
بما لا يخرج عن حد المروءة وبما رَضِيه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء
قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتخرج عنه المسلمون ولوبالتعريض
زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين (الحُطَيْبَةُ) وهدده بقطع
لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية
براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في
العصر التالي ، ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل .

(٤) المدحُ - وقلنا كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ، ونشر الحق على يديه ، وكان خلفاؤه يأنفون بمدحهم بما تزهى به نفوسهم تتواضعا .

ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاية والإشادة بعظمتهم .

معانيه وأخيلته وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخييلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر ، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ؛ وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ ومؤلفته لسابقه ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته ، وروعة تأسيده ولا سيما أهل النسيب ، ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حديث غير ما عُرِف عنه في الجاهلية .

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز ، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أعراض القصيد ، حتى في افتتاحها بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك .

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم ، واستقامت ألسنتهم ، ولم يتد إلىهم اللحن ، ولقد زادتهم مذاكرة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً حتى فصلهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهليين - ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير ، والخنساء ، والخطيئة ، وحسان بن ثابت ، والنايفة

الجمدي وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين وعمر بن أبي ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجري، والكميت، وجميل، وكثير عزة، ونصيب، والراعي، وذو الرمة من الإسلاميين.

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين، ومساعد النبي الأمين، ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه يحيى إلى رسول الله ﷺ، فغضب كعب لإسلامه، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه، فتوعد النبي ﷺ وأهدر دمه، فحذره أخوه العاقبة، إلا أن يحيى إلى النبي ﷺ مسلماً ثانياً، فتهام كعب على القبائل أن تحيره فلم يجرد أحد، فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة، وتوسل به إلى الرسول ﷺ، فأقبل به عليه وآمن، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية.

فخلع عليه النبي برده، فمقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً ومات سنة ٢٤ هـ. شعره: كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعُلو الكعب في الشعر، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول: لولا قصائد لزهير ما فضلت على ابنه كعب، وكفاه فضلاً أن الحطيطمة مع ذائع شهرته، رجاء أن ينوء به في شعره، فقال:

فمن للقواي شاتها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جروال

ومن شعره قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها والنفس واحدة والهمل منتشر
فالمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

(١) المخضرم من الشعراء من عاش في الجاهلية والإسلام.

ومن قوله أيضاً .

إن كنت لا ترهبُ ذمي لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي إذا أنا مُنصتُ فيك لمسموع خنا القائل
فالسامعُ الذم شريكٌ له ومُطعمُ المأكول كالأكل
مقالةُ السوء إلى أهلها أسرعُ من مُحدرٍ سائل
ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّه بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضاً قصيدة « بانث سعاد » اشهورة - وهي :

بانث سعادُ فقلبي اليومَ متبولٌ مُنيمٌ في إثرها لم يُفدَ مكبولٌ^١
وماسعادُ غداةَ البين إذ برزت إلا أغنُ غضيض الطرف مكحولٌ^٢
تجلوعوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه متهلٌ بالراح معلولٌ^٣
شجّت بذئ شيم من ماء الحنية صافٍ بأبطح أصحى وهو مشمولٌ^٤
تنفي الرياحُ القذى عنه وأفرطه من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليلٌ^٥
ويل أمها خلة لو أنها صدقت بوعدها ولو أن النصيحَ مقبولٌ^٦
لكنها خلة قد سيطرَ من دمها فججٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ^٧

(١) بانث : فارقت والمتبول الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد

(٢) الأغن : الذي في صوته غنة ، وهي إصوت محبوب ؛ غضيض الطرف : أي في طرفها كسر وقتور ٣ تجلو : تكشف والمراد بالعوارض هنا الأسنان ، ذي ظلم : أي ثغر ذي ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها . معلول : أي مسقى بالتمر مرة بعد أخرى (٤) شجّت أي مزجت بالماء لتذهب سورتها ؛ وبذئ شيم أي بئذئ شيم والشميم البرد والحنية : منعطف الوادي لأن ماءها يكون أصفى وأرق ؛ والأبطح : مسيل فيه دقائق الحصى ؛ والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد (٥) القذى : ما يسقط في الماء ؛ وأفرطه : أي ملأه . (٦) ويل أمها في رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة . (٧) سيطر من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره ؛ والفجج : الإصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

فما تقومُ على حال تكونُ بها كما تلوُنُ في أثوابها الغول^١
ولا تمسِكُ بالعهدِ الذي زعمت إلا كما 'يمسِكُ' الماء الغرايل
كانت مواعيدُ 'عرقوب' لها مثلاً وما مواعيدهُ إلا الأباطيل^٢
أرجو وآملُ أن تدنو مودتها وما إخالُ لدينا منك تنويل
فلا يفرنك ما مننت وما وعدت إن الأمانِي والأحلامَ تضليل
أمت سعادُ بأرض لا يبُلُّها إلا العِناقُ السجياتُ المراسيل^٣
نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني والعفوُ عند رسول الله مأمول^٤
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيطٌ وتفصيل^٥
لا تأخذني بأقوال الوُشاة ، ولم أذنب ، ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به يرى ويسمعُ ما قد أسمعُ الفيل^٦
الظل يُرعدُ من وجدٍ بواده إن لم يكن من رسول الله تنويل^٧
ما زلتُ أقطعُ البِيداءَ مدرعاً جُنح الظلام وفوبُ الليل مسبول^٨
حتى وضعت يميني ما أنازها في كف ذي نقيبات قوله القبل^٩
فلهُوَ أخوفُ عندي إذ أكله وقيل ، إنك مذسوبٌ ومسئول^{١٠}

(١) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراعى لهم في الغلوات تتلون لهم وتضلهم عن الطريق (٢) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد ؛ قيل إنه وعد أخاه ثم نخلة ؛ وقال ، انتني إذا أطلع النخل فلما أطلع قال : إذا أبلغ فلما أبلغ قال : إذا أزهى ؛ فلما أزهى قال : إذا أرطب ؛ فلما أرطب قال : إذا صار تمرأ فلما صار تمرأ جده من الليل ولم يعطه شيئاً ٣ ، العناق . الإبل أو الخيل الكريمة ، والتجيات السريعات والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع (٤) أوعد : هدد (٥) نافلة . عطية ، التفصيل : التبيين (٦) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهداً عظيم الهيبة لو شهدته الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد (٧) لظل يرعد : جواب لو في البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة ، وهي هنا بين المنكب والعنق (٨) إدراع الظلام أي لبسه كأنه درع (٩) ما أنازها : أي لا أجاذبها ، والقبل : أي القول العجب ١٠ أخوف : أي أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أي مسؤول عن نسبك .

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مَخْدَرَةٍ ۚ فِي بَطْنِ عَشِيرِ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلٌ ۙ
 يَغْدُو فَيُلْحِمُ ۚ ضَرْغَامِينَ عَيْشَهَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خِرَادِيلٌ ۚ
 إِذَا يَسَاوَرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرِكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولٌ ۚ
 مِنْهُ تَظَلُّ حَيْرُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ وَلَا تَمُتُ بُوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ ۙ
 وَلَا يَزَالُ بُوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُضْرَجُ الْبَرْزِ وَالْدَّرْسِينَ مَأْكُولٌ ۙ
 إِنْ الرِّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْتَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بَبْطَنَ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا ۙ
 زَالُوا ۚ فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ مَيْلٌ مَعَاذِيلُ ۙ
 يَمُشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرَ بِعَصْمِهِمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السَّوْدُ التَّنَابِيلُ ۙ
 شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لِبُوسَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ ۙ
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَأَنَّمَا حَلَقُ الْقَعْفَاءِ مَجْدُولُ ۙ

(١) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق ؛ وضراء الأرض أي
 الأرض استوية التي تأويها السباع وبها نبذ من الشجر ؛ والمخدر : مكان إقامة
 الأسد ؛ وبطن عثر مأسدة ؛ أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل والغيل :
 الاجمة - يصفه بالمنعة والتوحش (٢) يلحم : أي يطعم اللحم ؛ معفور : أي
 ملقى في التراب والخراديل ؛ القطع (٣) يساور : يواكب ، والقرن : المائل ،
 ولا يحل : ولا يسوغ ، والفلول : المقد (٤) الجو : البر الواسع ، والأراجيل
 جمع رجيل ؛ وهو الرجل غير الراكب (٥) البرز : الثياب ؛ والدرس : الثوب
 الخلق ، أي أن بوادي هذا الأسد تجد شجاعاً كانت يثق بنفسه فافترسه
 وأصبحت ثيابه خلقة ممزقة (٦) زولوا أي انتقلوا من مكة إلى المدينة
 (٧) النكس : الضعيف والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له ، والميل :
 جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب والممازيل : جمع
 معزول وهو من لا سلاح له (٨) الزهر : البيض ، وعرد : فر وأعرض والتنايل :
 القصار . (٩) شم العرانيين : شم الأنوف ؛ أي أعزة ، واللبوس ، السرابيل .
 الدروع أي لباسهم دروع من نسج داود (١٠) بيض صفة للسرابيل ، والسوابغ :
 الطوال ، والقعفاء : نبات ينبت على الأرض يشبه حلق الدروع .

ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحُهمُ قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا^١
لا يقطعُ الطعنُ إلا في نحورهمُ وليس لهم عن حياضِ الموت تهليل^٢

(٢) عمرو بن معديكرب الزبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي المذحجي ، فارس اليانين ، وأحد الشعراء المعمرين ، والخطباء الموقنين .

منشؤه وصفاته : نشأ عمرو بين قومه مُحَقّاً أكولاً ، لا يؤمِّلُ منه خير ، ولا تُلاحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جثة ، وجهاة في صوت ، حتى بلغ زبيداً أن خنعم ستشن الغارة عليهم ، فتأهبوا ، ودخل عمرو على أخته ، فقال : أشبعيني إن غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه ، فقال : سلكي هذا المائق ما يُشبعه ، فأكل عزراً بثلاثة أصع ذرة ، وأنتهم خنعم فتبذل حتى رأى لواء أبيه مال وانهمزت زبيد ، فثار وكرّ على خنعم ، وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء ، فأصبح يُسمى فارس زبيد بعد أن كان يُسمى مائق زبيد ، واشتهر بالشجاعة حتى هابت به أبطال العرب وضرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحشف ، في ذكاء إيار
وفي شجاعته يقول عن نفسه : وسرت بظعينة وحدي على مياه معدّ كلها
ما خفت أن أغلب عليها - ما لم يلقني حرّاًها أو عبداها ؛ فأما الحرّان :
فعامر بن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود بن عابس - يعني عنتره - والسُّلَيْك بن السُّلَيْكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب ، وفد مع بعض قومه على رسول الله فأسلم ثم رجع إلى قومه ، ولما مضت الكوفة أقسام بها حتى كانت وقعة نهاوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

(١) المفاريح : جمع مفراح ، الشديد الفرح والمجازيع ، جمع مجزاع الشديد :

الحزن . (٢) التهليل : الجبن والفرار .

وَيُعَدُّ عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كِسرى .

ومن شعره قوله في صدق عن نفسه في الحرب :

ولما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنها جداول زرع أُرْسِلت فاسبطرتِ
فجاشت إليّ النفسُ أوّل مرة فرُدّت على مكروها فاستقرّتِ
علام تقولُ الرُّمَحُ يُثقلُ عاتقي إذا أنا أظعنُ إذا الخيلُ كَرَّتِ
ومن قوله أيضاً :

أمن رِيحانة الداعي السميعُ يؤرّقني وأصحابي هُجوعُ
أشاب الرأس أيامَ طوالٍ وهمّ ما تَضَمَّنَه الضلوعُ
وسوق كتيبةٍ دلّفت لأخرى كأن نهارها رأسُ صليعُ
إذا لم تَسْتَطِعْ شيئاً فدعْه وجاوزهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ
وصِلْه بالزَّماع فكلّ أمر سَمّا لك أو سموت له ولرعُ

(٣) الخنساء

هي السيدة تماضيرُ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرقى شواعر العرب وأحزن مَنْ بكى وسَدب .

كان أبوها عمرو ، وأخوها معاوية وصخر ، وكانت هي من أجل نساء زمانها فيخطبها دُرَيْد بن الصُّمّة فارس جُشم ، فرَغبت عنه ، وآثرت التزوُّج في قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قُتل شقيقها معاوية ، ثم أخوها لأبيها صخر ، جَزَعَت عليها جزعاً شديداً ، وبَكَتْها بكاءً مُرّاً ، وكان أشدَّ وجدها على صخر ، لأنه شاطرُها هي وزَوْجها أمواله مراراً ، ولما جاء الإسلام

وقدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت، وكان يُعجبه شعرها، ويستنشدوها ويقول (هيه يا خناس) ويؤمىء بيده .

وما فتئت تبكي صخراً قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهيدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة ، فأوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ هـ في خلافة معاوية .

شعرها : أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة " قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم يُنكر أنها أرثى النساء ، وكان يشتار بقول : لم تقل امرأة شعراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقليل له : وكذلك الخنساء ، فقال : تلك التي غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام ، فذلك النابغة الذبياني يقول لها ، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قدّنى بعينيك أم بالعين عوّارُ أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدارُ
لولا ن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر من
بالسوق وسئل جرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، لولا الخنساء ، قيل :
فيم فضلكم ؟ قال : بقولها :

إن الزمان (وما يفنى له عجب) أبقى لنا ذنباً واستوصل الرأس
إن الجديدين في طوارٍ اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس
ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخراً :

أعيثنى جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفقى السيدا
رفيعُ المعاد طويل النجا د سادَ عشيرته أمردا

إذا القومُ مَدُوا بِأَيْدِيهِمْ إلى المجد مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ من المجد ثُمَّ انْتَمَى مُصْنَعُهَا
يَحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
وَمَنْ ذَكَرَ الْمَجْدَ الْفَقِيئَةَ تَنَازَرَا بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى

ومن قولها ترثيه أيضاً

أَلَا يَا صَخْرُ إِن أَبْكَيْتَ عَيْنِي فَقَدْ أَضْحَكْتَنِي زَمَنًا طَوِيلَا
دَفَعْتُ بِكَ الْخُطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَمَنْ إِذَا يَدْفَعُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَا
إِذَا قَبَسَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا

ومن بديع قولها .

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
قُلُوبًا كَثْرَةَ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقِيتُ نَفْسِي
وَلَكِنْ لَا أَرَاهُ أَرَى عَجُولًا وَنَائِحَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ
هَمَّا كِلْتَاهُمَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رِزْزِيهِ أَوْ غَيْبِ أَمْسٍ
وَمَا يَبْكِيَنَّ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
فَقَدْ وَدَعْتَ يَوْمَ فِرَاقٍ صَخْرَ أَبِي حَسَنَ لَدَاتِي وَأُنْسِي
فَتَبَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي أَيْصْبَحُ فِي الضَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي

(٤) الخطيئة

هو أبو مُلَيْكَةَ جَرُولُ الخطيئة العباسي ، منشؤه معلول النسب ، وكان
جَشِيمًا سَوُولًا مُلْحَقًا دَنِيًّا النَّفْسَ ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلاً قبيح المنظر ،
رَثَّ الهَيْئَةَ فَاسَدَ الدِّينَ . وعاش الخطيئة مدة في الجاهلية ، وجاء الإسلام فأسلم ،
ولم يكن له صحبة برسول الله ﷺ ، ثم عاش متنقلاً في القبائل يمدح هذه تارة ،
ويذم تلك أخرى ، وَيَنْتَسِبُ إِلَى عَبْسٍ طَوْرًا ، وَطَوْرًا إِلَى ذُهَلٍ ، ويهجو

اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وُدّه ، وتَتَقِي شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبّسه ، فما زال يسبّشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدّده بقطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكث ، وأوغلّ في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات أوئل خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ .

شعره : لولا ما وُصِمَ به الخطيئة من خِستِ النفس ، ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضروب الشعر زعيم شعراء المختصرمين على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله والشرف ، وقلماً يوجد في كلام الخطيئة مظنة ضعفٍ ، أو مغمزٍ لغامز من رككة لفظ ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار ، قوله :

يسوسون أحلاماً بعيداً أفاثها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم (لا أبأ لأبيكم)	من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدوا
أولئك قومٌ إن بنّوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا أو فُتّوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم تجزوا بها	وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى	بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
ويَعْدِلُ لي أبناءُ سعدٍ عليهم	وما قلتُ إلا بالذي عَلِمْتَ سعدُ

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرّخ	زُغبُ الخواصلِ لاماءٌ ولا شحرُ
أَلْقَيْتَ كاسبهم في قعرٍ مظلمة	فاصفح ، عليك سلام الله يا عمر !
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه	ألقى إليك مقاليد النشئ البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الخيرُ

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله ﷺ وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بني النجار أهل المدينة ، نشأ في الجاهلية ونُسب شأنه فيها ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصارُ بسيفوفهم .

وعاش حسان بعد النبي ﷺ محبباً إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمر قريبا من ١٢٠ سنة ، وبقي أكثر حياته متمسعا بجواسه وعقله ، حتى وهن جسمه في أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

شعره كان حسان شاعراً أهل المدار في الجاهلية ، وشاعر اليانية في الإسلام ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالدهاية التي لم يكن لهم قبل بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر ، ولما أذن له النبي ﷺ في هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسلثك منهم كما تسل الشعرة من العجين . وكان النبي ﷺ ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه في أعدائه ، ويقول : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » . وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لأن شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ونسودُ النائباتِ ونعتل
ويسوءُ سيدنا ججاجيحَ سادةٍ ويُصيبُ قائلنا سواءَ المفصلِ
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خطابةً فيهم ونفصل كلَّ أمرٍ معضل
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابنا ومتى نُحكِّمُ في البرية نعدل

ومن شعره في الإسلام يُفاخر وقد تميم بقوم النبي ﷺ :

إنّ الذوائبَ من فيهنّ وإخوتهم قد بينوا سُنناً للناس 'تتبع'
يرضى بها كلُّ من كانت سريره تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوهم أو حاركو النفع في أشياعهم نفعا
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ محدثة إنّ الخلائق (فاعلم) شرها البِدْعُ
لا يرفع الناسُ ما أوتيت أكفهم عند الدفاع ولا يؤهون ما رفعوا
إن كان في الناس سباقون بعدم فكل سبق لأدنى سقمهم تبع
وعفدٌ ذكرَتْ في الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يزري بهم طمع
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جزعُ

(٦) النايفة الجمعدى

هو أبو ليلى حسّان بن عبدالله الجمعدى العامريّ أحد القدماء المُعجّرين
والشعراء المختصرين ، ووصّاف الخيل المشهورين .

قال الشعر في الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهرأ ، ثم نبغ في الشعر عند ظهور
الإسلام وبعده ، ولذلك سمي (النايفة) وهو من فكر في لجاهلية ، وأنكر
الحُرّ وما تفعل بالهقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وذكر دين إبراهيم ، وصام
واستغفر ، ووفد على رسول الله ﷺ ، وأسلم .

وعاش طويلاً في الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً ، حتى أيام عثمان رضي الله
عنه ، فأحس بضَعْفٍ في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية ، فأذن
له ، ثم لما كانت خلافة (عليّ) شهد معه وقائع صِفين ، وظاهره بيده ولسانه ،
ونال من معاوية وبني أمية - ومات بأصبهان سنة ٥٨ هـ - بعد أن عمر مائة
وثمانين سنة .

شعره : كان النايفة الجمعدى شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام ، وهو أول
من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعني إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :
أكني بغير اسمها ، وقد علم الله خَفِيَّات كلِّ مُكْتَتَم

وكان يمتن يصفون الخيل ، فلا يلحق له في ذلك غبار ، حتى 'ضرب به المثل .
قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل لا يقاربهم أحد ، طفيل الغنوي ، وأبو دواد
الإيادي والنايفة الجعدي ، وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير .

ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم ﷺ - وهي :
خليلي عوجا ساعة وتهجرا ونوحا على ما أحدث الدهر أودرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة فخفا لروعات الحوادث أوقرا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولسى وأدبرا
تهيج البلاء والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى وتلو كتابا كالبحر نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا
ومنها في الفخر :

وإننا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
ونسنكر يوم الروح ألوان خيلنا من الطمن حتى نحسب ألجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لندرجو فوق ذلك مظهر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا أورد الأمر أصدر

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء - البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال . الجنة
يا رسول الله ، قال له : إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته ، قال الرسول : أجدت ،
لا يفضض الله فاك ، فأنت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن .

(٧) عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي ، أشعر قريش
وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

وُلد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عليه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً مُوسراً ، وعاملاً لرسول الله ﷺ والخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف ، وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء ، وتزاوَرَهُنَّ ومداعبة بعضهن لبعض وتعرَّضَ للمحادثات المتعفِّفات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم ، وصرن يخفن الخروج إلى الحج ، لأنه كان يتلقاهُنَّ بمكة ، ويترقب خروجهن للطواف والسعي ، ويصفهنَّ وهُنَّ محرمات ، وحلُمَت عليه رجالات قريش لمكانة نسبِهِ منهم ، ولترقب توبته وإقلاعه ، فلما تمادى في أمره ، وشبَّ بنات السادات والخلفاء غضب عليه عمر بن عبد العزيز ونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع ، ثم رأى أن يُكفَّر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ، فغزا في البحر ، فاحترقت السفينة التي كان فيها ، واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ .

شعره : رقيق بلفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، حتى قال فيه جرير هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته ، وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه ، ومن قوله المشهور :

ليتَ هَنداً أنجزتنا ما تعدُّ وشَقَّتْ أنفسنا مما نجدُ
واستبدَّتْ مرَّةً واحدة إنما العاجزُ من لا يستبيدُ
زعموها سألتُ جاراتها وتعرَّتْ ذات يوم تبَّتْ رِدُّ^١
أما ينعنني تبصيرنني ؟ ركن الله ! أم لا يقتصد^٢ !
فتضاحكن ، وقد قلن لها : حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودُ^٣
حسداً حُمَّلته من شأنها وقديماً كان في الناس الحسد

(١) تبتد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٢) وينعني يصفني ، عمر كن الله : أذكر الله ، يقتصد : يعتدل فلا يبالغ

(٣) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادة تفترُّ عن أشنبها حين تجلوه أقاحٍ أو برد^١
 ولها عينان في طرفيهما حورٌ منها، وفي الجيد غيد^٢
 قلت: من أنتِ؟ فقالت: أنا من شفهُ الوجْدُ، وأبلاه الكمد^٣
 نحن أهل الخيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قود^٤
 قلت: أهلاً! أنشُمُ بغيتنا فتسمين، فقالت: أنا هند!^٥
 إنما ضلل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد^٦
 إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شيء أحد^٧
 حدثونا أنها لي نفثت عقداً، يا حبذا تلك العقد!^٨
 كلما قلت: متى ميعادنا؟ ضحكت هند، وقالت: بعد غد!

(٨) الأخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النصراني، شاعر الأمويين وأمدح
 ثلاثة شعرائهم المقدمين، والمتفرد بالتعميق بوصف الخمر دون الإسلاميين، قال الشعر
 وهو صبي، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتنذ كعب بن جعيل (وما جاءه وظهر
 عليه، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار،

(١) الغادة: المرأة اللينة؛ تفتر: تظهر، الأشنب: الفم في أسنانه ماء ورقة
 وعذوبة. تجلوه تكشفه، الأقاح: جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات
 الربيع له نور أبيض. البرد: ماء الغمام يسقط جامداً (٢) الحور: شدة سواد
 سواد العين مع شدة بياض بياضها. الجيد: العنق، غيد: نعومة (٣) شفهُ الوجد:
 أهزله الحب، الكمد: الحزن الشديد (٤) الخيف: ناحية من منى عند مكة،
 القود: القصاص. (٥) بغيتنا: مطلبنا (٦) ضلل: صار ضالاً لا يهتدي؛ احتوى:
 اشتمل، الصعدة: القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج إلى مثقف، شبه محبوبته في
 اعتدال قدها بها؛ السابري: الثوب الرقيق الجيد تطرد: تمشي مستقيمة.
 (٧) شيء أحد: أي شيء واحد. (٨) نفثت عقداً: سحرتني، والنفث النفخ،
 والعقد تكون من خيوط ينفث بها قضاة السحر.

لتمرّض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبى عليه
ذلك كعب ، وقال : لا أهجو قوماً نصرّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه
ولكنني أدلك على الأخطل ، فبعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجّاهم بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالساحية والندى واللؤم تحت عائم الأنصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

وبلغ الشعر كبار الأنصار ففضّبوا ، وشكّوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع
لسانه ، فاستجار بيزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه ، ولما ولي يزيد الخلافة قرّبه
إليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية ، وبخاصة عبد الملك ، إذ كان يستعين به
على أعدائه ، فقربه إليه وأدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن ، وأجزل له
العطايا ، وسماه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق ، وحُكم فيهما أيّهما أشعر ؟ ؟
عرض بتفضيل الفرزدق ، فهجّاه جرير ، فرد عليه الأخطل ، وكانت الشيخوخة
قد بلغت منه ، فلم يلحق جريراً ، وكان الأخطل يُقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً
ببلاده من أرض الجزيرة ، ومات في أول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيّف
على السبعين .

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين
وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمق فيه ، وامتاز بإجادة المديح
والإبداع في ممانيه ، قال يمدح بني أمية ، ويخصّش بشر بن مروان :

إن يجلّوا عنك فالأحلامُ شيمتهم والموتُ ساعةٌ يحمى منهم الغضبُ
كأنهم عند ذاك ليس بينهم وبين من حاربوا قريبي ولا نسبُ
كانوا موالٍ حقّ يطلبون به فأدر كره وما ملوا ولا لغبوا
وإن يكُ للحقّ أسبابٌ يمد بها ففي أكفهم الأرسان والسبب
همُ سوا بابن عفان الإمام وهم بعد الشمس مروها ثمّت احتلبوا

ومنها .

إذا أتيتَ أبا مروان تسأله وجدته حاضراً الجودُ والحسبُ
تري إليه رِقاقَ الناسِ سائلةً من كلِّ أوتبٍ على أبوابه عُصْبُ
يحتضرون سجالاً من فواضله والخيرُ محتضرُ الأبوابِ منتهبُ
والمطعمُ الكومَ لا ينفكُ يعقرها إذا تلاقى رواق البيت واللبُ
كان جيرانها في كلِّ منزلة قتلى مجردة الأوصالُ تستلبُ
ومن أفضل شعره قوله :

والناسُ همهمُ الحياةُ ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبالِ
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخيراً يكون كصالح الأعمالِ

(٩) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، أفخرُ ثلاثة الشعراء
الأمويين وأجزلُ المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .

وُلد سنة ١٩ هـ ونشأ بين البصرة والبادية - وأتى به أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فسأله عنه ، فقال هذا ابني يُوشك أن
يكون شاعراً مجيداً ، فقال له أقرئه القرآن ، فأقرأه وحفيظه ، ثم رَحَلَ إلى
خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأخصّ من كان يمدحه منهم
« عبد الملك بن مروان » ثم أولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقذاعه في
الهجو ، وفحشه في السباب وقذف المحصنات ، يُرمى بالفجور ، وقلة التمسك
بشعائر الدين ، ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، وكان فيه
تشيع يستره أيام اختلافه إلى بني أمية ، ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام
الخليفة « هشام » عندما رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابةً
واجلاً ، لعليّ بن الحسين ، فسأل عنه كالتجاهل لأمر ، فشق ذلك على الفرزدق ،

وأُشِدَّ قَصِيدَتَهُ الْمِيمِيَّةَ الْآتِيَةَ يُعَرِّفُ «بِعَلِي» وَيُنْكِرُ عَلَى «هشام» تَجَاهُلَهُ ،
فَحَبَسَهُ هِشَامُ ثُمَّ أَطْلَقَهُ ، وَعَاشَ الْفَرَزْدَقُ قَرِيباً مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَمَاتَ بِالْبَصْرَةِ
سَنَةَ ١١٤ هـ .

شعره : يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه
ومداخلة بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو ، وكان
يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) . ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء
العرب ، وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية ان يشتبك مع جرير في التهاجي
والتسابح حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما .

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو علي بن الحسين) :

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى السي الطاهر العلم
وليس قولك : من هذا؟ بضائره	ألعربُ تعرف من أنكرت والمعجم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والمعجم
نغضي حياءً ويهضي من مهابته	فلا يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق	من كف أروع في عرينه شم
يكاد يسكه عرفان راحته	ركن الخطيم إذا ما جاء يستلم
ينشق ثوب الدجى من نور غرته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
من معشر حبه دين وبغضهم	كفر وق بهم منجى ومعتصم
إن عدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم	أوقيل من خير أهل الأرض قبلهم

(١٠) جرير

هو أبو حمزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي ، أحد فحول

الشعراء الإسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب ثلاثتهم المفليحين ، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم ، ولد باليامة سنة ٤٢ هـ ونشأ في البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ ، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة وهو تميمي مثله ، وودّ لو يسبقه إلى ما ناله ، واغراه قومه به للتنويه بشأنهم ، فوقع بينهما المهادنة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها في البادية وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً ، فما زال به ينو يدع حتى أقدموه إلى البصرة ، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره ، وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه ، ومن وقتئذٍ عهد من مدح خلفاء بني أمية ، ومات باليامة سنة ١١٤ هـ .

وكان في جرير على هجائه للناس عفة ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع

شمره : اتفق علماء الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ، ولكل هوّى وميثل في تقديمه صاحبه ، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب ، والتصرف في أغراض شتى فضل « جريراً » ؛ ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق » ؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء واستهواه وصف الفخر واجتماع الندمان عليها حكم « للأخطل » . وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هي الغاية التي يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهنٌ أضعف خلق الله إنساناً
وإن أمدح بيت قوله :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وإن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضاباً
وإن أهجى بيت مع التصوّن عن الفُحش قوله :
فغُضّ الطرف إليك من تمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
وإن أصدق بيت قوله :

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعةٌ بحبّ العاجل
وإن أشدّ بيت تهكماً قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعاً أبشِرْ بطول سلامةٍ يا مربع
ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته ، وهي التي نديت بها
نَوَّارَ امرأة الفرزدق :

لولا الحياءُ لهاجني استعمارُ ولزرتُ قبرك والجبيب يُزارُ
ولقد نظرتُ وما تمنّع نظرةٌ في اللحد حيثُ تمكن الإحفارُ
ولسنتُ قلبي إذ علّمتني كبرة وذو التسائم من بَنِيكَ صغارُ
لا يلبثُ القُرُفَاءُ أن يتفرّقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
صلى الملائكة الذين تخيّرُوا والطيبون عليك والأبرارُ
فلقد أراك كُسيت أحسن منظرٍ ومع الجمال سَكينةٌ ووقارُ

(١١) الكميّة

هو الشاعر الخطيب الراوية أبو المستهل الكميّة بن زَيْدٍ الأسدي الكوفي ،

أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية ، ولد سنة ٥٦٠ هـ - وبشأ بالكوفة بين قومه بني أسد - إحدى قبائل العرب الفُصحاء من مَضر ، فليقنَ العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالها بِنْدَارة العلم والأخذ عن الأعراب ، وكان له جدّتان أدركتا الجاهلية تقصّان عليه أخبارها وأشعار أهلها . فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك ، وأقرّ له (حماد) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكميّ شعراً وهو صغير ، وكان لا يُذيعه ولا يتكسّب به ، ويكتفي بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصّف شعره وقوي أثره ، ولا سيما قصائده التي أعلن فيها تشيُّعه (لبني هاشم وآل عليّ) أنشد الفرزدق مُستنصِحاً له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بني هاشم :

طربت وما شوقاً إلى البيضِ أطرب	ولا لعباً مني وذو الشيبِ يلغبُ
ولم يُلمني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ	ولم يتطرّبني بناتٌ مُخَضَّبُ
ولا السانحاتُ البارحات عشيّة	أمرٌ سليم القرن أم مرٌّ أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلبُ
بني هاشم رهطِ النبي فإنني	بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
خففت لهم مني الجناح مودّة	على كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحبُ
وما لي إلا آل أحمد شيعة	وما لي إلا مذهب الحقّ مذهبُ
بأيّ كتاب أم بأية سنة	يرى حبّهم عاراً عليّ ويحسبُ

شع ه - لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيء شتت شمل الوحدة العربية . وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر بالخطير والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف إليهما من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أقوالهم في الدين - تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

ولما كان الإنسان عرضة للنسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية ، وشدة التوثق من صدق الرواة تخرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشيعية والخوارج ودسوه فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راوٍ ، أو عدة رواة ، ومن أشهر هؤلاء - هذبة بن خشرم راوية الخطيئة ، وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل ، وأبو شفق وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومرسع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذي الرمة ، وذو الرمة راوية الراعي .

وبقي الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر - فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار الراوي منهم يروي لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه .

ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقض والزيادة - ونحو ذلك .

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية^١ من ١٣٢ - ٥٦٥ هـ

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم عربيّ الصبغة وكانت جمهرة العرب 'منتشرة' في كل مكان امتدّ إليه سلطانها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس و مم الأعاجم ، فاكْتَسَحَتْ بهم دولة بني أمية ، وأسست دولةً قوية ، كان أكثر النفوذ فيها للموالي . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعبٌ ممزوج لغة وعادةً وخلقاً ، فأثر في اللغة لفظاً ومعنى وشعراً ونثراً ، كتابةً وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام ، أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعُد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ، ثم سرت إليها عدوى تقليدها المشارقة في أكثر الأمور .

(١) خلفاء بني العباس إلى سنة ٣٣٣	محمد المنتصر (٢٤٨/٢٤٧)
أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٦/١٣٢)	أبو العباس أحمد المستعين (٢٥٢/٢٤٨)
أبو جعفر المنصور (١٥٨/١٣٦)	أبو عبد الله المعتز (٢٥٥/٢٥٢)
محمد المهدي (١٦٩/١٥٨)	محمد المهدي بالله (٢٥٦/٢٥٥)
موسى الهادي (١٧٠/١٦٩)	أحمد المعتمد على الله (٢٧٩/٢٥٦)
هارون الرشيد (١٩٣/١٧٠)	أحمد المعتضد بالله (٢٨٩/٢٧٩)
محمد الأمين (١٩٨/١٩٣)	علي المكتفي بالله (٢٩٥/٢٨٩)
عبد الله المأمون (٢١٨/١٩٨)	جعفر المقتدر بالله (٣٢٠/٢٩٥)
أبو إسحق محمد المعتصم (٢٢٧/٢١٨)	أبو منصور محمد القاهر (٣٢٢/٣٢٠)
أبو جعفر هارون الواثق (٢٣٢/٢٢٧)	أبو العباس أحمد الرازي (٣٢٩/٣٢٢)
جعفر المتوكل على الله (٢٤٧/٢٣٢)	إبراهيم المتقي بالله (٣٣٣/٣١٩)

و'يمكن إرجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور؛ الأول: ما يتعلق بالأغراض التي تؤدّيها اللغة . الثاني ما يتعلق بالمعاني والأفكار الثالث: ما يتعلق بالألفاظ والأساليب .

أغراض اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبّه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تعهد فيها من قبل، بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها .
ثم تناولت هذه الأغراض في الغرب بعدئذٍ بفرق يسير، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ولم يُدَوَّن في صدر الإسلام من ذلك إلا نذر يسير وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية .

(٢) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة : وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناعات وبعد تعرُّب الأعاجم .

(٣) تأدية المقاصد التي استدعها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصر الدولة العباسية إلى أمد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك، والدفاع عنه كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة مما لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام أو عُرف وكان قليلاً ممقوتاً صاحبهُ - كوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية - وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة، ومحاسن الوجود للملاءمة بينتها لذلك، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائهما .

(٤) تأدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية، مما قلّ نظيره في صدر الإسلام .

(٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم .

المعاني والأفكار

إنّ ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغارها، أثناء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية، كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية؛ ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة، فمنها:

(١) ازديادُ شُيوع المعاني الدقيقة، والتصورات الجميلة، والأحنية البديعة.

(٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية، بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس، ولا سيما بعد عصر الترجمة، وأكثر ما كان ذلك بالشرق، ولعلها عني به أهل المغرب.

(٣) التهويلُ والغلو في التفتيح المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والساري بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس.

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان: السهولة، والحسنات البديعية، ويشمل ذلك ما يأتي

(١) انتقاءُ الألفاظ الرشيقة السهلة، وقلة الحاجة إلى الارتجال.

(٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن، والاقتباس منه والاستشهاد به.

(٣) الإكثار من ألفاظ المجاز، والتشبيه، والتمثيل، والكناية، والحسنات اللفظية.

(٤) التوسّع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء.

(٥) تفاقمُ الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء.

(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها.

(٧) التناثق في صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السجع.

(٨) التطرف إلى غاية حدّي الإطناب والإيجاز، ولكل منهما مقام.

(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم 'تقاس' بعيار المنطق لا بعيار البلاغة.

وإذا كانت اللغة إما نثراً ، وإما شعراً .
والنثر : 'محادثة' ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يتلى عليك .

النثر - المحادثة - أو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد عيّرُوا به ، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالمعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعربين من المعجم تُقِيلُ عن هذه المصاحبة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تمّ امتزاج العرب بالمعجم « عصر الدولة العباسية » تكونت بين العامة في البلاد التي تكثرت فيها جمهورُ العرب لغاتُ تخاطب علميةٌ ، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع ، وبقيت لغاتُ التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية مزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام .

وخاف الخلفاء والخاصة من هؤول تغلب العامية على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة ، فيستعلق على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طغيانه إلى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ، ولكن لم تصبح العامية لغة علم وأدب ، كما وأن ذلك لم يكن طويلاً الأمد .

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق ، والإدريسية في المغرب الأقصى ،

والأموية الثانية في الأندلس ، من الأمور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات ، ودعوة الناس إلى التشييع لزعماء الأحزاب ، كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع . ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ، ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها . فلم يمتص قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدم الوفود ، وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجال ، أو عديم جملة ، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتدريس في المساجد والمدارس ، واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء ، أشهرهم : داود بن علي ، وشبيب بن شيبة .

داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، خطيب بني العباس ، وأحد مؤسسي دولتهم . نشأ هو وإخوته - وكانوا اثنين وعشرين رجلاً - في قرية الحميمة من أعمال عمان - وكان الوليد بن عبد الملك أجلى « علي بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها - سنة ٩٥ هـ غضباً عليه .

وكان داود أحد النابغين من إخوته وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته ، وعاجله منيئته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولأه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولأه إمارة الحج في هذه السنة ، ولأه معها ولاية الحجاز واليمن واليامة ، فقتل من ظفريهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ١٣٢ هـ - وهو أول موسم ملكه بنو العباس - وخطبهم الخطبة الآتية وهي :

« شُكراً شُكراً ، إنا والله ما خرجنا لِنُحْفِرَ فيكم نهراً ، ولا لِنُبْنِي فيكم قصرأ . أَظُنُّ عدوَّ الله أنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه ؟ أنْ رُوخي له من خطامه ، حق عثرَ في فضل زمامه ، فالآن حيثُ أخذَ القوسَ باريها وعادت القوسُ إلى النزعة ، ورجع الملكُ في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجعُ لكم ونحنُ في 'فرُسِنَا' ، أَمِنَ الأسود والأحمرُ ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله ﷺ ، لكم ذمة العباس ، لا وربَّ هذه البنية - وأوماً بيده إلى الكعبة - لا نهيِّجُ منكم أحداً ، ثم ذهب إلى المدينة ، ومات بها سنة ١٣٣ هـ .

شبيب بن شيبه

هو شبيبُ بن شيبه بن عبد الله المنقري التميمي ، خطيب البصرة ، ونشأ بها ، وامتاز بنسبالة نفس وسخاء كف ، وحُسْنِ تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يَرَوْا خطيباً كشبيب بن شيبه ، فإن ابتدأ بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يَزَلْ يزدادُ منها حتى صارَ في كلِّ موقفٍ يَبْلُغُ بقليل الكلام ما لا يَبْلُغُه الخطباء المصاقعُ بكثيره ، وقد يُطوِّلُ حتى يقول فيه الراجز :

إذا غَدَتُ سَعَدْتُ على شبيبها على فَتَاهَا وعلى خطيبها
منْ مَطْلَعِ الشمسِ إلى مغيبها عَجِبْتُ مِنْ كَثَرَتِهَا وطيبها

وعرف شبيبُ أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية وليِّ عهده « المهدي » ، وبقي كذلك حتى وُلِيَ المهدي الخِلافة ، فصار من خيرة سُمَّارِهِ وجُلَسَائِهِ ، إلى أن مات في حدود سنة ١٧٠ هـ .

ومن خطبه القصصار ، ما عزَّى به المهدي يوم ماتت ابنته « البانوقة » وجزع

علمها جَزَعاً شديداً - أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً، وأعقبك صبراً ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزاع منك نعمة ، ثواب الله خير منها ، رحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده .

الكتابة - خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع في هذا العصر الخط الكوفي إلى أنواع أُرْبِتْ على خمسين نوعاً : - ومن أشهرها - المحرّر ، والمشجّر ، والمربع ، والمدور ، والمتداخل وبقي مستعملاً في المباني وسكة إلى حدود الألف . ثم نسي جملة وقد جددت منه أنواع في عصرنا ؛ أما تاريخ حطبا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط (قطبة) الحر من الخط الكوفي والحجازي خطأ هو أساس الخط الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشجري ، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسي ، وهو قلم التسوية ، وعن إبراهيم أخذ الأحول المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم المصف

هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو ٢٠ خطأ يختص كل منها بفرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مرعاً مقدار قطة القلم

وعن الأحول - أخذ مهندس الخط الأعظم ، الوزير (أبو علي محمد بن مقله) وأخوه أبو عبيد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ - وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن - وأتما العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندس الحروف ، وقدرا مقاييسها وأبعادها وضبطها (١١ - جواهر الأدب ٢)

ضبطاً محكما ، واخترعا له القواعد - وعن الوزير ابن مقفلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القساري المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب - المتوفى سنة ٤١٣ هـ - وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام - وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت المملوك المتوفى سنة ٦١٨ هـ - كاتب السلطان ملكشاه السلاجوقي - أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبأوا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي إلى الآن بنوع من التعديل - واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ؛ والفتحة الفاء ، والكسرة ياء والشدّة رأس شين ، والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلهما وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفان المشهور :

ابن مقفلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقفلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط عن الأحوال المحرّر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي إلى الشكل المعروف في زماننا وكان ابن مقفلة يتولى في أوّل أمره بعض أعمال فارس ، يجبي خراجها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٢١٦ هـ - ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة ٢١٨ هـ ، ونفاه إلى فارس - ثم وزر للراضي فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل - ثم أطعمه نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضاً - حتى مات سنة ٢٢٨ هـ - ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سُمِعتُ الحياةَ لكن توثقتُ بأيمانهم فبانتُ يميني
رُبعتُ ديني لهم بدُنْيائي حتى حرموني دُنْيائهم بعد ديني
ولقد حُطَّتْ ما استطعتُ يجهدني حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعدَ اليمين لذةُ عيش يا حيّاتي بانت يميني فبيني

الكتابة الإنشائية في الرسائل الديوانية والإخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حُكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أمية ، سالكة الطريق التي سلكها (عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمار بن حمزة ، ونظراؤهم ، من العناية بعمل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب ، لا يقصد بها إلا إفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة ، غير منظور فيها إلى زُخرف اللفظ وبخسائنه - وبقيت كذلك بل رادت حُسناً وجمالاً ومُراعاة لمقتضى الحال إلى أوئل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقصير همهم عن استيفاء أداتها لتغلب الأعاجم من الديلم والموحيين والترك السلجوقيين على سُلطان الخلفاء في الشرق ، وتغلب البربر على شمالي أفريقيا والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعينهم أمر العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة في الجملة .

الكتّاب

كان أكثر كتّاب المشرق في هذا العصر ، من سلالة فارسية أو سوادية ، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة - وأول من ارتقى منهم إليها هو أبو سلمة الخلال ، وأشهر من

بلغ نفوذُه وسلطانُه مبلغاً زاحماً فيه الخليفة ، يحيى بن خالد بن برمك، وابناه جعفر والفضل ثم محمد بن الزيات في زمن المعتصم ، والواثق) وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية ، ومن أشهر كتّاب هذا العصر في الشرق ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك، وابناه جعفر والفضل، وإسماعيل ابن صبيح ، وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلي بن الفرات ، وابن مقلّة، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع ، والصابي ، والعماد الكاتب ، والقاضي الفاضل) . ومن أشهر كتّابه في الأندلس (ابن شهيد، وأبو المطرف بن عميرة، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب) .

ابن المقفع

هو محمد بن عبدالله بن المقفع - أحد فحول البلاغة ، وني اثنين مهذا للناس طريق الترسل ورفعاً لهم معالم صناعة الإنشاء - وأولهما (عبد الحميد) .

منشؤه - نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب . فكان آبوه (داؤد وبنه) المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم في آخر عمره ، وولد له ابنه هذا سنة ١٠٦ هـ - وسمّاه (رَوْزَبَة) فنشأ بالبصرة وهي يومئذ حلقة العرب ومُنْتَدَى البلقاء والخطباء، والشعراء فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له - أعظم أثر في تربيته وتهيته لأن يصير من أكبر كتّاب العربية ، وعلمائها أودبائها والمترجمين إليها ، وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمّى (عبد الله) وتكنى بأبي محمد .

أخلاقه وبلاغته - وكان فادراً في الذكاء ، غاية في جميع علوم اللغة ، والحكمة وتاريخ الفرس مؤدباً متمكناً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .

وكان أمّياً في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة

لفظ ، ورشاقة أسلوب ، ولا توصفُ بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة ، حيث يقول (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يحسنُ مثلها) .

ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعدُ) فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضي فيهما ما يشاء لا رادَ لقضائه ، ولا مُعقب لحكمه ، فإن الله خالق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحدٌ من خلقه في خُلد الدنيا ، ووقَّت لكل شيء ميقاتَ أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مُستيقنٌ بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ وبلغني وفاة فلان ، فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي إليه مُنقلبنا ومعادنا وعليه ثواننا .

فعليك بتقوى الله والصبر وحُسن الظن بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة ، وجعلهم من المهتدين .

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب (كلیلة ودمثة) وقيل إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع - وهو قول مقبول لا بأس به - وله كتاب (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) و (الدرة اليتيمة) وقتله والي البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ لاثامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزندقة .

إبراهيم الصولي

هو أبو إسحق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حدائقه ، فبرع فيه ، وتكسب به ، ورحل إلى العمال والأمراء يدحهم ويستمتع جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه

بخراسان ، ومدحه فوهب له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفضل كاتباً لأحد قواده وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز ، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يستعطفه ، فلم يرد ذلك إلا جفاء وغلظة ، ثم أطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله تعزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبدالله مولى أمير المؤمنين .

« أما بعد » تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما ير تضييه منك ويرضاه عنك ؛ إن أفضل النعم تلقيت بحق الله فيها من الشكر ، وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدنى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثلك من قدم ما يحب الله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين - عفا الله عنه ! - قضاءه السابق والموقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه ! - وتقدير ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه مُعتاضاً وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أطعته به وقد مننت حقه أولى بك من الأمور كلها ، فإنك إن تقرب إليه في المكروه بطاعته ، يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع في علوم الحكمة والنجوم ، ونسج في الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنثور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بنعمد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم - إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها، وتَشَبَّه بالبرامكة ففتح بابَه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكان يشارِكهم في كل ما يعملون إلا الفقه ، وما زال في وزارته عَطَفُ الرِّحَال ، وكِبَرُ الأَعمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ .

ومن رسائله إلى أبي عبد الله الطبري : كتابي إليك ، وأنا بحال لو لم يُنْعَضْها الشُّوقُ إليك ، ولم يُرَنِّقْ صفوها النزوعَ نحوَك ، لَعَدَدْتُها من الأحوال الجميلة ، وَعَدَدْتُ حَظِّي منها في النِّعمِ الجميلة ، فقد جَمَعْتُ فيها بين سلامة عامة ، ونِعمة تامة ، وحَظِّيْتُ منها في جِسمي بِصلاح ، وفي سَعْيي بِنجاح ، لكن ما بَقِيَ أن يَصِفُو لي عَيشَ مع بُعدي عنك ، وَيَخْلُوَ ذَرْعِي مع خُلُوِّي منك ، وَيَسُوغَ لي مَطعم ومَشرب مع انفرادي دونك ، وكيف أَطعم في ذلك وأنتَ جُزءٌ من نَفسي ، وناظِمٌ لَشَمْلِ أُنسي ، وقد حُرِمْتُ رُؤْيَيتَكَ ، وَعَدِمْتُ مِشَاهِدَتَكَ ، وهل تَسْكُنُ نفسٌ مُتَشَعِّبَةً ذات انقسام ، وَيَنْفَعُ أُنْسُ بَيْتٍ بلا نِظام ، وقد قرأت كتابك ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ ، فامتلأتُ سُروراً بِمِلْحَظَةِ خَطِّكَ ، وتَأَمَّرْتُ تَصَرُّفَكَ في لَفْظِكَ
وما أَقَرُّ ظَهْمًا فَكَلَّ خِصَالِكَ مَقْرَظَ عِنْدِي ، وما أَمْدَحُهَا فَكَلَّ أَمْرِكَ
مَمْدُوحٌ في ضَمِيرِي وَعَقْدِي .

بقية خلفاء العباسيين

عبد الله المستكفي بالله (٣٣٤/٣٣٣)	المنصور الراشد بالله (٥٣٠/٥٢٩)
القاسم المطيع لله (٣٦٣/٣٣٤)	محمد المقتفي لأمر الله (٥٥٥/٥٣٠)
أبو بكر الطائع لله (٢٨١/٢٦٣)	يوسف المستنجد بالله (٥٦٦/٥٥٥)
أحمد القادر بالله (٤٢٢/٣٨١)	حسن المستضيء بأمر الله (٥٧٥/٥٦٦)
عبد الله القائم بأمر الله (٤٦٧/٤٢٢)	أحمد الناصر لدين الله (٦٢٢/٥٧٥)
عبد الله المقتدي بأمر الله (٤٨٧/٤٦٧)	محمد الظاهر بأمر الله (٦٢٤/٦٢٢)
أحمد المستظهر بالله (٥١٣/٤٨٧)	منصور المستنصر بالله (٦٤٠/٦٢٣)
فضل المسترشد بالله (٥٢٩/٥١٣)	عبد الله المستعصم بالله (٦٥٦/٦٤٠)

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك مؤايفة لتقديري فيك ؛ فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصري .

الصاحب بن عباد

هو كافي الكفاءة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بُويّنه وكتبهم ، وُلِدَ سنة ٣١٦ هـ بطالقان قزوین ، وتعلّم العلم والأدب من أبيه ، ثم اتّصل بابن العميد ، فلزم صحبته ، وأخذ عند الأدب ، وتولى له كتابة خاصته ، ثم تنقّلت به الأحوال في خدمة ملوك بني بُويّنه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكها السند المطلق ، والأمر النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويُعدّ ابن عباد في الكتابة ثاني ابن العميد في حليته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أهدى إلى ابن عباد مصحفاً .

أبرئ ، أدام الله السيد ، أنواع ، تطولُ به أبواع ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفة السيد ، إذ أهدى ما لا تشاكلة النعم ، ولا تعادله القيسم : كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحينه وتنزيله وهداه وسبيله ، ومعجزة رسول الله ﷺ ودليله ، طسع دون معارضة على الشفاء وختم على الحواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بتر النوان ، لائح سراج ، واضح منهاج ، منير دليل ، عميق تأويل ، يقصم كل شيطان مريد ، وينذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن لا تخص في مَطَوَّلَات الأسفار ؛ فأصف الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره

آثاره ، وعينه فراره ، وحققاً أقول إني لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميع زيادة الفرع على الفرعة ، بل زيادة الحج على العمرة

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة ، ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها ، وكان ضليعاً من كل فن من فنون العربية ، وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأقطار ، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان ، في استفادة العلم والأدب وإفادتهما ، وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء . حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور ، وطاب عيشه بها إلى أن مُني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومنازلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجهها ، فانخدل الخوارزمي انخدالاً شديداً ، وكسف باله ، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي من يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ ، محتفلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب ، وتقدم له كثير من الرسائل .

بديع الزمان الهمداني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع .

منشؤه ، نشأ بهمدان ، ودرس العربية والأدب ، ونبغ فيها ، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة ، بلفظ رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريري ، ثم شجر بينه وبين

الخوارزمي " ما كان سبباً في هبوب ريحه ، وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحُسبان أن أحداً يحترى ، على الخوارزمي .
وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء ، فجوُّل في حواضرهم ، ثم استوطن هراة ، وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم به ، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون الخزومي الأندلسي ، ولد سنة ٣٥٤ هـ ، ونشأ في مدينة قرطبة ، وتأدب على كبار أئمتها ، وقال الشعر وأجاده ، ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة ، اتّصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظي عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق ، وحامها المسلول ، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور ، فاعتقله ومكث في محبسه مدةً استشفع فيها إليه بقصائد أبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، فما ألانت له قلباً ، فأعمل الجيلة في فراره من سجنه ، وخلص إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية إذ كان أشدّ ملوك الطوائف رغبةً فيه ، وأكثرهم تمسكاً بالأدباء ، فألقى إليه مقاليد وزارته ، وأصبح صاحب أمره ونهيه ، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه ، وأغدق عليه برّه ونعمته .
ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم البيهقي اللخمي ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ ، وتعلم على أبيه وغيره ، قدِم مصرَ وهو شابٌ ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية .

وتعلم في ديوان ابن حديد قاضي الاسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستُقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكبر القضاة والكتّاب في الديوان وأخذ عنهم ، وحاسا كلهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة إطلاعه ، وغزارة مادته وسرعة بديته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبر أحسن تدبير - وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوُزرَ لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي :

أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته ، ونقبل عمله بقبول صالح وأثبته ، وأرغم أنف عدوّه بسيفه وكتبته

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ، ولما نبا به المنزل عنها وقلّ عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التي طلق الأرض ذكرها . ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها . سارياً في ليلة أمل . كلهم نهاراً فلا يسأل عن صباحها ، وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسّل بالمملوك في هذا الملتبس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائِل ضعيف ، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهب العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة ، وما حفظوه في

الصدور، ورتبوه وبوّبوه وصنفوه كتباً، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة أبي جعفر المنصور عليه، وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه، ولم يقتصر على 'معاودة العلوم الإسلامية' بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده، حتى زخرت بحور العلم، واخترعت الفنون، وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن.

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إلى روايتها، وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالباً كما في الشعر والخطب والرسائل، وبعضها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل، والتفريع والشرح والاختصار، وجمع الفروع تحت كليات عامة، فلم يكن للمؤلفين بدءاً من حذف أسانيد الروايات، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه.

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية، ولم تكن ترجمتها جيدة في (عصر المنصور) ثم صححت ترجمتها في زمن الرشيد والمأمون، ثم لما أتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم، وكانت أول أمرها بليغة مفهومة، ثم عموها على بعض الفقهاء المكفرين لهم، والمفترين الأمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والنوحيد أصعب ما يقرأ باللسان العربي.

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللغة، والبلاغة

علم الأدب - كانت 'كتبه في أول هذا العصر رسائلَ يَبْحَثُ كلُّ منها في ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ، ورسائل سهل بن هرون : في الأخلاق ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة ، وإذا تابعنا مَنْ يقول إن ابن المقفع هو الذي ابتدع كتاب (كلیلة ودمنة) ونحله الهمد والفرس ، كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر في (الأدب العربي) الخاص بموضوع واحد ، وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتاب (البيان والتبيين) ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ ، واقتفى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءاً . ثم أبو العباس محمد المبرد في الكامل ، والروضة) ، ثم أبو حنيفة الدينوري وأبو بكر محمد الصولي ، وابن قتيبة صاحب (أدب الكاتب) ، وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأبو علي الهادي صاحب (الأمالي) ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب (الأغاني) ، وغيرهم ، ومز أشهر المؤلفين في الأدب : الجاحظ ، وأحمد بن عبد ربه ، والحريري ، وهما هي ترحاتهم .

الجاحظ

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكِنَافِي البَصْرِي ولدَ حوالي سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن : ومارس كل علم عُرف في زمانه بما وُضِعَ في الإسلام ، أو نُقِلَ عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة في علم كل ما يقع عليه الحسُّ أو يخطرُ بالبال ، فهو راوية متكلمٌ فيلسوفٌ ، كاتبٌ مُصنّفٌ ، مترسلٌ شاعرٌ ، مؤرخٌ عالمٌ بالحيوان والنبات والموات ، وصَافٌ لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم - إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة ؛ والأدب المزوجُ بالفلسفة والفكاهة ؛ وكان غاية في الذكاء ، ودقة الحس ، وحسن

الفِرَاسَة، وكان سَمَحاً جَوَاداً كَثِيرَ المَوَاسَاةِ لِإِخْوَانِهِ ، وكان عَلَى دَمَامَةٍ خَلَقِهِ .
وَتَنَاقُضَ خُلُقِهِ خَفِيفَ الرُّوحِ فَكَّهُ المَجلِسَ غَايَةً فِي الظَّرْفِ وَطِيبَ الفِكَاهَةِ
وَحِلَاوَةَ الكَلَامِ - وَهُوَ عَلَى الجُمْلَةِ أَحَدُ أَفْذَاذِ العَالَمِ وَإِحْدَى حُجَجِ اللِّسَانِ
العَرَبِيِّ - وَأَقَامَ الجَاخِظُ أَكْثَرَ عُمُرِهِ بالبَصْرَةِ يَعِيشُ مَعَيشَةَ الأَدْبَاءِ والعُلَمَاءِ ،
مُحِبِّباً لَوَلَاتِهَا وَأَعْيَانِهَا ، تَحْبِبُوهَا مِنْهُمْ بِالْعَطَايَا وَالْمَنَحِ ، بِمَا يُصَنِّفُهُ لَهُمْ مِنَ
الْكَتَبِ الْمُتَّفِقَةِ مَعَ أَهْوَائِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ - وَكَانَ كَثِيرَ الْإِنْتِجَاعِ لِلْخُلَفَاءِ (بِبَغْدَادَ -
وَمُسْرَ مَنْ رَأَى) حَتَّى فُلِجَ بالبَصْرَةِ وَبَقِيَ مَفْلُوجاً مَدَّةً إِلَى أَنْ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ
فَمَاتَ بِهَا وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الحِيزَرَانِ (أُمُّ الرَشِيدِ) سَنَةَ ٣٥٥ هـ ، وَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتِي
كِتَابَ .

أحمد بن عبد ربه

هُوَ أَدِيبُ الأَنْدَلُسِ وشَاعِرُهَا أَبُو عَمْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ القُرْطُبِيُّ
وُلِدَ سَنَةَ ٢٤٦ هـ وَنَشَأَ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةٍ ، وَدَرَسَ عِلْمَ العَرَبِيَّةِ فَنَبَغَ فِي جَمِيعِهَا
وَحَفِظَ مِنْهَا مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ ، وَقَرَأَ رِسَالَتَ المَحْدَثِينَ مِنَ المِشَارِقَةِ ،
وَمَا تَرَجَمَ مِنْ كِتَابِ الأَوَائِلِ فِي أَكْثَرِ العِلْمِ ، وَأَوْدَعَ زُبْدَهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ
(العَقْدُ الْفَرِيدُ) . وَكَانَ يَشْتَغِلُ فِي حَدَائِثِهِ بِالشَّعْرِ ، وَيَجْرِي فِي مَضَامِيرِ اللُّهُوِ
وَالطَّرَبِ ، وَنَظَّمَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَصَائِدِ وَالْمَقْطَعَاتِ الرَّقِيقَةِ الْجَمِيلَةِ مَا جَعَلَ الْمُتَنَبِّئِي
عَلَى صُلْفِهِ وَكِبَرِهِ حِينَ سَمِعَ شِعْرَهُ بِسَمِيهِ (مَلِيحُ الأَنْدَلُسِ) ثُمَّ أَقْلَعَ فِي كِبَرِهِ
عَنْ صَبُوتِهِ ، وَأَخْلَصَ لِلَّهِ فِي تَوْبَتِهِ . فَاعْتَدَّ أَشْعَارَهُ الَّتِي قَالَهَا فِي الْغَزَلِ وَاللَّهُوِ
عَمَلًا بِاطْلًا . وَتَعَمَّلَ عَلَى أَعَارِضِهَا وَقَوَافِيهِهَا قَصَائِدَ فِي الزُّهْدِ يُعَارِضُهَا بِهَا ،
وَسَمَّاها (الْمَحْصَّاتُ) وَنَالَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالأَنْدَلُسِ قَبُولًا ، وَحَلَّ عِنْدَهُمْ
فِي الْمَكَانِ الْأَسْمَى - وَبَقِيَ بِقُرْطُبَةٍ رَئِيسًا مُسَوِّدًا - حَتَّى فُلِجَ ، وَعَاشَ بَعْدَ
ذَلِكَ عِدَّةَ سَنِينَ - ثُمَّ مَاتَ بِهَا سَنَةَ ٣٢٨ هـ .

الحريري

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَانَ الحَرِيرِيُّ البَصْرِيُّ ، المَوْلُودُ سَنَةَ ٤٤٦ هـ .

الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة التي نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمذاني وأنشأ خمسين مقامة، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الادب وأمثال العرب وحكمها، بعبارة مُسجّعة مُزينة بأنواع البديع، ولا سيما الجناس، ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها، وتفكيهاً لهم بمطالعتها، ونحل وقائعها أبا زيد السروجي (وهو أعيان أبي فصيح من سروج، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماءها، وسمى راويها عنه (الحارث بن همام) - يريد نفسه - وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسي، وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعا وكتب في النحو واللغة؛ منها كتابه (دُرّة الفَوَاصِص في أوْهام الخواص) و (ملحمة الإعراب في النحو) وتوفي بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ .

فن التأريخ

أول ما وُضع في التأريخ باللغة العربية بنية الكتاب الذي وضعه عُبَيْدُ بن شَرِيّة لمعاوية، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التأريخ بأقسامها التي من أشهرها :

- ١ (فن التيسر والمغازي ؛ وأشهر من ألف فيه من الاوائل : محمد بن إسحاق .
 - ٢ (فن الفتوح ؛ وأشهر من ألف فيه منهم . الواقدي ، والمدائني ، وأبو مخنف
 - ٣ (فن طبقات الرجال ؛ وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي ، والبخاري
 - ٤ (فن النسب ؛ وأشهر قدماء علمائه : الكلبي ، وابنه
 - ٥ (فن أخبار العرب وأيامها ؛ وأشهر علمائه : أبو عُبَيْدَة ، والأصمعي .
 - ٦ (قصص الأنبياء ؛ وكتب فيه كثيرون .
 - ٧ (تاريخ الملوك ؛ ومن أقدم مَنْ كتب فيه : ابن قُتَيْبَة الهيثم بن عديّ ، وابن واضح اليعقوبي ، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جَرِير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة . تبعاً على حسب السنين الهجرية .
- وحاكمه بعده ابن الأثير في تاريخه (الكامل) .

المعروض والقافية

أول من اخترع علم المعروض « الخليل بن أحمد » من غير سابقة تعلم على أستاذ أو تدرّج في وضعه ، بل ابتدعه ، وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر مجزأ ، وزاد عليه تلميذه الأخفش مجزأ آخر ، ثم لم يزد عليها أحداً يُعتمد به .

أما القافية ، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ، ولكن الخليل هو أول من فصل الكلام فيها ، وجعلها علماً مدوناً .

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يُدرّس في المعاهد ، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به ، كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف .

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمرو بن العلاء وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل « سيبويه » الواضع لأول كتاب جامع في النحو ، ثم بعده « الأخفش » شارح كتابه .
ومن الكوفيين : معاذ الهراء ، والرؤاسي ، وتلميذهما الكسائي ، وتلميذه الفراء .

علم اللغة

ويسمى « متن اللغة » ونعني به معرفة معاني ألفاظها المفردة ، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتباً صغيرة في موه وعات خاصة ، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مُقدّمًا حروف الحلق ، ومُبتدئًا منها بالعير ، ولذلك سمى مُعجمه كتاب العين ثم ألف أبو بكر بن دُرَيْد مُعجمه العظيم الذي سُمّاه (الجمهرة) مرتباً على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن . وأدرك عصر الازدهاري فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب

الخليل، ثم وضع الجوهري كتابه المسمى (بالصحيح) على ترتيب الجوهري وابن سيدة الأندلسي كتابه (المحكم) على ترتيب الخليل، وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط) وهذه هي أصول كتب اللغة وما يبعدها من (العياب، والتكملة، ومجمع البحرين) للصغاني، و(النساية) لابن الأثير، و(لسان العرب) لابن مكرم و(المصباح) للفيومي، و(القاموس للفيروزآبادي). فهو جمع لها أو اختصار منها.

علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع

أول كتاب 'درن' في علم البيان كتاب (بجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء. ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في (إعجاز القرآن) وغيره. وأول من دونت كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدّامة بن جعفر، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملاً، وبقيت هذه العلوم تتكامل، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة)، وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم).

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفرّاهيدي الأزدي البصري، مخترع العروض ومبتكر المعجمات، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن. ولد سنة مائة هجرية بالبصرة، ونشأ بها، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه، وأكثر الخروج إلى البوادي، وسمع الأعراب الفصحاء، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه، ولقن ذلك تلميذه سيبويه ومما يشهد له بحدة الفكر وبعمد النظر، اختراعه العروض علماً كاملاً، لم يحتج إلى تهذيب بعده، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب (١٢ - جواهر الأدب ٢)

«المين» وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهو، وزاد في الشطرنج قطعة سماها «جبلا» لعب بها الناس زمناً، وبقي الخليل مقيماً بالبصرة طول حياته، زاهداً متعففاً مكثاً على العلم والتعليم - حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه.

سيبويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر - إمام البصريين، وحجة النحويين. ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه. فعميت عليه لجنة لحنها في مجلس شيخه، فحجل وطلب النحو ولازم الخليل، وأخذ عن غيره أيضاً، وكان الخليل يؤثره على أصحابه، فدوّن جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله - ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه، وشرحه تلميذه الأخفش، ما كان لسيبويه خبرٌ يشهر لوفاته كهلاً، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب، ولأنه لا يعرف له كتاب غيره، وبحسبك هو، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ هـ - وسنه نيف وأربعون سنة.

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة - أحد القراء السبعة، وإمام الكوفيين في النحو واللغة - نشأ بالكوفة، وتعلم على الكبر بعد لجنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم، فلأزم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلفته، وأعجبه علمه، فقال له: من أين علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج إليها، وأنفد خمس عشرة قينة حبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ عنهم، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده، وضمه إلى حساشية ابنه الرشيد، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين، وكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام

الأعظم أبي حنيفة على كرسيين 'مميزين' بحضرته ، وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الريّ ومما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاها ، وقال: دفنت الفقه والعربية بالرّبيّ - وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد - وكان يرّوي الشعر ، وليس فيه جيدٌ نظر

العلوم الشرعية

التفسير - لم يُدَوَّنْ في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية . وكان التفسير عبارةً عن نقل روايات عن النبي ﷺ وأصحابه تُبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن راهوية ، ومقاتل بن سليمان ، والفراء .

كتب الحديث

أول كتاب جمع في الحديث الكتاب الذي أمر الخليفة الأموي « عمر بن عبد العزيز » بتدوينه ولم يُعرف له خبرٌ بعد ، ثم أخذ العلماء يدونون فيه بحض الخليفة أبي جعفر وأولاده ، فدون الإمام مالك « موطأه » . ولما اشتدت رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث ، فتجرّد لها الأئمة الأعلام ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كإسحاق ابن راهوية وتلميذه محمد بن إسماعيل البخاري الذي دوّن كتابه في الأحاديث الصحاح فقط ، وتبعه تلميذه مسلم بن الحجاج ، والإمام أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستة الصحاح ؛ وهم : الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبخاري ، ومسلم .

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث .

الامام البخاري

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، إمام المحدثين . وصاحب « الجامع الصحيح » أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز . ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ . ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبيّ وحُبِّبَ إليه سماعُ الحديث ، فكان أولُ سماعه من علماء بخارى وهو لم يناهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجلها أكثر ممالك المشرق ، وأخذ عنه علمها وأئمتها ، ومنهم أحمد بن حنبل ؛ وتفقه مبدئياً على مذهب الشافعي . واستخرج كتابه « الجامع الصحيح » من ستمائة ألف حديث ، في ست عشرة سنة ، جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرّر بعضها بتكرّر وجوها ؛ وقال : إني جعلته حُجَّةً بيني وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه ، ومات سنة ٢٥٦ هـ .

علم الفقه

لما كان المرويّ عن رسول الله ﷺ وظاهر نصّ القرآن لا يَسْتَوِي عِبَاتُ كُلِّ أَحْكَامِ الْوَقَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ بِتَجَدُّدِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، كان الاجتهادُ ضروريّاً في الدين ؛ وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجعون جانب الأخذ بالحديث لكثرة رواة بينهم ، وإمامهم في مذهبهم « مالك بن أنس » وأهل العراق يرجعون الأخذ بالقياس ، وإمامهم في مذهبهم « أبو حنيفة » لكثرة ما وضعه متزندقه العراق في الحديث . ثم لما دخل أهل الحجاز العراق ، وتساووا الفريقان في معرفة الحديث عملوا بها . ونشأ من ذلك عدّة مذاهب أشهرها (مذهب أبي حنيفة ، ومذهب مالك ، ومذهب الشافعي ، ومذهب أحمد بن حنبل) وهذه المذاهب الأربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة يجتهدون فيه .

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق. وُلد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية، ونشأ بالكوفة، وعاصر بعض الصحابة، وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة ونقل عنهم واستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صحّ عنده من الحديث مع استعمال الرأي والقياس، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم، وأكثرهم ورعاً وتوخيّاً للكسب من وجه حلّ، رضي أن يعيش تاجر خزّ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية، ثم المنصور فأبى، فسجنه وآذاه، حتى قيل إنه مات في سجنه، وكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه أن تزلّ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد، تخرّج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن، وأبي يوسف، وزُفّر. ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ.

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وسيد فقهاء الحجاز، وهو عربي من سلالة أقيال حمير. وُلد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعبّاد، ورحل إليهم وأخذ عنهم، وما زال يدأب في التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله في أرضه، وضرب به المثل، فقيل: «لا يفتي ومالك بالمدينة» وعرف الخلفاء قدّره فأجلوه، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليسمع «موطأه» فسمعه وأغدق عليه.

وكان مالك أول أمره فقيراً، فلما كثرت منج الخلفاء له حسن حاله، فأظهر نعمة الله عليه، ووصل أهل العلم وأشرّكهم في ماله، ومنهم «الشافعي» وأما أخلافه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى أنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالمدينة - ودُفن بالبقيع

الإمام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قریش . وفخرها ، وإمامُ الشريعة وحبرُها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ ، وحلَّ إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قریش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في طلبها ولم يُناهِز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفق وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السن إلى مالك . وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن كان أحدٌ يفلح فهذا الغلام ، وأصافه وأخدمه بنفسه ، ثم رجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحَّح عليه الأصمعي شعرَ الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ ، فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وفي سنة ١٩٩ هـ ، أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن القسطة فكانت دارَ هجرته ، وبها أُمي مذهبه بجامع عمرو ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابرُ المحتسبُ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني . ولد ببغداد من سلالة عربية . سنة ١٦٤ هـ ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفظَ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار منها ثبوتاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأي ، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن) فامتحن بها في

مجلس المعتصم ليحييهم إلى القول بخلق القرآن ، فلم يفعل ، فضرب حتى أغشى عليه ، وبقي مدة مريضاً ، ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد - حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظواهر الكتاب والسنة ، وما رقع فيها من المتشابه ، أو أوهم التشبيه المنافي للتنزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحيد بهم فهمهم في التأويل عن القصد غير أن ذلك لم يقنع من دخل في الإسلام فكثرت جدالهم ، واضطر العلماء أن يعارضوهم ، وساعدهم الخلفاء ، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام «التوحيد» فافترق الرضوي عن مذهبه من علماء الكلام فرقتين ، فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسموا الجماعة) أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفوها في بعض المسائل وسموا المعتزلة) أو أصحاب العدل ، وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فالف مذهب الكلامي الذي سمي بعد مذهب الأشاعرة ، وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة ، وبقي كثير منها إلى الآن ، ومذاهب الخوارج وبقي منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة ، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وبلاد البحرين .

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وتبعه في الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث أخيراً فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء

ومن المعتزلة غالٍ في نظره ، فسَـتَـوسَـطَ ، وتغَيَّبَ عن الناس مدة ألف فيها كتبَه في 'نصرة أهل السنة' ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعيّ المذهب .
'توفي سنة ٣٢٤ - ومن نَصَر مذهبَه الفخر الرازي ، وقاربه في مذهبِه القاضي أبو منصور الماتريدي .

الامام الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطُّوسِي الشافعي ، حُجَّةُ الإسلام ، ولدَ سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بـطُوس وتعلَّم بها مبادئ العلوم ، ثم رَجَلَ إلى نيسابور ، ولازَمَ إمام الحرَّمين الجويني ، وهو يؤمِّنُ عالم الشافعية في الشرق ، فما زال يَتَلَقَّى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتَكَلِّمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية ، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقيَ الوزيرَ نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سـ و ات - ثم حجَّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائِها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدِّمتها كتاب 'إحياء علوم الدين' ، ثم ألزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيث مَضَى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر ، ثم مات بالطَّائِران قسبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .

نشأة العلوم الكونية المنقولة

وترجمتها وأشهر مترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطقي ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء ، وفن المواليد الثلاثة ، والطب والصيدلة والفِلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن 'متعلقاته علم الجغرافيا والرياضة ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيات علم ما وراء الطبيعة من الرؤى وحانئيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ، ونحو ذلك .

وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه 'متفكر' متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ، ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم المنصور العباسي ، كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطب والفلك والسياسة .

ولما مات المنصور فتر أمر الترجمة إلى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور .

ثم جاء عصر ' المأمون ' ، فزخرت بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج بن مطر وحسين ابن إسحاق ، فاختروا كتباً أحملوها إلى بغداد و'ترجمت' ، وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها ، واستدركوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها ، وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من 'كاد يلحق' فلاسفة اليونان ، ومن هؤلاء 'فيلسوف' الإسلام والعرب 'أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن الصبّاح الكندي' ، وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي ، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحن أشهر رياضيي هذا العصر ، وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومُذيع الحساب المهندي بين العرب ، ثم ذهب طور الترجمة والتصحيح وتلاه طور التأليف والتكميل والاختراع فأنتج فيه بالحبب العُجاب

أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الحكيم الكبير مخترع آلة الطب الرب المسماة بالقانون؛ والتي استنبط الأفرنج بمحاكاتها آلة انعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأبو بكر بن محمدزكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ١٦٤ هـ ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم ، فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعنَ أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهرُ مَنْ نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رشد ، وأبو القاسم الزهراوي ، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل أوروبا كثيراً من أصول مدينتهم الحاضرة .

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقواد سوقاً نافعة ، حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية ، وهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائله تفتن الناس وأدخلوا عليه فنوناً لم تعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبد به ، وتشكل أسلوبه ، وتذوّعت معانيه بما يطابق أغراض استعماله .

ولم يقتصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ، ومن سلاسل العرب بالأمصار أخرى ، غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار ، وأبي نواس ، ومسلم وأبي العتاهية ، وابن الرومي .

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، والمتنبي

وأبو فراس وأبو العلاء المعري ، وابن هانئ الأندلسي ، والشريف الرضي .

(١) بشار بن برد

هو أبو معاذ بشار المرعشي بن برد ، أشعر نخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين وممهد طريق الاختراع والبديع للمتفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة ، فنشأ بشار فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاريين بالبصرة ، حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخيم الجثة ، متوقد الذكاء لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، ولا يالف ولا يؤلف .

شعره : قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المحون والخلاعة والغزل والهتاء ، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عُدَّ شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يعبر عليه الشعر من مراحب البدأة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعين	برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة	فإن الخوافي قوة للقد وادم
وما خير كف أمسك الفيل أختها	وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوى نسي للضعيف ولا تكن	تؤوماً فإن الخير ليس بنائم

وقوله :

ظل اليسار على العباس ممدود	وقلبه أبداً بالبخل مسقود
إن الكريم ليخفي عنك أسرته	حتى تراه غيباً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عسل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهن أن تعطى القليل ولم	تقدير على سعة لم يظهر الجود

بُثَّ النَوَالُ وَلَا تَمْنَعَنَّكَ قَلْبُهُ فِكْلٌ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ
وقال :

إذا كنت في كل الأمور مُعَاتِبًا صديقك لم تلقِ الذي لا تُعَانِبُهُ
فَعَشْ واحداً أوِ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَوُجَانِبُهُ
إذا أنت لم تشرب مراراً على القَنْدِيِّ ظُمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ
وقال :

خَلِيلِي إِنْ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْبُلْ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ كَحْلَةٌ تَسِيمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ مَضِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْحَامِدِ سُوقُ
وَمَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مَتَعَفِّفٍ وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

(٢) أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هانئ ، الشاعر المتفنن ، والجواد الماजन ، صاحب
الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشرار ؛ وهو فارسي
الأصل ، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ونشأ يتيمًا ، فقدمت به
أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فتعلم العربية ورغب في الأدب ، فلم تنعأ أمه
بجالة وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن مُعَانَاة الشعر ، إلى أن
صادفه عند العطار (والبة بن الحباب) الشاعر الماजन الكوفي ، في إحدى
قدَمَاتِهِ إلى البصرة ، فأعجب كل منها بالآخر ، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة
فبقي معه ومع نَدَمَائِهِ من خلعاتها ، وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعًا ،
وقدِمَ ببغداد فبلغ خبره (الرشيد) فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة ، ثم
انقطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره
فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو
نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضر البدية ، متينًا في
اللغة والشعر والأدب .

شعره: أجمع أكثر علماء الشعر ونقّده وفحول الشعراء على أن (أبا نواس) أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً وأبدعهم خيالاً ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأنه شاعر مطبوعٌ برّز في كل فن من فنون الشعر ، وامتناز بقصائده الخفريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيه إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره لقاح الفساد ، والقدوه السيئة لمفسله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر وإبداعه في وصف الخمر، فكان نموذج سوء لمن تأخر، ومن ذلك قوله :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ
صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها لو مستها حَجَرٌ مَسَتْهُ سَرَّاءُ
رَقَّتْ عَنْ الْمَاءِ حَقِي مَا يَلَاثِمُهَا لطافاً ، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزَجْتَ بِهَا نوراً لما رَجَّحَها حتى تولد أنوارٌ وأضواءُ

ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يا ربُّ إِن عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثْرَةً فلقد علمتُ بأن عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِن كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فلماذا رَدَدْتَ بِيدي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وجميعل عَفْوَكَ ثُمَّ إِنِّي مُسَلِّمٌ

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري ، أحد الشعراء المفلّحين ، قال الشعر في صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفياً بما يناله من قليل الغطاء ، ثم انقطع إلى يزيد بن يزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة (هرون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ، ولما أصبح الحلّ والعقد بيد ذي الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قرّبه وأدناه وولاه أعمالاً يجرّجان ، ثم الضياع بأصبهان ، واكتسب

منها مئآت الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته ، ولما مات الفضلُ لزم منزله ونسكُ ، ولم يمدح أحداً حتى مات يجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

شعره : أول من تكلف البديع في شعره ، واستكثر منه في قوله ، ومزجَ كلام البدريين بكلام الحصريين ، فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظرفية ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبى :
نفسى فداؤك يا داودُ إذ علقتُ أيدي الردى بنواصي الضميرِ القودِ
تجودُ بالنفس إن ضمنَ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
وقوله :

دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهرُ مما كان أعطاني
ما كنت أدخِرُ الشكوى لحادثة حتى ابتلى الدهرُ أسراري فأشكاني

(٤) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد ، أطيحُ أهل زمانه شعراً ، وأكثرهم قولاً ، وأسهلهم لفظاً ، وأسرعهم بديهة وأرتجالاً ؛ وأولُ من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا ، والنهي عن الاغترار بها ، وأكثر من الحكمة .

وُلِدَ بعين التمر قرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ بالكوفة في عمل أهله وكانوا باعة جرار ، إلا أنه ربأ بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خُلعاء الكوفة ، ثم قدم بغداد ومدح المهدي ، ثم عرّضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد لعدم تلبية ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته ، وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترك الغزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون ، حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد .

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره ، ومن قوله يمدح المهدي

أنته الخلافة . «نقادة» إليه 'تجّرر' أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تقطعه بنات القلو بـلما قبيل الله أفعالها
وإن الخليفة من بغض لا إليه ليُبغض من قالها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

ألا إننا كننا بائدٌ وأي بني آدم خالدٌ
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌ إلى ربّه عائدٌ
فيا عجباً كيف يُعْضِي الإلهُ أم كيف يَجِدُهُ الجاحدُ
ولله في كل تحريكَةٍ وفي كل تسكينة شاهدٌ
وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدٌ

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكورهم الرُّكبان ، وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البُحْثري ، وثالثهم المتنبي .

ولد من سلالة عربية سنة ١٩٠ هـ بقرية جاسم من أعمال دمشق ، ونُقِلَ صغيراً
إلى مصر ، فلشأ بها فقيراً ، وكان يسقي الماء بالجرّة في جامع عمرو ، وتعلم العربية
وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونسخ في قوله ، ثم خرج إلى مقر الخلافة
فمدح المعتصم وحظي عنده ، ومدح وزيره محمد بن الزيات ، والحسن بن وهب ،
الذي ولاّه بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ .

شعره : يمدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت إليه معاني
المتقدمين والمتأخرين ، وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها

من اليونان والفرس والهند، فحصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها، وهو الذي مهد طريق الحكم والأمثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما، ولذلك كان يقال: إنَّ أبا تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر هو البحتري

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر، أما مراثيه فلم يعلّق بها أحدٌ جاش صدره بشعر، وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حميد الطائي، ومنها:

كذا فليجِلْ الخطبُ وإنْ يَفدَحَ الأمرُ	فليسَ لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عذُرُ
تَوْفَيْتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ	وأصبح في شُغلٍ عنِ السفرِ السفرُ
وما كان إلا مالَ مَنْ قَلَّ ماله	وذخراً لمن أُمسى وليس له ذخِرُ
وما كان يدري 'مَجْتَدِي جُودَ كفه	إذا ما استهلّت أنه خُلِقَ الأسرُ
ألا في سبيلِ اللهِ مَنْ عَطَلَتْ له	فِجَاجِ سبيلِ اللهِ وانثَغَرَ الثَغَرُ
ففي كلِّما فاضَتْ عيُونُ قَبِيلَةٍ	دماً ضحكت عنه الأحاديثُ والذِكرُ
ففي دهره شطران فيما ينوبُه	ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شَطَرُ
ففي مات بين الطعن والضرب ميمّة	تقوم مقام النصرِ إن فاته النصرُ
وماماتٍ حتى ماتَ مَضْرِبُ سيفِهِ	من الضربِ واعتلت عليه القَتْنَا السُّمَرُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فرَدّه	إليه الحِفاظُ المرُ والخُلُقُ الوَعَرُ
ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما	هو الكفرُ يومَ الرّوعِ أو دونَه الكفرُ
فأثبت في مُستَنقَعِ الموتِ رِجْلَه	وقال لها من تحت أخنصِكَ الحشرُ
غداً غُدُوّةٌ والحمدُ نسجُ رِداثه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
تردّى ثيابَ الموتِ حمراً فما دجا	لها الليلُ إلا وهي من سُندُسٍ خضرُ

(٦) البحتري

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي - أشهر الشعراء بعد أبي نواس

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية مَنبِيج في قبائل طيء، وغيرها من البدو الضَّارِبين في شواطئ الغرات - ونشأ بينهم فغلبيت عليه فصاحة العرب، ولازم وهو فقَّ أبا تَمَّام وعليه تخرج ثمَّ خرَّج إلى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح ابن خاقان (محترماً عندهما إلى أن قتل في مجلس كان هو حاضره، فرجع إلى مَنبِيج بين أعراب طيء، وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد، وسُرَّ من رأى، حتى مات سنة ٢٨٤ هـ.

وكان على فضله وفصاحته من أنجل خلق الله وأقذرم ثوباً، وأكثرهم فخراً بشعره - حتى كان يقول إذا أعجبته شعره (أحسنتُ والله !) ويقول للمستمعين مالكم لا تقولون أحسنت . والكثير على أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه .

شعره - كله بديع المعنى، حسن الدِّباجة، صقيل اللفظ سلس الأسلوب كأنه سبلٌ ينحدر إلى الأسماع مجوِّداً في كل غرض سوى الهجاء - ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تَمَّام والمتنبي والمعري حُكَّاء، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنَّى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صمئت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضيفة ففطر
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه	يوم أغر من الزمان مشهر
أظهرت عزَّ الملوك فيه يحفل	لجب يحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عُدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي	والبيض تلعب والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها	والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس طالعة توفد في الضحى
حق طلعت بضوء وجهك فأنجلت
فافتن فيك الناظرون فاصبغ
يحدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا
حتى انتهت إلى المصلى لابساً
ومشيت مشية خاشع متواضع
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما
أبدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في بُرد النبي مُذكراً

طوراً ويُطفئها العجاج الأكدراً
تلك الدجى والنجاب ذاك العشير
يوماً إليك بها وعين تنظر
من أنعم الله التي لا تكفر
لما طلعت من الصفوف وكبروا
نور الهدى يبدو عليك ويظهر
لله لا يزهي ولا يتكبر
في وسعه لسعى إليك المنسبر
تنبي عن الحق المبين وتخبر
بالله تنذير قارة وتبشّر

(٧) ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مؤلف بني العباس ، الشاعر
المكثر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني الخترعة
والأهاجي المقذعة

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها ، وأقام كل حياته بها وكان كثير التطير
جداً وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وقلبات لسانه ، فسلط
عليه من دس له السم في الدسم إلى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد .

شعره - قال الشعر في كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونسبغ في الشعر
نبوغاً لم يقصر به كثير آ عن درجة البحثري ، وربما فاقه في اختراع المعاني
النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها في أحسن قالب .
ومن جيد قوله :

وإذا أمرؤ مدح أمراً لنواله وأطال فيه فقد أطال مجاءه
لو لم يُقدّر فيه بُعد المستقى عند الورود لما أطال رِشاءه

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر بني هاشم وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات .

وُلد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وثلعب ومهرّ في كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتّابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشية أن يكفّ أيديهم عن الاستبداد بالملك ، ولوا المقتدر صبيّاً ، ثم حدثت فتن عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة ، فلما رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تأمروا على قتله ، وخسّ من ليلته سنة ٢٩٦ هـ وشعره - سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع - يعرف فيه نضرة النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة ، ونشأ بها ، وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدّة ينشد من شعره ويأخذ عنهم اللغة فمظّم شأنه بينهم ، حتى وثى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبيل الأخشيديّة بأن أبا الطيب ادّعى النبوة في بني كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة ابن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبدا الدهر .

ثم قصد كافورا الأخشيدي أمير مصر ومدحه ، ووعدته كافور أن يقلده إمارة أو ولاية - ولكنه لما رأى تغاليه في شعره وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم - فعاتبه أبو الطيب واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ هـ - وخرج منها يريد الكوفة - ومنها قصد عضد الدولة ابن بويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلاته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعاً ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل المتنبي وابنه وغلماه سنة ٣٥٤ هـ .

شعره - لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوه أو دانه ، والمعري على بعد غَوْره ، وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إدرايتُ نِيوبَ الليثِ بارزةً	فلا تَظنَّن أن الليثَ يَبتَسِمُ
أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً	أن تحسبَ الشحمَ فيمَن شحمه ورَمَ
أنا الذي نظرتُ الأعْمى إلى أدبي	وأسمعتُ كلماتي من به صَمَمُ
وما انتِفَاعُ أخِي الدُّنيا بناظره	إذا استوت غندةُ الأنوارِ والظلم
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم	وجئنا كلُّ شيءٍ بعدكم عدمُ
إن كان سرُّكم ما قال حاسدُنَا	فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألمُ

وبيننا لو رَعَيْتُمْ ذاك معرفة إن المعارف في أهل النشء ذِمَمُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرمُ
إذا ترحلت عن قوم وقد قسَدَروا ألا تُفارقهم فالرحلون همُ
وقوله :

ذو العقول يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
لا يحد عنك من عدوٍ دمعُه وارحم شبابك من عدوٍ ترحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدمُ
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عِفَّةٍ فليعلِّم لا يظلمُ
ومن البليَّة عدل من لا يرعوي عن غيِّه وخطاب من لا يفهمُ
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلمُ
وقوله :

ما كنت أحسب قبل دَفْنِكَ في الثرى أن الكواكب في التراب تمورُ
ما كنت آمل قبل نعشِكَ أن أرى رضوى على أيدي الرجال يسيرُ
خرَجوا به والكلُّ بالكِ حوله صعقات موسى يومَ ذلك الطورُ
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه في 'كل' قَلْبٍ مُوجِدٍ محفورُ
كفل الثناء له برَدَ حَيَاتِهِ لما انطوى فكأنَّه منشورُ

(١٠) ابن هانيء الأندلسي

هو القاسم محمد بن هانيء الأزدي الأندلسي ، شاعرُ الغرب ومتنبِّيه .
وُلِدَ بِأشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر
الأموي ، ومدحه بغير القصائد ، فأحله منزلة سنية ، وأغدق عليه العطايا ،
فأكب على اللّهُو والطرب والاستمثار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله
بالفلسفة .

ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أهل إشبيلية ، وأثروا عاملها في التهمة ،

وكادوا يهيمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب ، ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمي ، ثم نفي خبره إلى المعز فوجه في طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذ شاعر دولته .
ولما فتح جوهر مصر ، وبني القاهرة ، ورحل إليها المنصور ليتخذها دار ملكه شيعه ابن هانيء ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ، ولما وصل إلى برقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق « ابن هانيء » في صناعة الشعر أو يساويه ، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشرقة ، ومن قوله في وصف الخيل :

وَصَوَاهِلُ لَا هَتَضُبُ يَوْمَ مُغَارِهَا هَضُبٌ وَلَا الْبَيْدُ الْخُزُونُ حَزُونُ
عُرِفَتْ بِسَاعَةِ سَبْقِهَا لَا أَنَهَا عَلِقَتْ بِهَا يَوْمَ الرِّهَانِ عُيُونُ
وَأَجَلُ عِلْمِ الْبَرَقِ فِيهَا أَنَهَا مَرَّتْ بِجَانِحَتَيْهِ وَهِيَ ظَنُونُ
ومن قوله الموهوم الكُفْر في مطلع قصيدة يدح بها المعز :

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

(١١) أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري التتّ وحي ، الشاعر الفيلسوف ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجدر في الثالثة من عمره فكف بصره وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منزله ، ونسك وسمى نفسه رهن الحبسين : (محبس العمى ، ومحبس المنزل) وبقي فيه مكربا على التدريس والتأليف ، ونسظم الشعر مقتنعا بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار له 'مجتبيا' أكل الحيوان وما

يخرجُ منه مدة ٤٥ سنة مُكتفياً بالنبات والفاكهة والدّبس ، مُتعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعاش عَزَباً . وعُمِّرَ إلى أن مات سنة ٤٤٩ من الهجرة بالمعرة وأوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جَنَاهُ أَبِي عَلِيٍّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقضُ بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوالٌ كثيرة ، والظاهر أنه كان شاككاً متحيّراً ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويُفضل عليه في الغريب والأخيلة الدقيقة والطبيعات والاجتماعيات والأخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضلهُ الإفرنج عليه ، وهو في هذه الأمور معدوم النظر ، ومن مراثيه الجيدة قوله :

غَيْرُ مُجْنِدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَسَوْتُ بِالْكَرِّ وَلَا تَرَنَّمُ شَادٍ
وَشَبِيهُهُ صَوْتُ النَّعْمِ إِذَا قَبَسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكَّتْ تِلْكَ الْهَامَةُ أُمُ غَسَّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ
صَاحَ هَذَا قَبُورُنَا تَمَلُّ الرَّحْبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفَّفَ الْوَطْءَ مَا أَظَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمُ الْقَهْنِدُ هَوَانَ الْآبَاءِ وَالْأَجْنَادِ
سِرٌّ إِنْ اسْطَعْنَتْ فِي الْهَوَاءِ رَوِيداً لَا اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدُأُ مَرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفْنٍ عَلَى بَقَايَا دَفْنٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَيْنِ عَمَّنْ أَحَاتَا مِنْ قَبِيلِ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَثَارَا لِمَدْلِجٍ فِي سَوَادِ
تَعَبٍ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مَنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنْ حُزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خَلَقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادٍ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْنَدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْجَسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلَ الشَّهَادِ
وَمِنْهَا :

بِأَنَّ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي دَعَا إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ
فَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَفْتَرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ
وَلَهُ :

ضَحَكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِثْلَ سَفَاهَةٍ وَحَقٌّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
'تَحْتَطُّمُنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَانُنَا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

(١٢) ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة (شاعر شرقي الأندلس)
وأشهرُ وصاف الطبيعة . وُلِدَ بِجَزِيرَةِ شُقُرٍ مِنْ أَعْمَالِ بِلَنْسِيَةِ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ
سَنَةَ ١٥٠ هـ ، فَعَلِمَ وَنَظَّمَ الشَّعْرَ ، وَكَتَبَ الرِّسَالَةَ الْإِخْوَانِيَّةَ الْبَلِيغَةَ ، وَمَا
زَالَتْ شَمْسُ أَدَبِهِ فِي صَعُودٍ حَتَّى صَارَ وَاحِدَ زَمَانِهِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، وَغَلَبَ عَلَى
شَعْرِهِ وَصْفُ الْحَوَادِثِ الْجَوِيَّةِ ، وَمَنَاظِرِ الطَّبِيعَةِ بِأَخِيلَةٍ جَمِيلَةٍ وَتَشْبِيهَاتٍ بَدِيعَةٍ .
وَلَهُ غَزَلٌ رَقِيقٌ ، وَمَدْحٌ بَارِعٌ ، وَرِثَاءٌ بَلِيغٌ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ ، حتى يحتاج في
فهمها إلى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين . وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

وَمَائِسَةٌ زَرَّهَى وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا عَلَيْهَا حُلَى حُمْرًا وَأَدِيَّةً خَضْرَا
يَذُوبُ لَهَا رَيْقُ الْغَمَائِمِ فِضَّةً وَيَحْمَدُ فِي أَعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرَا
وقوله :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِلَّهِ دَرَّكُمْ مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ

ما جَنَّةُ الخُلْدِ إلا في دياركم ولوتخَيَّرْتُ، هذِي كُنْتُ أختارُ
لا تَحْتَشُوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً فليس تَدْخُلُ بعد الجنة النارُ
وقال في ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :
دَرَسُوا العلوم لِيَسْلِكُوا يَجِدَاهُمْ فيها صُدُورَ مراتب ومجَالِسِ
وتزَهَّدوا حتَّى أصابوا فرصةً في أخذ مالٍ مَسَاجِدٍ وكنائسٍ

(١٣) الطفرائي ١

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتّاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد
الطفرائي ، صاحب (لامية العجم) وهو أصبهاني الأصل ، برع في الكتابة
والشعر حتّى كان أوحدَ زمانه ، ولم ينبغ بعده في الشرق من يُضاهيه ، وترقّت
به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن
محمد السلجوقي صاحب الموصل ، ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من
اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطفرائي ، فدسّ بعض حسدته من رؤساء الكتّاب
إلى السلطان محمود أنه مُلجِد ، فقتله ظلماً سنة ٥١٣ هـ .
ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عُيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد
سنة ٥٥٥ هـ .

(١٤) البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلب
الأزدي المصري ، صاحب السهل الممتنع ، والغزل الرقيق والعتاب الرقيق .
وُلد بوادي نخلة قرب مكة سنة ٥٥٨١ هـ . ونشأ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل
بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام
والجزيرة ، فلما نسكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضواهم إلى ابن عمه
(١) الطفرائي من يكتب الطغراء (وهي الطرة) وكانت تكتب في الدولة
السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيها نعوت السلطان وألقابه .

الملك الناصر ، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله ، حفظ البهاء عهد صاحبه ، ولم يخدم غيره ، وأقام بنابلس حتى استرد الصالح ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته واتخذ وزيراً - حتى مات بوءاء في شوال سنة ٦٥٦ هـ . شعره - كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظماً ولفظاً .

الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء . فلما دُوِّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها ، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ، ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء - ولكل علم رواية مشهورون .

وأما رواية الأدب والشعر خاصة فأشهرهم «حماد» الرواية الكوفي (وخلف الأحرار البصري) وأبو عمرو الشيباني الكوفي ، والسكري البغدادي . ومن رواية الأدب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً - أبو عمر بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وغيرهم ؛ وهاك ترجمة أشهرهم في الرواية .

الأصمعي

هو شيخ رواية الأدب ، الإمام الثبوت الحجة الثقة التقي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أسمع الباهلي البصري . ولد سنة ١٢٣ هـ - ونشأ بالبصرة ، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وسأكنهم ، وتعلم من (خلف الأحرار) نقد الشعر ومعانيه ؛ وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة : إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال له رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان . وعمر حتى أدرك زمن «المأمون» وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات سنة ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات كثيرة .

العصر الرابع عصر المماليك التركية : ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكتسح التتار ممالك الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرقي أوربا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمسكن العُجُمة منهم ، أما علوم العربية وآدابها فلم يكن لها مَهْباءٌ ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر ، غير أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الدبلوماسية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغة العربية ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الالفاظ التركية والفارسية .

النثر - لغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (في أعالي الجزيرة وشرقي العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الالفاظ العربية . أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أخذت العناية بها في الانحطاط .

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والاعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها ، أو مع الترجمة إلى الاعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

درج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة ، وابن البواب

وياقوت المَلِكِي ، وياقوت المستعصميّ ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، وما زال الخط يجري في مضماره ، حتى قَبِضَ على عَيْنَانِهِ مُكْتَبُو التُّرْكِ العُثْمَانِيّينَ ، فأبدعوا في تحسينه بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العُثْمَانِيّينَ ، وجلال الدين ، ودرويش علي ، والحافظ عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الانشائية -- كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية ، والتزام الشُّجْعِ والحسنات البديعية ، وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ - ومحيي الدين ابن عبد الظافر وابن فضل الله العمري وأولاده ، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصدر حكومة العُثْمَانِيّينَ ، ولما غلبت التركيبة العُثْمَانِيَّةُ على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال

الكتاب

(١) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الله الطاهر الجُدَامِي المصري ، ولد سنة ٦٢٠ هـ ، ورَبَّاهُ والده ، وبرع في كتابة الرسائل ، سلكاً طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك لظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظلّ مرعياً في مصر والشام حتى نسخ النظام التركي العُثْمَانِيّ ، وتوفي سنة ٦٩٢ هـ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيتة على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، ولا نأسفُ معه على فائت ، ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنَ الاستبانة إلى قضاائه ، والاستكانة إلى عطائه ، عوّض كلَّ يومٍ ما يقول المبشرُ به : هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظ أكباداً ممن له قلب ، لا يُبالي بالصدّات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جلّت ، ولا بالأزمات إن هي توالت أو تولّت ، ولا بالجفون إن ألفت ما فيها من الدموع والهجوع وتحلّت ، ويخاف من الدهر من لا حلّيبَ أسطره ، ويأسفُ على الفائت من لا بات بنبأ الخطوب الخطرة ؛ على أن الفادح بموت الملك الصالح (رضي الله عنه) وإن كان مُنكياً ، والنّافح بِشجورٍ وإن كان مُبكياً ، والنائح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسفِ مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبّيت الله عز وجل ما ينسفهُ نفساً ، ومن إلهامه الصبرَ ما يحدّدُ لتمزيق القلوب أحق ما به ترفأ ، وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري

هو الشاعر الكاتب المصنّف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى الدين يحيى بن فضل الله العمري ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب « مسالك الأبصار » ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ ؛ وتفقه وتأدّب على أبيه وغيره وتوفي سنة ٧٤٩ هـ ومن إنشائه في وصف (قطّ زباد) من رسالة طويلة : « (وقط الزباد) الذي لا تحكيه الأسود في صورها ، ولا تسمع غزلان المسك بما يخزّنه من عرفه الطيب في سرّرها ؛ كم تمقل في بيوت طابّت مؤطناً ، ومشى من دار أصحابه فقالوا : (ربّنا عجل لنا قطياً) » .

(٣) لسان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلقبه .

الدين بن الخطيب وزير بني الأحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيراً لأبي الحجاج يوسف ولد سنة ٧١٣ هـ بمدينة غرناطة ، وتأدب وتفقه واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة يندبها أدباء الأندلس كتابة وشعراً وتصنيفاً وسياسة ومات مقتولاً سنة ٧٧٦ هـ .

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهي بعد الديباجة . « أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبر فصل به أية درج ، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج ، وأنسى بالصبر على إبر الدبر ؟ ومطاولة اليوم والشهر ، حتى حكم القمر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟ أو تذهل زهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد . وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان الفراق هو الحمام الأول ، فعلام المعول ؟ أعيت مر اوضة الفراق على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السياق :

تركتوني بعد تشييعكم أوسيع أمر الصبر عصياناً
أقرع سني ندماً تارة وأستمع الدمع أحياناً

القلموين

ألف علماء هذا العصر تأليف جمة خلفت على العربية بعض ما أباده التناثر والصلبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفصل في ذلك إلى علماء مصر والشام وجالية الأندلس . أما أعاجم المشرق وإن ألفوا في العلوم الإسلامية والفلسفية فإن تأثير بينهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأثر .

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السابق في وضع الكتب الجامعة التي

تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النويري صاحب نهاية الأرب ، وابن فضل الله العنبري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى . ومن ألفت في الأدب بمناح مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحاب ، وحسن التتو سل إلى صناعة الترتل ، وشهاب الدين الأبشهي صاحب المستطرف ، والنوآجي صاحب حكمة الكيت .

بقية العلوم الإسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق الشرق والشام ومصر يصفر من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء ، ويجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والغرب قبيل حادث تتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبي حيان وابن منظور الإفريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة فدوتوا العلم وحفظوه من أتى بعدهم من نشأوا في العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، وكانت في الشروح والمطولات مبسطة . ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر : ابن خلكان ، وابن خلدون والسيوطي ، وابن مكرم ، والفيرورآبادي ، وعزالدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ . ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ . وسعد الدين الفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ والسيد الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ . والشهاب الخفاجي .

(١) ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي ، ولد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إربل : وأقام بها إلى سنة ٦٢١ هـ ، ثم رحل إلى حلب ومكث بها سنتين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر ، وتولى القضاء بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام - إلى أن مات سنة ٦٨١ هـ . ثم تم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ، ولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربته ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر ؛ فحظي عندهم .

وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها برقوق ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، ففرقت بهم السفينة ، فأقام بمصر حزينا ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٠٨ هـ .

(٣) جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الحُضيري السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في دقاع الأرض ، ونبغ في كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه في زمنه ، وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مصنف وتوفي سنة ٩١١ هـ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة كانت ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي ، ولذلك انقرض الشعر العربي من أواسط آسيا ، وبقية صبابه منه بالعراق والجزيرة ، وبقى على شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس والمغرب ، غير أنه قل التكسب به فيها ، فقال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر في قلق الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصح والتسلية ، فمجر قوله في الأغراض الهامة ، وعند به إلى أغراض أخرى .

الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصاري المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ، وجمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، وشهاب الدين التلعفري المتوفى سنة ٦٧٥ هـ ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، والإمام البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، وابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ، وصفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وفخر الدين بن مكائس المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، وابن معتوق الموسوي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

١ - البوصيري

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير . ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ في جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله في برده :

أين تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى في قلة بدم

أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمة وأومضَ البرقُ في الظلماء من ماضم
فما لعينيك إن قلت اكفها همتا وما لقلبك إن قلت استفق بهم
أيحسبُ الصب أن الحب منكمم ما بين منسجم منه ومضطرم
ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرصاع وإن تفظمه ينقطع
فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يضم أو يصم
وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدرك أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع قرب مخمصة شر من التخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حيلة الندم

ومن قصيدته الهمزية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها :
كيف ترقى رُقيتك الأنبياءُ يا أسماء ما طارلتها سماءُ
لم يُساووك في علالك وقد حا ل سناً منك دونهم وسناءُ
وتوفي البوصيري سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية ، وقبره بها مشهور يزار .

٢ - صفي الدين الحلبي

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطنائي الحلبي شاعر الجزيرة .
ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم الشعر
وتوفي سنة ٧٥٠ هـ ؛ ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه
المغالين في استعماله من شعرهم بلا كثير تكلف ، وهو أول من نظم القصائد
النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالمديعيات ، مثال بردة البوصيري ومن قوله
في الأدب :

إسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلاً بنطقك قبلما تتفهم
لم تعط مع أذنك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله :

بقدر لغاتِ المرءِ يكثرُ نفعُهُ فتلكَ له عِندَ الشدائدِ أعوانُ
تَهافَّتْ على حِفْظِ اللغاتِ مجاهداً فكلُّ لِسَانٍ في الحَقِيقَةِ إنسانُ

٣ - ابن نباتة المصري

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك. ولد سنة ٦٨٦ هـ. ونشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ هـ ، ومن شعره قوله :
يا مشتكى الهمِّ دعه وانتظر فَرَجاً ودار وقتك من حينٍ إلى حينٍ
ولا تعانِدْ إذا أصبحت في كَدَرٍ فإنما أنت من ماءٍ ومن طينٍ

٤ - ابن معتوق الموسوي

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي ، شاعر العراق في عصره ، وسابق حليته في رقة شعره . ولد سنة ١٠٢٥ هـ ، ونشأ بالبصرة .
وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة ممدح علياً والشهيد بن مكي يخرج عن حد الشرع والعقل . ومات سنة ١١١١ هـ
ويمتاز شعره بالرقّة وكثرة المجازات ، حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد علي - سنة ١٢٢٠ هـ

قدّم « محمد علي » إلى مصر ضابطاً في الحملة التي وجّهتها تركيا لإخراج الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حوله أعيان المصريين وكبار علماءهم بلطف معاملتهم وحسن معاشرتهم ، فأحبّوه وآثروه ، وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلّدته ولاية مصر وهي لذلك كارهة .
وكان أول همٍّ لمحمد علي في ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك ، فأوقع بجمهرتهم في القلعة سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) .
بعد ذلك وجّه همّه إلى أن ينشئ جيشاً له كل ما للجيش الحديثة ، فأنشأ

في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥ م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطُرَّ إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعدد من المصريين ، وكانت لغة التعليم الأساسية هي التركية ، وكانت تُدرَّسُ إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوروبية لدراسة الفنون الهندسية .
ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة ، ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن مهمة محمد علي اتجهت بادية الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة ، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفرًا قليلًا من الإفرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية ، وكانت إذا كثبت المعارك الحربية يُدعى بالحقاقين ليأسوا الكلام ويضمدوا الجروح ، لهذا عهد محمد علي إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبي زعبل في سنة ١٣٤٢ هـ (١٨٢٦ م) يقوم بإزائها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ، وكان التعليم في هذه المدرسة شاقًا مجهدًا ، فإن أساتذها لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الأجنبية ، فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد علي الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب

استمكن سلطان محمد علي بما أعدَّ من جيش قوي في البر ، وأسطول عظيم في البحر ، وعلم عالٍ يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب ، ومشروعات للري ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل الإصلاح ، ولقد استعانت به تركيا في إخماد الفتن في أطراف بلادها ، كما استعانت به في حروبها مع الدول الأخرى ، كما تمكن بجيشه من فتح السودان

كما اقتطع شطراً من أملاك تركيا بعد أن شجر الخُلف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة مُلكها لولا أن تألّبت عليه الدول الأوروبية وحُلّسن بينه وبين غايته . أما الأسطول الضخم الذي بناه محمد علي ، فقد أحرقتَه تلك الدول غيلةً في واقعة « نافارين » ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوروبا ، وبعث البعث إلى بلادها ، وأقام المدارس في مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يحتاج إليه في وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإنعامه ببناء جدّه .

'قبض محمد علي باشا في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثاً ، وأنقضها نهضة قوية تَلَفَّتْ لها وجهه' التاريخ ، وما كاد الملك يصيرُ إلى حفيده عباس الأول حتى خَبَتِ تلك النهضة فأغلقت المدارس ، وعُظِلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التي تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد ، وكذلك كان شأنُ خلفه سعيد بن محمد علي طول أيام حكمه ، حتى إذا انتهت ولاية مصر في سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي تأثّر في سبيل الإصلاح بخطى جدّه العظيم وراح يُتِم ما بُنيَ لمجد مصر ، ونهضَ بوجوه الإصلاح التي تقوم عليها الثروة والقوّة والعلم والاعظمة في كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب

لم يكن للبعوث العلمية التي أوفدها محمد علي في مُبتدأ الأمر إلى أوروبا شأن جليل . وأولها كان في سنة (١٨١٣ م) على أنه ما برح يُوالي إرسال البعثات حتى كانت سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) إذ أوفد إلى أوروبا بعثة عظيمة يزيدُ عددُ

طلابها على الأربعين ، أحرزوا قبل سفرهم قدراً صالحاً من التعليم والتثقيف . وظل بعد هذا يوفد البعث العلمية إلى مختلف البلاد الأوروبية للتبحر في العلوم والفنون ، ولم يقنع بهذا بل أقام في باريس نفسها «مدرسة» جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أول عهد مصر بالترجمة في هذا العصر ، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد علي ليؤدوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية . فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل في فنون الطب ، وأريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة من تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، وما عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملاً شاقاً مضمناً .

وكانت جَمْعُرة المترجمين أول الأمر من الأطباء ، لأن الطب أول العلوم الحديثة التي عُنِيَ بدراستها في مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالى الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تخشعوا فيها من الطلاب . أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبدأ الأمر ضئيلاً ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد علي ليبث فيهم وسائل الإصلاح المنشود . على أن المصريين قد جعلوا يُقْبِلون على مُعالجته ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، ما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد ^١ .

(١) وس أبرع من برعوا (في أثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم: إبراهيم بك النبراوي ١٢٧٩ هـ (١٨٩٢ م) وأحمد بك حسن الرشيدى ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥ م) ، ومحمد علي باشا البقلي ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وأحمد بك ندى ١٢٩٤ هـ ، ١٨٧٧ م (وسالم باشا سالم =

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال، فلما استولى محمد علي باشا على مصر رأى - كما علمت سابقاً - أن يُريسي من يكون خير واسطة لنقل المعارف الأوروبية إليها، فبعث إلى أوروبا بثلاثة بعوث علمية في أزمنة مختلفة، كوّنت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة

= ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م)، ومحمد الدري باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م)، وحسن محمود باشا ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م). ومن برعوا كذلك في العلوم الرياضية ترجمة وتأليفاً: محمد بك بيومي ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م)، وبهجت باشا ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م)، ومحمود باشا الفلكي ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، وشفيق بك منصور ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م)، ومختار باشا المصري ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، وإسماعيل باشا الفلكي ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م). ومن خير من ألفوا أو ترجموا في العلوم المختلفة في صدر هذه النهضة: الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م)، والشيخ شهاب الدين المصري ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)، ورفاعة بك رافع الطهطاوي ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م)، ومحمد قدرى باشا ٣١٣ هـ (١٨٨٥ م)، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٧٨ م)، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م)، والشيخ حسين المرصفي ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، وعلي مبارك باشا ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م)، والشيخ محمد العباسي المهدي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م)، وأمين فكري باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م)، والشيخ إبراهيم اليازجي ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م)، وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)، وعمر بك لطفي (١٩١٤ م) وعلي أبو الفتوح المتوفى سنة ١٩١٣ م، ومحمد بك النجاري ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م)، وأحمد فتحي زغلول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وجرجي زيدان (١٩١٤ م) وإسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤ م)، والشيخ محمد بك الحضري (١٩٢٦ م) ولا شك في أن هذه النهضة الحديثة مدينة في مستهلها للشيخ المترجمين على الإطلاق رافع بك كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم علي مبارك باشا.

في العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسبونه من نتيجة كدّهم ، وثمره أفكارهم ، فالتفوا حولها ؛ وصار أيضاً للدولة كتّاب وشعراء ومنشئون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركبت ريحها في زمن عباس باشا الأول ، ورومن سعيد باشا ، ثم تنسّست في عصر إسماعيل وما لبثت أن صارت رُخاءً طيبة فأعاد سيرة جدّه في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكادت مصر توشك أن تكون قطعة من أوروبا .

النثر - المحادثة - أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، دخل في عباراتهم كثير من الفصح ، وانتقل ذلك لمعاصريهم من الأميين ، وبعض النساء ؛ وبما ساعد على ذلك جعل التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستمعون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، والتفت لفيفٌ حوله من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته ، وألفت منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفشت بعد عصر إسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلي باشا ، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ومصطفى باشا كامل المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٧ م) والشيخ

عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام ١٩٢٧ م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً

الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر من خطاطي الترك ، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبوع طريقته . وأشهرهم : عبد الله زهدي ، وهو الذي خط بالقلم الحليل جدران المسجد النبوي ، وجدران سبيل والدته عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مؤنس أفندي ، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطي قطرنا المصري .

الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هي اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في المالك العثمانية إلا قليلاً ، وشرعت تتغير في مصر ، ثم لما أنشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كتاب الدواوين رَقَّوا كتابتها ، وقد هُجِر السجع الذي أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكري) أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة أَلَمَّ به في كثير من مكاتباته الرسمية ، وقد سبق كثير من رسائله في فن المكاتبات ، وأما كتابة التأليف والصحف فأخذت تَنَحُّو منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته ، ولما وَلَّتِ الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية ، والإشراف على تحرير الجرائد ترقَّتْ كتابتها كثيراً ، ودَرَجَتْ في سبيل التقدم إلى الآن

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي أُلِفَتْ أو تُرْجِمَتْ في مصر علمية ، لشدة احتياجها لها ، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حيساتها الأدبية ،

وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها، وأُلف فيه عدة كتب . وانحط شأن سوريا في العربية فلم يَنبُغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم . ومن أشهر علماء الأزهريين في هذا العصر: الشيخ عبد الرحمن الجببرتي المتوفى في ١٢٤٠ هـ (٨٢٥ م) والشيخ حسن العطار المتوفى في ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة: رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلي مبارك باشا المتوفى في ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) وجورجي بك زيدان المتوفى في ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وأحمد فارس الشدياق اللبناني المتوفى ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) والدكتور يعقوب صرُوف صاحب مجلة المقتطف المتوفى في ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) وولي الدين بك يكن المتوفى في ١٣٣٩ هـ والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى في ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) والشيخ محمد بك الحضري المتوفى في (١٩٢٧ م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في ١٣٢٩ هـ . وقتحي باشا زغلول المتوفى في (١٩١٤ م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (١٨٩٩ م) وعبد الله باشا فكري ، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) والشيخ ناصيف اليازجي المتوفى في ١٢٨٧ هـ ، وإبراهيم بك المويلحي المتوفى في ١٣٢٣ هـ ، ومحمد بك المويلحي المتوفى في (١٩٣٠ م) وقاسم بك أمين المتوفى في ١٣٢٦ هـ والسيد لطفي المنفلوطي المتوفى في (١٩٢٤ م) والشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى في ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦ م) وحفني بك ناصف المتوفى في ١٣٣٧ هـ والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) وأديب إسحاق المتوفى في ١٣٠٣ هـ (١٨٩٢ م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في ١٣٣٠ هـ وإسماعيل باشا صبري ، وبطرس البستاني المتوفى في ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) وسليم باشا ثَقَلَا المتوفى في ١٣١٠ هـ (١٨٩٢) .

وهاك ترجمة بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطمطاوي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسيني الطمطاوي ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطمطا من أسرة شريفة ، وتأدب وتعلم في الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش؛ ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمي أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ فقرأتته علوم أوربا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره محمد علي باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبي زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار في إنشاء جريدة « الوقائع المصرية » وتحريرها ثم نُقلَ إلى مدرسة المدفعية (الطبيعية) ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى تُوفّيَ عام ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب « نهاية الإيجاز » في سيرة ساكن الحجاز .

(٢) عبد الله فكري باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م

عبد الله فكري بن محمد بليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهري ، وهو من أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية ولد عام ١٢٥٠ هـ ، وأكبّ على تعلم علومه بالأزهر ، مُشتغلاً أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية في عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فعُهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك . ثم تقلّب في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ هـ وبقي بها حتى زمن الثورة العربية ، فسقط مع الوزارة ، واتهم في الثورة فقبض عليه ، ثم انتصحت براءته فأطلق ورُدّ إليه معاشه؛ بعد أن استعطف الحديوي توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً ، سلك في كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع

كالبديع الهمداني ، والخوارزمي من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفي مدرس دار العلوم « لو تقدم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان » .

(٣) علي مبارك باشا المتوفى عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرخ المؤلف المترجم ، العربي العظيم علي بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية . وُلد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسِلُه إلى مُعلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهرَّب من العلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتّاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني ، وعمره ١٢ عام ، ودرس الرياضة فبرَّع فيها ، فاختر طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل في خمسة أعوام درّس فن الهندسة ، وأُرْسِلَ إلى أوروبا عام ١٢٦٠ هـ ليتمم علومه بها ، فكتب نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم لعبّاس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إليه رئاسة ديوانها ، فقام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعاً في آن واحد . خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليؤفّق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٢ م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده ، أحد أركان النهضة العربية ومؤسسي الحركة الفكرية ، وُلد عام ١٢٦٦ هـ بإحدى

قري مديريّة الغربيّة ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديريّة البحيرة وترك بلا تعلّم حتى ناهزت سنّه العاشرة ، ثم رَغِبَ في التعلّم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحدي ، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ في علومه - ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغاني سنة ١٣٨٦ هـ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ، والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٣٩٤ هـ ، واختير سنة ١٣٩٥ هـ مدرّساً للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغسة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عَقِبَ ذلك الثورة العُرابيّة ، ونُفِيَ من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوروبا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشأ معاً جريدة (العُرُوة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوي وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مُنْفَتِياً للديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفي سنة ١٣٢٣ هـ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوي ، الحجّة ، التقى ، الشيخ حمزة فتح الله .

وُلِدَ رحمه الله بشفر الإسكندرية سنة ١٣٦٦ هـ ١٨٤٩ م ونشأ بها وبعده أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم يج مع الشيخ إبراهيم باشا - ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحسّر الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، واختير في منتصف العقد الثالث من عمره (محرراً في إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالي ثماني سنوات اكتسب فيها الدّربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العرابية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوي توفيق ، وكتب

وخطب في تأييده، وبعد أن انتهت الثورة العراقية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلاً بين التفتيش والتدريس حتى مات سنة ١٩١٨ م

علمه وأعماله كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة، والأدب، والحديث شديد الحفظ والذكر ، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعراً، أو مثلاً أو قصة وكان فكاهة المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد إليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرد والقيالي والمُرْتَضَى ، وأظهر ما كان ذلك في (مواهب الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدّخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفهم بمراذفه تارة، ويرشدهم إلى المظانّ أخرى ، فيتنبه بذلك الغافل .

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقيّاً ورعاً، لا تأخذه في الله لومة لائم .

كان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية .

مؤلفاته : مما عُرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، ورسالة في التوحيد ، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم ، وغير ذلك .

شعره وكتابه : كان بدوي الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء فمنه قوله :

كم جامعٍ بالثريّا راضه سفر فوق الثرى بين أكوار وأقتابِ

إن الشَّوَاءُ ثَوَاءٌ والقصور قبو ر العاجزين ولا إبراءَ للخابي
ومن بَغَى كَيْلٌ مجدي وهو في دَعَا فقد بَغَى من صَفَاةٍ دَرَّ أجلاب
والمرءُ في مَوطِن كالدُّرِّ في صَدَفٍ والتَّبرُّ في معدنٍ والنَّسَبُ في غاب
والسيفُ مثلُ العِصا لمن كان مُعْتَمِداً وزَاْمَرُ الحَيِّ لا يحظى باطراب
وأزهدُ الناس في علم وصاحبه أدنى الأُحبة من أهلٍ وأصحاب

(٦ : باحثة المادية السيدة ملك حفني ناصف المتوفاة سنة ١٣٣٧ هـ)

هي المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفني ناصف .

ميلادها ونشأتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسة السنية فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالي ، واختيرت مُدرِّسة في مدارس البنات بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمي واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها .

أخلاقها وأعمالها : كانت مُدَّة دراستها خير نموذجٍ لقريناتها ، من أخلاق سامية وسريرة صافية ، ونفس أبيَّة ، ومثابرة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب ، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرِّف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم .

كل أولئك لتكوين لها رأياً صحيحاً ، وفكراً ناضجاً في تربية البنات وإصلاح حال الامهات ، وظلت تستسهل في ذلك الصعب ، وتستجلي المرء .

وكان من رأيها في تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجال ما لا بد من الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلمها ، ولها في ذلك خُطْب في محافل نسوية ، كان لها تأثير في عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتُها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستفرنّ به في الوقوف على مبلغ رُقي المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شؤونها المستقلة ، ولم يكن شيء من ذلك كله لينسيها ما يجب لزوجها ، والبرّ بذوي قرباها ومن يقع تحت نظرها من أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برّها لوالدها .

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذي أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته في الجريدة خاصاً بالمرأة . (٢) حقوق النساء ، وهو كتاب لم يطبع بعد : أنجزت منه ثلاث مقالات ، الأولى في الموارد بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية في الحقوق المالية ، والثانية في حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة ، والثالثة في المرأة المسلمة من جهة الانتخاب (٣) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد في مايو عام ١٩١١ بمصر الجديدة ضمنيتها آراءها السديدة في وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الإسبانية عام ١٣٣٨ هـ فاحتضت وهي في ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدائها في العالم النسوي المصري فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر في كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة ، صحيحه الالفاظ عربية الاسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً في كتابها « النسائيات » .

شعرها : قالت الشعر وهي في الحادية عشرة من عمرها وكان دمه أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه في المدرسة دمه حداثاً ، وتارة هزلأً ؛ وشعرها

حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد في الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .
وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية
لصديقة لها - وهي :

« عزيزتي السيدة بلسم ،

أحبيك ، ولولا برودة البحر لالتَهَبْتُ إليك شوقاً ، ولولا تصبّري
لطيرتُ إليك حباً ، وإني لم يذسني صفاء السماء صفاء ودك ، ولا رقة النسيم رقة
حديثك إنما شجاني وذكرني ، ولم أكن ناسية .

حبيبي : ليتك معي ترين الطبيعة يحمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد والأمواج
تتلاطم زرافات ، ووحداً ، صفاء في البحر ، وصفاء في السماء ، كأنها قلبانا ،
وتسمعين تغريد الطيور ، وحفيف الأشجار ، إنها لعمرك مناظر تلهي المرء ، ولكن
هيهات لئلي أن تلهو ، وهي تعلم ما يُكنّنه الدهر ، وما يخبئه الليل والنهار ، تقبلي
مني أحراً قبلاتي ، وأوفر أشواقي » . ومن شعرها مخاطب المرأة المصرية :

سيري كسير الشجب لا تأنسي ولا تتعجّلي
لا تكفسي أرض الشّرا رع بالآزار المسبّل
أما السّفور فحككه في الشّرع ليس بمُسبّل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحمل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأمّل
ليس النّقاب هو الحجاب فقصري أو طوّلي
فإذا جهلت الفرق بينهم ما فدونسك فاسألني
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لاقولي
لا أبتغي غير الفضيلة للنساء فأجملني

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على

ما كانت عليه في العصر الماضي ، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في أوّل أمرها تركية الصبغة ، وكان هو أمياً لا يحلّ عنده الأدب محلّ العلم الذي عليه مدارُ تأسيس المملكة ، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقى .

وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو متأدياً ، وعصره غاصاً بالأدباء ، فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد علي أبي النصر ، والشيخ علي الليثي ، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي) .

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأوّل في مصر ، حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهبّ أهله يتفكّهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجامع العظيمة لإنشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحوا به نحو الشعر الإفرنجي من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراء بعد البارودي ، لم يحاكي القدماء في نَدَب الديار ، ووصف الطعائن ، وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار ، والكهرباء ، والمسرة ، والبرق ، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق ، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر .

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

قان المرحوم السيد علي أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م :

بصادر آمالي ووارد خاطري كَلِفْتُ فيا نفسي الأبيّة خاطري

ولا تجزعي إن هال خطب فرما تدين الأماني لامرئ غير قادر
وكوفي على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همة هاشمية أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه:

ترنو النجوم بلحظها البراق والجو في الإرعاد والإبراق
فإذا تبسّمت البروق لغبطة بكّت السماء بدمعها المهرق
عاملتموني بالجفاء رؤوسكم الورد ذو أراج بلا إحراق
مالي أراكم تنكرون مكانتي الشمس لا تخفى مع الإشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم حسب المغرّد زينة الأطواق
أسديتم الجسدى له وسدتم طرق الرجاء علي بالإطراق
إن لم يكن مثلي يسيء ومثلكم يبغي فأن مكارم الأخلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م :

كل حال لصدّه يتحوّل فالزم الصبر إذ عليه المعوّل
يا فؤادي استرح فما الأمر إلا ما به يحكم القضاء تنزّل
قدر غالب وسرّ الخفايا فوق عقل الأريب مهاتكسل
رب ساع لحنّفه وهو ممن ظنّ بالسعي للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى في سنة ١٢٧٥ هـ يرثي إبراهيم باشا:

صبراً على ما قد مضى إذ لا خلص من قضا
كيف التّصبر والمنّا يا ذات غضب مُنتضى
أردّت بإبراهيم منذ بلغ المقام المُرتضى
وإليه آل الأمر في حكم (الإيالة) وناقضى

ففضى وقلت مؤرخاً (الله يرحم من فضى)
٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ = ١٢٦٤ هـ

حفني ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

هو القاضي الماضل الشاعر الكاتب ، محمد حفني ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ خليل ابن ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ هـ بيتاً فقيراً ، فكفلته جدته أم أبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يُفَرِّط في ضربه ، ففرّ ماشياً على قدميه إلى الأزهر وجوّد فيه القرآن ، وحفِظَ فيه المتون ، ودرس فقه الشافعي ، وعلوم اللسان العربي واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المبدودين ، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم ، وبقي أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرّساً وضابطاً لمدرسة الخرس والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ، ثم نقل مدرّساً بمدرسة الحقوق ، وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلي ، فكثرت ترقى في درجاته مدة عشرين سنة ، كان في حلّالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الإمام ، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقّهم فكاهة ، وأملحهم نادره وأحضرهم جواباً ، مع دعة فيه .

شعره نل ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي ، وعبد الله باشا فكري ، وكل من نبغ بعد من انتهت إليهم الرياسة في الشعر فعملية تعلم ، وله قلند ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان .

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع ، الكثير المالح المطربة والنثكت الأدبية المعجبة ، حتى في المراتي ، لتمثيلها في صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :

أنقضي معي إن حان حيني تجاربي وما نلتها إلا بطول غنائي
وأبذلُ جُهدي في اكتساب معارفٍ ويفنى الذي حصّلتُه بفنائني
ويحزنُني ألا أرى لي حيلة لإعطائها من يستحق عطائني
إذا ورّث الجهال أبناءهم غنى وجاهاً فما أشقى بني الحكماء

ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييت آمالي وكنت أمتتها من طول ما لقيتُ من إخواني
أدلي بإخلاصي لهم وأدود عن أعراضهم يجوارحي ولساني
محضتهم ودي فلما أسروا كانت بداية أمرهم نسياني

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن علي أفندي محمد المهندس ، المولود بالقاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة توفّي والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فأتمّ فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحوّل إلى المدارس الثانوية ، ونال في نهايتها شهادة البكالوريا بتفوق باهر ، وذكاء نادر ، مما لفت إليه نظر المرحوم علي باشا ناظر المعارف ، فاخصه بمرتبة شهرى يُسرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوته ومعلميه ورؤسائه لما أمتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهراً ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقى دروسها حتى نال الكفاية

منهما، ثم ذهب إلى (طولوز بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية، وفي أثناء دراسته للحقوق تذبذبه خاطره إلى المسائل السياسية، وأصبح همه إنقاذ مصر من الاحتلال، وكان يتردد على الجرائد الوطنية، فيكتب فيها آيات الوطنية، وأنشأ المجلة المدرسية، وألّف كتاب المسألة الشرقية، ورواية فتح الأندلس، وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان، وكلها ترمي إلى تحبيب الاستقلال، وإحياء الشعور الوطني في أفكار المصريين، واجتمع مصطفى بالمرحوم «عبد الله النديم» الخطيب المفوّه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل، فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليقات العظيمة، وأضاف ذلك إلى معلوماته الماضية، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته، وأذكى أوار الوطنية في عقول الشباب الناهض، وتطوّرت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقي التقدم والنجاح، وقد طار صيته في الآفاق، وأنشأ جرائد اللواء العربي والفرنسي والإنكليزي لهذا الغرض، وتوفي يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م وخطبه الطنانة كثيرة لا نطيل بذكرها

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين، محمد بن أحمد باشا فريد، والدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين، وكان ميلاده في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ، وعاش ٥٢ سنة، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا، ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م، وعقب ذلك عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوي عباس باشا بالرتبة الثانوية، ثم تدرّج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية؛ وفي خلال ذلك كان يكتب أمهات الصحف العربية والإفرنجية، حتى استقال من خدمة الحكومة في ٢١

نوفمبر عام ١٨٩٦ ، واشتغل بالحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان ، ولأزم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد ألفت كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ؛ وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوروبية ، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب ، وتعرف بكثير من ساسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل ، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن ، حتى مات غريباً في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩ م ، ونُقلت جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام ١٩٢٠ م ، وشيّعت باحتفال مهيب ، ورثته صحافة العالم شرقاً وغرباً ..

فمن رثاء المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩ هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من لتيوم نحن فيه ، من لغد	مات ذو العزيمة والرأي الأسد
أيها النيل لقد جل الأسى	كن مداداً لي إذا الدمع نفد
فلقد ولي فريد وانطوى	ركن مصر وفتاها والسند
خالد الآثار لا تخش البلى	ليس يبلى من له ذكر خلد
قل لصب النيل إن لاقيته	في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرأ لا تني عن قصدها	رغم ما تلقى ، وإن طال الأمد
فاسترح واهنأ في غبطة	فلقد بذرت الحب والشعب حصد

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد ابن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانة بمديرية الغربية عام ١٢٧٧ هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف ، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغيرهما على فطاحل العلماء ثم تعين محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخلية ، ثم انتقل معاوناً بنظارة الداخلية في مدة وزارة « محمود سامي باشا البارودي » ثم تعين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدة اشتداد الثورة العربية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنائيات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً للمعارف ، ثم وكيلاً للجمعية التشريعية لي أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري ، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة إنجلترا بالجلء عن مصر والسودان .

ومن كلماته الماثورة في الوطنية :

١ - لا استعباد ، لا استعمار ، لا حماية ، لا رقابة ، لا تدخل ل أحد في شأن من شؤوننا ، هذا ما نريد ، وهذا ما لا بد أن نحصل عليه .

٢ - أقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أي أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ، ما رضيت أن أكون قائداً لها .

٣ - إن قوتنا ليست مُستمدّة من الخارج ، بل هي في نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية نصل إلى غايتنا .

٤ - الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذلت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قوياً ، ووصلت عاجلاً أو آجلاً إلى الغاية المطلوبة .

٥ - لا يمكن أن نعتبر للكحوميين مذهباً، لأن المذهب يقتضي مبادئ وقواعد، أمّا هم فقاعدهم القوة ، وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهباً.

ومن كلماته الماثورة في الحرية وحدودها

١ - كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً ، مهما كان مصدره عالياً ، ومهما كان الأمر به .

٢ - كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظالماً.

٣ - الصحافة حُرّة ، تقول في حدود القانون ما تشاء ، وتنتقد من تريد ، فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا ، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه .

٤ - نحن نحب الحرية ، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها .
٥ - جميل جداً أن يقال : لا تحجروا على الناس ، ولا تقيدوا حريتهم ، وإنما لنغمة لذينة يحسن وقعها في الأسماع والقلوب ، ولكننا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم ، نريد حماية الحق وصيانتته من أن يتمشع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه .

ومن آرائه في التشريع

١ - كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة .
٢ - لا تصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضي في تقدير العقوبة ، أو أن هناك ميزاناً توزن به الجزاءات ، وإنما هي أمور اجتهدية يلزم بها القاضي إلهاماً.

٣ - الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة .
٤ - إننا إذا احترمنا أمراً للحكومة ، نحترمه لأنه نافع للأمة ، لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة .

٥ - يجب أن ننقاد للقانون، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة، بل عزّاً وشرفاً .

٦ - إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفتها، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبّع الحق والعدل ، وتحترم القانون .

٧ - 'يعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل' ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

٨ - الذي يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا في الحياة ، لا الشهادة التي في أيدينا .

٩ - أعاهدكم عهداً لا أحيد عنه على أن أموت في السعي إلى استقلالكم فإن فزتُ فذاك ، وإلا تركت لكم تنميم ما بدأت به .

هذا قليل من كثير لا نحيط به جميعاً ، خصوصاً خطبه المطولة الممتعة التي تكاد أن تكون في درجة الإعجاز ، ولا غرابة في ذلك فقد كان معروفاً ، اشجاعة والصراحة يمتلك في يده أعينة الألفاظ ويتصرف فيها كيف يشاء حتى إنه ليعبر عن أقصى المعاني وأخشنها بأرق الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعاً على النفوس والأسماع خصوصاً وأنه قدير على التأثير على نفس السامع ، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعدتها العامة التي توضح طريقها وتكشف الغامض منها .

ولقد كان مُتشرعاً يبحث النظامات ويدققها ، وسياسياً يبارز خصمه مبارزة الرجل الذي يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تخرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حد اللياقة ، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر ، حتى وافاه القدر المحتوم في أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٧ سنة وقد خلفه في زعامة « الوفد المصري » حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

(٨) مصطفى النحاس

هو « مصطفى » ابن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمندود .
 وُلد « مصطفى النحاس » من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب ، في
 يونيه سنة ١٨٧٩ م

و تَرَبَّى تربية منزلية قوية طبعته على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته
 على الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشبَّ على مكارم الأخلاق من الصغر:
 رَضَعَ الأخلاق من ألبانها إنَّ لِالأخلاق وقعاً في الصغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادئ التعليم في أحد مكاتب
 البلدة وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم حفظاً
 جيداً ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة
 أمين سامي في داك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر وعكف
 على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقة ، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية
 التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلي ، وأظهر جدياً واجتهاداً وتفوقاً
 ونُبوغاً مُنقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التي كللت بنجاح عظيم ، لفت
 نظر رؤسائه إليه حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشنر » الذي رَغِبَ في رؤيته ،
 ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها في يونيه سنة ١٩٠٠ م ، واشتغل بالمحاماة
 إلى أوائل سنة ١٩٠٤ م ثم عُيِّن قاضياً بالمحاكم الأهلية وظلَّ يخدم العدالة نيفاً
 وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له « سعد زغلول » بوجوب المطالبة بحق
 مصر في الاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت لوائه ، وأخذ يسعى في تحرير
 وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رئاسة الحكومة المصرية ست مرات .

الاولى سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٠ ، والثالثة سنة ١٩٣٦ ، والرابعة سنة ١٩٣٧ بعد جهاده الذي نالت فيه مصر استقلالها التام ، وإلغاء الامتيازات الاجنبية .

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محامياً، وقاضياً، وخطيباً، وخصماً سياسياً ، ووزيراً ، ورئيساً للوزارة) .

ومن خطبه :

« لا شك أن من يتولى الدفاع عن حقوق الافراد وحريتهم مدفوعاً بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتماً للاشتراك في الدفاع عن حقوق المجموع وحریات المجموع ، لأن حقوق المجموع وحریات المجموع إنما هي مجموع حريات الافراد وحقوق الافراد ،

ومن قوله :

- (١) ليس مثل الصراحة سياسة ناجمة في وقت الخطر .
- (٢) إن القلوب اذا اتصلت لا تدهوى على فصلها قوة مهما فتكت أو بطشت .
- (٣) ما كان لقوة في الوجود أن تمحق آمال شعب ، ولا أن تبترد - وحده أمة .

- (٤) إنما الموت في سبيل الاوطان حياة .
- (٥) ليس مصير الامم لعبة في أيدي اللاعبين ولا هو تجربة في أيدي المجرّبين .
- (٦) إن للحق قوة مغنوية هي من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق .

- (٧) مصر أمة جديرة حقاً بأن تكون مصدر السلطات .
- (٨) إن الامر في قضية الامة أمر الامة وحدها لا كلمة لسواها ولا معول على غير رضاها .

(٩) الأمم الحية لا تغلب وقد تعودت مصر أن تقهر قاهرها ، والدهر 'قلب' إن صفا اليوم لشخص ففي غدر يتقلب

(١٠) اضطهاد الأحرار يزيد تمسكا بالحرية أضعافا مضاعفة .

(١١) إذا كان اعتناق المبدأ القومي فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل

(١٢) إن الأمة هي الأول والآخر ، وهي الأصل الذي يجب أن ترجع إليه كل الأمور .

(٩) الغازي مصطفى كال

أشهر حماة الشرق ، وداهية أقطاب السياسة الغازي « مصطفى كال » المولود في سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى قرية أخرى مع والدته بها خاله الذي كفله ، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول . والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إبان شبابه بدون جدوى ، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته في (سلانيك) ودخل في (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعليم بها - وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأخذ يتبحر في الرياضيات ويُنَاقِش أستاذه المدعو مصطفى بك القائل له إن بين اسمي واسمك اشتباها ، فيجدر أن أضيف إلى اسمك لفظة « كال » للتمييز بيننا ، وقد أتم الدراسة في هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه في العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة في امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية في (مَناستر) وتروّد بقرسط وافر في اللغة الفرنسية - وفي خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركي المشهور (عمر ناجي بك) فارتشف من منهل العذب ، وتأدب بأدبه ودرس عليه آداب اللغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة

التي تنجذب نفسه إليها وترتاح بها، رغم النصائح التي كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم: «إذا أردت أن تكون جندياً حقيقياً فاترك الأدب وخیال الشعراء»، وبعد إتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر إلى الأستانة سنة ١٣١٣ هـ، والتحق بالمدرسة الحربية، وكان شغفه عظيماً بالعلوم والأدب، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توفقه إلى حُب الاشتغال بالسياسة، خصوصاً وقد وقعت في يده كتب الوطني العظيم «نامق بك كمال» فطالعتها مراراً، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته «الوطنية» وكان ذلك في عهد المرحوم «السلطان عبد الحميد» الداهية العظيم، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة «مُلازم ثان»، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السوء والفساد، فكان أول ما فكر فيه أن يُفهم زملاءه البالغ عددهم ٥٠٠ طالب، موقف البلاد الإداري والسياسي.

وقد فكروا جميعاً في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها. غير أن «إسماعيل» مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وشمى بهم إلى السلطان، وقال له: إن ناظر المدرسة «رضا» هو المسؤول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية. واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى آخر سني مدرسة أركان حرب.

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة «يوزباشي» في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في «بك أوغلي» رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات، وأصدر القرارات لصالح الوطن، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتُقل بضعة أشهر، ثم أطلق سراحه وأصرَّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفَقَتِ الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة في الجيش - وقد أسس هناك «جمعية الحرية» وأسس لها فروعاً في بيروت وإفسا والقدس، وفي كل مدينة حلَّ فيها ونزل بها، ولما

كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عَزَمَ على السفر إلى «مقـدونيـا» حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادئ ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأطلع جمعياته على رأيه ، وعلى ذلك سَعَى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يَسْتَطِيعُ به السفر في بادئ الأمر إلى «أزمير» وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكري باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شدد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غَيرَ وَجْهَتِهِ إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ، ثم إلى سلافيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس وقد أسَّس في مدينة سلافيك فرعاً عاماً للجمعية ، وما كادت حكومة الأستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى سـ فر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة ، فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية .

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ، طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقبول طلبه بالقول ، وعلم بعد وصوله إلى سلافيك أن جمعية الحرية غَيرَت اسمها باسم جمعية « الاتحاد والترقي » وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار .

ولما نشبت الثورة الرجعية في الأستانة سنة ١٩٠٩م أخذها واستتب الأمن ، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيراً ما يكتب لإصلاح شأن الجيش ، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للآلاي الثلاثين ، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسي ؛ إذ أفسح له مجالاً واسعاً لإلقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد . ثم بعد ذلك دعت حكومة الأستانة ، ضمن أركان الحرب العامة فيها ، وقام بصحبة المرحوم (شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة في بلاد ألبانيا .

وقد ذهب متنكراً إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة ١٩١١ م ، وسافر منها إلى بنغازي ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيساً لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكرياً في سفارة « صوفيا » عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة .

ولما نشبت الحرب العامّة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة في (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش ، وعُين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازيّة ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانين مناقشات أدّت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع « ولي العهد » إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدين (هندنبورج ، ولوندر ف) .

وقد صحت عزمته على ترك الآستانة والتّوّغل في داخلية البلاد ، وقد بذل جهده في العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشغولاً بتسيئة الأسباب لذلك ، إذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشاً لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتقبّل ذلك بالسرور العظيم ، وقام إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش ممّا لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعته في الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسمى في جمع نواب الأمة في الأناضول وقد افتتح المجلس الوطني الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ في مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل كيف يُتمثل إرادة الأمة أحسن تمثيل (؟؟) .

وقدتمّ له ما أراد ، ففاز بالانصر والسّداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السّيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تُذكر .

ومن أقواله في حُبِّ الوطن العزيز : إنّ وطننا العزّ يزلايموتُ ولن يموت ،

وإذا فرصنا المبحال وسلمنا بموته (لا قدر الله) فكاهل الكرة الأرضية لن
يستطيع حمل تابوته الجسيم . نعم لا يسقط مهشماً ، مقطّع الأوصال ، ما
دام فرد منا يتنسم نسيم الحياة .
ومن آرائه في تعليم المرأة : تعليم المرأة (أم الوطن) وثقافتها بالعلوم الدنيوية
والمعارف الأهلية من أهم ما ترمي إليه نهضتنا العلمية الوطنية .
ومن وصفه للفلاح : سيد تركيا ، بل سيد العالم الحقيقي (الفلاح) لأن
هو العنصر الأول في تكوين عناصر الأمة وكيانها ، والوطن بدونه لا شيء ،
بل الوطن هو ، فيتعين أن نعتني به عناية خاصة ، وأن نضع قبل كل شيء
سعادته نصب أعيننا .

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامي باشا البارودي

هو رب السيف والقلم ، أمير الشعراء ، وشاعر الأمراء محمود سامي باشا
ابن حسن حسني بك البارودي أحد زعماء الثورة العربية ، وأشعر الشعراء
المتأخرين بالديار المصرية - وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتأدّب ، وأدّخل المدرسة الحربية
وما زال يترقى حتى ولاّه المرحوم الخديوي توفيق باشا نظارتي الحربية والأوقاف ،
ثم وُلّي رئاسة مجلس النظّار قبيل الثورة العربية ، فلما اضطربت نيران الثورة
أرغمه زعماءها على اصطلاء نارها فخبّ فيها ووضع ، وحُيّم عليه بعد انقضائها
بالنفي إلى جزيرة (سيلان) حتى عمي ، وشفّع فيه فأزِن له بالقدوم إلى مصر
بعد مُضي ١٧ سنة من منفاه ، وبقي في منزله يشتغل بالأدب إلى أن مات سنة
١٣٢٣ هـ - ١٩٠٤ م ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينمك ذا كدر وإنما صفوه بين الورى لسمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه ما شان أخلاقه حرص ولا طمع

(١٦ - جواهر الأدب ٢)

وكيف يُدرك ما في الغيب من حدث مَنْ لم يزل يغرور العيش يَنخدع
 دَهْرٌ يَغُرُّ وآمالٌ تُسْرُ وأَعْدُ بارٌ قمرٌ وأيام لها خِدَع
 يَسْمَعُ الفتى لأُمور قد تَضُرُّ به وليس يعلم ما وما يأتي يَدَع
 يا أيها السَّادرُ المزورُ من صَلفٍ مهلاً فإنك بالأيام مُنخدع
 دَعْ ما يُريبُ وخُذْ فيما خَلِقتَ له لعلَّ قلبك بالإيمان يَنْتفع
 إنَّ الحياةَ لَتُوبٌ سوف تَحُلَعُه وكلَّ ثوبٍ إذا ما رثَّ يَنْخَلع

ومن قوله في الحماسة والفتخر (وهو آخر ما قاله) :

أنا مَصدرُ الكَلِمِ البوادي بينَ الحاضرِ والنوادي
 أنا فارسٌ أنا شاعرٌ في كلِّ مَلْحَمَةٍ ونادي
 فلماذا رَكِبْتُ فلاني زَيْدُ الفوارسِ في الجِلادِ
 وإذا نَطَقْتُ فلاني قسُّ بنِ ساعِدَةَ الإيادي

وقال يَصِفُ هَرَمِي الحِيزَةِ وأبا الهول :

سَلَّ الحِيزَةُ الفَيْحاءَ عن هَرَمِي مَضْرٍ لعلك تَدْرِي غَيْبَ ما لم تكن تَدْرِي
 بِناءٍ ان رَدَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهَا وَمَنْ عَجِبَ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
 أقاما على رَغَمِ الخطوبِ لِشَهِدَا لبانيهما بينَ البريةِ بالفَخْرِ
 فَكَمْ أُمٌّ في الدَّهْرِ بادَتْ وَأَعْصَرِ خَلَتْ وَهْمَا أَعْجُوبَةُ العَيْنِ والفَكْرِ
 تَلَوَّحُ لَأَثَارِ العَقُولِ عَلَيْهِمَا أساطيرُ لا تَنفَكُ تُتلى إلى الخَشْرِ
 رُمُوزِ لَواسِطَ لَمَعَتْ مَكْنُونِ سِرِّهَا لأَبْصَرْتَ مَجْمُوعَ الخلائِقِ في سَطْرِ
 فَمَا مِنْ بِنَاءٍ كان أو هو كائِنْ يُدَانِيهِمَا عِنْدَ التَّمائِلِ والخَبْرِ
 يُقَصِّرُ حُسْنًا عَنْهَا صَرْحُ بَابِلَ ويعترفُ الإيوانُ^١ بالعِجْزِ والبَهْرِ
 كَأَنَّهَا ثَدْيَانِ فَاضَا بِدَرَّةٍ مِنَ النِّيسِلِ تَروي غِلَّةَ الأرضِ إِذْ تَجْرِي

(١) هو إيوان كسرى، كان بهواً عظيماً في قصره بالمداين وسقفه أزج معقود

وبه سمي قصره الأبيض .

وبينهما بلهيب^١ في زِيّ رابيض أكب على الكفتين منه إلى الصدر
يُقَلِّبُ نحوَ الشرقِ نظرةَ وامقِ كان له شوقاً إلى مَطْلَعِ الفجرِ
مَصَانِعُ فيها للعلوم غَوَامِضُ تدل على أن ابن آدم ذو قَدَرِ
رسا أصلها، وامتدّت في الجوَّ فرغها فأصبح وكرأ السمتا كدين^٢ والنسر^٣

(٢) أحمد شوقي بك المتوفى سنة - ١٣٥١ - ١٩٣٢م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر ، وأقدرهم على التصورات البديعية
شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ، المولود بمصر سنة
١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م .

شعره - ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ،
وحيث يشاء ، لا يُجهد فكره ، ولا يكده في معنى أو في مبنى . فأما المعنى
فيجيشه على مرامه أو على أبعد من مرامه ، ولا ينصب عنده ، لأنه يستخلصه
من عقل فتوار الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب ، في لغات الإفرنج
والأعراب ، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير
يسير ، إلى مشاركات علمية وتنبيهات فنية ، استفادها من مطالعته في صنوف
الكتب واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب .
وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسيج
(البُحتري) ومن صياغة (أبي تمام) ومن وثبات المتنبي (ومن مفاجآت (الشريف)

ومن مُسلَسَلات (مِهيار) . ومن قوله (يصف هينكل أنس الوجود) :
أيها المُتَنَحِّي (بأسوان) داراً كالثريّا تُريدُ أن تُنْقِضَا

-
- (١) اسم لأبي الهول عرف به صدر الإسلام . ولعل أبا الهول محرف عنه .
(٢) السما كان نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامي والثاني السماك الأعزل .
(٣) النسر كوكبان : الواقع والطائر . وفي النسر تورية .

إخْلَعِ النَّعْلَ وَاخْفِضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعِ
 قَفَّ بِتِلْكَ (القصور) فِي السِّمِّ غَرَّقَنِي
 كَعَذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا^١
 مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ
 شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ
 رُبَّ (نَقَشِ) كَأَنَّمَا نَقَضَ الصَّا
 وَ (دَهَان) كَلَامِ الزَّيْتِ مَرَّتْ
 وَ (خَطُوطِي) كَأَنَّمَا هُدُبُ رِيْمٍ^٢
 وَ (ضَحَايَا) تَكَادُ تَمُشِي وَتَرَعِي
 وَ (مَحَارِيبَ) كَالْبُرُوجِ بَنَسْنَهَا
 شَيَّدَتْ بِعُضْبِهَا الْفَرَاعِينَ زُلْفَى^٣
 وَ (مَقَاصِيرَ) أَبْدَلَتْ بِفُتَاتِ الْمَسْكِ تَرْبًا^٤ وَبِالْيَوَاقِيتِ قَضَا^٥
 حَظَّتْهَا الْيَوْمَ هَدَّةٌ وَقَدِيمًا
 سَقَّتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ إِلَى أَنْ تَعَاطَتْ النَّحْسُ مَحْضًا^٦
 صَنَعَتْ تَدْفِيسَ الْعُقُولِ وَفَنَ^٧
 يَا قُصُورًا نَظَرَتْهَا وَهِيَ تَقْضِي^٨
 أَنْتِ سَطْرٌ وَمَجْدٌ مَصْرُ كِتَابٍ
 وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مَصْرٍ
 رُبَّ سِرٍّ يَجَانِبُكَ مَزَالٍ
 لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَمَضًا
 مُنْسِكًا بِعَمَضِهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْضًا
 سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدَيْنَ بَعْضًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضًا
 وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَسْرِ تَقْضَا
 أَعْصُرُ بِالسَّجَاجِ وَالزَّيْتِ وَضَا^٩
 حَسُنَتْ صَنَعَةٌ وَطُولا وَعُرْضًا^{١٠}
 لَوْ أَصَابَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ نَسْبًا
 عَزَمَاتٌ مِنْ عَزْمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى^{١١}
 وَبَنَى الْبَعْضَ أَجْنَبٌ يَتَرْضَى^{١٢}
 وَبِالْيَوَاقِيتِ قَضَا^{١٣}
 صَرَفَتْ فِي الْحِظْوِظِ رَفْعًا وَخَفَضًا
 سَقَّتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ إِلَى أَنْ تَعَاطَتْ النَّحْسُ مَحْضًا^{١٤}
 صَنَعَتْ تَدْفِيسَ الْعُقُولِ وَفَنَ^{١٥}
 يَا قُصُورًا نَظَرَتْهَا وَهِيَ تَقْضِي^{١٦}
 أَنْتِ سَطْرٌ وَمَجْدٌ مَصْرُ كِتَابٍ
 وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مَصْرٍ
 رُبَّ سِرٍّ يَجَانِبُكَ مَزَالٍ
 لَا تُحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَمَضًا
 مُنْسِكًا بِعَمَضِهَا مِنَ الدَّهْرِ بَعْضًا
 سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدَيْنَ بَعْضًا
 مُشْرِقَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضًا
 وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَسْرِ تَقْضَا
 أَعْصُرُ بِالسَّجَاجِ وَالزَّيْتِ وَضَا^{١٧}
 حَسُنَتْ صَنَعَةٌ وَطُولا وَعُرْضًا^{١٨}
 لَوْ أَصَابَتْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ نَسْبًا
 عَزَمَاتٌ مِنْ عَزْمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى^{١٩}
 وَبَنَى الْبَعْضَ أَجْنَبٌ يَتَرْضَى^{٢٠}
 وَبِالْيَوَاقِيتِ قَضَا^{٢١}

(١) بضاً : البض، الرخص الجسد. (٢) وضاً : وضاء. (٣) ريم : غزال.

(٤) أمضى : أحد. (٥) زلفى : تقريباً. (٦) يترضى : يطلب الرضا.

(٧) قضا : حصاً. (٨) محضاً : خالصاً. (٩) تقضى : تنفى.

قل لها في الدعاء لو كان يجدي
 حار (فيك) المهندسون عقولاً
 أين ملك حيالها وفريد
 أين (فرعون) في المواكب تترى
 ساق للفتح في الممالك عرضاً
 أين (إيزيس) تحتها النيل يجري
 أسدل الطرف كاهنٌ ومليك
 يعرض المالكون أسرى عليها
 مالها أصبحت بغير مجير
 هي في الأسر بين صخر وبحر
 أين (هوروس) بين سيف ونطع
 ليت شعري قضى شهيد غرام
 رُب ضرب من سوط فرعون مضى^١
 وهلاك بسيفه وهو فان
 قتلوه فهل لذلك حديث
 يا إمام الشعوب بالأمس واليو
 مصر^٢ بالنازليين من ساح معن^٣
 كن ظهراً^٤ لأهلها ونصيراً
 قل لقوم على (الولايات) أيقا
 شيمة النيل أن يفي وعجيب^٥
 يا سماء الجلال لا صرت أرضاً
 وتولت عزائم العلم مرضى
 من نظام النعم أصبح فضاً^٦
 يركض المالكين كالخيل ركضاً
 وجلاً للفخار في السلم عرضاً
 حكمت فيه شاطئين وعرضاً
 في ثراها وأرسل الرأس خفضاً
 في قيود الهوان عانين جرضى^٧
 تشبثني من نوابب الدهر عرضاً
 ملكة في السجون فوق حضوضى^٨
 أهذا في شرعهم كان يقضى ؟
 أم رماه الوشاة حقداً وبُغضاً
 دون فعل الفراق بالنفس مضاً
 دون سيف من اللواظ ينضى^٩
 أين راوي الحديث نثراً وقرضاً ؟
 م ستعطى من النشاء فسترضى
 ورحى الجود حاتم الجود أفضى
 وابذل النصيح بعد ذلك محضاً
 ظي إذا ذاق البرية غمضاً
 أخرجوه فضيَّع العهد نقضاً

(١) فضا : مفضوض .

(٢) جرضى : مغمومين .

(٣) حضوضى : جبل في البحر . (٤) مض : مرجع . (٥) ينفضى : يسل

(٦) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب . (٧) ظهراً : نصيراً

حاشية^١ الماء فهو صيد كريم ليت بالنسييل يوم يسقط غيضاً^٢
شيئدوا المال ، والعلوم قليل^٣ أنقذوه بالمال والعلم نقضاً^٣

وقال أيضاً في استنهاض مسم العمال من قصيدة :

أيها العمال أفنوا العم رَ كدّاً واكتساباً
واغمرُوا الأرضَ فلولاً سعيكم أمست يباباً^٤
أتقنوا الصنعة حق أخذوا الخلد اغتصاباً
إنّ للمتقين عند الله والناس ثواباً
أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جناباً^٤
أرضيتم أن ترى مص ر من الفن خراباً
بعد ما كانت سماء للصناعات وغاباً
أيها الغادون كند حل ارتياداً وطلاباً
في بكور الطير للرزق مجيئاً وذهاباً
اطلبوا الحق برفق والجمعوا الواجب داباً
واستقيموا بفتح الله لكم باباً فباباً
اهجروا الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتاباً^٤
إنها رجس فطوبى لأمريء كف وتاباً
ترعش الأيدي ومن يرعش من الصناعات خاباً
إنما العاقل من يجعل للدهر حساباً

(١) حاشية : من حاش الصيد ، أخرجه في كل مكان .

(٢) غيضاً : من غاض الماء غيضاً ، نقص أو غار فذهب في الأرض .

(٣) نقضاً . النقض ما انتقض من البناء ، أي انتكث .

(٤) الأرض واليباب الخراب .

وقال أيضاً في وصف الصحافة من قصيدة :

لكل زمان مضي آية^١ وآية هذا الزمان الصحف
لسان البلاد ونسبض العبا^٢ د وكهف الحقوق وحرب الجنف^٣
تسير مسير الضحى في البلا^٤ د، إذا العلم مزق فيها السدف^٥
وتنشي 'تعلم' في أمة^٦ كثير بها لا يخط الألف !
فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزق فيها بكم واختلف
فإن السعادة غير الظهور ، وغير الثراء ، وغير الترف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يكتشف^٧
خذوا القصد واقتنعوا بالكفا^٨ ف واخلوا الفضول يفلها السرف^٩
وروموا النسبوغ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التثحف
وما الرزق مجتنب^{١٠} حرفة إذا الحظ لم يهجر المحترف
إذا آخت الجوهرى^{١١} الحظوظ ظ كفلن اليتيم له في الصدف^{١٢}
وإن أعرضت عنه لم يحل في عيون الخرائد^{١٣} غير الحزف

(٣) المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتمتع في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجره .

يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات ، يطرق ا. ووضوح في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف الظلام .

(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة . وغالها السرف يفوها أتى عليها .

(٤) اليتيم : اللواؤ المنقطع النظير . (٥) الخرائد : العذارى .

بين يديه ، آمناً أن تن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أن الكلام لا بد أن يأتيه في أي مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلاها . له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاتته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير ، أولع بالاجتماعات فقال فيها وأجاد ما شاء . فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك السجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد .

أما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحراً — ومن شعره الاجتماعي قوله:

كم ذا يكابد عاشق ويلاق	في حُب مصر كثيرة العشاق
لني لأحمل في هوالك صباية	يا مصر، قد خرجت عن الأطواق
لهفي عليك ، متى أراك طليقة	يحمي كريم حماك شعب راق
كلّف بمحمود الخلال مُتَيْم	بالبدل بين يديك والإنفاق
لني لنطربني الخلال كريمة	طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزني ذكر المروءة والندى	بين الشائل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها	والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكشوس وتختفي	والبدر يشرق من جبين الساق
بألد من خلقي كريم طاهر	قد مازجته سلامة الاذواق
فإذا رزقت خليفة محمودة	فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مال ، وذا	علم ، وذاك مكارم الاخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا	بالعلم كان نهاية الإملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل	تعليم كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده
من لي بتربية النساء فإنها
الأم مدرسة ، إذ أعندتتها
الأم روض إن تعهده الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى
أنا لا أقول : دعوا النساء سوا فرأ
يدرن جن حيث أردن ، لا من وازع
يفعلن أفعال الرجال لو اهيا
في دورهن شؤونهن كثيرة
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
ليست نساؤكم حلى وجواهرأ
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى
تشكل الأزمان في أدوارها
فتوسطوا في الحالتين ، وأنصيفوا
ربوا البنات على الفضيلة ، إنها
وعليكم أن تستبين بناتكم

ما لم يتزوج ربّه بخلاق
في الشرق علة ذلك الإخفاق
أعندت شعباً طيب الأعراق
بالرثي ، أوزق أيسما إيراقي
شغلت مآثرهم مدى الآفاق
بين الرجال يحلن في الأسواق
يحذرن رقبتنه ولا من واق
عن واجبات نواعس الأحداق
كشون رب السيف والميزراق
في الحجب والتضييق والإرهاق
خوف الضياع تصان في الأحقاق
في الدور بين مخادع وطباق
دولاً ، وهن على الجمود بواق
فالشر في التقييد والإطلاق
في الموقفين لهن خير وثاق
نور الهدى ، وعلى الحياء الباقي

(٤) المرحوم إسماعيل باشا صبري المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر ، ويمتاز بحمال مقطعاته وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يحاربه فيه بحار .

وأكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدا ، أو خبر ذي بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه . ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسيه؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤ م، وتوفي سنة ١٩٢٣ م.

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني
ولست إن لم تؤيدني فراءة
ولست جباراً ذا الوادي إذ سلمت
لا تقشروا النيل إن لم تعملوا عملاً
ردوا الحجر كدأ دون مؤرده
وابنوا كما بننت الأجيال قبلكم
أمرتكم، فأطيعوا أمر ربكم
فالمثل لك أمر وطاعات تسابقه
لا تتركوا مستحيلاً في استحالاته
مقالة قد هوت عن عرش قائلها
مادت لها الأرض من دُعرودان لها
لو غير فرعون ألقاها على ملا
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً
وآزرتة جماهير تسييل بها
يبنون ما تقف الأجيال حائرة
من كل ما لم يلد فكر ولا فتحت
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل
برأ بذي الأمر لا خوفاً ولا طمعاً

إذا ونسى يوم تحصيل العلى وإن
منكم بفرعون عالي العرش والشان
جباله تلك من غارات أعواني
فماؤه العذب لم يخلد لكسلان
أو فاطلوا غيره ريتاً لظمان
لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
لا يشن مستمعاً عن طاعة ثان
جنباً إلى جنب إلى غايات إحسان
حق يميظ لكم عن وجه إمكان
على مناكب أبطال وشجعان
ما في المقطع من صخر وصوان
في غير مصر لعدت حلم يقظان
لبت حجارت في قبضة الباني
بطاح وادٍ بماضي الدزم ملآن
أمامه بين إعجاب وإذعان
على نظائره في الكون عينان
جنباً يطير بأمر من سليمان
لكنهم خلّقوا طلائب إتقان

أهرامهم تلك، حيّ الفن متخذاً من الصخور بروجاً فوق كيوان
 قد مرّ دهرٌ عليها وهي ساخرة بما يُضغَضِيعُ من صرّح وإيوان
 لم يأخذ الليلُ منها والنهارُ سوى ما يأخذُ النملُ من أركانِ ثهلانِ
 كأنها والعوادي في جوانبها صرعى بناءُ شياطينٍ لشیطانِ
 جاءت إليها وفود الأرض قاطبة تسعى اشتياقاً إلى ما خلّدَ الفاني
 فصغرت كل موجود ضخامتها وغضّ بنيناها من كل بنيانِ
 وعاد مُنكرُ فضل القوم مُعترفاً يُشني على القوم في سرّ وإعلانِ
 تلتطالها كل في الأمصار شاهيدة بأنهم أهلُ سبقٍ، أهلُ إمعانِ
 وأن فرعونَ في حَوَلٍ ومقدرة وقومَ فرعون في الإقصاد كِفَانِ
 إذا أقامَ عليهم شاهداً حَجَرٌ في هيكلٍ قامت الأخرى ببرهانِ
 كأنما هي والأقوامُ خاشعةٌ أمامها صُحُفٌ من عالمِ ثانِ
 تستقبلُ العينَ في أثنائها صُورٌ فصيحة الرّمز دارت حول جُدرانِ
 لو أنها أعطيت صوتاً لكان له صدّى يروّعُ صمّ الإنس والجانِ
 أين الألى سجّلوا في الصخر سيرتهم وصغروا كل ذي مُلك وسلطانِ
 بادوا، وبادت على آثارهم دُوكٌ وأدرجوا طيُّ أخبارٍ وأكفانِ

(٥) خليل بك مطران

هو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام ، ولد عام ١٨٧١ م ببعلبك وتعلم بها، ثم قدّم مصر عام ١٨٩٣ م ، واشتغل بمكاتبة الصحف، وأنشأ باسمه « المجلة المصرية » عام ١٨٩٩ م ، وأنشأ أيضاً (جريدة الجوائب المصرية) ، وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل) .

شعره - مجمع الصور، وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة، ينطبع

عليها كل مسامر بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بل وحه البحيرة الصافي يحرّكه كل ريح .

ومن قصيدته يصف ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم :

بلادي لا يزالُ هواك مسني كما كان الهوى قبلَ الفِطامِ
أقبلُ منك حيث رمى الأعادي رَغاماً طاهراً دون الرَغامِ
وأفدي كلَّ جُلُود فتيتٍ وهى بقنابل القومِ اللثامِ
لحى الله المطامعَ حيثُ حلتُ فتلك أشدُّ آفاتِ السَّلامِ
تَشوبُ الماء وهو أغرُّ صافٍ وتشي في المشارب بالسقامِ
أقول : وقد أفاق الشرقُ دُغراً من الحال الشبيهة بالمنامِ
على صخبِ المدافع في حِماةٍ ورقصُ الموت بين طلى وهامِ
أقول : بصوته لحمة دار رماها منُ بناقِ الغرب رامِ
أبأة الضيم من عرب وترك نسورَ الشمّ آساد الموامي
قرومَ العصر فرساناً ورجلاً نجومَ الكرم من خلف اللثامِ
بنا مرض النعم فنسّمونا وغى يشفي من الصفو العقامِ
بنا بردُ المكوثِ فأدثونا بحمى الوثبِ حيث الخطبُ حامِ
بنا عطلُ السماع فشنتفونا بقعقة الحديد لدى الصّدامِ
على هذا الرجاء ونحنُ فيه نسير مؤقنين إلى الأمامِ

وقال أيضاً في « نابلون » وهو يرقبُ السماء في آخر أيامه

قالوا لنابلون ذات عَشية إذ يرقبُ كان في السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أمنيّةٍ فأجاب أنظر كيف أفتتحُ السما

أبواب الشعر العربي - الباب الأول في المديح

قال أمية بن أبي الصلت المتوفى في أول ظهور الإسلام حامداً شاكراً الإله :

لك الحمد والنسب والملك ربنا
ملك على عرش السماء مهيم
فسبحان من لا يعرف الخلق قدره
هو الله باري الخلق والخلق كلهم
ملك السماوات الشداد وأرضها
يدوم ويبقى ، والخلقة تنفذ

وقال أيضاً في الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شداداً بلا عمد يرين ، ولا رجال
وسواها وزيتها بنور من الشمس المضيئة والهلل
ومن شهب تلالاً في دجاها مرامها أشد من النصال
وشق الأرض فانبجست عيوناً وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكتي بها ما كان من حرث ومال
فكل مغمر لا بد يوماً وذي دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جيدته ويبلى سوى الباقي المقدس ذي الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلنا طويلاً وهجوا في سلسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بجر النار صالي
وحل المتقون بدار صديق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمال

وقال محمود سامي البارودي باشا مادحاً سيد الأمة ، من قصيدة كشف الغمة :

ومحمد خاتم الرسل الذي خضعت له البرية من عروب ومن عجم
سمير وحني وبجنى حكمة وندي سماحة وقرى عاف وري ظم

قد أبلغ الوحي عنه قبل بعثته مسامح الرسل قولاً غير منكّم
فذاك دعوة إبراهيم^١ خالقه وسر ما قاله عيسى^٢ من القدام
أكرم به ، وبآباء محجّلة جاءت به غرة في الأعصر الدهم
قد كان في ملكوت الله متخراً لدعوة كان فيها صاحب العلم
نور تنقل في الأكوان ساطعه تنقل البدر من صلب إلى رحم
وقال شوقي مادحاً أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

« محمد » صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم
وصاحب الخوض يوم الرسل سائلة : متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمي
سناؤه وسناء الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في عالم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ في مظهر سيم
نوا إليه فزادوا في الورى شرفاً ورب أصل لفرع في الفخار غمي
حواه في سُبُحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصلب والرحم
لما رآه بحميرا قال نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسيم
وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله :

إلى قطب الدنيا الذي لو بفضله مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
من البأس والمعروف والجود والنقى عيال عليه رزقهن شمائله
هو البحر من أي النواحي أقيته فليجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

(١) يشير إلى قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

(٢) يشير إلى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْ بَاءَ مِنَ الْكُتُبِ	فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
بَيْضُ الصَّمَانِ لَسَوْدِ الصَّحَافِ فِي	مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
فَتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ	وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَبْوَابِ الْقُسُوبِ
غَادَرَتْ فِيهَا بِهِمِ اللَّيْلُ وَهُوَ ضُحَى	يُقِيلُهُ وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيْبَ الدُّجَى رَغَبَتْ	عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ
أَجَبَتْهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتَا	وَلَوْ أَجَبَتْ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ	جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ	مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصِرْتَ بِهَا	وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

وقال أبو العلاء المعري :

إِلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُودٍ	فَأَبْلَى اللَّيَالِي وَالْأَنَامَ وَجَدِّدِ
لَجْدِكَ كَانَ الْمَجْدُ ثُمَّ حَوِيَّتْهُ	وَلَابَنُكَ يُبْنَى مِنْهُ أَشْرَفُ مَقْعَدِ
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ هِيَ الدَّهْرُ كُلُّهُ	وَمَا هُنَّ غَيْرُ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالْغَدِ
مَا الْبَدْرُ إِلَّا وَاحِدٌ غَيْرَ أَنَّهُ	يَغِيبُ وَيَأْتِي بِالضُّيَاءِ الْمُجَدِّدِ
فَلَا تَحْسَبِ الْأَقَارِ خُلُقًا كَثِيرَةً	فَجَمَلَتْهَا مِنْ نَيْسٍ مُتَرَدِّدِ
وَلِلْحَسَنِ الْحُسْنَى وَإِنْ جَادَ غَيْرُهُ	فَذَلِكَ جُودٌ لَيْسَ بِالْمَتَعَمِّدِ

وقال أبو الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة :

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكِ	مِيلُ الزَّمَانِ وَمِيلُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
فَنَحْنُ فِي جَنْدَلِ الرُّومِ فِي وَجَلٍ	وَالْبَرْقُ فِي شَغْلِ الْبَحْرِ فِي خَجَلٍ
لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ	فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ	فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ
إنَّ الإمام الذي فسَّخَرُ الأنام به
تسمي الأمانِيُ صرعى دون مبلغه
فإن وجدت لساناً قائلًا فسَّخَرُ
خير السُّيُوف بكفِّي خيرةِ الدول
فما يقولُ لشيءٍ لیتَ ذلك لي

وقال أيضاً يمدح أبا شجاع :

لا تخيلَ عندك تهديها ولا مالُ
واجزأ الأمير الذي نَعَمَاهُ فاجئتهُ
فربما جزَّت الإحسانَ مَوْلِيَه
وإن تكن محكمات الشكل تمنعني
وما شكرتُ لأن المال فرّحني
لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادلنا
فكنت مُسَبِّتَ رَوْضِ الحزن باكره
غيثٌ يُبَيِّنُ للنشطار موقعهُ
لا يُدْرِكُ المجدَ إلا سيدُ فطنُ
لا وارثٌ جهلتُ يَمْنَاهُ ما وهبتُ
قال الزمانُ له قولاً فأفهمه
تدري القناةُ إذا اهتزَّتْ براحته
كفأتك، ودخول الكاف منقصةُ
القائدُ الأسدُ غذتها بَرائنه

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ :

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ
وتتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ
يُكلفُ سيفُ الدولة الجيشَ همه
وقد عجزت عنه الجيوش الخضارمُ

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يفدّي أتم الطير عمرأ سلاحه نسورُ الفلأ أحداثها والقشاعيمُ
وما ضرها خلقٌ بفسير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أيّ الساقين الغنائم
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها المهاجم
بناها فأعلى والقنا تفرع القنسا ومَوْجُ المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها قنائم
طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
تبديد الليالي كل شيء أخذته وهنّ لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجي الروم والفرس هدمها وذا الطعنُ أساس لها ودعائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الواردين ذوي امتناح
ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
سأشكر إن رددت إلي ريشي وأنبت القوادم في حناحي
ألستم خير من ركب المطايا وأنشدى العالمين بطون راح

وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليامة من شعثاء أرملّة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يمدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأنّ به خبلاً من الجن أو مسّاً من البشر
لنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدرأ كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكر ؟

وقال أيضاً يمدحه :

يعودُ الفضلُ منك على قرّيش وتفرجُ عنهم الكربَ الشدادا
وقد أمّنتَ وحشهمُ برفق ويعيي الناسَ وحشكَ أن يصادا
وتدعو الله بحجتهِداً ليرضى وتذكر في رعتك المعادا
وما كُتبُ ابنُ مامة وابنِ سعدى بأجودَ منك يا عمرُ الجوادا

وقال الشمالي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحاً الأمير أبا الفضل الميسكالي :

لك في المفاخر معجزاتٌ حجة أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحرٌ في البلاغة شابه شعرُ الوليد وحسنُ لفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوهُ خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنور أو كالسحرا أو كالبدرا أو كالوشى في برد عليه موشع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى وافى الكريمُ بعميدٍ فقر مدقع
وإذا تفتق نورُ شعرك فاضراً فالحسن بين مرصع ومصرع
أرجلت فرسان الكلام ورض تأسرأس البديع وانت أمجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع المريع

وقال أبو محمد اليميني المتوفى سنة ٥٦٩ هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أقسمتُ بالفائز المعصوم معقده فوز النجاة وأجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها وزيره الصالح الفرج للأهم
اللابس المجد لم تنسج غلائلهُ إلا يد الصانعين: السيف والقلم
قد ملكته العوالي رق مملكة تميرُ أنف الثريا عزة الشمم
أرى مقاماً عظيم الشأن أو مهي في يقظتي أنه من جملة الحلم
ليت الكواكب تدنولي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
خليفة ووزير مدّ عدلها ظلا على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضها فما عسى يتعاطى هاطلُ الديم

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهينه :
 رأيتك والأبصارُ حولك خُشِعَ فقلت أبو حفص بهرُ ديك أم علي
 وخففتُ من حزني على مجد أمة تداركتها والخطبُ للخطب يعتي
 طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
 وجردت للفتيسا حسامَ عزيمة بحديثه آياتُ الكتاب المنزل
 محوت به في الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مفضل
 لئن ظفر الإفتاء منك بفاضل لقد ظفر الإسلامُ منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماة

قال السموأل بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل^١
 وإن هو لم يحمل على النفس صيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل^٢
 تعيرنا أنا قليل عديدا فقلت لها : إن الكرام قليل^٣
 وما قل من كانت بقاياها مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول^٤
 وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكرين ذليل^٥
 لنا جبل يحتله من نجيره^٦ منيع يرد الطرف وهو كليل

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى أن الإنسان إذا لم يتدنس
 باكتساب اللؤم واعتياده فأبي ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا . (٢) وإن هو لم
 يحمل إلى آخر البيت : أي من لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل له إلى اكتساب
 حسن الثناء وليس معنى الضيم ضم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونّه تذلا
 (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار . (٤) الشباب : جمع شاب
 كالشبان ، وقوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد
 الشبان . (٥) وما ضرنا يجوز في إما أن تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ويجوز
 أن تكون استفهامية على طريق التقرير (٦) قيل إنه أراد بذكر الجبل العز
 والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الأبلق الفرد
 بناء أبوه ، وقيل بناء سيدنا سليمان عليه السلام !

زَسَا أصله 'تحت الثرى وسما به إلى النجم فرُوع لا ينال' طويل^١
هو الأبلق' الفرْد' الذي شاع ذكره يعز على من' رامة' ويطول^٢
وإننا لقوم لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته' عامر وسلول^٣
يقرب' حب الموت آجالنا لنا وتكرهه' آجالهم فتطول^٤
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ظل منا حيث كان قتيل^٥
تسيل' على حد الطبات نفوسنا وليست' على غير الطبات تسيل^٦
صفونا فلم نكدر' وأخلص سرنا إناث أطابت' حملنا وفحول^٧
علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول^٨
فنحن' كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل^٩
ونكسر' إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول^{١٠}
إذا سيد' منا خلا قام سيد قؤول' لما قال الكرام فقول^{١١}

(١) رسا أصله إلى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل في الأرض وأعلى طود عليها (٢) الأبلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموأل بناء أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فمعجزت عنه وعن مارد فقالت قمره مارد وعز الأبلق . (٣) السبة العار ، وعامر وسلول قبيلتان : يقول إذا حسب هؤلاء القتل عاراً عدته عشيرتي فخراً . (٤) يقرب إلى آخر البيت يشير به إلى أنهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وأن عامراً وسلولاً يعمران لمجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة . (٥) يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب . قيل إن أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبي صلى الله عليه وسلم . (٦) الطبات : جمع ظبة وهي حد السيف قيل أراد بالطبات السيوف كلها فأضاف الحد إليها أي أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون إلا بالسيف ولا يقتلون بالعصي ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس . (٧) المراد بالسر هنا الأصل الجيد . (٨) علونا إلى آخر البيت يشير به إلى صريح نسبهم وخلوصه مما يحيط بشرفهم . (٩) كماء المزن يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء المطر والنصاب : الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد . (١٠) ولا ينكرون إلى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم . (١١) يعني أن السيادة مستقرة فينا حتى إذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعل .

وما أخيدت نار لنا دون طارق
وأيامنا مشهورة في عدونا
وأسيافنا في كل شرق ومغرب
معوّدة ألا نسل نصالها
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم
فإن بني الديان قطب لقومهم
وقال عنتره العبسي المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرك إن المجد والفخر والعلو
لمن يلتقي أبطالها وسراها
ويبني مجد السيف مجداً مشيداً
ومن لم يرو ربحه من دم العدا
ويُعطي القنا الخطي في الحرب حقه
يعيش كما عاش الذليل بغصة
فضائل عزم لا تباع لضارع
برزت بها دهرأ على كل حادث
ولا كحل إلا من غبار الكتائب

(١) وما أخيدت نار لنا يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يثني عليهم كل نزيل (٢) الحجول : جمع حجل وهو الخللخال يقول وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل . (٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب الدروع (٤) القبيل الجماعة من آباء شتي وجمعه قبائل يقول عودت أسيافنا أن لا تجرد من اغمارها فترد فيها إلا أن يستباح بها قبيل ، وفي رواية قتيل (٥) عنا وعنهم ويروي عما فنخبري معناه إن كست جاهلة بنا فسلي الناس تجهري بجاننا فالعالم والجاهل مختلفان (٦) القطب الحديد المغروس في الطبقة الأسفل من الرحى يدور عليه الطبقة الأعلى منها والمعنى أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم مثل الرحى لا يتم أمرها إلا بالقطب .

إذا كَذَبَ البرقُ اللعوجُ لشائِمُ فبرقُ حُسامي صادق غير كاذبُ

وقال في الحماسة والفخر :

سكتُ ففرَّ أعْدائي السكوتُ وظلُّوني لأهلي قد نسيتُ
وكيف أُنَامُ عن ساداتِ قُومِ أنا في فضلِ نعمتهم رُبِيتُ
وإن دارت بهم خيلُ الأعادي ونادَوْنِي ، أجبْتُ متى دُعِيتُ
بسيفِ حَدِّهِ موجُ المنايا ورُمحِ صدرهِ الحنفِ المميتُ
خُلِّقتُ من الحديدِ أشدَّ قلباً وقد بليَ الحديدُ وما بليتُ
وإني قد شربتُ دمَ الأعادي بأقنحافِ الرؤوسِ وما رَوِيتُ
وفي الحربِ العَوانِ ولدتُ طفلاً ومن لبِنِ المعامِيعِ قد سقيتُ
فما للرمحِ في جسمي نصيبُ ولا للسيفِ في أعضائي قوتُ
ولي بيتُ علا فلِكَ الثرَيَّا تخيرُ لعظمِ هيبَتِهِ البيوتُ

وقال أيضاً في الحماسة والفخر يوم المصانع :

إذا كشفَ الزمانُ لك القناعا ومدَّ إليك صرْفُ الدهرِ باعا
فلا تخشِ المنيَّةَ والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تخترُ فراشاً من حريرِ ولا تَبْكِ المنازلَ والبقاءعا
وحولِكَ نِسْوةٌ ينسُدينَ حزناً ويهْتِكُنَّ البراقعَ واللفاعا
يقولُ لك الطبيبُ دواكَ عندي إذا ما جسَّ كَفْكَ والذراعا
ولو عرِفَ الطبيبُ دواءَ دائٍ يرُدُّ الموتَ ما قاسى النزاعا
وفي يومِ المصانعِ قد تَرُكْنَا لنا بفعالنا خيراً مُتاعا
أقمنا بالدوابِلِ سوقَ حربٍ وصيّرنا النفوسَ لها مصاعا
حصاني كان دلالَ المنايا فخاض غمارها ، وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيبياً يُداوي رأسَ من يشكو الصداعا
أنا العبدُ الذي خُبِّرْتُ عنه ، وقد عاينتني فدَعِ السماعا

ولو أرسلتُ ربحي معُ جبانٍ لكانَ بهيبتي يلقى السباعا
ملأتُ الأرضَ خوفاً من حسامي وخصمي لم يحيد فيها اتساعا
إذا الأبطال فرّت خوف بأسي ترى الأقطارَ باعاً أو ذراعاً

وقال أيضاً في الفخر والحماة :

أعادي صرف دهر لا يُعادي وأحتملُ القطيعة والبيعا
وأظهرُ نصيحَ قومٍ ضيعوني وإن خانت قلوبهمُ الودادا
أعللُ بالمني قلباً عليلاً وبالصبر الجميل وإن تُمادي
تُعيرني العدا بسوادٍ جلدي وبيضُ خصائلي تمحو السوادا
وردتُ الحربَ والأبطالُ حولي تهزُّ أكفها السُمُرُ الضعادا
وخضتُ بمهجتي بحر المنايا ونارُ الحرب تتقد انتقادا
وعُدتُ مُخضباً بدمِ الأعادي وكربُ الركض قد خضب الجوادا
وسيفي مُرهف الحدين ماض تقدُّ شفاره الصُّخرُ الجمادا
وربحي ما طعنتُ به طعيناً فعاد بعينه نَظَرَ الرِشادا
ولوك صارمي وسمان رُبحي لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعّد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتنخِر بقومه :

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ ولا ينال العُلى من طبعه الغضبُ
للهِ دَرٌّ بني عبس لقد نسلوا من الأكارم ما قد تنسلُ العربُ
قد كنتُ فيما مضى أروعى جمالهم واليوم أحمي حمام كلما تُكَبوا
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نَسَبُ يومَ التّزال إذا ما فأتني النسبُ
ان كنت تعلم يا نَعْمَان أن يدي قصيرةٌ عَنْكَ فالأيامُ تنقلبُ
ان الأفاعي وان لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطبُ
اليومَ تعلم يا نَعْمَان أيّ فتيّ يلقى أخاك الذي قد غرّه العصبُ

ففي يخوض غمار الحرب مُبْتَسِمًا وَيَنْثَنِي وَسَنَانُ الرُّمَحِ مَخْتَضِبُ
ان سل صارمته سالت مضاربته وَأَشْرَقَ الْجَوْثُ وَانْشَقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ
والخيل تشهد لي أنني أكسَمُكها وَالطَّمَعُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يَلْتَهَبُ
إذا التقيت الأعادي يوم معركة تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَفْرُورَ يُنْتَهَبُ
لي النفوس وللطير اللحوم ولا وَحَشَّ الْعِظَامُ وَالْخِيَالَةَ السَّلْبُ
لا أبعد الله عن عيني غطارفة انسا إذا نزلوا جنًا ، إذا ركبوا
أسود غاب ولكن لا نيوب لهم الا الأسِنَّةُ وَالْهَنْدِيَةُ الْقَضْبُ
تعدو بهم أعوجيات مضمرة مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقَبْ
مازلت ألقى صدور الخيل مندفعًا بِالطَّمَعِ حَتَّى يَضِجَ السَّرَجُ وَاللَّبْ
فالعُمى لو كان في أجفانهم نظروا وَالْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خُطْبُوا
والنعم يوم طراد الخيل يشهد لي وَالضَّرْبُ وَالطَّمَعُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ

وقال أيضاً في اغارته على بني حُرَيْقَةَ :

حَكَّمْتُ سِيوفَكَ فِي رِقَابِ الْعَدَلِ وَإِذَا نَزَلْتُ بَدَارُ ذُلِّ فَارْحَلِ
وإذا الجبانُ نهاكَ يوم كرهية خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ اِزْدِحَامِ الْجَحْفَلِ
فأعص مقالته ولا تحفل بها وَأَقْدَمَ إِذَا حَقَّ الْاَلْقَا فِي الْأَوَّلِ
واختبر لنفسك منزلًا تعلو به أَوْ مَتَّ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
ان كنت في عدد العبيد فهمتي فَوْقَ الثَّرِيئِ وَالسَّيِّئِ الْأَعْزَلِ
أو أنكرت فرسان عبس نسبي فَسَيِّئَانِ رُحْمِي وَالْحُسَامُ يَقْرُّ لِي
وبذابلي ومهندي نلت العلى لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَجْزَلِ
ورميت رُمحي في العجاج فخاضه وَالنَّارُ تَقْدَحُ مِنْ شِفَارِ الْأَنْصَلِ
خاض العجاج محجلاً حق إذا شَهِدَ الْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحْجَلِ
ولقد نكبت بني حُرَيْقَةَ نكبة لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الْأَخْيَلِ
وقلت فارسهم ربيعة عنوة وَالْهَيْدَبَاتُ وَجَابِرُ بْنُ مُهَلَّلِ

لا تسقي ماء الحياة بذلة بل فاسقي بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ هـ :

سواي يهاب الموت أو يهرب الردى وغيري يهوى أن يعيش مخددا
ولكنني لا أهرب الدهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مدّ نحوي حادث الدهر كفه لحدثت نفسي أن أمدّ له يدا
توقد عزمي يترك الماء جرة وحلية حلمي تترك السيف مبردا
وفرط احتقاري للأثام لأنسي أرى كل غار من حلى سوددي سدا
ويأبى إبائي أن يراني قاعدا ولاني أرى كل البرية مقعدا
وأظلم إن أبدى لي الماء منة ولو كان لي نهر الجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتدلل رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا وبى وبفضلي أصبح الدهر أمردا
وإنك عبيد يا زمان وإنني على الرغم مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطيء الثرى وليمة لا ترتضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
أرى الخلق دوني إذ أراهم فوقهم ذكاه وعلماء واعتلاء وسوددا
وبذل نوالي زاد حق لقد غدا من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنمي إن هزرت فما ضررتي ألا أهز المهندا
إذا صال فوق الطرس وقع صريه فإن صليل المشرقي له صدى

وقال حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٤ هـ .

لعمري أبليك الخير يا شعث ما نبا على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي
وإن أك ذا مال كثير أجسد به وإن يهتصر عودي على الجهد محمد

فلا المالُ يُنسيني حياتي وعِفتي ولا واقعاتُ الدهر يفلُتن مبردي
وإني لمُعط ما وجدت وقائلٌ لموقدِ ناري ليلة الرِّيح أو قد
وإني لقوَّالٌ لذي البث مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرَّصد
وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضربُ بيض العارض المتوقِّد
وإني لحُلُوٌّ تعترني مَمرارةٌ وإني لستراكُ لما لم أعوِّد
وإني لمزجٍ للمطيِّ على الوجي وإني لستراكُ الفِراش المهدِّد
وقال الفرزدق :

لنا العِزةُ القعساءُ^١ والعدد الذي عليه إذا عدَّ الحصى يتخلف^٢
ومنا الذي لا ينطقُ الناس عنده ولكن هو المستأذن المتصرف^٣
تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تُصرف^٤
تري الناس إن سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا^٥
ولا عِز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فنُصف^٦
وما قام عنا قائم في نديتنا^٨ فينطق إلا بالتي هي أعرف^٩
وقال وقد نزل في بادية وأوقد ناراً فرأها دثب فأثاه فاطعمه من زاده وأنشد:
وأطلس عسَّالٍ وما كان صاحباً^{١٠} دعوتُ بناري موهيناً فأثاني^{١١}

(١) العزة القعساء أي القوة والمنعة الشاخنة الثابتة . (٢) يعني عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعني منا من لا يتكلم في مجلسه إلا بإذنه ولا يفعل إلا بأمره (٤) يعني ما تنظر يمينه ولا يسرة من مهابته وجلالته (٥) يعني نحن سادة أشراف نمشي أمام الناس . (٦) يعني إذا أشرنا إلى الناس أن وقفوا أو وقف بعضهم بعضاً طوع إشارتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف الصفة والعدل فنمكنه من ذلك (٨) الندى كغنى والنسادي مجتمع القوم . (٩) يعني لا نطق إلا حيث يحسن الكلام وإذا نطق جاء بالقول الصادق الذي لا يمكن لأحد أن ينكره . (١٠) الأطلس الذئب الخبيث الذي في لونه غبرة مائلة إلى السواد، والعسال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه . (١١) الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أي دعوته بسبب إيقاد النيران في الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء الي .

فلما أتى قلتُ أدنُ دونك^١ إنني
فبتُ أقدُّ الزاد بيني وبينه^٢
وقلتُ له لما تكشَّرَ ضاحكا^٣
تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونني
وأنت امرؤُ يا ذئبُ والغدر كنتما
ولو غيرنا نهت تلتمسُ القرى
وقال الشريف الرضي^٤ :

لغير العلى مني القلى والتجنبُ
إذا الله لم يعذرَكَ فيما ترومه
ملككت بحلمي فرصة ما استرققتها
لئن تكُ كفي ما تطاولَ باعُها
فحسبي أني في الأعادي مُبَغِضُ
وللحلم أوقات وللجهل مثلها
يصولُ عليّ الجاهلون وأعتلي

(١) أي لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ: إشارة الى اعطائه لزاد (٢) أقد أي أقطع والزاد الطعام ولعل طعنه كان لهما بدليل القدر (٣) لما تكشَّر لما أبدى ضاحكا أي كأنه يضحك (٤) يعني ومقبض سيفي ثابت في يدي (٥) يعني إذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين (٦) يعني مع أني أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر (٧) تلتمس القرى تطلب الضيافة وشبابة السنان حده (٨) هو أبو الحسين محمد ابن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب الرضي ذي الحسين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٦٩ هـ وتوفي ٤٠٦ هـ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلاء، دفن عند أبيه، ومن شعره ما كتبه الى الإمام أبي العباس أحمد المقتدر :

عطفا أمير المؤمنين فإننا في دوحه العلياء لا نفترق
ما بيننا يوم الفخار تفارت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأب مطوق

يرؤن احتمالي غصة ويزيدهم
وأعرض عن كأس النديم كأنها
وقور فلا الألمان تأسر عزمتي
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
تحلثم عن كرك القوارض شيمتي
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجا
ولست براض أن تمس عزائمي
عرائب آداب حباني بحفظها
تعلم فإن الجود في الناس فطنة
لواعج ضغن أنفي لست أغضب
وميض غمام غائر المزن خلب
ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
كان معيد المدح بالذم مطنب
إذا نال مني العاضه المتوثب
فضالات ما يعطي الزمان ويسلب
زمانني وصرف الدهر نعم المؤدب
تقوم بها الأحرار والطبع أغلب

وقال العميد مؤيد الدين الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

أبى الله إن أسمى بغير فضائي
وإن كرمتم قبلي أوائل أسرتي
وما منصب إلا وقدري فوقه
إذا شرفت نفس الفتى زاد قدره
كذلك حديد السيف إن يصف جوهرأ
وما المال إلا عارة مستردة
إذا لم يكن لي في الولاية بسطة
ولا كان لي حكم مطاع أجزه
فأعذر إن قصرت في حق مجتد
ولولا تكاليف العلى ومغارم
لأعطيت نفسي في التخلي مرادها
إذا ما سما بالمال كل مسود
فإني بحمد الله مبدأ سوددي
ولو حط رحلي بين نسر وفرقد
على كل أسنى مذه ذكراً وأجد
فقيمته أضعافه وزن عسجد
فهلا بفضلي كأثروني ومحتدي
يطول بها باعي وتسطو بها يدي
فأرغم أعدائي وأكبت حسدي
وآمن أن يعتادني كيد معتد
ثقال وأعقاب الأحاديث في غد
فذاك مرادي منذ نشأت ومقصدي

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا.

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
مهلاً بني عمنا من نحت أثلتنا
الله يعلم أننا لا نحبكم
كل له نية في بفض صاحبه
وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
ولا نلومكم إن لم تحبونا
بنعمة الله نقليكم وتقلونا
وقال محمد بن عبد الله الأزدي :

لا أدفع ابن العم يثني على شفا
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه
وحسبك من ذل وسوء صنعة
وإن بلغتني من أذاه الجنادع
لترجعه يوماً إلى الرّواجع
مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع
وقال حطان بن المعلى :

أنزلي الدهر على حكمه
وغالي الدهر بوفر الغنى
أبكائي الدهر ويا ربما
لولا بُنيات كزغب القطا
لكان لي مضطرب واسع
وانما أولادنا بيننا
لو هبت الريح على بعضهم
من شامت عال إلى خفض
فليس لي مال سوى عرضي
أضحكني الدهر بما يرضي
رُددن من بعض إلى بعض
في الأرض ذات الطول والعرض
أكبادنا تمشي على الأرض
لامتنعت عيني من الغمض

وقال أوس بن حبناء :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة
وهواناً وإن كانت قريباً أو أصره
فذرّه إلى اليوم الذي أنت قادره
وصمّم إذا أيقنت أنك علمقره

وقال سعد بن ناشب :

تفندني فيما ترى من شراسقي
وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها انّ الكريم وان خلا
وفي اللين ضعف وفي الشراسة هيبة
وما بي على من لان لي من فظاظة
ولكنني فظأ أبي على القسر
وقال ابراهيم النبهاني :

تمزّ فإن الصبر بالحر أجمل
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعاً
لكان التعزّي عند كل مصيبة
فكف وكلّ ليس يعدو حمامه
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما لينت منا قناة صليبة
ولكن رحلناها نفوساً كريّة
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا
وقال آخر :

إن يحسدوني فلني غير لائمهم
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
انا الذي يحسدوني في صدورهم
وقال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما انت فاعله
وموقف مثل حد السيف قت به
فما زلقت ولا ابديت فاحشة
ان التخلق يأتي دونه الخلق
أحمي الذمار وتوميني به الحدق
اذا الرجال على أمثالها زلقوا

وقال تأبط شرأ :

اذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه
اضاح وقاسي امره وهو مدبّر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر
وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي :

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع
نجوم طواليح جبال فوارع غيوث هواميع سيول دوافع
مضوا وكان المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأي يد في الحل مدت فلم يكن لها راحة من جودهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وما ضاعت لدينا الودائع
بهايل لو عاينت فيض أكفهم لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع
إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم حداها الندى واستنشقتها المدامع
رياح كريح العنبر الغض في الندى ولكنها يوم اللقاء زعازع
هي السم ما تنفك في كل بلدة تسيل به أرماحهم وهو نافع
أصارت لهم أرض العدو قطائماً نفوس لحد المرهفات قطائع
بكل فتى ما شاب من روع وقعة ولكنه قد شبن منه الوقائع
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
فتعطي الذي تعطيهم الخيل والقنا أكف لإرث المكرمات موانع
وقال أبو فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كان الدهر عني غافل

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة
وناصر الدولة توفي سنة ٣٥٧ هـ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس
عصره أدبا وفضلا وكرما ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فله دره
شاعراً من قبل ومن بعد . وأنشد وهو يحضر يخاطب ابنته :

ابنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحى علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني فعميت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يتع بالشباب

مواعيد آمال متى ما انتجعتها
تدافعي الأيام عما أريده
فمثلي من نال الأعادي بسيفه
ومالي لا تمسي وتصبح في يدي
أحكم في الأعداء عنها صوارماً
وما زال محمى المائل عنوة
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب
لنا عقب الأمر الذي في صدره
أصغرنا في المكرمات أكابر
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصاولاً
وإن قلت قولاً لم أجد من يقاويل

وقال : إنا إذا اشتد الزما
ألفيت حول بيوتنا
للقا العدا بيض السيوف
هذا ، وهو دأبنا
نؤتاب خطب وادلهم
عدد الشجاعة والكرم
ف وللندی حمر النعم
يودى دم ويراق دم

وقال :

واني لنزال بكل مخوفة
وإني لجرار لكل كتيبة
ولا راح يطعني بأثوابه الغنى
وما حاجتي في المال أبغى وفوره
اسرت وما صحتي بعزل لدى الوغى
ولكن إذا حم القضاء على امرئ
وقال أصيحتني الفرار أو الردى
ولكنني أمضي لما لا يعيبي

كثير إلى نزالها النظر الشرر
معودة الا يخل بها النصر
ولا بات يثني عن الكرم الفقر
إذا لم افر عرضي فلا وفر الوفور
ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
فليس له بر يقية ولا بحر
فقلت هما امران احلاهما مر
وحسبك من امرين خيرهما الأسر

ومنها : يَنْشُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا
 وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ دَقُّ نَصْلِهِ
 سَيَذْكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدُّ جَدُّهُمْ
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَّدْتَ اكْتَفَوْا بِهِ
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسَّطَ بَيْنَنَا
 أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا
 وقال : غَيْرِي يَغْيِيْرُهُ الْفَعَالُ الْجَسَافِي
 لَا أُرْتَضِي وَدَّ إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ
 إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيَا
 وَتَعَاوَى لِي طَمَعُ الْحَرِيصِ فَتَوَاتِي
 وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي
 وقال : أُنَدَعُو كَرِيْمًا مِنْ يَحْيُودٍ بِمَالِهِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ يُنْجِي الْفَرَارَ مِنَ الرَّدَى
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْذَرْتَ لَوْ أَنَّ مُسْعِدًا
 وَمَا عَابَكَ ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلَا
 وَمَالِكَ لَا تَلْقَى بِمُهْجَتِكَ الْقَنَا
 عليّ ثيابٌ من دماهمُ حمزُ
 وأعقابُ رُمحٍ فيهم حطَمُ الصدرِ
 وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدر
 وما كان يُغني التبرُ لو نفقَ الصفر
 لنا الصدرُ دون العالمين أو القبر
 وأكرم من فوق التراب ولا فخر
 ويحولُ عن شيم الكريم الوافي
 عند الجفاء وقيلة الإنصافِ
 ولو أنه عاري المناكب حاف
 وإذا قنِعتَ فبعضُ شيء كاف
 ومُروءتي وقناعتي وعفافي
 مأوى الكرام ومنزل الأضيافِ
 ومن جاد بالنفس النفيسة أكرمُ
 على حاله فالصبرُ أرحى وأحزمُ
 وأقدمتَ لو أن الكتائبَ تُقدِّمُ
 تأخَّرُ أقوامٍ وأنت مُقدِّمُ
 وأنت من القوم الذين همُ همُ
 وحيداً وما فوئي كذا ومعني الصبرُ
 وما ثبتتُ إلا وفي نفسها أمرُ
 تقول أُماتَ الموتُ أم ذُعير الذعر
 سوى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٥٣٥هـ :

أَطَاعَنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
 وَأَشْجَعُ مَنْسِيَّ كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
 غَرَسَتْ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
 وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآبِيَّ كَانَ لِي
 وحيداً وما فوئي كذا ومعني الصبرُ
 وما ثبتتُ إلا وفي نفسها أمرُ
 تقول أُماتَ الموتُ أم ذُعير الذعر
 سوى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ

تذر النفس تأخذُ وسمها قبلَ يَبينها ففُتِرَقُ جاران دارُهما العُمُرُ
ولا تحسبنَ المجدَ زِقًا وقِينة فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البَكْرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأن ترى لك الهَيواتِ السُّودَ والعسكرُ المجر
وتركك في الدنيا دَوِيًّا كأنما تداولَ سمعَ المرءِ أنمله العُشرُ
إذا الفضلُ لم يرفعك عن شكرناقص على هِبَةٍ فالفضلُ فيمن له الشكرُ
ومن يُنفق الساعاتِ في جمع ماله مخافةَ فقرٍ ، فالذي فعلَ الفقرُ

وقال صفى الدين الحلي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ :

سَلِ الرَّماحَ العوالي عن معالينا واستشهد البيضَ هل خاب الرجا فينا
لقد سَعينا فلم تضعف عزائمنا عما نرومُ ولا خابت مساعينا
قوم إذا استُخصموا كانوا فراعنة يوماً وإن حَكَمُوا كانوا موازيننا
إذا ادَّعَوْا جاءت الدنيا مُصدِّقة وإن دَعَوْا قالت الأيام آمينا
إنا لقومُ أبت أخلاقنا شرفاً أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سودٌ وقائعنا خضر مرابعنا حُمُر موازيننا
لا يَظهر العجزُ متنادون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا
وقال أبو العلاء المعري :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعِل عفافٍ وإقدامٍ وحزمٍ ونائل^١
أعندي وقد مارست كل خَفِيَّةٍ يُصدِّقُ واشٍ أو يخيب سائل^٢
تُعد ذنوبي عند قومٍ كثيرةٌ ولا ذنبَ لي إلا العُلا والفضائل^٣

(١) أي قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود، وسلوك هذا الطريق هو المجد أي أن أفعالي كلها واقعة في سبيل المجد ثم فصل أفعاله، وعددها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أي بعد أن جربت الأمور التي تخفى وعرفتُها لا أصدق الساعي ببني وبين إخواني بالإفساد أو أخيب من يرجو معروفي ويطلب نائلي أي أني لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الإنكار . (٣) أي ذنوبي كثيرة عند من لا يناسبه حالي لقصوره ونقصه ولا ذنب لي إلا فضائلي وعلو شأني .

كأني إذا طلعتُ الزمان وأهله رجعتُ وعندي للأنام طوائل^١
وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل^٢
يهم الليالي بعض ما أنا مضمّر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل^٣
وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائل^٤
وأغشدر ولو أن الصباح صوارم وأسري ولو أن الظلام جحافل^٥
وإني جواد لم يحلّ لجأته ونصلّ يمان أغفلته الصباقل^٦
فإن كان في لبس الفقى شرف له فما السيف إلا غمده والحوائل^٧
ولي منطبق لم يرض لي كنه منزلي على أني بين السماكين نازل^٨

(١) الطوائل: جمع طائل وهو الثروة، يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل أبغضوني وعادوني^١ وصرت كأني وترت الداس وأن عندي لهم ديونا يطالبونني بها (٢) أي يجهد حسادي في ستر حالي وإخفاء أمري وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها أي لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكرى غير ممكن. (٣) الليالي في موضع نصب لأنه مفعول به، وسكن لضرورة الشعر أي بهم بعض ما أضمر من الهموم الليالي (٤) أي أني وإن كنت الذي آخر زمانه أفعل من الأمور المعجبية ما عجزت الأولون زماناً عن مثاله أي سبقت الأوائل في المساعي وإن تأخر زماني (٥) لا يصرفني عن همي أمر من الأمور بل أغشدر أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفاً لم يثنني عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيبته وأسري في الليل المظلم لما يهمني ولا تمنعني ظلمة الليل عن همي ولو كان جحافل وهي جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس (٦) يصف اعتزاله الأمور وإثاره ملازمة التحول والتنزه عن الأعمال مع استعداده للانهاض إلى معالي الأمور مشبهاً حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجأته وبسيف يعني قد سدى لطول عهده بالصقل أي كما لا يزرى بعنق الجواد وجوهر السيف فكذلك إثاره العزلة والتنزه عن الأعمال لا يذري بمنصبه ومكانه (٧) أي ليس الشرف في سلايسه الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحوائله، وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفقى بالتعلي بأوصاف الشرف ومعالي الجهد (٨) أي منطقي لا يرضى لي بغاية منزلي هذه مع ارتفاعها وعلوها فإنها قد بلغت السماكين بل يقتضي أعلى وأشرف منها

لدى موطن يشتاقيه كل سيد ويقصرُ عن إدراكه المتناول^١
ولما رأيت الجمل في الناس فاشياً تجاهلتُ حق ظنّ أني جاهل^٢
فتواجباً كم يدّعي الفضل ناقص ووا أسفاً كم يُظهرُ النقصَ فاضل^٣
وكيف تنامُ الطيرُ في وكناتها وقد نصبتُ للفرقدين الجبائل^٤
ينافس يومي في أمسي تشرفاً وتحسدُ أسحاري عليّ الأصال^٥
وطال اعتر في الزمان وصرفه فلستُ أنالي من تسول القوائل^٦
فلو بان عنقي ما تأسف منكبي ولومات زندي ما بكته الأامل^٧
إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعيّرَ قسماً بالفهاة باقل^٨
وقال السهمي للشمس أنت ضئيلة^٩ وقال الدجى يا صبح لونك حائل^٩

(١) اي منزلي عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى إلى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه (٢) اي لما كثر الجمل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكلفت الجمل وستررت فضلي تشبها بأهل زمانى حق ظن بي اني جاهل مثلهم (٣) يتمجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زورا - ويتأسف من إظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين في زمانه (٤) الوكنات: جمع وكنة وهي الموضع الذي ينام فيه الطير والجبائل جمع حباله وهي الشبكة التي ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلاً بالفرقدين علواً ولغيره بالطير في اوكارها (٥) ينافس يفاخر أي ان الوقت الذي اكون فيه يتشرف بي ، فسائر الأوقات يحسد الوقت الذي اكون فيه فصار امسي المقتضى يحسد يومي الحاضر لكوني فيه - وكذلك تحسد الأصائل الأسحار التي اكون فيها. (٦) طالما عرفت الزمان واحواله، وقالت مني حوادثه وصرفه ، وتمرت نفسي على نوائبه فصرت لا اجزع على المصائب ولا ابالي بمن تنزل نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوط الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو اصاب عضده وبان لم يتأسف اي لم يجزع منكبه عليه ، ولومات زنده لم تبك انامله عليه مع ان الكف لا تبطش إلا بواسطة قوة الزندوما دانه (٨) يعني بالطائي حاتم الطائي وقد سار به المثل في الجود ، ومادر رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل، وإنما قيل له مادر لأنه سقى إبله من بعض الحياض فلما شربت إبله وصدرت عن المساء سلح في الحوض ومدد الحوض اي لطخه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمي مادراً ، وقيل انخل من مادر (٩) السها كوكب خفي تمتحن به الأبصار، اي وحين ينبعكس الأمر بأن يصف السهمي الشمس بالخفاء مع بهائها، ويصف الدجى الصبح بأنه حائل اللون اي متغير.

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً^١ وفاخرت الشهبُ الحصى والجنادل^٢
فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ^٣ ويانفسُ جدِّي إن دهرَكَ هازل^٤

وقال المرحوم محمود سامي باشا البارودي :

ولي شيمعةٌ^٥ تأبى الدنيا وعزمةٌ^٦ تردُّ لهُمَّ الجيـش وهو يمورُ
إذا سرتُ فالأرضُ التي نحن فوقها مرادٌ لمهري والمعاقلُ دور
فلا عَجَبٌ^٧ إن لم يصرنِّي منزل فليس لمقبانِ الهواءِ وكور
همامةٌ نفس ليس يَنْفِي ركاها رواح على طول المدى وبُكور
مُعَوَّدةٌ^٨ ألا تكفَّ عنانها عن الجدِّ إلا ان تتم أمور
لها من وراء الغيب أذنٌ سميعةٌ وعيٌّ ترى ما لا يراه بصير
وقيتُ بما ظنَّ الكرام فراسه^٩ بأمرى ومثلي بالوفاء جدير
وأصبحتُ محسودَ الخلال كأنني على كلِّ نفسٍ في الزمان أمير
إذا صُلَّتْ كَفَّ الدهرُ من غلوائه وإن قلت غُصِّتْ بالقلوب صدور
ملككت مقاليد الكلام وحكمةٌ لها كوكبٌ فخمُ الضياء منير
وإنني امرؤٌ صعب الشكيمة بالغ^{١٠} بنفسي شأواً ليس فيه نكير

وقال أيضاً :

سواي بتحدانِ الأغاريد يطرب وعيري بالذات يلهو ويلعب^{١١}
وما أنا ممن تأسر الحمرُ لُبه ويملكُ سمعيه السراع المثقب
ولكن أخوهم إذا ما ترجَّحت به سورةٌ نحو العُلا راح يدأب
نَفَى النومَ عن عينيهِ نفسُ أبية^{١٢} لها بين اطراف الأسننة مطلب

١١ اي إذا كانت الأرض تباهي السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب في العلو ٣ اي إذا كانت الأمور معكوسة كما وصف لم تبقى رغبة في الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى إتمامه ليقطع الحياة الذميمة التي لا يحمدها صاحبها لما ترى من الأمر المحال: ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعينها غير معرجة على شيمة الدهر في تلونه وعدم ثباته .

لُبَّانَةٌ نَفْسٍ أَصْفَرَتْ كُلَّ مَأْرَبٍ فَكَلَفَتْ الأَيَّامَ مَا لَيْسَ يَوْهَبُ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عِزَّ لِي خَالٍ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ :

بِيَدِ الْعَفَافِ أَصُونٌ عِزٌّ حِجَابِي وَبِعَصْمَتِي أَسْمُو عَلَى أَتْرَابِي
وَبِفَكْرَةٍ وَقْتَادَةٍ وَقَرِيحَةٍ نَقَّادَةٍ ، قَدْ كَلِمْتُ آدَابِي
مَا ضَرَّنِي أَدَبِي وَحَسَنُ تَعْلَمِي إِلَّا بِكُونِي زَهْرَةَ الأَلْبَابِ
مَا عَاقَنِي خِجْلِي عَنِ الْعَلِيَاءِ ، وَلَا سَدَلُ الْخَمَارِ بِلَمَّتِي وَنَقَابِي
عَنْ طِيٍّ مِضْمَارِ الرِّهَانِ إِذَا اشْتَكَّتْ صَغْبَةَ السَّبَاقِ مَطَامِحِ الرُّكَّابِ
بَلَّ صَوْلَتِي فِي رَاحَتِي ، وَتَفَرُّسِي فِي حُسْنِ مَا أَسْعَى لِخَيْرِ مَأَبِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناتي المتوفى سنة ١٩٣٤ م .

أَرَقْتُ وَأَصْحَابِي خَلِيُّونَ نَوْمٌ وَمَا أَنَا ذُو ثَأْرٍ وَلَا أَنَا مُغْرَمٌ
وَلَكِنْ هَمًّا بَيْنَ جَنِيٍّ هَاجَةٍ عَلَيَّ ذُو الْقُرْبَى ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
فَإِنْ بَكَ حُلْمِي مَدَّ اعْتِنَاقَ جَهْلِهِمْ فَلَا زِلْتُ فِيهِمْ يَجْهَلُونَ وَأَحْلُمُ
وَمَا أَنَا مَنْ يَغْلِبُ الْجَهْلُ حِلْمَهُ وَيَنْزُو عَلَى الْأَرْضِ أَوْ يَتَهَجَّمُ
وَلَكِنْ صَفُوحٌ حِينَ أَظْلَمَ قَادِرًا وَإِنْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الْآحَايِينَ أَظْلِمُ
فَإِنْ كَانَ حُلْمُ الْقَادِرِينَ مَذَلَّةً فَلِإِنِّي ذَلِيلٌ عَيْرَ أَنِّي مُكْرَمُ
هَمَّائِلُ مَا عَرَضَ لِقَبْرِ جَرِيرَةٍ سِوَى أَنَّهُمْ مِنِّي وَأَنِّي مِنْهُمْ
أَوْ طَسَّ أَكْثَافِي لَهُمْ وَأَحْوَطَهُمْ مِنَ الدَّهْرِ لَا اشْكُو وَلَا اتَّهَرَمُ
يَطْرَأُ عَلَيَّ اللَّيْلُ إِنْ طَالَ لَيْلُهُمْ وَمَهَا يَطْلُ لَيْلِي فَهُمْ عَنْهُ نَوْمُ
وَيُسْكِرُ أَدْنَاهُمْ عَلَيَّ فُضَائِلِي وَمَا ضَرَّنِي لِنَكَارِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

قال الشنفرى^١ المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أقيموا بني أمي صدور مطيئكم فلاني لقوم سواكم^٢ لأميل^٣
فقد حمت الحاجات والليل مقمر^٤ وشدت لطيات مطايا وأرحل^٥
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلي متعزل^٦
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ^٧ سرى رغباً أو راهباً وهو يعقل^٨
ولي دونكم أمون سيد عملس^٩ وأرقط زهلول^{١٠} وعرفاء جبال^{١١}

(١) هو ثابت بن اوس الأردني الشاعر المشهور من اهل اليمن من شعراء الطبقة الشامية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزدي من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، واسير بن جابر ، وتأبط شرا - وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي امسكه اسير بن جابر احد العدائين وقد رصد له حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً ثم قتلوه فمر رجل منهم يجمعهم فضر بها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتل مائة والله اعلم بذلك . (٢) مطا جد في السير . والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حماقضى ، والطيات جمع طية وهي النية (٤) نأى عنه بعد ، والقل بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنجى (٥) والمعنى (١٥) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذي يستعمل عقله في إدراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس يفتح العين والميم واللام المشددة القوي على السير السريع والذئب الحديث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الأملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس ، وجبال وجبال ممنوعتان من الصرف وجبل بلامزة الضبع .

همُ الأهلُ مُستَبَدَّعُ السَّرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ^١
وكلُّ أبيٍّ باسَلٌ غيرُ أنِّي إذا عرَضَتْ أُولَى الطرائدِ أبْسَلُ^٢
وإنْ مُدَّتْ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعْجَلُ^٣
وما ذاكُ إلا بَسْطَةٌ عن تَفْضُلٍ عليهم ، وكان الأفضَلُ المُتَفَضَّلُ^٤
وإني كفاي فَقَدْ من ليس جازِباً بحسنى ولا في قُربِهِ مُتَعَلِّلُ^٥
ثلاثة اصْحَاب: فؤادٌ مُشِيعٌ ، وأبيضٌ إصْلِيْتُ ، وصفراءٌ عَيْطَلُ
مَتُوفٌ مِنَ المَلْسِ المتون يَزِينُها رصائعٌ قَدْ نَيْطَتْ إليها وَتَحْمَلُ^٦
إِذا زَلَّ عنها السهمُ حَنَنْتُ كأنْها مَرزَأَةٌ تُكَلِّي تَرْنَ وتَعُولُ
ولَسْتُ بِمِيفٍ يُعَشَى سِوَاهِ مُجْدَعَةٌ سَقْبَانِها وَهِيَ يُهَلُّ^٧

(١) جر على نفسه وغيره جريرة أي ذنبا والجريرة الذنب والحيانة (٢) الأبي كعلي من يكره الدنيا ولا يحتمل الضيم والبأسل الأسد الشجاع والطريدة ما طردته وابتعدته من ناحية وضمته إليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص واسوؤه اخذ الإنسان نصيبه والطمع في غيره (٤) [المعنى] وما دعاني إلى ذلك إلا توسمي بالفواضل عليهم لأن افضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتي ايضا بمعنى خرج معه ليودعه ، والإصليت السيف الصقيل الماضي والاطل العوس الطويلة العنق الصلبة المتن (٦) قوس متوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيره ، ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزأة المصابة بالرزاي ، والشكلي الفاقدة اولادها ، وأعول رفع صوته بالبكاء والصباح [المعنى] قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنم الغالي فهي تبكي وتعول لفقده (٧) الميفاف: السريع العطش ، والسوام : الإبل الراعية ، وناقاة باهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها ، [يقال] بهلت الناقاة حل صرارها او مجدعة محبوسة على غير علف وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقاة .

ولا جُبْتَاءُ أَكْنَهَى مُرَبِّ بِعِيرْسِهِ يطالعهما في شأنه كيف يفعل^١
ولا خرق هيق كأنَّ فؤاده يظلُّ به المكاءُ يعملو ويسفل^٢
ولا خالف دارية متعزَّلٍ يروح ويغدو داهناً يتكحل^٣
ولست بعَلٍّ شرُّه دون خيرِهِ ألفٌ إذا ما رُعْتَه احتاج أعزل^٤
ولست بمحيار الظلام إذا انتَحَت هدى الهوجل العسيف بهاء هوجل^٥
إذا الامعز الصَّوَّان لاقى مناسمي تطايرَ منه قاذحٌ ومُفْلِل^٦
أدبهم مِطال الجوع حق أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل^٧

(١) جباً كنصر : جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعيريه اي زوجته
لزمها وقعد معها كأرب [المعنى] ولست بالجبان الضعيف الذي يلزم قرينته
ويطلعها على امره ويأخذ رأيها فيه . (٢) الخرق : ككتف الذي يندesh ويبهت
لأقل شيء والهبق الواحد من النعام ويسمى بالظلم ، والمكاء كرماني : نوع من الطير
(٣) يقال فلان خلفه اهل بيته وخالفهم بمعنى انه غير نجيب لا خير فيه إذ انه
يقعد بعدهم ويأتي خالف بمعنى احتمق والدارية الملازم لبيته . (٤) العل الصغير الجسم
الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العي بالأمور والأعزل الخالي من السلاح
[المعنى] ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين
يرتبكون في الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف .
(٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، الهوجل المغازة البعيدة لا علم بها ، والناقاة
بها هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف .
في السير خبط فيه خبط عشواء ، والبهاء عند اهل البادية السيل والجل الهائج
الصَّوْل ، وعلى ذلك يمكن ان يقال ناقاة بهاء . (٦) المعز : الصلابة ، ومكان امعز :
صلب وارض معزا : صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم
كمجلس خف البعير ، والمفلل المكسر والمراد بالقاذح هنا الحجر الذي يضرب بغيره
فيفتته ويخرج منه الشرر . (٧) صفحاً إما مصدر من صفح عنه أعرض مفعول له
على معنى اصرف عنه التذكر إعراضاً عنه وإما ظرف بمعنى الجانب على معنى
أنحى التذكر عنه جانباً كما تقول ضعه جانباً .

وَأَسْتَفُّ تَرْبَ الْأَرْضِ كِي لَا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطُّنُولِ أَمْرٌ وَمَتَطَوَّلُ^١
 وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبُ^٢ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كَلَّ^٣
 وَلَكِنْ نَفْسًا حَرَّةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضِّيمِ إِلَّا رَيْثًا أَمْحَوَّلُ^٤
 وَأَطْوَى عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ^٥
 وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ^٦
 غَدَا طَاوِيًا لِلرَّيْحِ يَعْزِضُ هَافِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسِلُ^٧
 فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمِّهِ دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نِظَائِرُ نُحْلُ^٨
 مُهَلِّلَةُ شَيْبٍ الْوَجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفَّتِي يَاسِرٍ تَتَمَلَّقُلُ^٩

(١) الطول: الفضل والإنعام وتطول عليه امتن وانعم (٢) الذام "ميب والذم [المعنى] وله لا اني اخشى العار والمذمة التي تلحق بالذلين ماء وجوهم لأجل المأكول والمشرب لكان عندي من اشكالها وألوانها كل ما تشتهيه الأنفس. (٣) الضيم: الذل ؛ وريثا معناها مقدار ما (٤) الخمص: الجوع والحوايا جمع حوية كخنيمة ما تحوي وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط ، وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوطة واغار شد الفتل [المعنى] واضمر امعائي بالجوع حتى تصير مثل الخيوطة يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوطة. (٥) الزهيد: القليل والأزل السريع والموصوف به هـا الذئب بدليل ما بعده، التنوفاة المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف او الفلاة لا ماء بها ولا انيس، وإن كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب اطحل لونه الطحلة (٦) غدا طاويا اي بكر بالضرب في الأرض جاثما ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا ، وخسات البسازي انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، واذناب الشعاب اطراف الأراضي التي بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا : اشتد اهتزازة في عدوه . (٧) لواه القوت قتله وضممه ، وأمه قصده ، ونظائر نُحْلُ يعني امثاله . (٨) المهللة الضامرة المنقوشة ، والقداح جمع قده وهو السهم قبل ان يراش ويركب عليه نصله.

أوالحشرم المبعوث حثحث دبره محابيض أرساهن سام مِعسل^١
 مُهرّته فوه كان شدوقها شقوق العصي كطحات وبُسل^٢
 فضج وضجت بالبراح كأنها وإياه نوح فوق عليها نكتل^٣
 وأغضى وأغضت واتسى واتست به مراميل عزّاهما وعزّته مُرمل^٤
 شكوا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجل^٥
 وفاء وفاءت بادرات وكلها على نكظ مما يكاتم مجمل^٦
 وتشرب أساري القطا الكدر بعدما سرت قريبا أحشاؤها تتصلصل^٧

(١) الحشرم كجهمر جماعة النحل وامير النحل ومأواها ، وحثحث كحث
 حض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر. عود
 يشتر به العسل او يطرد به الدبر ، وهي هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى
 إلى محابيض ، وارسى وقف وأوقف ، وسام مرتفع ومِعسل : طالب العسل .
 (٢) المهرّته الواسعة ، والفوه جمع الأفوه وهو الواسع الفم او الذي يخرج اسنانه
 من الشفتين ، والشقوق اطراف الفم من باطن الحدين ، وكطحات شديدة العبوس ،
 وبسل كرياض المنظر . ٣ البراح كسحاب المتسع من الأرض التي لا زرع بها
 ولا شجر. (٤) اغضى على الشيء سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذي نفذ زاده ،
 وعزّاهما سلاها على مصابها [المعنى] ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاها على
 جوعها وسلته على مخصته . (٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه
 [المعنى] شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الجوع - والصبر
 احسن من الشكوى التي لا تفيد . (٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ
 محرّكة الجوع الشديد . (٧) أسار: جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا:
 نوع من الطير صوته قطا قطا وهو ثلاثة اضرب كدري وجونني وغطاط - فالكدر
 الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفرة الحلوقة وهو الطف من الجونني ،
 والجونني السود البطون والأجنحة وهو اكبر من الكدري ، والغطاط كسحاب ، =

هَمَمْتُ وَهَمْتُ، وَابْتَدَرْتُ وَأَسْدَلْتُ وَشَمَرْتُ مِنِّي فَارِطٌ مُنْتَمِلٌ^١
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِه يَبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلٌ^٢
كَانَ وَغَامَهَا حَجَرْتِيهِ وَحَوْلَهُ أَضَامِيمٌ مِنْ سَفَرِ الْقَبَائِلِ نَزَلٌ^٣
تَوَافَيْنَ مِنْ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَضَمَهَا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهَلٌ^٤
فَعَبَّتْ غِشَّاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاطَةِ جَعَلٌ^٥
وَأَلِفٌ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا بِأَهْدَأْ تَنْبِيهِ سَنَاسِنُ قَحْلٌ^٦

= الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثان الواحدة غطاطة ويقال إن القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم إلى عشرين.

(١) سدل ثوبه وشعره واسدله: ارخاه وارسله، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم إلى الورد لإصلاح الحوض والدلاء. (٢) تكبو تنكب على وجهها، والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء في أقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والحوصل للطيور كالمعدة للإنسان [المعنى] وقد انصرفت عنهم بعد مارويت وتركها تغمس بأذقانها وحواصلها في الماء لتزوي من شدة العطش التي أصابتها من إجهادها نفسها في الطيران (٣) الوغى كالفتى الصوت. والجلبة، والحجرة الناحية والأضاميم جمع إضامة بكسر الهمزة وهي الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى) كان جلبتها يجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر. (٤) توافين إليه تلاحقن إلى الماء وشتى أي من جهات متفرقة والأذواد جمع ذود وهو جماعة الإبل والأصاريم جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب (٥) العب جرع المساء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة في شربها، وغشاشا أي عبا قليلا عجلا غير مرئي واحاطة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير إليه ينسب بخلاف احاطة باليمن والمحدثون يقولون واحاطة واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها (٦) الأهدأ المنكب المسترخي اللحم وتنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل مجردة من اللحم.

وأعدِلْ مَنْحَوْضاً كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاها لَاعِبٌ فَهِيَ مُثَلٌّ^١
 فَإِنْ تَبْتَشُ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطَلٌ لَمَّا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلَ أَطْوَلِ^٢
 طَرِيدُ جُنَايَاتِ تَبَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حِمٌّ أَوَّلُ^٣
 تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عِيُونُهَا حِثَّائًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَفَلَقَلُ^٤
 وَالنَّفْءُ هُمُومٌ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادُ أَكْحَمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ^٥
 إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتَهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَوْوَبٌ فَتَأْتِي مِنْ تَحِيَّتٍ وَمِنْ عِلٍّ^٦

- (١) أعدل معناه هنا أسوي أو أفرش لرأسي وأجمل لها وسادة . ومنحوضاً يعني ساعداً قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الأقماع ودحاها بمعنى بسطها . ومثل معناها مائلة وقائمة بين يدي اللاعب .
- (٢) تبتش تحزن وأم قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عيناً
- (٣) كان من عادات العرب غير المحموده إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها حلة أقسام ويجعلوا لها سهاماً بعضها ذوات أنصباء وبعضها غفل بلانصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد. ثم الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القهار) المشهورة الفساد وحرمة الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم : يسر ، والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور . ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أي أخذوا الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .
- (٤) تنام أي الجنايات والمراد أصعابها وحثائاً سراعاً وتتفلقل تدخل بشدة
- (٥) الإلف والأليف الحليف المعاود ، والعودة والرجوع مرة بعد أخرى ووربت عليه الحمى جاءت رباعاً يعني ترددت عليه في كل أربعة أيام مرة تتركه في الثلاثة وتأتية في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع .
- (٦) تَوَوَّبَ ترجع ، المعنى كلما ثارت علي جيوش الهموم وأحاطت بي من كل جانب رددتها عني بعزم ماض وصبر جميل .

فإما تراني كابنة الرُّمْلِ ضاحياً على رقعة أحفى ولا أتنَعَلُ^١
 فإني لمولي الصبر أجتأب بزه على مثل قلب السمع والحزم أفعل
 وأُعدِمُ أحياناً وأغنى ، وإنما ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذلُ^٢
 فلا جزعٌ من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أمخيلُ^٣
 ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أرى سئولاً بأقمار الأقاويل أنملُ^٤
 وليلة نحس يصطلي القوسَ ربها وأقطعه اللاتي بها يتنبَّسلُ^٥
 دغشت على غطش وبغش وصحبي سعار وإرزيزٌ ووجر وأفكل
 فأيمتُ نسواناً وأيتمتُ ولدة وعدت كما أبدأت والليل أئيلُ^٦

(١) فإذا تراني، بإهمال ان حملا على لو، كقراءة طلحة: فإذا ترني بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضاحياً بارزاً للشمس ، وعلى رقعة معناها سوء العيش ، ومولي الصبر واليه ، واجتأب القميص لبسه ، والبز الثياب ؛ والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لا يموت حتف انفه كالحية وانه في عدوه اسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا. (٢) اعداماً واعداماً بالضم افتقر وذو البعد بالضم اي صاحب الابتعاد في الأرض، والمتبذل من لا يصون نفسه . (٣) الجزع نقيض الصبر الخلة الحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر علي ترحا والغنى لا يبدي منى مرحا . (٤) تزدهي: تستخف والأجهال جمع جهل شذوذا لأن قياسه اجهل وجاهل إلا انه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين، والباء في «بأعقاب» بمعنى عن؛ والأئمل: النمام وهو نمل وثامل ومنمل كمجلس ومنبر، ونمال كشداد نمام؛ وقد نمل كنضر وعلم ، وانمل نم. (٥) اصطلي استدفاً والأقطع جمع قطع وهو القضيبي تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفي الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبقش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز يرد صغار كالمنجح : الوجد والحقد والغل والغيظ والأفكل الرعدة . (٦) ايمت نسوانا يعني قتلت رجالهن فتركتهن بلا ازواج ، وايتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت آباءهم : وابدأت بدأت والليل أئيل يعني طويل الظلمة .

وأصبح عني بالنغميصاء جالساً فتريقان مَسْئولٌ وآخرُ يسألُ^١
 فقالوا : لقد هَرَّتْ بلبيل كلابُنَا فقلنا أذنب عسّ، أم عسّ فَرَعْلُ^٢
 فلم يكُ إلا نبأةٌ نَمَ هَوَمَتُ فقلنا قطاة ربيع، أم ربيع أجدل
 فإن يكُ من جن لأبرح طارقاً وإن يكُ إنساً ما كها الإنس يفعل
 ويوم من الشعرى يذوبُ لعابه أفاعيه في رَمَضَانِه تَتَمَلَّلُ^٣
 نَصَبْتُ له وجهي وذالكن دونه ولا سترَ إلا الأتحمي المرعبلُ
 وضاف إذا هبَّت الرِّيحُ طيرت لبائداً عن أعطافه ما ترَجَلُ^٤
 بعيدُ بمسّ الدهن والفلي عهدُه له عبس عاف من الغسلِ محولُ^٥

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضي الله عنه ببني خديعة .
 (٢) هر الكلب هرير أصوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبيع والنبأة الصوت الخفي وهوم هز رأسه من النعاس، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولأبرح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها في كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذاً .
 (٣) الشعرى نجم يطلع في شدة القيظ واللعب معناه هنا ما تراه في شدة الحر كأنه منحدر من السماء إذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضاً لعب الشمس، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتلعل تقلب والكن الستر والأتحمي برد معروف . والمرعبل الممزق .
 وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائداً جمع لبدة وهي الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكم يوم من أيام الشعرى التي تتصاعد فيها الأبخرة وتتلعلل فيها الأفاعي من شدة الحر عرضت له وجهي بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء على جلدي إلا ثوب ممزق وشعر مسترسل إذا هبت عليه الريح لم تطير منه إلا لبائداً في كل جانب منه لم تمسه الأمشاط . (٤) الفلي تفلية الرأس من القمل . والعبس محرّكة ما تعلق بأذنان الإبل من أبوالها وأوبارها يحف عليها، وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذي أتى عليه بالحول .

وخرق كظهر الترس قفر قطعته^١ بعاملتين ظهره^٢ ليس يعمل^٣
فالخقت^٤ أولاه بأخراه^٥ موفياً على قنة أقمي مراراً وأمثل^٦
تروء^٧ الأراوي الضخم^٨ حولي كأنها عذارى عليهن الملاء المذبل^٩
ويزكدن^{١٠} بالآصال^{١١} حولي كأنني من العصم^{١٢} أذ في ينتحي الكيح^{١٣} أعقل^{١٤}
وقل الطفرائي يواسي معين الملك في نسكته :

فصبراً معين الملك إن عن^{١٥} حادث فمأقبة^{١٦} الصبر الجميل^{١٧} جميل^{١٨}
لا تياسن^{١٩} من صنع ربك^{٢٠} إنه ضنين^{٢١} بأن الله^{٢٢} سوف يدل^{٢٣}
فإن الليالي إذ يزول^{٢٤} نعيمها تبشر^{٢٥} أن النسائبات^{٢٦} تزول^{٢٧}
ألم تر^{٢٨} أن الليل بعد ظلامه عليه^{٢٩} لإسفار الصباح^{٣٠} دليل^{٣١}
وأن هلال النضوء^{٣٢} يقمر^{٣٣} بعد ما بدا^{٣٤} وهو شخت^{٣٥} الجانبين^{٣٦} صئيل^{٣٧}
فقد يعطف^{٣٨} الدهر^{٣٩} العسير^{٤٠} قياده فيشفي^{٤١} عليل^{٤٢} أو يبيل^{٤٣} غليل^{٤٤}
ويرتاش^{٤٥} مقصوص^{٤٦} الجناحين^{٤٧} بعدما تساقط^{٤٨} ريش^{٤٩} واستطار^{٥٠} نسيل^{٥١}
ولا غرو^{٥٢} إن أخنت^{٥٣} علك^{٥٤} فلانما^{٥٥} يصادم^{٥٦} بالخطب^{٥٧} الجليل^{٥٨} جليل^{٥٩}

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أي ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل وأقمى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصباً .

(٣) الرود الذهاب والمجيء والأراوي جمع روية بالضم والكسر وهي أنثى الوعل والعذارى جمع عذراء وهي البكر ؛ والملاء بضم الميم نوع من الأردية المذبل طويل الذيل .

(٤) الركود السكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشي والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذي في موضع العصم منه ، والأدفي الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره وينتحي يتمدد ؛ والكيح ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع في الجبل .

ما أنت إلا السيف يسكن غمدهُ ليشقي به يوم النزال قتيلُ
أما لك بالصديق يوسف أسوةُ فتحمل وطء الدهر وهو ثقل

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه :

محا البين ما أبقت عيون المها مني فسببت ولم أقض اللبنة من سني
عناء وبأس واشتياق وغربةُ ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن
فإن أك فارق الديار فلي بها فؤاد أضلته عيون المها عني
بعثت به يوم النوى إثر لحظةٍ فأوقعه المقدار في شرك الحُسن
فهل من فقه في الدهر يجمع بيننا فليس كلاًنا عن أخيه بمستغني
ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالزمن
أهبت بصبري أن يعود فخاني وناديت حلمي أن يثوب فلم يُغن
وما هي إلا خطرة ثم أقلمت بنا عن شطوط الحلي أجنحة السفن
فكم شهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مقلّة من غزرة الدمع في دجن
وما كنت تجرّبت النوى قبل هذه فلما دهنتي كدت أقضي من الحزن
ولكنني راجعت حلمي وردّني إلى الحزم رأي لا يحوم على أفن
ولولا بليّات وشيب عواطل لما قرّعت نفسي على فائت سني

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقيّة دمع في مآقينا
كنا قِلادة جِيد الدهر وانفرت وفي بين العسلا كُنتا رباحينا
كانت منازلنا في العز شاحخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا
وكان أقصى منى نهر المجرّة لو من مائه مُزجت أقداح ساقينا
والشهب لو أنها كانت مُسخرة لرجم من كان يَبْدو من أعاديننا
فلم نزل وصروف الدهر ترْمقنا شزراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاه ولا نسب ولا صديق ولا خيل يؤاسينا

وقال أيضاً في شكوى الزمان والحال :

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدِّمَا وَعُدْتُ وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّنْدَمَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامَ مَوَدَّعٍ رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَغْنَمًا
تَبَلَّغَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَالْأَسَى زَمَانًا وَجَادَتَهُ الْمَنَى فَتَادُمَا
أَضْرَتْ بِهِ الْأَوَّلَى فَهَامَ بِاخْتِنَا وَإِنْ سَاءَتِ الْآخَرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهَا
فَهِيَ رِيَّاحُ الْمَوْتِ نَكْبَاءٌ وَاطْفَنِي سَرَّاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّمَا
فَمَا عَصَمَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحَرِّ أَغْصَمَا
فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزِعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَمَى فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا
وَيَا عَيْنُ قَدْ آتَى الْجُودُ لِمَدْمَعِي فَلَا سِيلَ دَمْعٍ تَسْكُبِينَ وَلَا دَمَا
وَيَا يَدُ مَا كَلَفَتْكَ الْبَسْطَ مَرَّةً لَذِي مَنَّةٍ أَوَّلَى الْجَمِيلِ وَأَنْعَمَا
فَلَهُ مَا أَحْلَاكَ فِي أَنْغْلِ الْبَيْلَى وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمَا
وَيَا قَدَمِي مَا سَرَّتْ بِي لِلذَّلَّةِ وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سَلَمَا
فَلَا تَبْطِئِي سِيرًا إِلَى الْمَوْتِ وَاعْلَمِي بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مَكْرَمَا

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق :

قَضَيْتُ شَبِيبَتِي وَبَذَلْتُ جُهْدِي فَلَمْ تَكُنْ الْحَيَاةُ كَمَا أُرِيدُ
إِلَى كَمْ أَسْتَحِثُّ النَّفْسَ عِزْمًا وَكَمْ أَسْمَى ، وَغَيْرِي يَسْتَفِيدُ ؟
نَهَضْتُ ، فَقِيلَ : أَيُّ فَقٍ ؟ فَلَمَّا خَبَّرْتُ الْأَمْرَ أَعْجَبَنِي الْقُعُودُ
وَلَمَّا بَعْدَ مَجْهَدَةٍ وَقَوْمِي كَضَارِبَةٍ وَقَدْ بَرَدَ الْحَدِيدُ
وَحِيدٌ يَلِينُهُمْ وَلَعَلَّ يَوْمًا عَصِيْبًا فِيهِ يُفْتَقَدُ الْوَحِيدُ
لَنَا فِي الشَّرْقِ أَوْطَانٌ ، وَلَكِنْ تَضَيِّقُ بِنَا كَمَا ضَاقَتْ لِحُودُ
تَنَازَعَ أَهْلُهَا فَلِكُلِّ حِزْبٍ حِمًى ، وَلِكُلِّ مَمْلَكَةٍ عَمِيدُ
'نَقِيمُ بِهَا عَلَى ذُلِّ وَفَقْرٍ وَنَظْمًا لَا يَسُوغُ لَنَا الْوُرُودُ
أَكَاذِيبُ السِّيَاسَةِ بَيِّنَاتُ تَكِيدُ بِهَا الْحُكُومَةُ مَا تَكِيدُ

وعود كلها كذبٌ وزور
إذا ما الملكُ شيدَ على خداعٍ
وَمَنْ لم يَتَّخِذْ مُلْكًا صحيحًا
وقالوا دولةٌ نشأت حديثًا
كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ
وقالوا : أمة نهضت تداعي
تَفَرَّقَ أهلها ومضى بنوها ،
أرى الأملَ الذي لحما عليه
خذوا بنفوسكم طرُقَ المعالي
وجرَّحَ الشرقَ يَضْمِده بنوه
نيام أغرقوا في النومِ حتى
أرى الحرية اختضبت دماءً
وأقسمُ أن عاشقها زعيم
رخيص كلُّ ما بذلوه فيها
إذا جُمِعَت لها الأرواحُ مَهْرًا
يسوم المجد طالبه بفسالٍ
إذا سهل النزول إلى حضيض

فكم وإلامَ تَخْدَعُنَا الوُعود ؟
فلا يبقَى الخداعُ ولا المشيد
فلا تُفني الممالكَ والحدود
تؤيدها السياسة والعُهود
فقولوا : إننا شعب عبيد
بحق كاد طالِبُهُ يَبِيد
وفي أرواحهم عزم عتيِد
أضاءَ من الصباح له عمود
فدهركُمُ عِصامي عُنيد
وهل يَتَلَاءَم الجُرْحُ القصيد ؟
أشيعَ بأنهم شعب بَلِيد
وقد خَفَقَت لطالبها بنود
بخطبتها ولو قطع الوريِد
ولا تَغْلُو النفوس ولا النقود
فإن لمجدها كَتَبَ الخلود
ولا يَطغى به الثمنُ الزُهيد
يشق إذاً إلى القِيمِ الصُّعُود

وقال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب

الكبرى :

قم ناجِ جِلَّتْ رسم من بانوا
هذا الأديم كتاب لا كِفَاءَ له
الدِّين والوحي والأخلاق طائفةٌ
ما فيه إن قُلبت يوماً جواهره
بنو أُمِيَّة للأنبياء ما فتحوا

مَشَتْ على الرسم أحداثٌ وأزْمانُ
رث الصَّحائف ، باقٍ منه عنوان
منه وسائرُه دُنْيَا وُهِتَان
إلا قرائع من رادٍ وأذهان
وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتمهم
عالين كالشمس في أطراف دولتهم
يا ويح قلبي منها انتاب أرواحهم
بالأمس قمت على الزهراء أندبهم
في الأرض منهم سماوات وألوية
معادن العز قد مال الرغام بهم
لولا دمشق لما كانت طليطلة
مررت بالمسجد الحزون أسأله
تغير المسجد الحزون واختلقت
فلا الأذان أذان في منارته
آمنت بالله واستثنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت تخالها
جري وصفق يلقاها بردي
دخلتها وحواشيها زمردة
فهل سألت سرير الغرب ما كانوا؟
في كل ناحية ملك وسلطان
سرى به ألهم أو عادته أشجان
واليرم دمعي على الفيحاء هتان
ونيرات وأنواء وعقبان
لو هان في ترابه الإبريز ما هانوا
ولا زهت ببني العباس بفقدان^١
هل في المصلي أو المحراب مروان
على المنابر أحرار وعبدان
إذا تعالي ولا الأذان آذان
دمشق روح وجنات وريحان
الأرض دار لها الفيحاء بستان^٢
كما تلقاك دون الخلد رضوان^٣
والشمس فوق الجنين الماء عقيان^٤

(١) إحدى لغات كثيرة في بغداد . (٢) الفيحاء : من أسماء دمشق والمخائل
جميع خييلة وهي الشجر الكثير الملتف (٣) يقول : إن مكان (بردي) من
دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها إليها ،
يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة ، ومقاصف لا تبلغها الهموم
وقوله : (جرى وصفق) من قولهم ، صفق فلان الشراب ، أي حوله من إناء إلى
إناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردي بذلك يوم نزل على أمراء غسان
في البريص ، وهي غوطة دمشق ، فقال :

الله در عصابة نادمتهم يوماً يخلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قدر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيق السلسل
(٤) العقيان الذهب الخالص .

والحورُ في (دُمر) أو حَول (هامتها) - حورٌ كواشفٌ عن ساقٍ وولدان^١
و (ربوة) الوادي في جَلِباب راقِصةٍ الساقُ كاسيةٌ والنَّحْرُ عُرْيَان^٢
والطيرُ يَصْدَحُ من خلفِ العيونِ بها وللعيونِ كما للطيرِ ألحان^٣
وأقبلتْ بالنَّباتِ الأرضِ مختلفاً أفواقه ، فهوَ أصْباغٌ وألوان^٤
وقد صفى (بردى) للريحِ فابتَرَدَت لدى سُتُورِ حواشِينِ أفنان^٥
شيدوا لها المُلْكُ وابْتَنُوا رُكنَ دولتها فالملكُ غرسٌ وتجديدٌ ، وبنیان
وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين أفندي الزركلي في سورة الشهيدة من
قصيدة :

(١) الحور في صدر البيت : شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ،
وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن أعالي هذه الأشجار مكسوة
أوراقها وسائرها عريان ، دمر ، و الهامة ، من متنزهات دمشق في وادي
بردى . (٢) يقول ان ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من اشجار الحور ،
فاذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فإن جبال الربوة كاسية الساق
بما فيها على سفحها من اشجار ومرج وازهار ، بينما نحرها عريان لتجرد أعالي تلك
الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و (الربوة) هي متنزه دمشق الغريب
وصفها الله تعالى في القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذات قرار ومعين) قال ياقوت
في معجم البلدان ، هي موضع ليس في الدنيا انزه منه (٣) العيون عيون الماء
يسمى خريرها مع الحان البلبل والمصافير في الجبال والأودية (٤) جمع فوف
نوع من الثياب والمراد هنا الزهر . (٥) بردى هو نهر دمشق ، وينبع من جبال
الزبداني على مسافة اربعين كيلومترا ونيف من دمشق في شمالها الغربي ، وينحدر
في وادي بردى حتى إذا بلغ ينبوع (الفيجة) انضم هذا إليه ، ثم ينفصل عنه
(نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق في لحف الجبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك
نهر ثورا فيجري في جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات
ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى إذا ارتوت منه بساتينها
وضواحيها الشرقية انصب في بحيرة المرج ، وكان السريان يسمون بردى (نهر أبانا)
وسماه اليونان (خريستو ورثه) أي مجرى لذهب .

الأهل أهلي ، والديار دياري وشعار « وادي النّيرين » شعاري
ما كان من ألم « يجلتق » نازل واري الزناد ، فزندة بي واري
إنّ الدّم المهرّاق في جنباتها لدمي ، وإن شِفَارَها لشفاري
دَمعي لما مُنيتْ به جارِ هنا ودمي هناك على ثراها جاري
يا وَاِمضَ البرقِ اطمئنّ وفاجني إن كُنْتَ مُطلِعاً على الأسرارِ
ماذا هناك فإنّ صَوْتاً راعني والصّوتُ فيه جَفوة الإذعارِ
النارُ محدقةٌ « يجلتق » بعد ما تركت « حماة » على شفيرِ هارِ
تنساب في الأحياء مُسرعة الخطى تأتي على الأطمارِ والأعمارِ
والقومُ مُنغمسون في حُمُلتها فتكأ بكل مُبرِّإٍ صَبَّارِ
الطفل في يدِ أمه غرض الأذى يُرمى ، وليس بخائض لغميرِ
والشيخ مُتَكِناً على عُكازِهِ يُرمى ، وما للشيخ من أوزارِ

وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهرَ الليل ، ما للبرقِ يأتلق والمُزَنِ ترعد والأنواء تصنطق
هل بالطبيعة ما بي ؟ أم أَلَمَ بها ما بالديار فثارت - كلها حنق
مُرَبْدَةٌ لم يهيم في جوّها قرٌّ ولا تنفس في أطرافها فلق
قدت من الليلِ سرّبالاً يجللها وحفّ الذبول فلم يُسفر لها أفق
مرأى يثل هولَ الحزنِ مختبطاً بين الجوانح سُدتْ دونه الطرُق
أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد في النفس لج به التبريح والأرق
ويحَ الهموم كم أرخعت أعينتها شعثاً تدفقُ أرسالاً وتستبقُ
هوّجاء تسمع منها كلما اقتربت صوت السلاسل فوق الصّخر تنزلق
تهوي إليّ وأهوي مُطبقين معاً حتى نصرع مُلتفين نَمْنَمَتِ
هاجّت وهجّت فكانت ثم ملحمة دارت وسال دمي يجري به العرقُ

الباب الرابع في وصف الشعر - آراء الحكماء والشعراء فيه

إنّ من الشعر الحكمة . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ :
« سمي الشاعر شاعراً لفطنته » . (الأخفش)

وَجِدَّ الشعر حُبّاً وَجِدَّ السحر شقيقين ليس يفترقان . (إلياس فياض)
إنّ المنشئ يولد مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعاً على النظم .
والشعراء لسان حال الأمة ، وتراجمة شعورها ، وعنوان إحساسها .
والشعر العصري أضاف إلى معارفنا معاني جديدة يرقى بها الخيال ، وتتسع
بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراء زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)
الشاعر العربي الذي يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة
جمله هو شاعر الحقائق . (الدكتور شبلي شميل)
الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة متوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكت في
قالب موزون الكلام والنغمة . (الآنسة مي)

ما الشعر إلا تصوير الخيال والشعر النفسي في شكل الأشعار التي تدنيه من
أفهام الناس ، فقدّر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبّه إحساس الشاعر
ورقته عواطفه . (وسيلة محمد)
خلق الشاعر سمحاً طروباً ... (شوقي)

الشعر له قديم مات ودفن في العواطف الراقية ، فجعل شعور النفس
كفنّاً له ، كلما تحرّكت العواطف ولمس الكفن استيقظ ذلك الإله وملاً الدنيا
أنيناً مدهشاً . (توفيق مفتح)

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بغاة المعالي كيف تبني المكارم
أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي تبقيهِ أرواح له عطرات

وما ألجئُ لولا الشعر إلا معاهدُ وما الناس إلا أعظمُ فخرات
(أبو تمام)

أجل الشعر ما في البيت منه غرابة نكتة أو نوع لطف
وبش الشعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطان وسقف

للشعر في كل عصر مركب خشن لا يستقل عليه الرّاكب الوهن
(ناصيف اليازجي)

ليس شعراً إلا الذي كُـلّـ بـيـت فيه معنى يدعو إلى الأسماع
(خليل اليازجي)

وخير الشعر ما أوجاه طبع فكان له بأفئدة ديب
معانيه قد اتسقت بلفظ بكاد لفرط رِقَّتِه يذوب
(عيسى المعلوف)

الشعر كالمرآة يرى سم فيه عقل الناظم
(إبراهيم الحوراني)

وما الشعر إلا الشهد والسحر والطلح يحلي المنى، يرقى العقول ويسكر
وما الشعر لا أدري وأدري لأنني تصوّرت له لكنّه لا يصوّر
(فائز السمعاني)

أنصت فكل لسان شاعر هزج حق الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأي حسن لشعر غير مبتكر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوّشي ذا العصر لا الخالي من العصر

هو الشعر لا اعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه
(معروف الرصافي)

إنظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرغد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يتبدل
(ابن الوردي)

الشعر دُرُّ الخيال بحور والفكر فلك في العباب يمور
والشعر ما ابتكر الذكاء مولداً معنى له يروح منك شعور
فإذا أتى نظماً فتلك صناعة أخرى جلاها الطبع والتحرير
(سليم عنجوري)

وقال دُعلُب بن علي الخزاعي يصف الشعر الخالد :
يقول إن ذاق الردي مات شعره وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأفضي ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حاميه
يموت رديء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى ، وإن مات قائله

العناية بلغة الشعر لعدي بن الرقاع :
وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كموب قناته حتى يقيم ثقافته منادها

سحر البيان لأبي تمام :
كشفت قناع الشعر عن حروجه وطيرته عن وكره وهو واقع
بغرض يراها من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاع
يود وداداً أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقاً إليها مسمع

وصف قصيدة لابن الرومي :

نظم الفكر درها غير مَثَقو ب إذا الدر شينَ بالثقيب
لم يعبها سوى قواف تشاغل ن عن المدح فيك بالتشبيب
يطرب السامعين أيسر ما في ها وإن أنشدت بلا تطريب
سودت فيك كل بيضاء تسويد دأ تراه العيون كالتذهيب

لو يناغي بيانها المعجمَ يوماً عَرَّبَ المعجمَ أيما تعريبِ
سير الشعر للمتنبي :

وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ مُنشدًا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مفردا
أجزني إذا أنشدتُ شعراً فإنما بشعري أذاك المادحون مرددا
سهولة الشعر لبشار بن برد :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى فجئتُ عجيب الظن للعلم موثلاً
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً
وشعر كزهر الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً
شعر فيكتور هيجو للمرحوم حافظ بك إبراهيم :

ما ثغورُ الزهر في أكامها ضاحكاتٍ من بكاء الشجُبِ
نظمَ الوسميَّ فيها لؤلؤاً كَنَّى يا الفيد أو كالجبِ
عند مَنْ يَقضي بأبي منظر من معانيه التي تلعب بي
بَسَمَتْ للذهن فاستهوتُ نهي مغرم الفضل وَصَبَّ الأدبِ
وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بساجدة تَشُقُّ سَبيلها شَقُّ الإزارِ
وتكاد تَقْدَحُ في الأذى فيستحيل إلى شرارِ
مثلَ الشَّهابِ انقُضَ في آثارِ عِفريتٍ وطارِ
فإذا عَلَتْ فكدعوة المُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السَّتارِ
وإذا هَوَتْ فكما هوت أنثى العقاب على الهزارِ
وتُسِفُ آوَنَةٌ وآوَنَةٌ يحيد بها ازْوَرارِ
فيخالها الراؤون قد قرئت وليس بها قرارِ
لعبَ الجواد أقلُّ ليلًا من قضاة أو زرارِ

أو كالقلوب من الحما ثم فوق ملعبه استطار
وكأنها في الأفق ح ين يميل ميزان النهار
والشمس تُلقي فوقها حلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لنا الس يا فيأخذنا انهاراً

وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية ١٩٠٩ م :

نبشافي إن كنتما تعلّمانِ ما دهمي الكون أيها الفرقدانِ
غضب الله أم تمردت الأر ض فألححت على بني الإنسانِ
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا لك ولكن طبيعة الأكوانِ
غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركانِ
رب أن المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملانِ ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الرُبانِ
سابع تحشنا مظل علينا حائم حولنا مناء مداني ١
فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق كلامها غادران ٢

وقال البحري يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله عفواً ويفتح في القضاء المفضل
يغشى الوغى فالتثرس ليس بحده من حده والدرع ليس بمقل
ماصر وإن لم تمنضه يد فارس بطل ومصقول ، وإن لم يصقل
مُصنغ إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل
متوقد يبري بأول ضربة ما أدركت ، ولو انها في يذبل
فإذا أصاب فكل شيء ممتر وإذا أصيب فما له من مقتل
وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفي المنفلوطي يصف القلم :

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وإنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة .

كم أثارَ اليراعُ خَطْباً كميناً وأمات اليراع خَطْباً مثناراً
قطراتٌ من بين شقيقه سالت فأسالت من الدِّمَا أنهاراً
كان غصناً فصار عُوداً ولكن لم يزل بعدُ يحملُ الأثماراً
كان يستمطرُ السحابُ فعالاً أمر فاستمطر العقولُ الغِزاراً
وقال المرحوم أحمد شوقي يصف أبا الهول :

أبا الهول : طالت عليكِ العِصْرُ وبُلغْتَ في الأرضِ أقصى العِمرُ^١
فيا لدةَ الدهرِ لا الدهرُ شَبُّ ب ، ولا أنتِ جاوزتِ حدَّ الصِّغرِ^٢
إلامَ ركوبكِ متن الرِّمّا ل لطي الأصيلِ وجوبِ السَّحَرِ^٣
تسافرُ مُتَنَقِّلاً في القُفُورِ ن ، فأبْثانَ تُلقِي غبارَ السُّفُورِ^٤
أبينك عهدٌ وبين الجبَا ل ، تزولان في الموعدِ المنتظرِ^٥
أبا الهول ! ماذا وراءَ البقا م - إذا ما تَطاولَ غيرَ الضَّجَرِ^٦
عجبتُ للقمانِ في حرصِهِ على لبَدٍ والنسورِ الآخرِ^٦

- (١) العصر: الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد . ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعماراً طوالاً : والعمر بضم العين والميم لغة في العمر .
(٢) (فيالدة الدهر) فيا أخا الدهر وقربنه فكأنك والدهر توأمان ، خلقةً تماً معاً في اوان (ولا انت جاوزت حد الصغر) أي برغم انك بلغت في الأرض أقصى العمر (إلام ركوبك) إنه تصوير شعري بديع لتصوير أبي الهول راكباً متن الرمال يطوي الليل والنهار ويسافر متنقلاً في القرون والأدهار (وجوب) في معنى طي . (٤) (في الموعد المنتظر) يوم يزول كل شيء أي اليوم الآخر .
(٥) (ماذا وراء البقاء) يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى :
سَمَت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم
(٦) للقمان هو لقمان بن عاديا ، وتزعم العرب أنه هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستقي لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء عمر سبع بقرات سمر من اطيّب عفر في جبل وعمر لا يمسها القطر ، او بقاء عمر سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقق الأبقار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له ياعم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ، ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في أصله فيعيش الفرخ =

وشكوى لبيد لطول الحياة ولو لم تطُلْ لَنَشْكِي القِصْرَ^١
 فإن الحياةَ تَقُلْ الحديد إذا لبَسْتَهُ ، وثُبلي الحجرَ
 ولو وجِدْتَ فيكَ يا ابن الصفاة لحقت بصانِعِكَ المُقْتَدِرَ^٢
 أبا الهول ، ما أنتَ في المعضِلا تِ القِذْضِلَتِ السُّبُلَ فيكَ الفِكرَ^٣
 تحيَّرتِ البَدْوُ ماذا تَكُونُ ، وضَلَّتْ بُوادي الظنون الحُضُرَ^٤
 فكُنْتَ لَهُم صورة العنْفُوا نِ ، رَكُنْتَ مِثَال الحُجَى والبَصَرِ^٥

= خمسمائة سنة او اكثر فإذا مات اخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع
 فأخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبداً وكان اطولها عمراً ، فضربت العرب
 به المثل : فقالوا طال الأبد على لبدا فعاش لقمان ، كما زعموا ، ثلاثة آلاف
 وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدا
 هذا ، ولقمان بن عاديا غيّر لقمان الحكيم وغير اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز
 ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، وكلاء الاثنين مذكور في القرآن الكريم .
 (١) « وشكوى لبيد » اي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة إلخ كان لبيد
 من المعمرين روي انه مات وهو ابن مائة واربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين
 ومائة اول خلافة معاوية - اما شكواه التي ألمع إليها فذلك حيث يقول :
 ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟ !
 يقول إذا لم يكن وراء البقاء المتطاوّل إلا الضجر فإني أعجب للقمان في حرصه
 على ان تطول حياته وللبيد الذي وان مل الحياة وسئمت من طولها فانه لا محالة كان
 اكثرها شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة خجلة وغريزة مركوزة في الطباع .
 (٢) « وجدت » أي الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذي لا ينبت
 شيئاً وفي المثل فلان ما تندى صفاته : وفي الحديث لا تفرع لهم صفاة اي لا ينالهم
 أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه من الحجر « لحقت إلخ » أي لأدر كك
 الموت . (٣) ما انت في المعضلات ، خبرني أي معضلة انت في المعضلات . وأي
 معى مخفى (٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة في أمك حاضرهم والبادي .
 (٥) صورة العنقوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة اسد من معاني
 القوة ، مثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه
 الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور .

وسركَ في حُجبهِ، كلما أطلتْ عليه الظنونُ استترَ^١
وما راعهمُ غيرُ رأسِ الرُّجا لعلَّ على هيكلٍ من ذواتِ الظفرِ
ولو صوّروا من نواحي الطبّا عتوّلوا عليك سباعُ الصّورِ^٢
فيا ربُّ وجهِ كصافي النّسيمِ رتّشابه حامليّته والنّسيمِ
أبا الهول ، ويحك لا يُستَقَ لعلَّ مع الدهرِ شيءٌ ولا يَحْتَقِرَ^٣
تَهزأتَ دهرًا بديك الصّبا ح فتَقَرَّ عينيكَ فيما نَقَرُ^٤
أسال البياضَ وسلّ السّوا د وأوغلَ منقارُهُ في الحُفَرِ
قعدتَ كأنك ذو الحُجبِ ن قطعَ القيامِ سَلِيبَ البَصَرِ
كأن الرّمالَ على جانبيك وبين يديك ، ذنوبُ البَشَرِ
كأنك فيها لواءُ القضا ع على الأرض أو ديدبانُ القَدَرِ^٥
كأنك صاحبُ رَمَلٍ يرى خبايا الغيوب خِلال السّطَرِ^٦

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتوماً ومخفياً في حجبهِ . والناس من امرِك في ظلام . (٢) ولو صوروا أي ما كان ينبغي أن يروّع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافي النسيم الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكروه وخبثه وشرسته . (٣) لا يستقل لا يعد قليلاً وهذا البيت كالتهميد لما بعده . (٤) بديك الصبح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويه خلقه حق أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزم أبي الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول إنه ورد في بعض الآثار لاتسبوا الديكة فانها تدعو إلى الصلاة . (٥) « المحبين » الحبس الموضع الذي يحبس فيه ، وكان يقال عن أبي العلاء المعري رهين المحبين أي رهين عماء وبيته : فكأنه من عماء في الحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماء وسكوته في محبين . (٦) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديدنه بان ومعنى ديدنه العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة . (٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

أبا الهول ، أنتَ نديمُ الزَّما نِ نَجِيٍّ الْأَوَانِ سَمِيرُ الْعَصْرِ^١
 بَسَطْتَ ذِرَاعِيكَ مِنْ آدَمَ وَوَلَّيْتَ وَجْهَكَ شَطْرَ الزَّمَرِ^٢
 تَطِيلُ عَلَى عَالَمٍ يَسْتَهْلُ لُ وَتُوفِي عَلَى عَالَمٍ يُحْتَضِرُ^٣
 فَمِنْ إِلَى مِنْ بَدَا لِلْوَجُو دِ ، وَأُخْرَى مُشْبَعَةٌ مِنْ عَهْرِ^٤
 فَحَدَّثَ فَهَقْدُ يُهْتَدَى بِالْحَدِيدِ شِ ، وَخَبَرٌ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبْرِ^٥
 أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِبًا وَالْقَمَرِ^٦
 ظَلِيلَ الْحَضَارَةِ فِي الْأَوَّلِ بَيْنَ رَفِيعِ الْبِنَاءِ ، جَلِيلِ الْأَثَرِ^٧

(١) «نجي الأوان» النجى بوزن فعيل الذي تسارد. وفي الحديث «اللهم بمحمد بيك وبموسى نجيك» هو المناجي المحدث للانسان. (٢) «من آدم» أي من قديم (الزمر) جمع زمرة الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعاً . (٣) «يستهل» يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبى بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة (يحتضر) حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت . (٤) وأخرى مشبعة من عهر من مضى (٥) «ألم تبل فرعون» بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولي ملك مصر كالنجاحشي للملك الحبشة وقصر للملك الرومان وفه عون اصلها في الهيروغليفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كال ، ورع أي الشمس فتكون كلمة واحدة ورع أو راهوا معبود قوي حاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة ، وإبقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب، وإذن لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول (إلى الشمس معتزياً) يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العزة والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزيريس «الشمس» وإيزيس «القمر» لأنهم من اصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة . (٦) «ظليل الحضارة» مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد ان حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر خلاف البدو البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار .

يؤسسُ في الأرض للغابري نَ ويفرسُ للآخرين الثمر^١
وراعك ما راعَ من خيلٍ قنبَ يزَ ترمي سنابيكها بالشرر^٢
جوارفُ بالتشارِ تغزو البلا دَ ، وآونةً بالقنا المَشْتَجَر
وأبصرت إسكندراً في الملا قَشِيبَ العُلا في الشباب النضر^٣

(١) «لغابرين» الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت إما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتماثيل ويفرس للآتين ما يحنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويفرس لهم كل ما يحدي ويثمر . (٢) «قنب» هو ابن قورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس التي غزت مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك «إسمتيك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزوة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم «قنب» بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرمت نفس أبيه قورش العظيم إلى إخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة ، يقول مؤرخو الإغريق إن أحد الجنود اليونانية هو الذي حان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة «بلوز» «الفرما» بجزراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنفست سقطت البلاد وأخذ قنب «إسمتيك» أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ثم سار قنب أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم ديانتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكرر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق. م . ولما ولي ملك الفرس دار الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قنب فأسدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلًا عظيمًا للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الحسائر في واقعة «مرثون» في حربه مع الإغريق فخرجوا من طاعته وطردهوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق. م . ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق. م . (٣) «إسكندر» هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون =

تَبَدُّجَ فِي مِصْرَ إِكْلِيلُهُ فَلَمْ يَعُدْ فِي الْمَلِكِ 'عَمْرَ الزَّهْر'
 وَشَاهَدَتْ قَتَيْصِرَ كَيْفَ اسْتَبَدَّ وَكَيْفَ أَذَلَّ بِمِصْرَ الْقَصْرِ ؟
 وَكَيْفَ تَجَبَّرَ اعْوَانُهُ ؟ وَسَاقُوا الْخَلَائِقَ سَوَاقَ الْحُمْرِ ؟
 وَكَيْفَ ابْتَلَوْا بِقَلِيلِ الْمَدِيدِ مِنَ الْفَاتِحِينَ كَرِيمِ النَّفَرِ
 رَمَى تَاجَ قَيْصَرَ رَمَى الزَّجَا ج ، وَفَلَ الْجُمُوعَ وَثَلَّ السَّرَرَ
 فَدَعَا كُلَّ طَاغِيَةٍ لِلزَّمَانِ فَإِنَّ الزَّمَانَ يَقِيمُ الصَّعَرَ
 رَأَيْتَ الدِّيَانَاتِ فِي نَظْمِهَا وَحِينَ هِيَ سَلَكُهَا وَانْتَثَرَ

= بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها
 عنوة وبذلك تم استلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وقد كان الفرس استدعوا
 حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر إلى « بلوز »
 « الفرما » سنة ٣٣٢ ق م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما
 لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوابها ودخلها دون عناء حتى إن
 الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب، ومن ثم سار الإسكندر
 إلى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم
 ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية
 فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ، ولما رأى الإسكندر أن قرية
 « راقودة » وهي قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية ذات موقع بحري موفق
 أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للإسكندر
 في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة ٣٣٣ وكان عمره
 إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يبق بمصر كما ترى إلا قليلا ، فذلك حيث يقول في البيت
 التالي « فلم يعد في الملك عمر الزهر » وخلف الإسكندر على مصر البطالسة وما زالوا
 بها إلى أن استولى الرومان عليها . « إكليله » تاجه . (١) « رمى » يريد هذا النفر
 القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وقل الجموع : هزمها وثلل الـ رر كسرهما والسر جمع
 سرير والمراد بها العروش التي يجلس عليها القيصرية . (٢) « الصعر » ميل في العنق
 وانقلاب الوجه إلى أحد الشقين ، وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المتلمس :
 وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من رده فتقوما
 والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقميت الشيء فقام أي استقام . (٣) في
 نظمها وحين وهي سلكها ، في حالتي قوتها وضعفها .

تشادُ البيوتُ لها كالبرو ج إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر^١
تلاقى أساساً وشتمَ الجبا ل كما تتلاقى أصولُ الشجر^٢
وإيزيس خلف مقاصيرها تخطى الملوكة إليها السُتر^٣
تضيءُ على صفحات السما وتشرق في الأرض منها الحُجر
وآبيس في نيره العالمو ن ، وبعض العقائد نيرٌ عسر
تسأسُ به مُعضلات الأمو ر ويُرجى النعيمُ وتحشى سقر
ولا يشعرُ القومُ إلا به ولو أخذته المدى ما شعر
يظل أبو المسك عبداً له وإن صاغ أحمد فيه الدرر^٤
وآنست موسى وثابوته ونور العصا والوصايا الفرر^٥
وعيسى يلم رداء الحيا م ومريم تجمع ذيل الحفر^٦

(١) «انحسر» كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر (٢) «تلاقى» تتلاقى
بجذف إحدى التائين أي أنها راسخة رسوخ الجبال. (٣) «إيزيس» هي من معبودات
قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوربوس
وهاربوقراط. (٤) «وآبيس» هو العجل آبيس. روى أن نيفون إله الشر
تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان
هذا العجل عدهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل
الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات
ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة مثلثة
وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه. (٥) «أبو المسك» كافور
الإخشيدي ، و «أحمد» أبو الطيب اتنبي. (٦) وثابوته ونور العصا والوصايا
الفرر ، الثابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى ما كان
منها من الآيات والوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه.
(٧) وعيسى يلم رداء الحياء ، يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء
ومثله في ذلك العذراء .

وعمرُو يسوقُ بمصر الصَّحابَ ويزُجي الكتابَ ويحدو السور^١
فكيف رَأيتَ الهدى والضلا ل ودنيا الملوكِ وأخرى عَمَرَ
ونَبذَ المقوقسَ عهدَ الفُجور وأخذَ المقوقسَ عهدَ الفجر
وتَبَدَّلهُ ظلماتِ الضلا ل بِصُبحِ الهداية لما سفر
وتأليفه القبط والمسلمينَ كما 'أُلْفَت' بالولاء الأسر^٢
أبا الهول ، لو لم تكن آية لكانَ وفاؤُكَ إحدى العبر^٣
أطلت على الهرميين الوقوف ف كَثَاكِلة لا تريم الحُفَر^٤
ترجِّي لبانيهما عودة وكيف يعودُ الرَّميم النسخير؟^٥
تجوس بعين خِلال الدِّيار وترمي بأخرى فضاء النهر^٦
ترومُ بمنفيسَ بيضَ الظبَا وُسُمرَ القنا والخميسَ الدثر^٧
ومهد العلوم الخطيرَ الجلا ل وعهد الفنون الجليلَ الخطر
فلا تستبينَ سوى قَصرية أجدَّ محاسنها ما اندثر^٨

(١) وعمرُو... يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر
ويزجي كتاب الله وآياته. (٢) وتأليفه أي المقوقس الأسر) جمع الأسرة وأسرة
الرجل عشيرته ورهطه الأدنون. (٣) إحدى العبر إحدى الآيات. (٤) أطلت
إلخ بيان لوفاء أبي الهول كَثَاكِلة: يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء
منك كَثَاكِلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثاكلة هي التي فقدت ولدها ، ولا
تريم أي لا تبرح. (٥) « لبانيهما » أي لباني الهرمين : (٦) « تجوس » تطوف .
وتتخلل و « للنهر » النهر واحد الأنهار يعني نهر النيل . (٧) « وتروم » تفشد
وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهي عاصمة
ملك الفراعنة والذي بناها مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال
شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر . (٨) « أجدَّ محاسنها
ما اندثر » يقول إن طلوها الدوارس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها .

تكد لإغراقها في الجو د إذا الأرض دارت بها لم تدّر
فهل منْ يُبلغُ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدت بالسير؟
وأنا خطبنا حسان الملا وسقنا لها الغالي المدّخر؟
وأنا ركنا غمار الأمور وأنا نزلنا إلى المؤتمر
بشكلٍ مُبين شديد اللدا د وكلّ أريب بعيد النظر
تطالبُ بالحقّ في أمة جرى دَمُها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر
فلم يبقَ غيرُك من لم يخف ولم يبقَ غيرُك من لم يطر
تحرّك أبا الهول ، هذا الزّما ن تحرّك ما فيه ، حق الحجر

وقال أيضاً المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكةٌ مُدبّره بأمرأة مؤمّره
تحمل في العمال والصّناع عبء السيطره
فاعجب لعمال يولّثون عليهم قيصره
تحكمهم راهبةٌ ذكّارةٌ مُغيّره
عاقدةٌ زناَرها عن ساقها مُشمره
تلتصّت بالأرجوانِ وارثدته ميّزره
وارتفعت كأنّها شرارة مُطيّره
ووقعت لم تختلج كأنها مُسمّره ؟
مخلوقة ضعيفة من حلقٍ مُصوّره
ياما أقلّ ملكها وما أجلّ خطرّه

(١) التغير : ترديد الصوت بالقراءة .

(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قِفْ سائلِ النحلَ بأيّ تَقْلٍ دَبْرَه ؟
'يُجِيبُكَ بِالْأَحْلَاقِ وَهِيَ كَالْعُقُولِ جَوْهَرَه
'تُغْنِي قَوَى الْأَخْلَاقِ مَا تُغْنِي الْقَوَى الْمَفْكَّرَه
وَيَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا مَنْ شَاءَ حَتَّى الْحَشَرَه

أليس في مملكة النحل لقوم تبصره ؟
ملك بنسائه أهلُه بهمةٍ ومجدرة^١
لو التمسَتْ فيه بطّال اليدين لم تَرَه
'تَقْتُلُ' أو تنفى الكسا لى فيه غيرَ مُنْذَرَه
تحكم فيه قيصره في قومها مُوقَّرة
مِنَ الرّجالِ وقبوا دِ حُكْمِهِمْ مُخَرَّرة
لا تورثُ القوم ولو كانوا البنين البررة
الملكُ للإناث في الدّ ستور لا لِلذَّكَرَه^٢
نيرة تنزلُ عن هالتيها لنيرة
فهل ترى تخشى الطّما ع في الرجال والشّرة^٣
فطالما تلاعَبُوا بالمُهْجِ المصيرة
وعبروا غفلتها إلى الظُّهور قنطره
وفي الرّجال كرمُ الضعف ولؤمُ النقدره
وفتنه الرأى وما وراءها من أثره
أنثى ولكن في جنا حياها لباة مخدره^٤

(١) يقال هذا الامر مجدرة ذاك اي جديراً به .

(٢) الذكرة : الذكور .

(٣) الطماع : الطمع . (٤) اللباة : اللبوة وهي أنثى الأسد .

زائدة عن حوضها طاردة مَنْ كدّره
تقلّدت إبرتها واذرعت بالحبرة
كانها تركيبة قد رابطت بأنقرة
كانها (جاندارك) في كتية معسكره
تلقى المغير بالجنو د الخشن المنعرة
للسابغين شكة^(١) البالفين جسر^(٢)
قد نثرتهم جعبة ونقضتها مئبرة^(٣)
مَنْ يبن ملكا أو يذد فبالقنا الحجر^(٤)
لن الأمور ممة ليس الأمور تفره
ما الملك إلا في ذرا الأولية المنشرة
عريته مذ كان لا يحويه إلا قسورة^(٥)
ربّ النيوب الزرق والتمخالب المذكره
مالكة عاملة مصلحة معمرة
للمال في أتباعها لا تستين أثره
لا يعرفون بينهم أصلا له من ثمره
لو عرفوه عرفوا من البلاء اكثره
وتخسّدوا نقابة لأمرهم مسيره
سبحان مَنْ نزه عنه ملكهم وطهره
وساسه بحرة عاملة مسخرة
صاعدة في معمل من معمل منحدره

(١) الشكة : السلاح .
(٢) الجسرة : الجسرة .
(٣) المثبرة : بيت الإبر .
(٤) القسورة : الاسد .

واردة دَسْكَرة صادرة عن دَسْكَره^١
 باكرة تستنفضُ المعصائبَ المبكرة^٢
 السامعينَ الطائعينَ المحسنينَ المهره
 من كل من خطُّ البناء أو أقامَ أسطره
 أو شدَّ أصل عقده أو سدَّه أو قوَّره^٣
 أو طاف بالماءِ على جُدرانِه المجدِّره^٤
 وتذهبُ النحلُ خفا فَاً وتجيءُ موقرة
 جوالِبَ الشمع من الخِمال المنوَّره
 حوالب الماذي^٥ من زهر الرِّياض الشيره^٦
 مشدودة جيوها على الجنى مُزَرَّره
 وكلُّ خرطوم أداةُ العسل المقطَّره
 وكلُّ أنف قانيء فيه من الشَّهْدِ بره^٧
 حتى إذا جاءتْ به جاست خلال الأدوره^٨
 وغيبته كالسلا في الدَّان المحضره^٩
 فهل رأيت النحل عن أمانة مقصره ؟
 ما اقترضت من بقله أو استعارت زهره
 أدَّت إلى الناس به سكرة بسكره

(١) الدسكرة : القرية . (٢) المعصائب : جمع عصابة . (٣) قور الشيء قطعه من وسطه خرقاً مستديراً (٤) المجدرة أي المشيدة (٥) الماذي : العسل . (٦) الشيرة : الحسان . (٧) البرة : الحلقة في الأنف . (٨) الادورة : الديار يراد بها الخلايا هنا . (٩) السلاف : أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقي بك يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :
 قفي يا أخت (يوشع) خبرينا أحاديث القرون الغابرينا^١
 وقصّي من مصارعهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلّمينا^٢
 فملك من روى الأخبار طراً ومن نسب القبائل أجمعينا^٣
 نرى لك في السماء خضيب قرن ولا نحصى على الأرض الطعينا^٤
 مشيت على الشباب شواظ نار ودُرت على المشيب رحي طحونا^٥
 تعين الموالد والمنايا وتبين الحياة وتهديمينا^٦
 فمالك هرة أكلت بنينا وما ولدوا وتلتظر الجنينا^٧
 أم المالكين بني (أمون) ليهنك أنهم نزَعوا (أمونا)^٨

(١) الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روي أن وشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم، وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنت لا أنس المليحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع
 فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع
 القرون الغابرين الأجيال الماضية . (٢) قصي: حدثني، ومنه: « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم: مهالكهم دولاتهم، جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال: « جاف الدهر بدولته » أي بدواهيه . (٣) طراً جميعاً دون أن تترك منها شيئاً ، نسب القبائل: ذكر أنسابهم . (٤) الخضاب: الملون بالخضاب ، القرن حاجب الشمس . الطعين المطعون . (٥) الشواظ بالضم والكسر: دخان النار . (٦) المنايا جمع منية وهي الموت . (٧) الهرة: القطة ، ويقال في المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين: الولد ما دام في الرحم . (٨) نزع أباه أشبهه ، وفيه إشارة إلى أمه أمون ، واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان عادتهم أن لا يتولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خوأتون .

ولدت له (المأمين) الدواهي ولم تلدي له قط (الأمينا)^١
فكانوا الشهبَ حينَ الأرضُ ليلٌ وحينَ الناسُ جدُّ مظلينا
مشيت بمنارهم في الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا)^٢
ملوكُ الدهر بالوادي أقاموا على (وادي الملوك) محجينا^٣
فرُبَّ مصفد منهم وكانت تساقُ له الملوكُ مصفدينا^٤
تقيد في التراب بغير قيد وحلَّ على جوانبه رَهِينا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا بالحجارة منطقينا^٥
عدواً يبنون ما يبقى وراحوا وراء الآبـدات مَخلدينا
إذا عمدوا لماثرة أعدوا لها الإنتقانَ والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تلقى وتؤخذُ من شفاء الجاهلينا
ولكنْ منتهى هم كـبار إذا ذهبتْ مصادرُها بقينا
وسر العبقرية حين يسري فينظمُ الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تنامتْ إلى التاريخ خير الحاكينا

(١) أشار للخليفتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزمًا وعلمًا ورأيًا ودهاء وهيبة وشجاعة ، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون . (٢) روما عاصمة إيطاليا ، قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه إشارة إلى ما اخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة . (٣) وادي الملوك هو الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسيرة نصف ساعة تقريباً وهو مضاف صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإبقائها إلى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقين أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطنة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما امرأتان وعصف الرياح وهطل السحاب .

وأخذك من فم الدنيا ثناء وتركك في مسامعها طنيناً^١
 فتغالى في بنيك الصيد غالي فقد حُبُّ العلوِّ إلى بئينا^٢
 فشيب قنع لا خيرَ فيه -م وبورك في الشباب الطامحين^٣
 ففناجيهم بعرض كان صنواً لمرشك في شبيبته سفيناً^٤
 وكانت العز حليته وكانت قوائمه الكتائب والسفينات
 وتاج من فرائده (ابن سبي) ومن خبزاته (خوفو) و (ميناً)^٥
 علا خدّاً به صعر وأنفاً ترفع في الحوادث أن يدينا^٦
 ولست بقائل ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القططين^٧
 فإننا لم نؤقّ النقص حتى نطالب بالكال الأولينا^٨
 وما (البستيل) إلا بنت أمس وكَم أكل الحديد بها سجيناً^٩

(١) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك . (٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالاً ، فقد حب بضم الحاء أي فقد حبب (٣) شيب: أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا ، الطامحون: المتفانون في طلب المعالي. (٤) الصنو : الأخ الشقيق والابن ، السنين بفتح السين من يكون في سنك. (٥) ابن سبي: هو رمسيس الثاني المعروف بسوسرتيس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولي الملك صغيراً في حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه ان يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهما حتى ادخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخصة في آسيا الشمالية وكان في أيامه (بنتاهور) الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه . (٦) علا خدّاً أي ذلك التاج والصعر ان يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاوتاً أو كبراً . (٧) القططين الخدم اي انه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون ان الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية. (٨) لم نؤقّ النقص اي لم نحفظ منه (٩) البستيل: سجين يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفي هذا =

ورُبَّةَ بَيْعَةٍ عَزَّتْ وَطَالَتْ بَنَاهَا النَّاسُ أَمْسِرَ مُسَخَّرِينَ^١
 مُشِيدَةً لِشَافِي الْعُمِّي (عَيْسَى) وَكَمْ سَمَلِ الْقُسُوسِ بِهَا عُيُونًا^٢
 خَلِيلِي أَهْبَطَا الْوَادِي وَمِيْلَا إِلَى 'غَرْفِ الشَّمْسِ الْغَارِيَيْنَا'^٣
 وَسِيرَا فِي مَحَاجِرِهِمْ رُوَيْدَا وَطُوفَا بِالْمَضَاجِعِ خَاشِعِينَ^٤
 وَخُصْنَا بِالْعِمَارِ وَبِالتَّحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ (تَوْتَنْخَمِينَا)^٥
 وَقَبْرَا كَادَ مِنْ حُسْنِ وَطِيبِ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضُوعُ طِينَا^٦
 يُخَالُ لِرَوْعَةِ التَّارِيخِ قُدَّتْ جَنَادِلُهُ الْعُلَا مِنْ (طُورْسِينَا)^٧
 وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمُلْكِ يُدْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الْكَنْزُ الثَّمِينَا^٨
 وَقَوْمَا هَاتِفَيْنِ بِهِ ، وَلَكِنْ كَمَا كَانَ الْأَوَائِلُ يَهْتَفُونَ^٩
 فَتَسْمُ جَلَالَةُ قُرَّتْ وَرَامَتْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ^{١٠}
 جَلَالُ الثَّمَلِكِ أَيَّامٌ وَتَضِي وَلَا يَمُضِي جَلَالُ الْخَالِدِينَ^{١١}

= السبعن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا اشد انواع العذاب ايام الاستبداد
 فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدران المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي
 جني عليه لخير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتاً. وقد كره الفرنسيون (البستيل)
 واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا
 يشعرون على حكومتهم حق كان غرضهم (البستيل) فهدموا واقتلعوا اصوله
 واخذت فتات احجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلون بهاي امكنة اللآلىء اشارة
 الى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين . (١) البيعة بكسر الباء معبد
 النصرى مسخرين : اي كلفوا عملهم بلا اجرة (٢) سمل العين فقأها بمجديدة محماة
 وقلمها ٣ يريد بالشموس الغاربيين ملوك الفراعنة، وغرفهم مدافنهم . (٤) المهاجر
 ما يحمله الملوك حول منازلهم ومنها مهاجر اقبال اليمن وهي احماؤهم اي ما كان
 يحمله كل منهم (٥) العمار التحية وهو ايضا الريحان يزين به مجلس الشراب .
 (٦) يوضع يتحرك وينتشر اي كادت حجارته تضئ حسنا وكادت تنتشر رائحته
 الطيبة الزكية (٧) لروعة المسحة من الجمال، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة
 وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (٨) النزول الضيف (٩) هاتفين
 به اي الملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له ايام حياته .
 (١٠) فثم : فهناك الجلالة من عظم القدر ، ورامت اقامت . (١١) اي ان الجلال
 الصحيح ما خلد به في التاريخ اما جلال الملك فلا بقاء له .

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ «قُدُومٌ سَعِيدٌ» وَحَيَّا اللَّهَ مَقْدَمَكَ الْيَمِينَا^١
 سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتَسَاكَ الْمَنَابَا بِوَادِيهَا وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا^٢
 خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا^٣
 يَجُوبُ الْبَرْقُ بِاسْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ وَيَخْتَرِقُ الْبُخَارُ بِهِ الْحَزُونََا^٤
 تَعَالَى الْيَوْمَ خَبَرْنَا أَكَانَتْ نَوَاكٍ سِنَاتٍ نَوْمٍ أَمْ سَنِينَا؟^٥
 وَمَاذَا جُبْتُ مِنْ ظُلُمَاتٍ لَيْلٍ بَعَيْنُ الصَّبِيحِ يُنْضِي الْمَدْلَجِينَا^٦
 وَهَلْ تَبْقَى النَفُوسُ إِذَا أَقَامَتْ هِيَ كُلُّهَا وَتَبْلَى إِنْ بَلِينَا؟^٧
 وَمَا تِلْكَ الْقُبَابُ وَأَيْنَ كَانَتْ وَكَيْفَ أَضَلَّ حَافِرُهَا الْقُرُونَا؟^٨
 مُرْدَّةَ الْبِنَاءِ تَحَالُ بُرْجًا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَحْطُوطَا دَفِينَا^٩
 تَغْطِي بِالْأَثَاثِ فَكَانَ قَصْرًا وَبِالصُّورِ الْعِتَاقِ فَكَانَ زُونا^{١٠}
 حَلَّتْ الْعَرْشَ فِيهِ فَهَلْ تُرْجِي وَتَأْمَلُ دَوْلَةً فِي الْغَابِرِينَا؟^{١١}
 وَهَلْ تَلْقَى الْمُهَيَّمْنَ فَوْقَ عَرْشِ وَيَلْقَاهُ أَلَمًا مُتَرَجِّلِينَا؟^{١٢}
 وَمَا بِالْطَّعَامِ يَكَادُ يَقْدِي كَمَا تَرَكْتَهُ أَيْدِي الصَّانِعِينَا^{١٣}

(١) اليمين المبارك وهو من اليمن . (٢) وارتك اخفئك (٣) خروج عيسى اي كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى (٤) يجوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلي (التلغراف) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض (٥) تعال اليوم إلخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك (٦) ينضي يهزل ، المدجلون الذين يسرون من اول الليل (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من ابنية المقبرة الفخمة (٨) ممردة البناء مملسته (٩) تغطي اي هذا البناء تغطي إلخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء ، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام (١٠) في الغابرين في الباقيين وفي القرآن الكريم « فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » ويكون ايضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد (١١) المهيمن من أسماء الله تعالى ، المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم . (١٢) ما بال الطعام ، ما حاله ، يقدي من قدي الطعام اي طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً فكيف صبرت أحقاباً مِثِيناً؟^١
 لقد كان الذي حذر الأولي وخاف بنو زمانك أن يكوناً^٢
 يحبُّ المرءُ نبش أخيه حياً وينبشه ولو في الهاكيننا
 سللت من الحفائر قبل يومٍ يسلي من التراب الهامديننا^٣
 فإن تك عند بعث فيه شك فإن وراءه البعث اليقيننا^٤
 ولو لم يعصموك لكان خيراً كفى بالموت متصماً حصيننا^٥
 يضرُّ أخو الحياة وليس شيء بضائره إذا صحب المنونا
 وقال علي بن محمد القاضي التنوخي واصفاً مكتوباً :

وصحيفة الفاظها في النظم كالدر النثير
 جاءت إلي كأنها التوفيق في كل الأمور
 بارقة من شكوى وأحسن من حياة في سرور
 لو قابلت أعمى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 وكأنها أمل تحقق بعد يأس في الصدور
 أو كالقيد إذا أتت بقدمه بشرى البشير
 أو كالنيام لساير أو كالفنى عند الفقير
 أو كالشفاء لمدنير أو كالأمان لمستجير
 وكأنما هي من وصا ل أو شباب أو نشور

(١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين جمع مائة (٢) لقد كان أي لقد حصل الذي حذر الأولي، والأوالي لجمع أول (٣) سللت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسلي الهامدين من التراب هو يوم القيامة (٤) فإن تك عند بعث إلخ أي فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محاله سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة (٥) يعصموك يمنعوك من المكروه أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني .

لفظ كَأَسْرَ معانيد أو مِثْلَ إطلاق الأسير
وكانه إذْ لَاحَ من فوق المِهاَرِق والسُّطُور
وردُّ الخُدود إذا انتقلت به على راح الثغور
'غَرَرْتُ غَدَّتْ' وكانها من طَلْعَةِ الظَّيِّ القَرِيرِ
من كل مَعْنَى كالسلا مة أو كَتِيسِير العسِيرِ

وقال أيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة :

خَطٌّ وقرطاس كأنهما السوالف والشعور
وبدائع تَدَعُ القِلاو ب تَكَادُ من طَرَبٍ تَطِيرُ
في كل مَعْنَى كالقِنَى يحويه 'مُحْتَاجٌ' فقير
أو كالفَسْكَالِ يَنَالُهُ من بَعْدِ ما يَأْسِرُ أُسِيرُ
وكانها الإقبال جاً به الشفاء أو النشور
وكانها مَسْرُوحُ الشبا ب وَعَيْشُهُ الخُضْلُ النُّضِيرُ

وقال البُحْثَرِي في الموضوع نفسه :

وإذا دَجَتْ أَقْلَامُهُ ثم انتعجت بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى في كُتُبِهِ
فاللفظ يَقْرُبُ فهمه في يُبْعِدُهُ مِنَّا وَيَبْعِدُ نَيْلَهُ في قَرْبِهِ
فكانها والسمعُ مَعْقُودٌ بها شَخْصُ الحَبِيبِ بَدَأَ لَمِينُ مُحَبِّهِ

وقال الوزير المهلبِي في وصف كتاب :

وَرَدَ الكِتَابُ مَبْشُوراً نَفْسِي بِأَنْوَاعِ الشُّرُورِ
وَفَضَضْتُهُ قَوَّجَدْتُهُ لَيْلاً عَلَى صَفَحَاتِ نُورِ
مِثْلُ السَّوَالِفِ والخُدود د البِيضُ زِينَتٌ بالشعور
أَنْزَلْتُهُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ القُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمته موزاً شهياً المنظر مستحكم الضج لذينة الخبز
كان تحت جلده المزعفر لفات زبد ، عجنت بسكر
وقال البهاء زهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه كالسك ، أو كالتبر أو كالضرب
وافت به أطباقه منضداً كأنه مكاحل من ذهب

وقال آخر :

يحكي إذا قشرته أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الأقا ح ، وظاهر مثل البهار^١

الكمثرى :

وكثراء بستان شهى الطعم والمنظر
له طعم إذا ذيق كماء الورد والسكر
كأنه في شكله ، ولونه وطعمه قوالب من سكر

التفاح - قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرفل في أثوابه الحجر
شهد بماء الورد مستودع في أكر من جامد الخمر^٢
كأننا حين نحيا به نستنشق الند من الجمر^٣

الخوخ :

كأنما الخوخ على دوحه وقد بدا أحمره العندمي^٤
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت أنصافها بالدم

(١) الأقاح الأقحوان وهو نبت طيب الريح وحواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والبهار نبت أصفر طيب الريح (٢) الأكر : جمع كرة وهي لفة في الكرة . (٣) الندى طيب . (٤) العندم صبغ أحمر .

وخوخةٍ بستان ذكي نسيمها من المسك والكافور قد كسبت شراباً
ملبسة ثوباً من التبر نصفه مصوغٌ ، وباقيه كياقوتة حمراً

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب المعجب أشهى إليّ من اللذات والطرب
كأنه وهبوبُ الريح ينثره بنادقٌ خرطت من خالص الذهب

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا مشمش على الدوح أضحى ذا شعاع يستوقف الأبصارا
شجر أخضر لنا جعل الله تعالى منه كما قال نارا^١

الرمان :

رمانة صبغ الزمان أديمها فتبسمت في ناضر الأغصان
فكأنما هي حُقّة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان
غيره - كأنما حقة ، فإن فتحت فصرة من فصوص ياقوت
غيره - حقائق كأمثال العقيق تضمنت فصوص بلخش في غشاء حرير^٢
غيره - إذا فض عنه قشره فكأنه فصوص عقيق في حقائق من الدر
فدُرٌّ ، ولكن لم يدنس عارض وماء ولكن في مخازن من جمر

النخيل ، والبلح :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد^٣
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السري الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ :

(١) نشر : رائحة طيبة (٢) يشير إلى قوله تعالى : (الذي جعل لكم من
الشجر الأخضر ناراً . . (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة
لتركستان ، أحمره يشبه الياقوت . (٤) بسحق النخل : طال .

فالنخل من باسق فيه وباسقة^١ يضاحك الطلع^٢ في قنواته الرطبا^٣
أضحت شماريجه في النجر مطلعة إما ثريا^٤ ، وإما معصبا خضبا^٥
تريك في الظل عقيانا^٦ ، فإن نظرت شمس النهار إليها خيلتها لها^٧
وقال آخر في البلح الأخضر :
أما ترى النخل قد كثرت بلحا^٨ جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحلا من زمرّد خرطت^٩ ، مقمّات الرءوس بالذهب^{١٠}
وفي البلح الأحمر :
أنظر إلى البسر إذ تبدّى ولونه قد حكى الشقيقا^{١١}
كأنما خوصه عليه زبرجد^{١٢} ممر عقيقا^{١٣}
البطيخ :
رأيتها في كف^{١٤} جلاتها وقد بدت في غاية الحُسن .
كسلة خضراء مختومة على الفصوص الحمر في القطن
وقال أبو طالب المأموني :
ومبيضة فيها طرائق خضرة كما اخضر^{١٥} مجرى السيل من صيب المزن^{١٦}
كحقة عاج ضببت^{١٧} بزبرجد حوت قطع الياقوت في عصب القطن^{١٨}
وقال في بطيخة صفراء :
وبطيخة مسكبة عسكية لها ثوب ديباج وعرف^{١٩} مُدام^{٢٠}

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا إن كانت أنثى ، فإن كانت ذكرا لم يصير تمرا بل يؤكل طريا ، او يترك على النخل اياما حتى يصير فيه شيء ابيض مثل الدقيق فتلقح به الأنثى والقنوان جمع قنو وهو من التمر كالعنقود من العنب .
(٢) المعصم موضع السوار او اليد وهو المراد هنا . (٣) العقيان : الذهب الخالص .
(٤) مقمعة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة . (٥) البسر : البلح قبل ان يرطب فإذا انتهى نضجه فرطب ، والشقيق نبت احمر فيه بقع سوداء . (٦) الصيب المطر ، والمزن السحاب او ابيضه . (٧) الضبيب : شدة القبض على شيء لثلا ينفلت اي كأنها مخاطة بخيوط الزبرجد تمسكها والعصب جمع عصبه ، ما يعصب به اي صرر من القطن . (٨) العرف الريح .

إذا فصلت للأكل كانت أهلية وإن لم تفصل فهي بدر تمام
وقال سبط بن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رُبَّ صَفراء أَتتْنا وهي في أحسن حُلَّةٍ
تَعْتَرِيها صُفْرَةٌ في لونِها من غيرِ عِلَّةٍ
جُلُودُ الرِّيقِ حلال دَمَها في كلِّ مِلَّةٍ
نصفها بدرٌ، وإن قسَمَها فهي أهِلَّةٌ

غيره: ألا فانظروا البطيخ وهو مُشَقَّق وقد حاز في التشقيق كل أنيق
تَرَهُ كَبَلُورِ بدا في زُمرد مُركبة فيه فصوص عقيق

العنب - قال ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ :

كان عناقيدَ الكروم وظلها كواكبُ درٍّ، في سماء زبرجد
وقال السري الرفاء :

والكرمُ مُشْتَبِكُ الأفنان، توسِعْنا أجناسه في تساوي شُرْبِها عَجِبا^١
فكرمةٌ قطرت أغصانها سبجا وكرمه قطرت أغصانها ذهباً^٢
كأنما الورق المخضر دونها غيران يكسوهما من سندس حُجُبا
قصب السكر :

تحكيه سمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه^٣
وكلها زِدَّتْه عذاباً زادك من ريقه حلاوه
النبق :

وسدرة كل يوم من حُسْنِها في فنون^٤
كأنما النبق فيها وقد بدا للعيون

(١) الأفنان الأغصان والشرب الماء (٢) السبج : خرز اسود. (٣) الطلاوة
مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة شجرة النبق .

جَلَّاجِلٌ من 'نصارٍ' قد عُدَّتْ في الفصون
الجزر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزر الذي يحكي لنا كُهبَ الحريق^١
كَمْذِبَةٍ من سندس ولها نصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حُسْنِه قَضْبٌ من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صيغت من العقيقان
اللوز الأخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من تَوَامٍ ومُفسردٍ
جواهرٌ لكنما الأصداق من زَبَرْجَدٍ

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعماً ، واكتسى حُسْنًا ، وقاربَ منظرًا من نخير
في برد تلج ، في نقا تبر ، وفي ريح العبير ، وطيب طعم السكر^٢
يحكي إذا ما صفّ في أطباقه خيًّا ، ضَرَبَ من الحرير الأحمر
الفستق :

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كالسن الطير من بين المناقير
غيره : زَبَرْجَدَةٌ خضراء وسط حريرة بحقةٍ عاجٍ في غلاف أديم^٣
غيره : زَبَرْجَدَةٌ ملفوفة في حريرة مضمّنة درًّا مُغشًى بياقوت
النارنج : قال ابن المعتز :

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يخلط^٤

(١) العقيقان : الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب ، ونقا مقصور
نقاء (٣) الأديم الجلد او احمره ، وهو المراد هنا . (٤) النارنج : نوعان احدهما
- سامض معروف والآخر حلو وهو « البرتقال » .

كرة رماها الصولجانُ إلى الهوا فتعلقت في جـوّه لم تـسقطِ
غيره : انظر إلى منظر 'تلبيك' بهجته بمثله في البرايا 'يُضرب' المثلُ
نار تلوحُ على الأغصان في شجر لا النار تطفأ، ولا الأغصان تشتعل
وقال أبو الحسن الصقلي :
إذا ميّلتها الريحُ مالت كأكرة بدت ذهباً في صولجان زبرجدٍ

الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبّذا ليمونة " تحدث 'للنفس الطرب'
كأنها كافورة لها غِشاء من ذهب

القلم - قال « ابن المعتز » : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ولا
يل استزادة ، يسكتُ واقفاً ، وَيَنطق سائراً ، على أرض بياضها مُظلم
وسوادها مضيء ، وكأنه يُقبَل بساط سلطان ، أو يفتح نوّار^١ بستان .
وقال « علي بن عبيد » : القلم أصمٌ يسمع النجوى^٢ ، أعْيَا من باقل^٣ ، وأبلغ
من سُحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويُخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الإخوان
ألسناً ناطقة ، وأعْيُنًا لاحظة ، وربما ضمتها من ودائع القلوب ما لا تبوح به
الألسن عند المشاهدة .

ومن كلام « أبي حفص بن برد الأندلسي » : ما أعجب شأن القلم ، يشرب
ظلمة ، ويلفظ نوراً ، قد يكون قلم الكاتب أمضى من شِبة^٣ المحارب ، القلم
سهم ينقذ المقاتل ، وشِفرة^٤ تطيح بها المفاصل .

وقال « محمود بن أحمد الأصبهاني » :

أخرسٌ يُنبِّيك بإطراقه عن كل ما شئت من الأمر^٥

(١) الزهر أو الأبيض منه . (٢) السر . (٣) الشِبة حد كل شيء (٤) سكين .

(٥) اطرق أرخى عينيه ينظر إلى الأرض .

يُذري على قرطاسه دمعاً يُبدي بها السر وما يُدري^١
 كماشق أخفى هواه وقد نمت عليه عبء تجري
 تبصره في كل أحواله عريان يكسو الناس أو يعري
 يرى أسيراً في دواة وقد أطلق أقواماً من الأسر
 أخرق^٢ لو لم تبره لم يكن يرشق أقواماً وما يبري^٣
 كالبحر إذ يجري ، وكالليل إذ يغشى ، وكالصارم إذ يفري

وقال « أحمد بن عبد ربه » المتوفى سنة ٢٢٨ هـ :

يُخاطب الغائب البعيد بما يخاطب الشاهد الذي حضرا
 شخت^٤ ضئيل لفعله خطر^٥ أعظم به في مئة خطرا^٦
 تمج^٧ مكاه ريقة صغرت^٨ وخطبها في القلوب قد كبرا
 يواقع النفس منه ما حذرت وربما جنبته به الحذرا
 مهفف^٩ تزدهي به صحف^{١٠} كأنها حليت^{١١} به دررا

و « لابن المعتز » في قلم الوزير « القاسم بن عبيد الله » :

قلم ما أراه ، أم فلك^{١٢} يجري بما شاء « قاسم » ويسير ؟
 خاشع^{١٣} في يديه يلثم قرطاساً كما قبّل البساط شكور^{١٤}
 ولطيف المعنى ، جليل ، نحيف^{١٥} وكبير الأفعال وهو صغير^{١٦} !
 كم منايا ، وكم عطايا ، وكم حثف^{١٧} وعيش^{١٨} تضم تلك السطور
 نقشت بالدجى نهراً ، فما أدري أخط فيهن أم تصوير ؟

وقال « أبو تمام » في قلم « محمد بن عبد الملك الزيات » :

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب^{١٩} من الأمر الكلى والمفاصل

(١) يذري : يصب . (٢) أخرق : احرق ويبري يقطع ، وكذا يفري .

(٣) شخت ضامر دقيق وكذا مهفف .

لعاب' الأفاعي القاتلات' لعابه' وأرني' الجنى اشتارته' أيد عواسل' ١
له ريفة' طل' ، ولكن' وقمها' بآثاره في الشرق والغرب وابل' ٢
فصيح إذا ما استنطقته وهو راكب' وأعجم إن خاطبته وهو راجل' ٣
إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت' عليه شعاب' الفكر وهي حوافل' ٤
أطاعته' أطراف' القنا وتقوَّضت' لنجواه' تقويس' الخيام الجحافل' ٥
إذا استغزر الذهن' الجلي' وأقبلت' أعاليه في القرطاس وهي أسافل' ٥
رأيت جليلاً شأنه' (وهو مرهف' ضاً) وسميناً خطبه (وهو ناحل) ٦
وقال ابن الرومي :

إن يخدم' القلم' السيف' الذي خضعت' له الرقاب' ، ودانت خوفه الأمم
فالموت' - والموت' لا شيء يغالبه - ما زال يتبع' ما يجري به القلم'
كذا قضى الله للأقلام منذ برئت' أن السيوف لها منذ أرهفت خدماً
وقال المتنبي :

نحيف الشوى يمدو على أم رأسه' ويحفى فيقوى عدوه حين يقطع' ٧
بيج' ظلاماً في نهار لسانه' ويفهم' عن' قسال مسا ليس يسمع
وقال ابن نباتة السعدي ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ :

يرنو إلى الأفكار غير ملاحظ' ويحاطب القرطاس غير محابي
ويعلم الآداب أفهام الورى وفؤاده' صفر' من الآداب
وقال مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في وصف الدولة والأقلام :

(١) الأري : العسل . اشتاره اجتناه ، العوامل جمع عاملة تشتار العسل
تجمعه . (٢) الطل اخف المطر . والوايل المطر الشديد الضخم القطر : (٣) اعجم :
لا يبين كلامه ، راجل : واقف . (٤) الشعاب جمع شعبة ، وهي ما عظم من
حوافلي الأودية والميل في الرمل ، وحوافل : ملأى . (٥) استغزر : طلب ما فيه
من مادة غزيرة (٦) مرهف دقيق مرفق ، ضني مرض مرضاً يلزمه الفراش حتى أشرف على
الموت . (٧) الشوى : الأطراف وجلدة الراس .

وأم بنين استبطنتهم فصدرها غصيص^١ بهم عند الحضان كظيم^٢
يعقونها بالضغط ، وهي عليهم عطوف^٣ بدرات الرضاع رءوم^٤
يخال الأفاعي الرقش ماضم^٥ منهم حشاها ، وهم فيها أخ^٦ وحميم^٧
فن ذي لسان مفصح وهو أخرس ومن بائع بالسر وهو كتوم^٨

وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابي من بني الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

نجاة ، أما إذا الليل جنبها فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر^٩
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلي دجى الليل وانجاب الحجاب المستر^{١٠}
والبس عرض الأرض لونا كأنه على الأفق الشرقي ثوب^{١١} معصفر
تحلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبه شعاع تلالا ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وابتض منها اصفرارها وجلت كآمال المهبج المسهر^{١٢}
وجللت الآفاق ضوءاً ينيرها فخر لها صدر الضحى يتسع^{١٣}
ترى الطل يطوي حين تعلو وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنّف حتى ما يكاد شعاعها يبين^{١٤} إذا غابت لمن يتبصر^{١٥}
كما بدأت ، إذ أشرقت ، في مغيبها تعود كما عاد الكبير المعمر
فأفنت قروناً ، وهي في ذاك لم تزل تموت وتحيا كل يوم وتلشر^{١٦}

(١) الدر اللبن ، رءوم عطوف . (٢) الرقش جمع رقشاء وهي الحية المنقطة
بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنبها : سترها . (٤) انجاب : انكشف .
(٥) النهيج المفزع . (٦) دنفت الشمس : دنّت للغرب واصفرت . (٧) تحيا .

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر :
 وكأنما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يحنح للغروب وما غترَبَ
 متجاربان لذا مجنٌ صاغه من فضة ، ولذا مجنٌ من ذهب
 وقال ابن خفاجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٢ يصف غروبها في نهر :
 وقد ولت الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل^٢
 كان سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل^٢

وقال ابن طاهر الكرخي أيضاً :
 أما ترى الأفق كيف قد ضرب الغيثُ عليه من مزنه قُبيا ؟
 وحاجبُ الشمس من رفارقهـا يضرُمُ فيها بنوره لها^٣
 كأنه فضة مطرقة^٤ أطرافها قد تطوَّستْ ذهباً

وقال ابن مكي أيضاً :
 كأن الشمس إذا غربت غربت هوى في البحر أو وافى مفاصا
 فأنبمها الهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبي أيضاً :
 إني أرى شمس الأصيل عليه ترقادُ من نحو المغارب مغربا
 مالت لتعجب شخصها فكأنها مدت على الدنيا بساطاً مذهباً

وقال ابن الرومي أيضاً :
 وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورأساً مذعذعاً^٥
 ولاحظت النوار وهي مريضة^٦ وقد وضعت خدأ على الأرض أضرعاً^٦

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب إلى السواد . (٣) رفارقه أطرافها وجوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ، وتطوست : تزينت . (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات أصفر والمذعزع المبدد والمفرق . (٦) أضرعاً : ذليلاً .

كما لحظت عَوَادَه عينُ مُدْنَفٍ توجَّع من أوصابه ما تَوَجَّعا^١
وقال ابن أفلح من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناح مُسِفَّةٌ^٢ في الغرب تنسابُ انسيابُ الأرقط^٣
أو كالعروس بدت فأسدِلَ دونها جَنَبَاتٍ سِتْرَ كالجِسَادِ^٤ مُخَطَّط^٥
وأتى الظلامُ على الضياء كما أتى أجلٌ على أملٍ ، فلم يَتَأَبَّرِ

وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي :

نزلت تجر إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً متبولاً ،
تهتز بين يد المغيب كأنها صبُّ ثَمَلٍ في الفراش عليلًا
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاريها الدماء أصيلاً
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطِشَت فأبدت صُفْرةً وُذْبُولاً^٦
غرُبت فأبقت كالشواظ عقيبها شفَقاً بجاشية السماء طويلاً^٧
شفَقَ يروع القلب شاحب لونه كالسيف ضَمَخَ بالدَّما مَسْلُولاً
رقت أعالیه وأسفلَه الذي في الأفق أشبع عُصْفُراً محلولاً

وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أنقلته حمولة من عنبر
غيره : وكأن الهلال نصف سوار والثريَّا كفٌ تشير إليه
غيره : فنجٌ بوسطِ السماء ملقى ينتظر الصيْدَ للنجوم
غيره : انظر إلى حُسْنِ هلالٍ بدا يهتك من أنواره الحِنْدِسَا^٨
كمنجل قد صيغَ من فضة يحصد من دهر الدجى نرجسا

- (١) الأوصاب الأمراض . (٢) مسفة من أسف الطائر إذا دنا من الأرض
في طيرانه وحية رقطاء من الرقطة وهي سواد يشوبه بياض أو عكسه .
(٣) الجساد الزعفران . (٤) ذاهب العقل .
(٥) العرار نبت طيب الريح . (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .
(٧) يهتك يمزق و«من» في كلمة «من أنواره» بمعنى الباء ، والهندس : الظلمة .

غيره : يتلو الثريا كفاغر شره^١ بفتح فاء لأكل عنقود^٢
غيره : في ليلة أكل الحاق هلاها حتى تبدى مثل وقف العاج^٣
غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمس^٤ ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق ضده الغرب ديناً رأ فأعطاء الرهن نصف سوار

وقال ابن طباطبا :

وكان الهلال لما تبدى شطر طوق المرأة ذي التذهيب
أو كقوس قد أحنيت أو كنؤي^٥ أو كنون^٦ في مهرق مكتوب^٣

وقال أبو عاصم البصري في الهلال والثريا والزهرة :

رأيت الهلال وقد حلتقت^٧ نجوم الثريا لكي تلتحقه^٨
فشبهته وهو في إنشدها وبينها الزهرة المشرقه
بقوس لرام : رمى طائراً فأرسل في إنشده^٩ بندقه

وقال في اقتران الثريا بالهلال :

فإذا ما تقارنا قلت طوق^{١٠} من الجين قد علققت فيه دُرّه

وقال الطغرائي :

فكانه وكأنها في جنبه عنقودة^{١١} في زورق من عسجد

وقال أبو الفضل الميكالي :

كأكرة من فصه^{١٢} مجلوة^{١٣} أوفى عليها صولجان من ذهب^{١٤}
غيره : وكان الهلال تحت الثريا ملك^{١٥} فوق رأسه إكليل^{١٦}
غيره : كأنما النجم قرط صيغ من ورق معلق من هلال الأفق في أذن^{١٧}

(١) فاغر : فاتخ فاه .

(٢) الحاق ، مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .

(٣) النؤي الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهرق : الصحيفة (معرب) .

(٤) التاج . (٥) الورق : بكسر الراء الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كأن الهلال نزيل السماء وقد قارن الزهرة النيرة
سوار^١ لحسناء من عسجد^٢ على قفله^٣ وضعت^٤ جوهره
وقال البدر البشتكي في وصف الهلال والنجوم حوله :
'ذبالة^٥ شمع عوّج^٦ الريح^٧ ضوءها فطار لها بالقرب^٨ بهض^٩ شرار^{١٠}
وقال علي بن محمد الكاتب :

بدا مستندق^{١١} الجانبين كأنه على الأفق الغربي يخلب^{١٢} طائر
ولاح لمسرّ^{١٣} ليلتين كأنما تفرّق^{١٤} منه الفيم^{١٥} عن إثر حافر
غيره : وشمرّ^{١٦} الفيم^{١٧} ذبلا^{١٨} كأنما تكشف^{١٩} منه عن جناح^{٢٠} يخلّق^{٢١}
وقال : البدر كالملك الأعلى وأنجمه جنوده^{٢٢} ، ومباني قصره الفلك^{٢٣}
ولابن المعتز :

وكان البدر لما لاح من تحت الثريا
ملك^{٢٤} أقبل في التنا ج يفسد^{٢٥} ويحيّا

وله في البدر مع الشمس :

حتى رأيت الشمس تة لمو البدر في أفق السما
فكانها وكأنه قدحان^{٢٦} من خروما
غيره : والبدر في أفق السماء كدرم ملقى على ديباجة^{٢٧} زرقاء
وللإمامي :

والبدر في أفق السما كروضة فيها غدير

وللشريف العقيلي :

والبدر في كبد السماء كوردة بيضاء تضحك في رياض بفسج^{٢٨}

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) حلق الطائر : ارتفع في طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه كجَامِ لُجَيْنٍ فيه آثارُ عنبرٍ^١

وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بدرَ سماءها لما دنتُ منه الثريا في قميصٍ سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حياتٍ بعض الزائرين بنرجس

وقال الواواء الدمشقي يصف البدر طالماً من خلال السحاب :

والبدر أول ما بدا مُتَلَثِّماً يُبدي الضياء لنا بجَدٍّ مُسْفَرٍ^٢
فكأنما هو خُوذة من فضة قد رُكبت في هامة من عنبرٍ^٣

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق :

سمائي مُذهبةٌ بالبروق وأرضي مُفضضةٌ بالحبابِ
وروضي مطارفه غَضَّةٌ تطرّز أطرافها بالذهابِ
وليل ترى الفجر في عطفه كإشاب بعض جناح الغرابِ
يغارُ الظلامُ على شمسِهِ إلى أن يُوارى بالحجابِ
وتتصل أنجمه العاصفاتُ إذا صدّئت من عمود السحابِ

وقال البحترى يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحنين الرعدِ بحرورة الذيل صدوق الوعدِ
مَسْفُوحةُ الدمع لغير وجدي لها نسيمٌ كنسيم الورودِ
ورنةٌ مثل زئير الأسدِ ولمعُ برق كسيوفِ الهندِ
جاءت بها ريح الصَّبَا من نجدٍ فانتثرت مثلُ انتشارِ العقيدِ
فراحتِ الأرضُ بعيشٍ رغدٍ من وُشي أنوار الرُّبَى في بُردِ

(١) الجَامُ إناء من فضة . (٢) مضيء : مشرق .

(٣) الخُوذة المخفر ، زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس .

(٤) من ارتجَز الرعد إذا دمدم ..

كأنما غدُرَ أنها في الوهدِ يلعبن من حبايها بالنرد^١

ومن قصيدة لصفي الدين الحلبي يصف فيها الربيع :

نلغ الربيعُ على غصون البان حُللا فواضَلها على الكُثبان
ونمت فروع الدّوح حق صافحت كفلَ الكُثيب ذوائبُ الأغصان
وتنوّجتْ هامُ الفصون وضرجتْ خدَّ الرياض شقائق النعمان
وتنوّعتْ بسُطّ الرياض فزهرُها مُتباين الأشكال والألوان
منْ أبيض يَفِيقُ وأصفر فاقع أو أزرق صافٍ وأحمر قان
والظلُّ يسرعُ في الخماثل خطوه والغصنُ يخطر خِطرة النشوان
وكانما الأغصانُ سوق رواقص قد قيّدت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها نحو الحداثق نيّظرة الغيران
والأرض تعجب كيف يضحك والحيّا يبكي بدمع دائم الحملان
حق إذا افترّتْ مباسمُ زهرها وبكى السحاب بدمع هتان
طفح السرورُ عليّ حق أنه من عَظُم ما قد سرّني أبكاني
فاصرف همومك بالربيع وفصله إن الربيع هو الشبابُ الثاني

وله من قصيدة في وصف واد :

تعانقت الأغصان فيه فأسبلت على الروض أستاراً من الورق الخضر
إذا ما حبال الشمس منها تخلّست إلى روضه أُلقت شرّاكاً من التّبر
ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد :

كأنما الجمرُ والرمادُ وقد كاد يوارى من ناره النُّشور
وردّ جنّي القطاف أحمرُ قد ذرّتْ عليه الأكفُ كافورا

(١) النرد لعبة تعرف عبد العامة بلعبة (الطاولة) .

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش :

قاد الجيادَ إلى الجيادِ عوابساً شُمتاً ولولا بأسه لم تنقَدِ ١
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافحَ موجَ بحرٍ مزبدٍ
ردَّ الظلامَ على الضحى فاسترجع الظلام من ليل العجاج الأريدِ
وكانما نقشتُ حوافرُ خيله للناظرين أهلةً في جملدِ
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمدِ

وله من قصيدة في وصف روضة :

مداهنٌ يحملن طل التندى فهاتيك ثبرٌ وهذي عقيقٌ ٢
تُنظَّمُ أوزاقها دُرّها وتثر منها التي لا تطيقُ
يميلُ النسيم بأغصانها فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مُفَيقُ
ويومٌ ستارته غيمه وقد طرّزت رفرفيها البروقُ
جعلنا البخور دخاناً له ومن شررِ الراح فيه حريقُ
تظلُّ به الشمسُ محجوبةً كأن اصطباحك فيه غبوقُ
على شجراتٍ رافعاتٍ الذيو لِماء الجداول منها شقيقُ

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض :

أسفر عن بهجته الرّوضُ الأغرُ وابتسم الدوّحُ لنا عن الزهرِ
أبدي لنا فصلُ الربيع منظرأً بمثله تفتنُ ألبابُ البشرِ
وشياً ولكن حاكه صانعه لا لايتذال اللبس لكنّ للنظرِ
عائنه طرفُ السماء فانثنى عشقاً له يبكي بأجفان المطرِ
فالأرضُ في زيّ عروس فوقها من أدمع القطر نثارٌ من دُررِ

(١) الأشعث : الأسود .

(٢) الطل : المطر الضعيف .

وشيّ طواه في الثرى صوانه حق إذا ملّ من الطيّ انتشر^١

وله من قصيدة في وصف الربيع :

انظر إلى زهر الربيع وما جلّت فيه عليك طرائف الأنوار
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً شهدت بحكمة منزل الأمطار
ما شئت للأزهار في صحرائه من درهم بهج ومن دينار
وجواهر لو لا تغير حسننها جلست عن الأثمان والاختار^٢

وله أيضاً في وصف الربيع :

ألست ترى وشي الربيع المنمنا وما رصع الربيعي فيه ونظماً^٣
فقد حكّت الأرض السماء بنورها فلم أدر في التشبيه أيها السما
فخضرتها كالجو في حُسن لونه وأنوارها تحكي لعينيك أنجماً
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه تداخله عجب به فتبسماً
وأبدى على الورد الجني تطاولاً فأظهر غيظ الورد في خده دماً
وزهر شقيق نازع الورد فضله فزاد عليه الورد فضلاً وقدماً
وظلّ لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيه اللطم جراً مضراً
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض تقسماً
تجلبب من زرق اليواقيت حلة فأغرب في الملبوس منه وأحكاماً
وأنوار منثور تخالف شكلها فصار بها شكل الربيع متمماً
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بها كل الملوك مختماً

وللقاضي محمد بن السيمان في وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مزين من عمره

(١) الصوان الوعاء الذي يسان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المثل
والعديل في العلو . (٣) الربيعي نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع .
(٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطافت به كواكبه حُسناً فبينته لمعت به
 مثل زناد قد صيغ من ذهب يقدح ناراً ومن من شرره^١
 ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهي في أثره^٢
 فخلته غائصاً ببحر دم يقذف بالرائعات من دُرره
 فلم أزل ألبق أراجمه لحظي وأبكي للوقت من قصره
 حتى تبدى الصبح منتبهاً قبل انتباه الخمر من سكره

ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصبي في وصف شمعة :

ومجدولة مثل صدر القناة تعزت وباطنها مكنتني
 لها مقلة هي رَوحٌ لها وتاجٌ على الرأس كالبرنس
 إذا رنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس^٣
 إن غزلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
 وتلتج في وقت تلقيحها ضياء بجلى دُجى الهندس
 فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس
 توقدُها نزهة العيوس ورؤيتها منية الأنفس
 تكيد الظلام كما كادها فتفنى وتفنيه في مجلس
 فيا حامل العود حث الغنا ويا حامل الكاس لا تحبس
 ويا صالح^٤ انعم وعش سالماً على الدهر في عزك الأفعس^٥

ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق :

الصبح ينشر فوق منسك الليل كافور الضياء
 والبرق يذهب ما تفضضه الغيوم من السماء

(١) الزناد جمع زند ما تقدح به النار (٢) الشفق: المحرة في الافق من الغروب
 إلى قريب من العتمة . (٣) كدرت . (٤) اسم الممدوح . (٥) الثابت المنيع .

فأشرب على ديباج نبتت قد أحاط بشرب ماء^١
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء

وقال أيضاً في نارنجة :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقائمة أغنيد^٢
إذا ميّلتها الريح مالت كأكثره بدت ذهباً في صولجان زمرّد

لابن أبي عمرو الطراري في وصف نار :

نار جرت في غابة ترمي العلى بالشهب
كأنها جيش وغى فرسانه من ذهب

ولعلي بن لؤلؤ الكاتب في الصبح والليل :

رُبّ صبح كطلعة الوصل جلى حنح ليل كطلعة المجران
زار في حلة البزاة فوّلّي الليل عنه في حلة الغربان

ولأبي العباس الكندي في الندى على البحر :

كان الندى في البحر بحران مائع على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجين سابح متفرق في الساء معلق^٣
إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها به ساعة أبصرته يتمزق

وللسري بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مروقاً
والفجر مصقول الرداء كأنه جلباب خود أشربته خلوقاً

(١) الشراب المورد (٢) النارنجة واحدة النارنج وهو شجرة ورقها أملس
لبس شدة الخضرة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها
بيضاء في نهاية من طيب الرائحة ٣ م. قرن متلألئ (٤) خرجن ونفذن من
الجاناب الآخر (٥) الخود المرأة الحسناء الخلق الشابة، والخلوق ضرب من الطيب مائع.

وله من أخرى في سحابة :

وبكر، إذا جنبتها الجنوب^١ حسبت العشار تؤم العشار^٢
تري البرق يلبس سرّاً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا
يُعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض دُرّاً صفارا
فطوراً يشق جيوب الحيا وطوراً يسحّ الدموع الغزارا

وله من أخرى :

غيوم تمسك أفق السما وبرق يكتسبه بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى^٣ فريداً ندَى^٣ ماله^٣ ثقب
فأوراقها مثل نظم الحلى وأنهارها مثل بيض القصب
حللت بها مع ندامى سلوا عن الجد واشتهروا باللعب
وأغنتهم عن بديع السما ع بدائع ما ضمنته الكتب
وأحسن شيء ربيع الحيا أضيف إليه ربيع الأدب

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :

والجو يسحب من عليل هوائه ثوباً يحود بظلمته المتفرق
حق رأينا الليل قووس ظهره هرماء وأثر فيه شيب المفرق
وكان ضوء الفجر في باقي الدجى سيف حلاء من اللجين المحرق

ولسعيد بن هاشم الخالدي في وصف المطر والصبح والليل والبرق :

أما ترى الطفل كيف يلمع في عيون نسور تدعو إلى الطرب
في كل عين للطلل 'لؤلؤة' كدمعة في جفون منتحِب
والصبح قد جردت صوارمه والليل قد هم منه بالهرَب
والجو في حلة 'ممسكة' قد كتبت البروق بالذهب

(١) البكر السحابة الغزيرة ، وجنبتها دفعتها والعشار النوق (٢) الندى الكلا (٣) الندى ما سقط في آخر الليل والفريد الجوهر النفيس والدر .

وللملبي الوزير في الربيع :

الوردُ بين مضْمَخٍ ومُضْرَجٍ والزهرُ بين مُكَلَّلٍ ومتَوَجِّجٍ
والثلجُ هبَّطٌ كالنَّشَارِ فقم بنا نلتذ بأبنسة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نورُ شقائق وبدت سطورُ الورد تلو بنفسج
فكأنَّ يومك في غلالة فضة والنبت من ذهب على فيروزج^١

وللقاضي التنوخي أبي القاسم عليّ في طول الليل والفجر :

وليلة مُشْتاقٍ كأن نجومها قد اغتصبت عين الكرى وهي نومُ
كأن عيون الساهرين لطلوها إذا شخصت عين للأنجُم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفى اسودَّ يتبسم

وله أيضاً في وحشة الليل والنجوم والسماء :

رُبَّ ليلٍ قطعته كصدودٍ وفراقٍ ما كان فيه وداعُ
مُوحِشٍ كالثقلِ تقذى به العينُ وتأبى حديثه الأسماعُ
وكان النجوم بين دُجَاهٍ سننٌ لاح بينهنَّ ابتداعُ
وكان السماء خيمة رشيٍ وكان الجوزاء فيها شرعُ

وله أيضاً في وصف رياض :

رياض حاككت لهنَّ الثريا حُللاً كان غزلها للرعود
نثر الفيث دُرّ دمعٍ عليها فتحلت بمثل دُرّ العقود
أفحوان معانقٍ لشقيق كنفور تعضُ ورد الحدود
وعيونٌ من نرجس تترأى كعيون موصولة التسميد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في حدود الغيد
وكان الندى عليها دموعٌ في جفون مفجوعة بفقيد

(١) ضمخه بالطيب لطحه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة .

(٢) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. الفيروزج: حجر كريم.

وكتب محمد بن عبد الله السامي إلى صديق له يصف النارنج :
 أنشط للصباح أبا عليّ على حكم المنى ورضا الصديق
 بنهر للرياح عليه درعٌ تذهب بالغروب وبالشرق
 إذا اصفرت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلق^١
 وجر شرب في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق
 فدهم الخيل في ميدان تبر يُصاغ لها كرات من عقيق

وكتب إليه في وصف نهر حوله أشجار الجلنار^٢ :

ونهر تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار^٣
 إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نير الماء يمزج بالعقار^٤
 كأن الماء أرض من لجين مفشاة صفائح من نضار
 وأشجار محملة ككؤوسا تضاحك في احمرار واخضرار
 وإذا أبصرن في نهر سماء وهبن له نجوم الجلنار

وله من قصيدة في وصف الرياض والبرق :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ومحلها عند النسيم لطيف^٥
 فامرب وثقل وزن جامك إنه يوم على قلب الزمان خفيف^٦
 أو ماترى طرر البروق توسطت أفقا كأن المزن فيه شفوف^٦
 اليوم من خجل الشقيق مخرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
 والأرض طرس والرياض سطوره والزهر شكل بينها وحروف

ولأحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء :

روضة قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليلها وطاب المقييل

(١) الخلق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.

(٢) الجلنار : زهر الرمان (٣) الريح : ما أثير من الغبار (٤) الخمر (٥) الجمام

إناء من فضة (٦) الطرر : جمع طرة وهي علم الثوب ، والمزن : السحاب .

جَوْهَا سَجَسَجٌ وفيها نسيم وكلُّ غُصْنٍ إلى لقاء يَمِيلُ
صَح سَكَنَهَا جميعاً من الداءِ وجِسمِ النسيمِ فيها عَليْلُ
إِيه: يا ماءَ نَهْرٍها العذبَ صَليْلُ حَبِذا يا زُلَّالُ مِنْكَ الصَّليْلُ
إِيه: يا ورَقها المرِنَّةَ غَسَّني فحياةُ النفوسِ مِنْكَ الهَدِيلُ
رَوْضَ صنْعاءَ فقتِ طبعاً ووصفاً فكثيرُ الثناءِ فيكَ قَلِيلُ
نَهْرٌ دافِقٌ وجوٌّ فتيقُ زَهْرٌ فائقُ وظلٌّ ظليلُ
لستُ أنسى انتِعاشَ شُجُورِ غُصْنٍ طرباً والقَضيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
وعلى رأسِ دوحةٍ خاطبَ الورقُ ودمعُ الغُصُونِ طَلا يَسِيلُ
ولسانُ الرُّعودِ يَهْتَفي بالسُّحُبِ فكانَ الخفيفُ منها الثَّقِيلُ
وفمُ السُّحُبِ باسمُ عن بُروقِ مُسْتَطِيرِ شُعاعِها مُسْتَطِيلُ

ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة

أما ترى الرُّوضة قد نَوَّرتِ وظاهر الرُّوضة قد أَعْشبا
كأنما الأرضُ سماءٌ لنا نَقَطَفَ منها كوكباً كوكباً

ومن وصف زهرية لابن الرَّاَجِحِ الحلي :

نَثَرَتْ عَقُودَ سَمائِها الأَنْدَاءُ بِيدِ النسيمِ فَللثَرَى إِثْراءُ
وبدت تَباشيرَ الرَّبيعِ كأنما نَشَرَّتْ مَطَارِفَ وشيها صنْعاءُ^١
والأرضُ قد زُهِيتْ بِحُلِيِّ نباتِها والجو حُلَّةٌ سُجِّبَ دُكْناءُ^٢
والروضُ في نَشِواتِ سَكْرَتِهِ وَقَدْ طافَتْ عَلَيْهِ الدَّيْمَةُ الوُطْفاءُ
وثنى الحيا عَطفَ الغَدِيرِ فَصَفَقَتْ أَطرافَهُ وَتَغَنَّتِ الورقاءُ
فكانَ أَعْطَفَ الغُصُونِ مَنابِرُ والورقُ في أَوراقِها خُطْباءُ

(١) صنْعاء : عاصمة بلاد اليمن .

(٢) الدُكْناء : الضارب لونها إلى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

ترنحَ عطف البانِ في الحُللِ الخضرِ وغنى بالحن على عوده القُمُرى^١
وراقَتْ أزاهيرُ الحِداثِ بالضحى فواظِر أحداقِ بنو^٢ أرها النُضرى^٢
وأشرقَ خد الوردِ يُبدي نضاره^٣ وأشرقَ جِيدُ الغصنِ في لؤلؤ القطرِ
وبات سقيطُ الطل في كل رَوْضة يُنبئُه في أرجائها ناعس الزَهرِ
وما ذهبتْ شمس الأصيل عَشية إلى الغربِ حتى أذهبتْ فضة النهرِ
وغنّت قيانُ الطير في كل أَيْكة وقد راقَ كحل الطل في مقل الغُدرِ
أقامت لها دوح الأراك أرائكا وأرخت لها أوراق أَسْتارها الخُضرِ
وأَمسى أصيلُ اليوم مُلقًى من الضنى على فُرشِ الأزهار في آخر العُمرِ
بكنه حمامات الأراك وشققت عليه الصَّبَا أثواب رَوْضاتها النُضرِ
فكم من نجيب للحنائم بالضحى عليه وللأنواء من دمعَة تجري

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث :

زرَّ الصبّاحُ علينا شَمْلَةَ السحبِ ومدّت الريح منها واهي الطُنبُ^٤
صلك النسيمُ فراخَ الغيث فاتزعجت ينفُضُنْ أجنحةً من عنبر الزَّغَبِ^٥

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج :

فرحنا وقد بات السماءُ مع الثرى وغاب أديمُ الأرض عنّا فما يرى
كأن غيومَ الجو صُوغُ فِضة توأصوا بردَ الحلي عمداً إلى الوردِ

ولأبي العلاء السروي في وصف روض :

مررنا على الروض الذي قد تَبَسَّـتْ^٦ ذراه وأوداج السَّحَابِ تُسْفِكُ^٧

(١) القُدري ضرب من الحمام ٢١ 'صله بكسر العين وتسكينها للضرورة .

(٣) زر : بمعنى نفّض والشملة كساء يشتمل به ، وزر شملة السحب كناية عن

سقوط المطر (٤) الزغب صفار الشعر والريش ٥١ الأوداج جمع ودج وهو عرق

في العنق .

فلم نرَ شيئاً كان أحسنَ منظرأً من الرّوض يجري دَمعه وهو يَضْحَكُ

وله أيضاً في وصف روض من قصيدة :

أما ترى 'قَضْبَ' الأشجار قد لَبِسَتْ أنوارها تَتَنَسَّى بين جُلّاسِ
منظومة كس، وط الدرّ لابساً حُسناً يُبَيِّحُ دم العنقودِ للحاسي^١
وغرّدتْ خطباء الطير ساجدة على منابر من وَرْدٍ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف امرأة أهداها :

أُخِنتَ شمس الضحاء في الحُسْن والإشراق غيّر الإعشاء للأجفانِ
ذات طوق مُشْرِفٍ من لُجَيْنٍ أُجْرِيَتْ فِيهِ صُفْرَةٌ الْعِيقَانِ
فهو كالهالة المحيطة بالبدنِ رِيسَتٍ مَضِيئَةٍ بَعْدَ ثَمَانِ
وعلى ظهريها فتّارِسُ تَلْهُو بِبُرْزَةٍ تَعْدُو عَلَى غِزْلَانِ
عدلت عكسها الشُّعاعَ قَبَبُداً هُ إِلَيْهَا وَرَجَعُهُ سَيَّانِ
وهي شمسٌ وإنْ مِثَالُكَ يَوْمًا لَاحَ فِيهَا فَأَنَاسَ شَمْسَانِ
أَنَا قَابِلَتُ مِثَالُكَ مِنْ أَرُضٍ فِيهَا تَمَابِلُ النَّيِّرَانِ
فَأَلْقَى مِنْكَ بِالذِّي مَا رَأَاهُ خَائِفٌ فَأَنْشَتِي بِغَيْرِ أَمَانِ

ولأبي القاسم الديسوري في وصف جواد :

وَمُطِّمَتَهُمْ^٢ طَرَفُ الْعِنَانِ^٣ مَعْوَدٌ خَوْضُ الْمَهَالِكِ كُلِّ يَوْمٍ بَرَارِ
وَإِذَا تَوَغَّيْلَ فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ صَعْبٍ بَعِيدِ الْعَهْدِ بِالْجُتَارِ
تَرَكْتَ سَنَابِكُهُ بِصُفٍّ صُخُورِهِ أَثَرًا يَلُوحُ كَنَقْشِ صَدْرِ الْبَازِي

وله في وصف سفرجل وتفتح ورمان :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ ضَحَى الْمَهْرَجَانِ بِمَشْوَقَةِ الْعَرَفِ وَالْمَنْظَرِ

(١) من حسا الشراب إذا شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة .

(٢) شبه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أي الفرس .

(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، وانطهم البارح الجمال والتام من كل شيء .

مُعْطَرَةٌ صَانَا فِي الْحِجَابِ لِمَطَارِفٍ مِنْ سَنَدُسٍ أَخْضَرٍ
وَبِضَاءٍ رَائِقَةٍ غَضَّةٍ مُنْقَطَعَةِ الْوَجْهِ بِالْعُصْفُرِ
وَحَقِّ عَقِيقٍ مَلَاهُ الْهَجِيرُ رُ مِنْ الْجَوْهَرِ الرَّائِقِ الْأَحْمَرِ
وَأَقْدَاحِ تَبِيرٍ حَشَتْ قَعْرَهَا يَدُ الشَّمْسِ بِالْمَسْكِ وَالْغَنْبَرِ
فَكَنْ ذَا قَبُولِ لَهَا إِنَّمَا هَدَاهَا مُقِيلٌ إِلَى مَكْنَزٍ
وله في صفة النارج :

أَمَا تَرَى شَجَرَ النَّارِجِ طَالِعَةً نَجْمُهَا فِي غُصُونِ لَدْنَةِ مِيلٍ^١
كَأَنَّهَا بَيْنَ أَوْرَاقٍ تَحْفُ بِهَا زُهُرُ الْمُصَابِيحِ فِي خُضْرِ الْقَنَادِيلِ
وَلَأَبِي الْفَضْلِ الْمِكَالِي فِي صِفَةِ الشَّقَائِقِ :

تَصَوَّغَ لَنَا كَفُّ الرَّبِيعِ حَدَائِقًا كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سَمَطٍ لَّالِي
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ خُدُودَ عَذَارَى نَقَطَتْ بِغَنَوَالِي
وله في اقتران الزهرة والهلل :

أَمَا تَرَى الزَّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبَ
كَكُرَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُوتَةٍ أَوْفَى عَلَيْهَا صَوْلَجٌ^٢ مِنْ ذَهَبٍ^٢
وله في الفجر :

أَهْلَابُ فِجْرِ قَدْ نَضَا ثَوْبَ الدُّجَى كَالسَّيْفِ جُرْدٍ مِنْ سَوَادِ قِرَابٍ
وَقَالَ فِي صِفَةِ النَّدَى السَّاقِطِ عَلَى غُصُونِ الشَّجَرِ :
نَثْرَ السَّحَابُ عَلَى الْغُصُونِ ذُرَارَةً أَهْدَتْ لَهَا نُورًا يَرُوقُ وَنُورًا
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا فَعُدْنَ كَأَنَّهَا أَجْفَانُ عَيْنٍ تَحْمِلُ الْكَافُورَا
وَقَالَ فِي الْجَلِيدِ :

رُبَّ جَنِينٍ مِنْ جَنِيٍّ تَمِيرُ مَهْتَكُ الْإِسْتَارِ وَالضَّمِيرِ

سللته من رَحَم الفدير لو 'أكر' تجسّمت من نور
 لو بقيت سلكا على الدهور وأخجلت جواهر البحور
 يا حُسْنَه في زمن الحدور 'يهدي إلى الأكباد والصدور'
 كأنه صحائف البلور أو قِطْع من خالص الكافور
 لمطلت قلائد الشجور وسميت ضرائر الثغور^١
 إذ فيضه مثل حشا المهجور رُوحاً تحاكي نفثة المصدور^٢

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة :

وروضة زارها الندى فعدت وتندثر فيها أيدي الربيع لنا
 كأنما شق من شقائقها ثم تبدت كأنها حدق^٣
 لها من الزهر أنجُم زهـر ثوباً من الوشني حاكه القَطْر
 على رباها مطارف خضر أجفانها من دُمائها حمر

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر :

كم ليلة أحييتها ومؤانيسي شبت بدر سمائها لما دنت
 ملكاً مهيباً قاعداً في روضة طرف الحديث وطيب بحث الأكوس
 منه الثريا في قميص سندسي حياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أحمد البروجردي في حوض لبعض الرؤساء :

حوض يهود يهود متسلسل ساد الجواهر كلتها بنفاسية
 لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

ولابن أنيس في حسام عمرو بن معديكرب :

أخضر المتن بين حديثه نور من فريدي تحار فيه العيون

(١) جمع ضرة وهي إحدى زوجتي الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان

(٢) النفثة ما ينفضه المصدور من فيه .

أوقدت فيه للصوص أعق نار^١ ثم ساطت به الزعاف المنون^٢
 فإذا ما سلسلته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
 فكان الغريندو الرؤوف^٣ الجا ري في صفحته ماء^٤ معين^٥
 وكان المنون نيطت إليه فهو من كل جانبيه منون
 ما يبالي من انتضاء الحرب^٦ أ شمال^٧ سطت به أم يمين

وقال ابن عبد ربه في الرمح والحسام :

بكل رديني كان سنانته^٨ شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع^٩
 تقاصرت الأجال في طول متنه^{١٠} وعادت به الآمال وهي فجائع^{١١}
 وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه^{١٢} فهن لحبات القلوب قوارع^{١٣}
 وذو شطب تقضي المنايا حكمه^{١٤} وليس لما تقضي المنية^{١٥} دافع^{١٦}

وقال أيضاً في الحرب :

ومعترك تهز به المنايا^{١٧} ذكور الهند في أيدي ذكور^{١٨}
 لوامع يبصر الأعمى سناها^{١٩} ويعمى دونها طرف البصير^{٢٠}
 يحوم حولها عقيب موت^{٢١} تحطفت القلوب من الصدور^{٢٢}

ومن قوله في الحرب وأبطالها :

سيوف يقيّل الموت تحت ظبائها^{٢٣} لها في الكلى وبين الكلى شرب^{٢٤}
 إذا اضطفت الرايات^{٢٥} حرامتونها^{٢٦} ذوائبها تهفو فيسهو لها القلب^{٢٧}
 ولم تنطق الأبطال إلا بفعلها^{٢٨} فأسنّها عجم^{٢٩} وأفعالها^{٣٠} عرب^{٣١}
 إذا ما التقوا في مآزق وتعانقوا^{٣٢} فلسقياهم طعن^{٣٣} وتعنيفهم ضرب^{٣٤}

(١) هطلت. (٢) جار (٣) جمع شطب وهي طريقة السيف أي الواحدة من الخطوط التي في نصله (٤) هفت الراية خفقت. وهفا القلب ذهب في أثر الشيء.

ولابن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجبين الجو بالطلّ يرشحُ وثوب الغوادي بالبروق موشحُ
وفي طي أبراد الذم خميّةُ بأعطافها نورُ المنى يتفتّحُ
يُضاحك في منى المعاطف عارض مدامعه في وجنة الروض تسفحُ
وتوري به كف الصبّا زند بارق شرارته في فحمة الليل تقدحُ

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرار النار في بعض غياض :

وليلة بت أشكو الهم أولها وعُدت آخرها أستنجدُ الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية مدّ الظلام على أوراقها طنباً
حق إذا النار طاشت في ذوائبها عاد الزمرد من عيدانها ذهباً
مرقت منها وثغر الصبح مُبتسمُ إلى أغر يرى المذخور ما وهباً
يا أغزر الناس أنواء ومحتلباً وأشرف النار أعرافاً ومُنْتسباً
أصبت ذا ثقة بالوفر منك وإن قال العواذل ظنّ ربما كذباً
فحُسن ظنّي بك استوفى مدى أملي وحُسن رأيك لي لم يُبثق لي أرباً

ومن قصيدة لأبي سعيد الرُستمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد :

وسامية الأعلام تلحظ دونها سنا النجم في آفاقها متضائلاً
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز فأصبح في أرض المدائن عاطلاً
تُناطح قرن الشمس من شرفاتها صفوف ظباء فوقهن مواثلاً
وأغنى الورى عن منزل من بنت له معاليه فوق الشعريين منازللاً
ولا غر وأن يستحدث الليث بالثرى عريناً وأن يستطرق البحر ساحلاً
ولم تعتمد داراً سوى حومة الوغى ولا خدماً إلا القنسا والقنابللاً

(١) الخميّة : الشجر الكثير المتلف والموضع الكثير الشجر .

ووالله ما أرضى لك الدهرَ خادماً ولا البدرَ مُنتاباً ولا البحرَ فائلاً
ولا الفلكَ الدوّارَ داراً ولا الوري عبيداً ولا زُهر النجوم قبائلاً
فإن الذي يبنّيه مملك خالداً وسائر ما يبني الأنام إلى بلى.

ولشاعر القطرين خليل مطران بك في وصف روض :

أيها الروض كنّ لقلبي سلاماً وملاذاً من الشقاء الملازم
زهراً ذابلاً كأنّي أراهُ ثلاً من أنفاسه في الكبائن
وغدير صافٍ أقام سياجاً حوله باسق من الدوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه ساجات وتحتها النجم عائم
كيفها سرن فالطريق عقود نُظمت من محاجر ومباسم
حبذا البدرُ مؤنساً يتجلى كحبيب بعد التغيّب قادم
حبذا رسمه البرايا كأهـي ما ترى العين في صحيفة راسم
حبذا الماء والمصبيح فيه كبنان يزينها بخواتم
جنة بانّت المكاره عنها وهي بكر من الأذى والمحارم
إنما أهلها طيور حسان إن دعاها الصباح قامت تُنادم
وضياء يموج في الماء حق لتراه كأنه مُتلاطم
ومروج مدبجات كوشي أتقنت صنعه حسان المعاصم
وغصون تهزّها نسمات كمهودٍ تهزهنّ روائم

وقال البحري واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفننت في الكتابة حق عطل الناس فنّ عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما شكّ امرؤ أنه نظام فريد

(١) جمع الائمة وهي الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له.

وبديع كأنه الزهر الضا حلك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخلقهُ عنود على المستعبد
مأعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حججٌ تخرس الالد بالفاظ فرادى كالجوهر المعداد
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعرَ جرول ولبيد
حزنٌ مستعمل الكلام اختياراً وتجنبت ظلمة التعقيد
وركن اللفظ الغريب فأدر كن به غاية المراد البعيد
كالعدارى غدون في الحلل البيض إذا رحن في الخطوط السود

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منها فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوجُ اثنتين
فقلت أصيرُ بينهما خروفاً أنعمُ بين أكرم نعجتين
فصرت كمنجة تُضحى وتسي تداولُ بين أخبث ذئبتين
رضا هذي يهيج سخط هذي فما أعري من إحدى السخطتين
وألقي في المعيشة كل ضر كذلك الضر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم في الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريماً من الخيرات مملوء اليدين
فميش عزباً فإن لم تستطعه فضرباً في عراض الجحفلين

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع :

يا صاحبي تقصياً نظريكما تريا وجؤه الأرض كيف تُصور
ترياً نهراً مشمساً قد زانه زهر الرُّبا فكأنما هو مُقمرُ
دنيا معاش للورَى حتى إذا حل الربيع فأنما هي منظرُ

أضحت تصوغ بطونها لظهورها نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقق بالندى فكأنها عين لديك تحذر

وقال أبو عبادة البحري في قصر المعتز بالله :

لمسا كملت روية وعزيمة	أعملت رأيك في ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موفقا	منه لأيمن حيلة ومنازل
دعر الحمام وقد ترنم فوقه	من منظر خطر المزلة هائل
رفعت لخرق الرياح سموكه	وزهت عجائب حسنه المتحاييل
وكان حيطان الزجاج يحوه	لجج يمجن على جنوب ساحل
وكان تفويف الرخام إذا التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر	ومسير ومقارب ومشاكل
لبست بالذهب الصقيل سقوفه	نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يحلن في ذي رونق	متلهب العالي انيق السافل
وكانما نشرت على بستانه	سيرا وشي اليمنة المتواصل
اغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عن	صوب منسحب الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت	اشجاره من حوّل وحوامل

وقال المتنبي في جواده :

ويوم كلون المدنفين كمنته	اراقب فيه الشمس ايان تغرب
وعيني إلى اذني اغر كأنه	من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه في إهابه	تجيء على صدر رحيب وتذهب
شقت به الظلماء أدني عنانه	فيطفي وأرخيه مراراً فيلعب
واصرع أي الوحش قفيته به	وانزل عنه مثله حين اركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شبابها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ في الربيع :

ورَدَ الربيع فمرحباً بوُروده	وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه	وأنيق مبسمه ووشي بروده
فصل إذا افتخر الزمان فإنه	إنسان مقلته وبيت قصيده
يفني المزاج عن العلاج نسيمه	بالطف عند هبوه وروده
يا حبذا أزهاره وثماره	ونبات ناجمه وحب حصيده
والغصن قد كسي الغلال بعدما	أخذت يدا (كانون) في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى	ماء الشببية في منابت عوده
الورد في أعلى الغصون كأنه	ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لئرجسه الجني كأنه	طرف تذب بعد طول هجوده
وانظر إلى المنثور في منظومه	متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً في حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقته	ما بين مختلف منه ومتنق
والظل يسرق بين الدوح خطوته	والمياه دبيب غير مسترق
وقد بدأ الورد مفترأ مباسمه	والترجس الغض فيها شاخص الحدق
والسحب تبكي وتفر البرق مبتسم	والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب	والما في هرب والغصن في قلق

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حق أريك بديع صنع الباري

فالأرضُ حولك والسماء اهتزتْ لروائع الآيات والآثار
ولقد تفرَّع على الغدير تخاله والنبت مرآة زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريره كأنامل مرت على أوتار
ينساب في غضلة مبتلة مذسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى منشقة عن أنهر وبحار
في كل ناحية سلكت مذهب جبلان من صخر وماء جاري
وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان
يجري على قدر في كل منحدر لم يحف أرضاً ولم يعمد لطفيان
كأنه ورجال الرئي تحرسه مملوك سار في جند وأعوان
قد كان يشكو ضياءاً منذ جرى طلقاً حتى أقمت له خزان أسوان
وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
دموني بعقم في الشباب وليتني عقلتُ فلم أجزعُ لقول عداتي
ولدتُ ، ولما لم أجد لعرائسي رجلاً وأكفاء وأدَّت بناتي
وسمتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماء لخرعاتي
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عز الدواء أسائي
فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عز أقوام بعز لفاتي

أَتَوْا أَهْلَهُم بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنَتْ
أُطْطِرْ بِكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
وَلَوْ تَزَجَّرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفَظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظَتْهُ
وَفَاخَرَتْ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقُ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجُرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمِعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرٍ ضَجَّةً
أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
سَرَتْ لَوْثَةُ الْأَعْجَامِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَمْعِينَ رُقْمَةً
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلُ
فَلَمَّا حَيَاةً تَبَعْتَ أَلَمَيْتَ فِي الْبَلَى
وَلَمَّا تَمَاتُ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بِوَادِي فِي رُبَيْعِ حَيَاتِي
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَاتٍ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَايَ
لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
حَيَاءٌ بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِيرَاتِ
مَنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَايَ
إِلَى الْغَيْةِ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَايَ
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فِرَاتٍ
مُشْكَلَةٌ الْأَلْسُونِ ، مُخْتَلِفَاتٍ
بَسَطْتُ رَجَائِي بِمَدِّ سَطِّ شَكَايَ
وَتَنْبَيْتُ فِي تِلْكَ الرُّءُوسِ رُفَايَ
تَمَاتُ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَاتِ

وقال شاعر العراق الكبير معروف الرصافي واصفاً قطار البخار :

وَقَاطِرَةٌ تَرْمِي الْفُضَا بِدُخَانِهَا
تَقْمَشَّتْ بِنَا لَيْلًا تَجْرُهُ وَرَاءَهَا
فَطَوَّرًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي الشَّرَى
تَدَاكَ مُتُونُ الْحَزَنِ دَكَا وَإِنَّمَا
يَمُرُّ بِهَا الْعَالِي فَتَمَلُّو تَسَلَّقُوا
طَوْتَ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ كَأَنَّهَا
هُوَ الْعِلْمُ يَعْلُو بِالْحَيَاةِ سَعَادَةً

وَقَمْلًا صَدَرَ الْأَرْضِ فِي سَيْرِهَا رُعباً
قَطَاراً كَصَفِّ الدَّوْحِ تَسْجِبُهُ سَجْباً
وَطَوَّراً رُخَاءً كَاللَّسِيمِ إِذَا هَبَّ سَا
فَمَا اسْتَسَهَلَتْ سَهْلًا وَلَا اسْتَصْعَبَتْ صَعْبًا
لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سَيْرِهَا نَهْبًا
وَيَعْتَزُّ الْوَادِي فَتَجْتَازُهُ وَتَنْبَا
تَسَابِقُ قُرْصِ الشَّمْسِ أَنْ تَدْرِكَ الْغَرْبَا
وَيَجْعَلُهَا كَالْعِلْمِ بِمُحَوِّدَةِ الْعُقْبَى

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أَخَذَ الْكَرَى بِمَعَاقِدِ الْأَجْفَانِ وَهَذَا السُّرَى بِأَعْنَتِ الْفِرْسَانِ
وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَابِرِ ضَارِبٌ فَوْقَ الْمَتَالِيعِ وَالرُّبَى يَجْرَانِ
لَا تَسْتَبِينُ الْعَيْنُ فِي ظِلْمَائِهِ إِلَّا اشْتَعَالُ أَسِنَّةِ الْمِرَانِ
تَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبَهَا عَلَى الطُّوفَانِ
فِي كُلِّ مَرَبَّأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَهْدَارُ سَائِمَةً وَعَزْفُ قِيَامِ
تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ وَتَصِيحُ أَجْرَاسٌ وَيَهْتَفُ عَانِ
قَوْمٌ أَبِي الشَّيْطَانِ إِلَّا خُسْرَهُمْ فَتَسْلُلُوا عَنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
مَلَأُوا الْفُضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاضِرٍ غَيْرُ التَّبَاعِ الْبَيْضِ وَالْخُرْصَانِ
فَالْبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ وَالْبَحْرُ أَشْكَلُ ، وَالرَّمَاحُ دَوَانِ
وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْطَانِهَا لِطَرَادِ يَوْمِ كَرِهَةٍ وَرِهَانِ
وَضَعُوا السَّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللُّسَنِ النِّيرَانِ
حَقٌّ إِذَا مَا الصَّبَحُ أَسْفَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنُنَا بَيْنَ رَبِي وَبَيْنَ كَبَانِ
فَإِنَّ الْجِبَالَ أَسِنَّةٌ ، وَإِذَا الْوَهَا دُ أَعِنَّةٌ ، وَالْمَاءُ أَحْمَرُ قَانِ
فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ لِنَهَابٍ ، فَا مَتَنَعَتْ عَلَى الْأَرْسَانِ
فَزَعَتْ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَ وَإِنَّمَا تَحْنَانُهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمَصْرٍ وَأَيْنَ مِنْ مَاءٍ بِمَصْرٍ مَنَازِلُ الرُّومَانِ

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخاريًا :

نَظَرَ الْحَكِيمُ صِفَاتِهِ فَتَحِيرًا شَكَلَ كَطُودَ الْبُخَارِ مُسِيرًا
دَوْمًا يَحْنُ إِلَى دِيَارِ أَصُولِهِ بِحَدِيدِ قَلْبٍ بِاللَّهْيَبِ تَسْعَرًا
وَيُظِلُّ يَبْكِي وَالْدموعُ تَزِيدُهُ وَجَدًا فَيَجْرِي فِي الْفُضَاءِ تَسْتَرًا

تلقاه حال السير أفعى تلتوي أو فارس الهيجا أثار العشيرا
أو أكرة أرسلتها ترمي بها غرضاً فجلت أن ترى حال المرى
أو سبع غاب قد أحس بصائد فكأنه المديون جاء غريمه
أو أنه شهب هوت من أفقها فأنسل منه وغاب عن تلك القرى
لا عجب للنيران إذ يمشي بها فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور في الآستانة :

أمير المؤمنين رأيت جسراً أمر على الصراط ولا عليه !
له خشب يجوع السوس فيه وقضي الفأر لا تأوي إليه
ولا يتكلف المنشار فيه سوى مرّ الفطيم بساعديه
ويبلى نعل من يمشي عليه وقبل النعل يدمي أخمصيه
وكم قد جاهد الحيوان فيه وخلف في الهزيمة حافريه
وأسمع منه في عيني جبهة ترام وسطه ويجانبيه
إذا لاقيت واحدهم تصدّي كعفريت يشير براحتيه
ويمشي (الصدر) فيه كل يوم بموكبه السني وحارسيه
ولكن لا يمر عليه إلا كما مرّت يدها بعارضيه
ومن عجب هو الجسر المعلق على (البسفور) يجمع شاطئيه
يفيد حكومة السلطان مالا ويعطيها الغنى من معدنيّه
يجود العالمون عليه ، هذا بعشرته ، وذاك بعشرته
وغاية أمره أنا سمعنا لسان الحال يُنشدنا لديه
(أليس من المعجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقرض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالود والإخلاص أن لا يفترقا
ضمهما أزهرا كالنجم به قد وثقا
لم يشك خضرهما مذ ضمناه قلعا
من تحته عينان منذ انفتحاحا انطبعا
وفوقه تابان ما حلأ فما منذ خلتا
يفرقان بين كل ما عليه اتفقا
فأي شيء لاقيا هـ ألقيا فرقا

وقال أبو بكر الأرتجاني المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

تمت بأسرار ليل كان يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهي تحرقها أنفاسها بدوام من تلتظيها
تنفسست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط فبات الوجد يذكيها
يخشى عليها الردى منها ألم بها نسيم ريج إذا وافى يخفيها
قد أثمرت ورودة حمراء طالعة تجني على الكف إن أهويت تجنيها
ورد تشاكبه الأيدي إذا قطعت وما على غصنها شوك يوقتها
صفير غلاظها ، خمر عائمها ، سود ذوائبها ، بيض ليالها

وصف قصر المنصور :

قال ابن حنيس الصقلي في صفة قصر شيده المنصور بن أعلى الناس

(١) تجني الاولى بمعنى تعتدي والثانية بمعنى تقطف . (٢) هو عبد الجبار
ابن أبي بكر توفي سنة ٥٢٧ هـ وهو من ابرع الشعراء إن لم يكن ابرعهم في وصف
البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان إذا وصف شيئا من ذلك جعله كالحناء
وخياها في المرأة .

ببجاية^١ ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها 'أسود
تَقْدِفُ بالماء :

أعمر بقصر الملك ناديك الذي أضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره أعمى لعاد من الضياء بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه فيكاد 'يحدث' بالعظام 'نشورا
أذكرتنا الفردوس حين أربتنا 'غرفا رفعت بناءها وقصورا
فلك من الأفلاك ، إلا أنه حقّر البدور فأطلع « المنصورا »
وإذا الولائد فتحت أبوابه جعلت 'ترحب بالعفاة صريرا^٢
عضت على حلقاتهن ضراغيم فقترت بها أفواهها تكبيرا^٣
فكانها كبدت لتحصر عندها من لم يكن بدخولها مأمورا^٤
ومُصفح الأبواب تبرا نظروا بالنقش فوق شكوله نظيرا^٥
خلعت عليه غلائل موشية شمس ترد الطرف عنه حسيرا^٦
وإذا نظرت ، إلى غرائب سقفيه أبصرت روضاً في السماء نصيرا
وعجبت من أطيّار عسجده وضعته به صناعها أفلامها
وكانما للشمس فيه لقة فأرتك كل طريدة تصورا^٧
وكانما للشمس فيه لقة مشقوا بها التزييق والتشجيرا^٨

(١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب (٢) العفاة : جمع عاف وهو طالب الحاجة ،
والصرير صوت الباب . (٣) فغر فاه : فتحة (٤) لبد كنصر : أقام والحصر :
الدفع (٥) نظر مل ، والشكول : جمع شكل (٦) الغلائل : جمع غلالة وهي
شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة . (٧) الطريدة :
ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) الالة ما يكون في الدواة لاصقا بصوفه أو نحوها والفعل
منها كباع ، ومشق الكتابة مدحروفا ، والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر .

وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خريـر الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها وأذاب في أفواها البلبورا
أسد^١ كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقنعت على أديارها لتثورا^٢
وتخالها والشمس تجلو لونها نارا، وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلمت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائسه درعا، فقدّر سردها تقديرا^٣
وبديعة الثمرات تعبده نحوها هيناي بحر عجائب مسحورا^٤
شجيرة، ذهبية، نزع^٥ إلى سحر يؤثر في النهى تأثيرا^٦
قد سرجت أغصانها فكأنما قبضت بهن من الفضاء طيورا^٧
وكأنما تأبى لو قعر طيرها أن تستقل بنهضها وتطيورا^٨
من كل واقعة ترى متقارها ماء كسلسال اللجين نيرا^٩
خزص تعد من الفصاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا^{١٠}
وكأنما في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها فوق الزبرجد أولوا منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جعلت لها زهر النجوم نغورا

- (١) أقمى الكلب والسبع : جلس على مؤخره ناصبا يديه . (٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون ثوب الدرع مساميرها . (٣) المسجور : المملوء .
(٤) نزع إليه أشبهه ، يقال : فلان ينزع إلى أبيه أو ينزع أباه أي يشبهه .
(٥) سرجه : حسنه وزينه . (٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال أي السهل الجريان واللجين الفضة ،
والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترنم .

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م :
 نبشاني إن كنتما تعلمان مادمي الكون أيها الفرقدان^١
 غضب الله أم تمردت الأر ض فأنحت على بني الإنسان^٢
 ليس هذا « سبحان ربّي » ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
 غليان في الأرض نفثت عنه ثوران في البحر والبركان^٣
 رب أين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان
 كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان^٤
 سابح تحتنا مظل علينا حائم حولنا مناء مداني^٥
 فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق ، كلاهما غادران^٦
 ما (لمستين) عوجلت في صباها ودعاها من الردى داعيان^٧
 وحنّت قلكم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
 خُسِفَتْ ثم أغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في تواني
 وأتى أمرها فأضحت كأن لم تلك بالأمس زينة البلدان
 ليتها أمهلت فتقضي حقوقاً من وداع اللدات والجيران^٨
 لحة يستعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقي العاشقان

(١) الفرقدان نجمان في السماء لا يغربان وهذا هو السر في قول المعري :

فاسأل الفرقدين عن أحسا من قبيل وآنسنا من بلاد

وفي أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضرباً : أقبل . (٣) نفس عنه : فرج .

(٤) الربان كرماني : رئيس الملاحين . (٥) مناء مدان مباعده مقارب .

(٦) الخلاق : الحظ او الدين وأنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع

في استعمال الكلمة (٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف

عند العرب بمسيني ومن شعر ابن قلاقس « يامن يمسيني على مسيني » وداعيا الردى :

الإغريق والإحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو التراب أي النظير في السن .

بفت الأرض والجبال عليها وطفى البحر أيما طغيان
 تلك تغلي حقدأ عليها فتنششق^١ انشقاقاً من كثرة الغليان
 فتجيب الجبال رجماً وقذفاً بشواظ من مارج^٢ ودخان^٣
 وتسوق البحار ردأً عليها جيش موج نائي الجناحين داني
 فهنا الموت أسود اللون جون^٤ وهنا الموت أحمر اللون قاني^٥
 جند الماء والثرى هلاك الخلق ثم^٦، استعان بالنيران
 ودعا السحب عاتياً فأمدت^٧ به يجيش من الصواعق ثاني^٨
 فاستحال النجم واستحكم اليأس وخارت عزائم الشجعان
 وشفى الموت غلة^٩ من نفوس لا تباليه في مجال الطعان
 أين رجيو^{١٠} وأين ما كان فيها من مغان مأهولة وغواني^{١١}
 عوجلت^{١٢} مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
 رب طفل قد ساخ في باطن الأر^{١٣} ض ينادي أمي أبي! أدركاني^{١٤}
 وفتاة هيفاء تشوى على الجمر^{١٥} تعاني من حره ما تعاني
 وأب^{١٦} ذاهل إلى النار يمشي مستميتاً تمتد منه اليدان
 باحثاً عن بناته وبنيه^{١٧} مسرع الخطو مستطير الجنان^{١٨}
 تاكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني^{١٩}
 غصت الأرض، أنخم البحر^{٢٠} طواه من هذه الأبدان^{٢١}
 وشكا الحوت للنسور شكا^{٢٢} رددتها النسور للحيات

(١) الشواظ : لهب لادخان فيه، والمارج : النار بلا دخان (٢) الجون الأسود
 فهو تأكيد والقانيء : بالهمزة : الشديدة المحمرة وقد يسهل (٣) العاني المجاوز للحد
 (٤) رجيو : مدينة بإيطاليا أمام مسيني وتعرف عند العرب بربو ، والمغاني جمع
 مغنى وهو المقام (٥) ساخ في الأرض : دخل فيها وغاب. (٦) المستطير : المتفرق
 المشتت (٧) اللظى اللهب ، ورنى تراخى . (٨) غص كفرح اعترض في حلقه
 شيء، والمراد هنا امتلأ وأنخمه الطام، أحدث له تخمة وأصل ثائه واو من الوخامة .

أسرفا في الجسوم نقرأ ونهشاً ثم باقا من كِطْطَة يشكوان^١
لا رعى الله ساكن القِيمَم الشم ولا حاط ساكن القيعان^٢
قد أغارا على أكف أكف براها بارى الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الغُسر ولم يرفقا بتلك البنات
لُف نفسي وألف لُف عليها من أكف كانت صناع الزمان^٣
مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبال الألوان
حافرات في الصخر أو ناقشات شائدت روائع البنيان
منطقمات لسان كل جماد مفعجات سواجع الأفنان^٤
ملهمات من دقة الصنع ما لا يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الداراري يهدم الدهر وهي في عنفوان
عجب صنعا وأعجب منه صمتهما ، تلك قدرة الرحمن
إيه (مسين) آنسي اليوم نبيا ي فقد أوحشت بذلك المكان
آيسي الدرة التي كانت الحلية في تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتبالا وهي تلهو في غبطة وأمان
جاءها الأمر والسراة عكوف في الملاهي على غيناء القيان^٥
بين صب مبدله وطروب وخليع في اللوم مرخي الغنان^٦
فانطووا كانطواء أهلك بالأمس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسين) لم تزولي كما زلت ولكن أمسيت رهن الأوان

- (١) الكطة : ما يعتري الإنسان من امتلاء الطعام (٢) القيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره .
(٣) يا لُفني على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة في الغمل اليدوي . (٤) سواجع الافنان : الحمام يسجع على الفصون . (٥) السراة : الأشراف ، والقيان جمع قبينة ، وهي الجارية المغنية
(٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللهم .

إن إيطاليا بنوها 'بناة' فاطمثنى ما دام في الحي' باني
 فسلام عليك يوم توليت بما فيك من مغان حسان
 وسلام عليك يوم تعودين كما كنت جنة الطليان
 وقال أبو الطيب المتنبي يصف الأسد :

ورد^١ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زثيره والنسيلا^١
 متخضب^٢ بدم الفوارس لابس^٢ في غيبه من لبدته مغبلا^٢
 ما قبلت عيناه إلا ظننتا تحت الدجى نار الفريق حُلولا^٣
 في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا
 يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنه آس يحس^٤ عيلا^٤
 ويرد عفرته إلى يافوخه حق تصوير لرأسه إكليلا^٥
 وتظنه مما يزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا^٥
 قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا^٦

وصف شعب بوان^٧ :

قال أبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت إلى
 شعب بوان ، فنظرت إلى تربة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى
 وماء يتحدّر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدر ، فجعلت أطوف
 في جنباتها ، فإذا في بعض جذرائها مكتوب :

- (١) الورد : الجريء والبحيرة : يريد بها بحيرة طهرية .
- (٢) الغيل : الاجمة والشجر الكثير الملتف . ولبدت الأسد ، مسا على كتفيه
- من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .
- (٤) الآسي : الطبيب . (٥) عفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه .
- (٦) الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه والمشكول : المقيد .
- (٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة على شعب بوان أفاق من الكرب^١
وألهاء مرج^٢ كالحرير لطافة ومطرده يجري من البارد العذب
وطيب رياض في بلاد مريعة وأغصان أشجار جناها على قرب^٣

وفي شعب بوان يقول المتنبى :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان^٤
طببت^٥ فرساننا والخيول حق خشيت^٦ وإن كرم^٧ من الحران^٨
عدونا تنفض الأغصان فيها على أعراقها مثل الجبان
فسرت^٩ وقد حجب^{١٠} الشمس عني وجئت من الضياء بما كفاني
وألقي الشرق^{١١} منها في ثيابي دفانيراً^{١٢} تفر^{١٣} من النبات^{١٤}
وأمواء^{١٥} تصل^{١٦} بها حصاها صليل الحلي في أيدي الغواني
إذا غنى الحمام^{١٧} الورق^{١٨} فيها أجابته أغاني^{١٩} القيات^{٢٠}
يقول بشعب بوان^{٢١} حصاني أعن^{٢٢} هذا يسار إلى الطعان^{٢٣}!

وقال حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بساحة تشق^{٢٤} سبيلها شق^{٢٥} الإزار
وتكاد تقدح في الأثير^{٢٦} فيستحيل إلى شرار^{٢٧}
مثل الشهاب انقض^{٢٨} في آثار عفريت وطار

-
- (١) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول
(٢) المريعة الخصبية، والميم أصلية يقال: مرعت الأرض وأمرعت (٣) المغاني
جمع مغني اسم مكان من غنى أي أقام . (٤) طباه وأطباء : استهواه واستماله .
(٥) يقول: إن اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة
كالدفانير إلا أنها لا يمكن تناولها .
(٦) الشرار والشرر : ما يتطاير من النار واحدها شرارة وشررة .

فإذا علمت فكده عوة المضطرّ تحترق الستار
وإذا هوت فلكا هوت أنثى العقاب على الهزار^١

وصف السيف للمرحوم البارودي :

أَمْضَى بِهِ الْهَوْلُ مِقْدَاماً وَيَصْحَبُنِي ماضٍ الْغِرَارُ إِذَا مَا اسْتَفْجَلَ الْوَهْلُ^٢
يَمُرُّ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَقْتُ الضَّرَابِ وَلَمْ يَمْلُقْ بِهِ بِلْسَلٌ
تَرَى الرِّجَالَ وَقُوفاً بَعْدَ فَتَكَتِهِ هُمْ يُظَنُّونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قَتَلُوا
كَأَنَّهُ شَعْلَةٌ فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أحياناً وَتَعْتَدِلُ
لَوْلَا الدِّمَاءُ الَّتِي يُسْقَى بِهَا نَهْلًا لَكَادَ مِنْ شِدَّةِ اللَّأْلَاءِ يَشْتَعِلُ
يَفْلُ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِّ قَبْضَتُهُ كُلُّ الْحَدِيدِ وَلَمْ يَثَّرْ بِهِ فَكْلُ

وصف الأسطول للأبيادي

وقال علي بن محمد الأبيادي يصف أسطول الفاطمي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أَعْجَبَ بِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَبِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرِبُ
لَبِستَ بِهِ الْأَمْوَاجَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لَعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مَشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إشراف صدر الأجدل المنتصب^٣
دُمَاءٌ قَدْ لَبِستَ ثِيَابَ تَصْنَعُ تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرَهَّبَ^٤
مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشَرٍ مِنْهَا وَأَسْحَمُ فِي الْخَلِيجِ مُغَيَّبِ
كَمَلَاءَةٍ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سِيرَهَا فِي الْبَحْرِ أَنْفَاحُ الرِّيحِ الشَّدْبِ^٥

- (١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث . والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى القرن وهو ضعيف وإنما القوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر في قول شاعرنا أنثى العقاب . (٢) الغرار : حد السيف ونحوه ، الوهل الفزع (٣) الأجدل : الصقر جمعه أجدال ، والمنتصب : المنتصب . (٤) يشير إلى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس الرهبان وإلى لون أشرعتها الذي هو البياض . (٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أي الرياح التي تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

محفوفة بمجادف مصفوفة في الجانبين دُورين صُلب صُلب^١
 كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهذب^٢
 وتحشها أيدي الرجال إذا وُنت^٣ بمصعد منه بعيد مصوب^٤
 خرقاء تذهب إن يد لم تهدها في كل أوب للرياح ومذهب^٥
 جوفاء تحمل كوكبا في جوفها يوم الرهان وتستقل بموكب
 ولها جناح يستعار يطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
 يعلو بها حذب العباب مطارة^٦ في كل لُج زاهر مغلولب^٧
 تسمو بأجرود في الهواء متوج عريان منسوج الذؤابة شوذب^٨
 يتركب الملاح منه ذبابة لورام يركبها القطار لم يركب^٩
 فكأنما رام استراقة مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب
 وكأنما جن ابن داود هم^{١٠} ركبوا جوا نهبها بأعنف مركب
 سجدوا جوا حمرها فثقا ذفوا منها بالسن مارج ملتعب^{١١}
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى من سجنه انصلت انصلات الكوكب^{١٢}
 عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على الظلام الغيب
 ولواحق مثل الأهلة جنح^{١٣} لحق المطالب فائقات المهرب^{١٤}
 يذهبن فيا بينهن لطافة ويحشن فعل الطائر المتغلب

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمراد
 هنا ريش الطائر ، والمتهدب : ذو الأهداب ونسر اهدب ، أي سابغ الريش
 (٣) صعد الشيء : رفعه ، وصوبه : خفضه . (٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب
 الحادي الذي يتغنى في سوق الإبل والمراد هنا الرهان . (٥) حذب الماء تراكبه في
 جريه والمغلولب : الكثير ، يقال : اغلولب القوم إذا اكثروا (٦) الشوذب ،
 الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبه القلع
 (٧) ذبابة السيف ، طرف حده والمراد طرف القرية (٨) سجر : ملأ ، الجاحم :
 الجمر الشديد الاشتعال . (٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق جمع لاحق ،
 كخدم ، جمع خادم .

كنضاض الحيات رُحْنَ لواعبا حتى يقعن ببرك ماء الميزب
 شرجوا جوانبها مجادف أنعبت شادي الرياح لها ولمتا تتعب^١
 تنصاع من كُتَب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الرّرب^٢
 والبحر يجمع بينها فكأنه ليلٌ يقرب عقرباً من عقرب
 وعلى جوانبها أسود خلافة تختال في عُدده السلاح المرهب
 فكأنما البحر استعار بزيتهم ثوب الجمال من الربيع المذهب

وصف القطار الحديدي

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدي من قصيدة :

صفحة البرق أو مضت في الغمام أم شهاب يشق جَوَف الظلام
 أم سليلُ البخار طار إلى القصد فأغيا سوابق الأوهام^٣
 مرّ كاللح لم تكد تقف العيسن على ظلي جرمه المترامي^٤
 أو كشرخ الشباب لم بدر كاسيه تولى في يقظة أو منام^٥
 لا يبالي السرى إذا اعتكر الليل وخانت مواقع الأقدام^٦
 يقطع البعيد والفيافي وحيداً لم تضعه وحشة الإظلام^٧
 ليس يثنيه ما يئذيب دماغ الضرب يوم الهجير بين المواسي^٨
 لا ولا يعثره ما يخرس النا بح في الزمهرير بين الحيام
 هائماً كالظلم أزعجه الصيد وراعه طائشات السهام^٩

- (١) شرج العيبة، أدخل بعض عراها في وبعض المراد هنا شربكوها في جوانبها
 المجاذيف والشادي: السائق (٢) انصاع القوم، ذهبوا سراعا أو انفتلوا والربرب،
 القطيع من بقر الوحش (٣) السليل: الولد (٤) المترامي: المتتابع (٥) شرخ
 الشباب أوله (٦) السرى سير عامة الليل واعتكر الليل، اشتد سواده (٧) البعيد:
 جمع بيداء وهي الصحراء والفيافي جمع فيفاء وهي المفازة لاماء فيها (٨) المواسي
 جمع موماة وهي الفلاة، والضرب حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد
 (٩) الظلم: ذكر النعام.

فهو يشتد في النجاء ويهوي حيث ترمى بجانبيه المرامي^١
يا حديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام^٢
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعي مُشمر مقسدام

وقال حفني بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنىء ويصف حريق عابدين:

وافي يُقبَل راحتك العامُ وحننتُ إليك رهوسها الأيام
والدهر أقسم لا ينجيُ بغير ما ترضى وكم برّت له أقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قبيلتُ معاذير المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذي لم تحوِ مصرُ نظيره والشام
شبت به النيرانُ فارتاعت لها مشهج الأنام وها لها استعظام
لولا الدخان أحاط حول هديها ما شكّ فردٌ أنها أعلام
أمرٌ به نفذ القضاء وليس في أحكامه نقضٌ ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الإله بيانها لمباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا قدراً تسيرُ عليهم الأحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا صبراً وخفت عنهم الآلام
عينُ السماء لعابدين تطلعت وتشتوق القصرُ الكريم لأهله
لم يستطع صبراً على طول النوى جراته والصب كيف يُلام
فتصدت زفراته وتأججت لولا الدموع من المطافى ما انقضى
خرقت طباق الجو إلا إنها برد قصارى أمرها وسلام

وقال حافظ إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أخزان مصر أنت أم هريما مصر أجل وأسمى في المسكنة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت وجددت من عهد الفراعنة الفر
وهيأت ما أهرام مصر وإن سميت بأرفع رأس من حضيضك لوتدري
وليس سنان بن المشلل خالداً بأنه من (عبّاس) عصرك في الذكر
وما قطرات السحب كالدرتهمي بالطف وقعا من عقيقك إذ يجري
وما أنت خزان المياه وطمها وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب وجمعت أقطار المنافع في قطر
فقل للفوادي والروائح تنجلي وفي غير مصر فلتسبح على قفر
إذا ما جرت أمواها دون حاجة وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن ليطمسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتسند مصر على كل بقعة به وليطاول قطرها مسقط القطر
بناء من الدهر استعمار بقاءه وأقسم ألا يسترد من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :
يا دار مية بالعلياء فالسند أقنوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها أصيلاً لا أسائلها عيت جواباً وما بالربيع من أحد^٢

(١) العلواء المكان العالي، والسند محرّكة ما قبلك من الجبل وعلامة السفح،
وأقوت الدار خلت من السكان، والأبد: الزمان الماضي (٣) أصل أصيلاً صيلاً
بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشي أبدلت بالنون لاما، وعيت أي
حصرت وعجزت عن الجواب.

إلا الأواري^١ لأياً ما ابدينها والنسوي كالحوض المظلومة الجلد^١
رُدَّت عليه أقاصيه ولبدته^٢ ضرب^٣ الوليد بالمسحاة في الثأد^٤
خلت سبيل^٥ أتي^٦ كان يجده^٧ ورفعته إلى السجفين فالنضد^٨
أضحت^٩ خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد^{١٠}
وقال أمية بن أبي الصلت الجاهلي يعاتب على ابن له^{١١} :
غَدَوْتُكَ مولوداً وعلمتُكَ يافعاً^{١٢} تعمل بما أدني إليك وتنهل^{١٣}
إذا ليله نابتك بالشكور لم أبيت^{١٤} لشكواك إلا ساهراً أتمل^{١٥}
كأنني أنا المطروق^{١٦} دونك بالذي طرقت^{١٧} به دوني ، وعيني تهمل^{١٨}
تخاف^{١٩} الردى نفسي عليك ، وإنها لتعلم أن الموت حسنت^{٢٠} مؤجل^{٢١}
فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت^{٢٢} فيك أو مل

(١) الأواري منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أري بمعنى الآخية والآخية كناية الوتد الذي في رأسه حلقة يدق في الحائط أو يدفن في الأرض لتربط فيه الدواب ولأياً ما أرى بعد جهدي ، ما أنظرها ، والنسوي الحفير حول الحباء أو الخيمة يمنع السيل والمظلومة الأرض التي حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضعه ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن .
(٢) ردت بالبناء للمجهول ولبدته ألصق بعضه ببعض ، والمسحاة هي آلة يحرف بها الطين والثأد الطين (٣) الأتي الجدول الذي تؤتية إلى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود إلى النسوي . والسجفين الستارتان اللتان تعلقان على الباب ، أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار إلى أخرى وأخنى عليها اهتكها يقال إن لمقام بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نصور كلها هلك نسر خلفه نسر آخر وكانت آخرها لبد على ورن صرد . (٥) هو عبدالله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهلياً يلتزم المعارف الدينية متعبداً راجياً أن يكون نبي العرب ، حتى إذا كانت بعثة النبي ﷺ اكبرها عليه . وفاضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٥٩ هـ (٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعمل : من العلل وهو الشرب الثاني والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل .
(٧) أتمل : اتقلب على الملة وهي الجمر (٨) تهمل : أي يسيل منها الدمع .
(٩) الردى : الهلاك ، حتم : أي لا مفر منه ، مؤجل : أي له وقت .
(١٠) جواهر الأدب - ٢)

جعلتَ جزائي منك جنباً وغلظة
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
وسميتني باسم المفتند رأيه
تراه مُعِداً للخلاف كأنه
وقال المغيرة بن حبياء :

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
فإنك لن تلقى أخاك مُهذّباً
أخوك الذي لا ينقض النأي عهده
وليس الذي يلقاك في البشر والرضا
ولا تلك في كل الأمور تعاتبه
وأمرى ينجوم العيب صاحبه
ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وإن غبت عنه لسعتك عقابه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

أقليل عتباتك فالبقاء قليل
لم أبك من زمن ذممت صروفه
ولكل قاتبة ألت فرجة
والمنتمون إلى الصفاء جماعة
وأجل أسباب المنية والردى
فلئن سبقت لتفجعن بصاحب
ولعل أيام البقاء قليلة
والدهر يعدل مرة ويميل
إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل حال أقبلت تحويل
إن حصلوا أفناهم التحصيل
يوم سيقطع بيننا ويحول
حبل الصفاء بحبله موصل
فعلام يكثر عتبنا ويطول؟

وقال شاعر الحجاز المخضرمي معن بن أوس المزني المتوفى سنة ٢٩ هـ :

لعمرك ما أدري ولبي لأوجل
على أينما تعدو المنية أول

(١) الجبه : مقابلة الإنسان بما يكره . (٢) أي ليتك إذ أبيت ان تعاملني
معاملة الأب عاملتني كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسبه إلى سوء العقل أي
وصحتني بسوء الرأي والغبابة ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب إليك
لا إلي . (٤) معداً : أي محضراً ومهيئاً ، أي تهيب الخلف ، ويقابل به كل رأي
كأنه كلف ان يفند آراء اهل الصواب .

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن إن أبراك خصم أو نبا بك منزل
أحارب من حاربت من ذي عداوة وأحبس مالي إن غسرت فاعقل
وإني على أشياء منك تريبني قديماً لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظر أي كيف تبدل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرقي الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف زحل
وكنت إذا ما صاحب رام ظنني وبدل سوءاً بالذي كنت أفعل
قلبت له ظهر الجن فلم أدُم على ذاك إلا ريثما أتحوّل
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه :

على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلاً وسهلاً بالعلأ والمكارم
قدّمتَ بحمد الله أكرم مَقدم مدى الدهر يبقى ذكره في المواسم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرقت ببشر وجوه أو بضوء مباسم
فيا حسن ركب جئت فيه مسلماً ويا طيب ما أهدته أيدي الرواسم
أمولاي سألني فإنك أهله وإن لم تسألني فما أنت ظالمي

وقال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليه فإن العدل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حدّاً أضرب به من حيث قدرت إن اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً من عنفه فهو مضنى القلب موجه
قد كان مضلماً بالخطب يحمله فضيقت بخطوب البّين أضلعه
يكفيه من لوعة التنفيذ أن له من النوى كل يوم ما يروعه

ما آت مغترب إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
 كأنما هو من حل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يذرعه
 إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحى وهو يزمعه
 تأبى المطامع إلا أن تجشمه للرزق كدأ ، وكمن يودعه
 وما مجامدة الإنسان توصله رزقاً ، ولا دعة الإنسان تنقطعه
 والله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
 لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى مسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
 والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت

بغبي ، ألا إن بغبي المرء يصرعه
 والدهر يعطي الفقى ما ليس يطلبه يوماً ، ويمنعه من حيث يطعمه
 أستودع الله في بغداد لي قرأ بالكروخ من فلك الأزرار مطلعه
 ودعته ، وبودي لو يودعني صفو الحياة وأني لا أودعه
 وكمن تشفع أني لا أفارقه وللضرورات حال لا تشفعه
 وكمن تشبث بي عند الرحيل ضعى وأدمعي مستهلات وأدمعه
 لا أكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقة لكن أرقعه
 إني أوسع عذري في جنائتيه بالبين عنه ، وقلبي لا يوسعه
 أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
 ومن غداً لا بسا ثوب النعم بلا شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
 اعتضت عن وجه خلي بعد فرقة كأساً أجرع منها ما أجرعه
 كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
 هلا أمت فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بان الرشد أتبعه
 إني لأقطع أيامي وأنفدها بحسرة منه في قلبي تقطعه
 من إذا جمع النوم بت له بلوعة منه ليلى لست أهجمه

لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا
ما كنت أحسب أن الدهر يفجعني
حق جرى الدهر فيما بيننا بيد
الله يامنزل القصف الذي درست
هل الزمان مُعيد فيك لذتنا ؟
في ذمة الله من أصبحت منزله
من عنده لي عهد لا يضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره ، وإذا
لأصبرن الدهر لا يمتعني
علماً بأن اضطباري معقب فرجاً
علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا
وإن تنل أحداً منا منيته

لا يطمئن له منذُ يئس مضجعه
به ، ولا أن بي الأيام تفجعه
عسراء تمنعني حظي وتمنعه
آثاره وعفت منذُ غبت أربعه
أم الليالي التي أمضته ترجعه
وجاد غيث على مفذك يرعه
كما له عهد صدق لا أضيعه
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
به ، ولا بي في حال يمتعه
وأضيق الأبرار إن فكرت أوسع
جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
فما الذي بقضاء الله يصنعه

وقال محمد حافظ بك إبراهيم (بين اليقظة والنمائم) في استعطاف الزمان :

أفترق فدتك مشارق الإصباح
بوركت يا يوم الخلاص ولا وئت
بالله كن يئنا وكن بشرى لنا
أقبلت الأيام حولك مُثل
وخرجت من حجب الغيوب محجلاً
لو صح في هذا الوجود تناسخ
ولكنت يوم (اللابرننت) بعينه
يوم يريك جلالة ورواؤه
خلعت عليه الشمس حلة عسجد

وأعط لثامك عن نهار ضاح
عنك السعود بفسدوة ورواح
في ردّ مئرب وفك سراج
صفين تخطرُ خطرة الميئاح
في كل لحظ منك ألف صباح
لرأيت فيك تناسخ الأرواح
في عزة ، وجلالة ، وسماح
في الحسن قدرة فائق الإصباح
وحباه (آذار) أرق وشاح

الله أثبتته لنا في لوحه
 حبيب عنا يا أزهري واملثي
 وانفخه عنا يا ربيع بكل ما
 للنيل مجد في الزمان مؤثـل
 فسـل العصور به وسل آثاره
 قد قال (عمرو) في ثراها آية
 بينا نراه لآلئاً وكأنا
 وإذا به للناظرين زمره
 وإذا به مسك تشق سواده
 قم يا ابن مصر فانت حر واستعد
 شمر وكافح في الحياة فهذه
 وانهل مع النـهال من عذب الحيا
 وإذا ألح عليك خطب لآتهن
 وخض الحياة وإن تلاطم موجها
 واجمل عيانك قبل خطوك رائداً
 وإذا احتوتك محلة وتنكرت
 في البحر لا تثنيك نار بوارج
 وانظر إلى الغربي كيف سميت به
 والله ما بلغت بنو الغرب المنى
 ركبوا أنبحاراً وقد تجمد ماؤها
 والبر مصهور الحصى متأججاً
 يلقي فتيهم الزمان بهمة
 أبد الأبد فما له من ماح
 أرجاءه بأريجك الفياح
 أطلعت من رند ونور أفاح
 من عهد آمون وعهد (فتاح)
 في مصر كم شهدت من السـياح
 مأثورة نقشت على الألواح
 نثرت بتربته عقود ملاح
 يشفيك أخضره من الأتراح
 شق الأديم محارث الفلاح
 مجد الحدود ولا تعد لمزاح
 دنياك دار تناحر وكفاح
 فإذا رقا فامتج مع المتاح
 واضرب على الإلحاح بالإلحاح
 خوض البحار رياضة السباح
 لا تحبب الغمر كالضحضاح
 لك فاغدها وانزع مع النزاح
 في البر لا يلويك غاب رماح
 بين الشعوب طبيعة الكداح
 إلا بنيات هناك صحاح
 والجو بين تناسل الأرواح
 يرمي بنزع الشوى لواح
 عجب ، ووجه في الخطوب وقاح

ويشق أجواز القفار مغامراً وعُرُ الطريق لذيهِ كالصحاح
وابن الكنانة في الكنانة راكداً يرنو بعين غير ذات طمّاح
لا يستفلّ، كما علمت، ذكاه وذكاؤه كالخاطف للمحاح
أمسى كماء النهر ضاع فرائه في البحر بين أجاجه المنداح
فانهض ردع شكوى الزمان ولا تنح في فساد البؤسى مع الأنواح
واربع لمصر برأس مالك عزّة إن الذكاه حُبالة الأرباح
وإذا رُزقت رياسة فالنسج لها بردين من حزم ومن إسجاح
واشرب من الماء القراح منعماً فلكم وردت الماء غير قراح

الباب السادس

في التهاني والتهادي والاعغراء

قال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ :
المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانتهت بها الديم
وراجع الشمس نور كان فارقها كأنما فقدته في جسمها سقم
ولاح برقك لي من عارضي ملك ما يسقط الفيت إلا حين يبتسم
يسمى الحسام) وليست ذي مشابهة وكيف يشقه المخدم والخدم
تفرد العرب في الدنيا بمحتده وشارك العرب في إحسانه المعجم
وأخلص الله للإسلام نصرته وإن تقلب في آلائه الأمم
وما أخصك في بره بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير صاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ :

هذي المكارم والعلياء تفتخر بيوم مأثرة ساعاته غرور

يوم تبسم عنه الدهر واجتمعت له السعود وأغضت دونه الغير
 حتى كأننا نرى في كل ملتفت رَوْضاً تفتح في أثنائه الزهر
 لما تجلى عن الآمال مشرقة قال العلي بك أستعلي وأقتدر
 وافى على غير ميعاد يبشرنا بأن ستبعه أمثاله الأخير
 أهني المسرات ما جاءت مفاجأة وما تناجي بها الألفاظ والفكر
 لو أن بشرى تلقيتها بموردها لأقبلت نحوها الأرواح تبتر
 وما تعنف من يسخو بمهجته فإن يومك هذا وحده عمر
 فما غدوت وما للعين منقلب إلا إلى منظر يبهى ويحتبر
 ننت مهابتك الأبصار حاسرة حتى تبين في الحاظها خزر^١
 إذا تأملتهم غصوا ، وإن نظروا خلال ذلك فأدنى لفظة نظروا
 في ملبس ما رأته عين معترض فشك في أنه أخلاقك الزهر
 ألبسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضواحي مزنة القمر^٢
 وقد تقلدت عضباً أنت مضر به وعنك يأخذ ما يأتي وما يذر
 ما زال يزداد من إشراق غرته زهراً ويشرق فيه التيه والأشر^٣
 والشمس تحسد طرفاً أنت راكمه حتى لقد خلت أن الشمس ازعجها
 شوقاً وقد ظلت على عطفيه تنتشر

وقال أبو أذينة بغري الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه:

ما كل يوم ينال المرء ما طلبها ولا يسوغه المقدار ما وهبا
 وأحزمت الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضا
 وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالنكاس الذي شربا

(١) الخزر : ضيق العين وصفرها (٢) المزن: السحاب الأبيض ويقال للهلال
 ابن مزنة وهي القطعة من المزن لخروجه منها (٣) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال .

وليس يَظلمهم من راح يَضرهم
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة
قلتَ عمرأً وتستبقي يزيدَ لقد
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم
'هم' أهلية غسان ومجدهم
وعرضوا بفداء واصفين لنا
أحلبون دماً منناً ونحلبهم
بجد سيف به من قبلهم ضرباً
من قال غير الذي قد قلته كذباً
رأيت رأياً يجر الويل والحراب
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطباً
لم يعف حاملاً ولكن عفوه رهباً
عال، فإن حاولوا ملكاً فلا عجباً
خيلاً وإبلاً تفوق العجم والعرباً
رسلاً، لقد شرّ قوناني الورى حلباً

وقال صفى الدين الحلى يحرض السلطان اصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا
ومن أراد العلاء عفواً بلا تعب
لا بد للشهيد من نحل يمنعه
لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمة
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ
وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت
فقد يُقال عشار الرجل إن عثرت
من دبر العيش بالآراء دام له
يهون بالرأي ما يحري القضاء به
من فاته العز بالأقلام أدركه
لا يحسن الحلم إلا في مواطنه
ولا ينال العلاء إلا في شرفه
ولا ينال العلاء من قدم الحذرا
قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا يجتني النفع من لم يحمل الضرراً
ولا يتم المنى إلا لمن صبرا
لا يقرب الورد حتى يعرف الصدر
عيناه بالأمر غدا بالغير معتبرا
ولا يُقال عشار الرأي إن عثرا
صفواً وجاء إليه الخطب معتبرا
من أخطأ الرأي لا يستدنب القدر
بالبیض يقصد من أطرافها الشر
ولا يليق الوفا إلا لمن شكرا
خلاله فأطاع الدهر ما أمرا

كالصالح الملك المرحوب سطوته فلو تواعد قلب الدهر لانفطرا
لما رأى الشر قد أبدى نواجذه والغدر عن ثابه للحرب قد كسرا
رأى القسي إناثاً عن حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا
فجرد العزم من قبل الصفاح لها ملك عن البيض يستغني بما شهرا
يكاد يقرأ من عنوانات همته ما في صحائف ظهر الغيب قد سطرا
كالبحر والذهر في يومي نددى وردى
والليث والغيث في يومي غي وغى وقبرى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا
ولا عفا قط إلا بتعد ما قدرا
لامود في بذله الأموال قلت لهم
هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

وقال السيد احمد الهاشمي مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم علي يوسف بك
صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من اوربا :

(علي) القدر ذو الشرف المؤيد شديد العزم (يوسف) قد تفرّد
وحيد الفضل والعلواء تشهد رفيع المجد في عز وسؤدد
شريف النفس محمود السجايا عريق الأصل في المعروف أوجد
'همام' ما له أبداً مثيل بليغ النطق في الكتاب مفرد
'حبيب' العدل مشكور المساعي علم بالسياسة ، بل (مؤيد)
قوي البأس بسام الثنايا سعيد الجد ذو قدير 'مجدد'
فمن يك راقياً شرف المعالي كمثلك في الورى لا شك 'محمد'
وكيف وأنت أعظم من تصدى لتأييد الصحافة (بالمؤيد)
وكيف وأنت أفوق كل راء يسسهم للكتابة قد تجرّد

وليس الشمس تخفى عن عيون
وإنَّ البدرَ بالأنوارِ زامٍ
فسبعان الذي أسرى (علينا)
تهنئتك المناصب كل وقتٍ
فدُم يا سيدي بدرًا منيرًا
وهاك من الحبيب قصيد شعير
تفاخر مصر أهل الشرق فيها
سوى أن كان صاحبهن أرمَد
ويأبى الله إلا أن تؤيد
إلى التأميز والسين المنضد
وتخدمك السعادة ما تجدد
وحصننا للعالي قد تشيد
تشير إلى وفائي ، بل وتشهد
تقول الهاشمي شدا وأنشد

وقال محمد حافظ بك إبراهيم مهنئاً أبناء وطنه بالعام الهجري :

أهلاً بنا بغير البلاد ومرحباً
لا تياسوا أن تستردوا مجدكم
مدت له الآمال في أفلاكها
فتجشموا للمجد كل عزيمة
من رام وصل الشمس حاك خيوطها
عار على ابن النيل سباق الوري
أو كلما قالوا : تجمع شمله ،
فتدفقوا حججاً وخوضوا نيلكم
حملوا علينا بالزمان وصرفه
فتعلموا فالعلم مفتاح العلاء
ثم استمدوا منه كل قواكم
وابنوا حوالى حوضكم من بقطة
جددتم العهد الذي قد أخلقا
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
خيوط الرجاء إلى العلاء فتسلقا
إني رأيت المجد صعب المرتقى
سبباً إلى آماله وتعلقا
مهما تقلب دهره أن يسبقا
لحب الخلاف يجتمعنا فتفرقا
فكم أفاض عليكم وتدفقا
افتأنقوا في سلبنا وتأنقا
لم يبق باباً للسعادة مغلقا
إن القوي بكل أرض متقى
سوراً وخطو امن حذار خندقا

وزنوا الكلام وسدّوه فأنهم خبأوا لكم في كل حرفٍ مزلقا
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعزّ أطاف به الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
للسالكين بكل فجّ موبقا
الموت في غشيانه وطروقه والموت كل الموت ألا يُطرقا
فتحيّنوا، فرص الحياة كثيرة وتعجلوها بالعزائم والرقي
أو فاخلقوها قادرين فلنما فرص الحياة خليفة أن تخلقا

الباب السابع

في المراثي

قال المهمل التغلي يرثي أخاه كليباً وهو جاهلي توفي سنة ٥٣١ م :

أهاج قذاء عيني الاذكار ؟ هُدوءاً فالدّموع لها انهار
وصار الليل مُستميلاً علينا كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقبُ الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مُقلتي في إثر قوم تبأنت البلاد بهم فغاروا
وأبكي والنجوم مُطلّعات كأن لم تحوها عني البحار
على من لو نُعيت وكان حياً لقاد الخيل يحجبها الغبار
دعوتك يا كليب فلم تجبني وكيف يجيبني البلدُ القفار ؟
أجبنني يا كليب خلاك ذمّ لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث إنك كنت غيثاً ويُسرأ حين يلتبس اليسار
أبت عينايا بعدك ان تكفا كان غضا القتاد لها شِفار
ولأنك كنت تحلم عن رجال وتمفؤ عنهم ولك اقتدار

وقمّنعُ أن يسهمُ لسان مخافة من يُجِير ولا يُجَار
وكنّت أعدّ قرّبي منك ربحاً إذا ما عدّت الريح التّجار
فلا تَبْهُدُ فكلّ سوف يلقى شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بني أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى كما قد يُسلبُ الشيء المعار
كأنّني إذ نعى الناعي كليلاً تطاير بين جنسيّ الشرار
فقدّرت وقد غشي بصري عليه كما دارت بِبشاربها العُثار
سألتُ الحَيَّ : أين دَفَنْتموه؟ فقالوا لي : بأقصى الحَي دار
فسرت إليه من بلدي حثيثاً وطار النوم وامتنع الفرار
وحادث ناقتي عن ظلّ قبر كوى فيه المكارمُ والفَخار
أنغدو يا كليب معي إذا ما جَبَّان القوم أنجاه الفرار؟
خذ العهد الأكيد عليّ عمري بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخالِع درّعي وسيفي إلى أن يخلع الليلَ النهار

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٥٠٠ هـ يرثى غريقاً :

أصفيحُ ماءٍ أم أديم سماء فيه تغور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك مُوقنا أن البدور تُغروبها في الماء
ولقد عجبت وقد هويت بلجةً فجري على رِسلٍ بغير حياء
لو لم يُشقْ لك العباب وطالما أشبهت موسى باليد البيضاء
أنفَ العلاء عليك من لمس الثرى وحُلُولُ باطن حُفْرة ظلماء
وأجلّ جسمك أن يغير لطفه عفن الثرى وتكاثف الأرجاء

فأحله جدناً طهوراً مُشبهها أخلاقه في رقة وصفاء
ما ذاك بيدعاً أن يضم صفأؤه نوراً يضمن به على الغبراء
فالبجرُ أولى في القياس من الثرى
يحوار تلك الدرّة الغبراء

وقال أيضاً يرثى الملك ناصر الدين عمر :

بكى عليك الحُسامُ والقلم وانفجع العلم فيك والعلمُ
وضجت الأرضُ فالعبادُ بها لاطيمة والبلاد تلتطم
تظهرُ أحزانتها على مملك جل ملوك الورى له خديم
أبلجُ، غضّ الشباب مقتبل العمر ، ولكن مجده هرم
محكمٌ في الورى وآمله يحكم في الورى ويحتكم
يجمعُ المجدُ والثناء له وماله في الوفود يُقتسم
قد سئمت جوده الأنام، ولا يلقاه من بذله الندى سأم
ما عرفت منه ولا ولا نعم، بل دونهنّ الآلاءُ والنعم
الواهبُ الألف وهو مبتسم، والقاتل الألف وهو مقتحم
مبتسمٌ والكُماة عابسة وعابسٌ والسيوفُ تبتسمُ
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه، ولا الأقربون ما عديموا
ما فقدُ فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقده أُمم
يطلب الجود قد قضي عمر، فكل جود وجوده عدم
فالناس كالعين إن نقدتهم تفاوتت عند نقدك القيم
مضى الذي كان للأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يتيموا
وحل داراً ضاقت بساكنها ودون أدنى دياره إرم

وقال أبو الحسن التهامي يرثي صغيراً له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو زمانه وحاسديه :

حُكِّمَ المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا يرى الإنسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار
طبع على كدر وأنت تريدُها صفواً من الأقدار والأكدار
ومكلف الأيام ضدَّ طباعها متطلبٌ في المساء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فلأنما تبني الرجاء على شفير هار
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظة والمرء بينها خيالٌ سار
فاقضوا ما رُبكم عجالاً إنما أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكموا خيل الشباب وبادروا أن تستردَّ فلأنهنَّ عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويفص إن هنأ ويهدم ما بُني ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خلُق الزمان عداوةُ الأحرار
إني وترتُ بصارم ذي رونقٍ أعدته لطلابة الأوتار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت مُنقادةٌ بأزمة المقدار
أثني عليه بآثره ولو أنه لم يفتبسط أثنتُ بالآثار
يا كوكباً ، ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسفار
وهلال أيامٍ مضى لم يستدر بدرأ ولم يمهل لوقت سرار
عجل الحسوفُ عليه قبل أوانه فمحاهُ قبل مظنة الإبدار
واستلَّ من أترابه ولداته كالمُقلَّة استلَّت من الأشفار
فكان قلبي قبره وكأنه في طيته سرٌّ من الأسرار
إن يُعتبَّط صغيراً فرُبَّ مقعَّم يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علوِّ محلها لتُرى صغاراً وهي غير صغار

ولدُ المعزّي بعضُهُ فإذا مضى بعضُ الفقى فالكل في الآثار
أبكيه ثم أقولُ معذراً له وفقت حين تركت الأمّ دارِ
جاورتُ أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري
ثوبُ الرّياء يشف عما تحته وإذا التّحفت به فإنك عار
قصرت جفوني أمّ تباعد بينها أم صوّرت عيني بلا أشفار
جفت الكرى حتى كان غيراره

عند اغتمّض العين وخز غرار
ولو استزارت رقدة لطحاها
أحسني الليالي التّسمّ وهي تميمتي
حق رأيت الصبح تهتك كفه
والصبح قد غمر النجوم كأنه
والهون في ظلّ الهويّنا كامين
تسدى أسيرة وجهه ويمينه
ويمد نحو المكرّمات أفاضلاً
يحوي المعالي كاسياً أو غالباً
قد لاح في ليل الشباب كواكب
وتلهّب الأحشاء شيب مفرقي
شاب القذال وكل غصن صائر
والشبه منجذب فلم يبيض الدمى
وتودّ لو جعلت سواد قلوبها
ولا تنفّر الطّيبات عنه فقد رأت

كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيثان ينفّشمان أول وهلة ظلّ الشباب ، وخلة الأشرار

لا حَبْنُ الشَّيْبِ الوَفَى وَحَبْنُ طَرِي من الدُّنْيَا الشَّبَابُ وَرَوَقَه
قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ نَزَادَ مَتَا كَلِمَا اَزْدَدْنَا غِنَى
مَا زَادَ فَوْقَ الزَّادِ خُلُفَ ضَائِعَا إِنِّي لِأَرْحَمُ حَاسِدِي لِحَسَرَةٍ مَا
نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ فِي فَتْيُوهُمْ لَا ذَنْبَ لِي قَدَرُمْتُ كَمْ فُضَائِلِي
وَسَتَرْتُهَا بِتَوَاضُعِي فَتَطْلَمَتْ وَمِنَ الرِّجَالِ مَعَالِمٌ وَمَجَاهِلٌ
وَالنَّاسِ مُشْتَبِهُونَ فِي إِبْرَادِهِمْ عَمْرِي لَقَدْ أَوْطَأَتْهُمْ طُرُقُ الْعَمَلِ
لَوْ أَبْصَرُوا بِقُلُوبِهِمْ لَأَسْتَبْصَرُوا هَلَّا سَعَوْا سَعَى الْكِرَامِ فَأَدْرَكُوا
وَلَرُبَّمَا اعْتَصَدَ الْحَلِيمُ بِجَاهِلٍ لَاحِبٌ الشَّيْبِ الْخَائِنُ الْقَدَّارُ
فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي عَنْدِي وَلَا آلاؤُهُ بِقِصَارِ
وَالْفَقْرِ كُلُّ الْفَقْرِ فِي الْإِكْثَارِ فِي حَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ أَوْ عَارِ
ضَمِنْتُ صُدُورَهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارِ
فَكَلَّمْنَا بِرَقَمَتْ وَجَهَ نَهَارِ أَعْنَاقُهَا تَعْلُو عَلَى الْأَسْتَارِ
وَمِنَ النَّجُومِ غَوَامِضٌ وَدَرَارِي وَتَفَاضُلُ الْأَقْوَامِ فِي الْإِصْدَارِ
فَعَمُوا فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى آثَارِي وَعَمَى الْبَصَائِرُ مِنْ عَمَى الْأَبْصَارِ
أَوْ سَكَنُوا مَوَاقِعَ الْأَقْصَادِ لَا خَيْرَ فِي يُمْنِي بِغَيْرِ يَسَارِ

وقال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ فَلَإِغْرَ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُؤْلُ مَنْ سَرَّهَ زَمَنٌ سَاءَ قَهْ أَرْزَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمِزُّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ إِذَا نَبَتْ مُشْرِفِيَّاتٌ وَخُرُصَانُ
وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنَ وَالْغَمْدُ عُغْمْدَانُ

أين الملوك ذَوُو التيجان من أين وأين منهم أكاليلٌ وتيجان ؟
 وأين ما شاده شدادُ في إرَمِ وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟
 وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عادٌ وشَدَّادٌ وقَحْطَان ؟
 أتى على الكُلِّ أمرٌ لا مَرَدَ له حتى قَضَوْا فكأنَّ القوم ما كانوا
 وصار ما كان من مُلُوكٍ ومن مَلِكٍ كما حكى عن خيال الطيِّفِ وسَنان
 دارَ الزَّمانِ على «داراء» وقَاتِلِهِ وأمَّ كِسْرَى فما آواه لِيَوَان
 كأنما الصَّغْبُ لم يَسْهَلْ له سبب يوماً ولا ملكَ الدُّنيا سَليمان
 فجائعُ الدهر أنوعٌ مُنَوَّعة وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزان
 وللحوادثِ سُلُوان يُسَهِّلُها وما لما حلَّ بالإسلام سُلُوان
 دهم الجزيرة أمرٌ لا عِزاءَ له هوى له أُحُدٌ وانْهَدَ ثَمَلات
 أصابها العين في الإسلام فارتأت حتى خَلَّتْ منه أقطارٌ وبُلدان
 فاسأل (بَلَدَنَسِيَّةً) ما شأن (مُرْسِيَّةً)
 وأين (شاطِئَةً) أم أين (جَبِيَّان)
 وأين (قُرْطُبَةً) دار العلوم فكَم من عالم قد سما فيها له شان ؟
 وأين (حِمْصٌ) وما تحويه من نُزَّه وتَهْرُها العَذْبُ فياضٌ ومَلَّان
 قواعدُ كُنْ أركان البلاد فما عسى البقاء إذالم تَبْتَقِ أركان
 تبكي الحَنيفِيَّةَ البِيضاءَ من أَسْفٍ كما بكى لفراق الإلفِ هِيان
 على ديار من الإسلام خالية قد أَقْفَرَتْ ولها بالكفر عُمران
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما فَمَهَنَ إلا نواقيسٌ وصلُوبان
 حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان
 يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سِنَةِ فالِدِّهْرُ يَقْظان
 وما شَيْئاً مَرِحاً يَلْمِيهِ موطنُهُ
 أَبْعَدَ حِمْصٍ تَغَرُّ المَرءَ أوطان ؟

تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقيبسان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران
وراعمين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
اعندكم نبأ من أهل اندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز لإنسان ؟
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان ؟
ألا نفوس أبثت لها همم أما على الخير أنصار وأعوان ؟
يا من لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
مثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا :

الحزن يثقل والتجمل يردع والدمع بينهما عصي طبع
يتنازعان دموع عين مسهد هذا يحيى بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شجاع فافر الليل مغي والكواكب طلعت
لاني لأجبن من فراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فاشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة ويلم بي عتب الصديق فأجزع
تصفوا الحياة لجاهل أر غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب الحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومته، ما يومته، ما المصرع ؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويذكر كها الفناء فتنبع

وقال عبد الحميد بن عبدون الفهري المتوفى سنة ٥١٠هـ راثياً ملوك بني الألفطس
من قصيدة طويلة ممتعة في التاريخ والأدب ، ومطلعها :

الدهر يفجعُ بعد العين بالآثر فما البكاءُ على الأشباح والصور
أنهاكَ أنهاكَ لا أنهاكَ واحدة عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسالمه

فالبيضُ والسمرُ مثلُ البيضِ والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دُنْيَاكَ نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر
فبالليالي وقاك الله عثرتها من الليالي وغالتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة مناجراح وإن زاغت عن البصر
نسر بالشيء لكن كي تغرّ به كالآيم ثار إلى الجاني من الزهر
كم دولة وُلّيت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسل دُنْيَاكَ عن خبر

وقال أبو ذؤيب يرثي أولاده :

أمن المنون وريبها تتوجعُ والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهمُ وإذا المنية أقبلت لا تدفعُ
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيمة لا تنفعُ
فالعين بعمد كأن جفونها كحلت بشوك فهي عورٌ تدمعُ
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنني للحوادث مروة نصف المشقر كل يوم تقرّع
لا بد من تلف مقيم فانتظر أبارض قومك أم بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع

ولياتين عليك يوماً مَرّةً يبكي عليك مغنفاً لا تسمع
فلئن بهم فَجَّعَ الزمان وريبه إني بأهلِ مودّتي لمفجّع
والنفس راغبة إذا رغبت بها وإذا تُردّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الأنباري ، المتوفى سنة ٢٣٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة لما قُتل وصلب^١ ، وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب ، وقيل فيه :

علوّ في الحياة وفي المماتِ لحقّ تلك إحدى المعجزاتِ
كان الناس حولك حين قاموا وفودُ نذاك أيام الصلاتِ
كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصلاةِ
مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدّهما إليهم بالهباتِ
ولما ضاق بطنُ الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الرفاةِ
أصاروا الجوقبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافياتِ
لمظميك في النفوس تببت ترعى بحرّاس وحفاظ ثبقاتِ
وتوقدُ حولك النيرانُ ليلاً كذلك كنت أيام الحياةِ
ركبت مطية من قبل زيدٍ علاهما في السنين الماضياتِ
وتلك قضية فيها تأسّ تباعدُ عنك تعبير العداةِ
ولم أرَ قبل جِذعك قط جِذعاً تمكّن من عناق المكرّماتِ
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيلُ نارِ النائباتِ

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه لليلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطارق وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد ابن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

و كنتَ تجيرُنا من صرفِ دهرٍ فعاد مُطالباً لك بالتّرات
وصيّرَ دهرُكَ الإحسانَ فيه إلينا من عظيمِ السيئات
و كنتَ لمُعشّرٍ سعيّداً فلمّا مضيتَ تفرّقوا بالمحسنات
عليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يخفّف بالدموع الجاريات
ولو أنّي قدّرتُ على قيامٍ بفرّضك والحقوق الواجبات
ملأتُ الأرض من نظمِ القوافي ونُحت بها خِلاف النائحات
ولكنني أصبّرُ عنك نفسي مخافة أن أُعسّد من الجنّات
ومالكٌ تُربةٌ فأقولُ تسقي لأنك نُصبَ هطلِ الهاطات
عليك تحيّة الرحمن تتّرى برحمتي غوايدِ رائحات

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

أراك هجرتني هجراً طويلاً وما عوّدتني من قبلُ ذاكا
عهدتكَ لا تُطبقِ الصبرَ عني وتعصي في ودادي من نهاكا
فكيف تغيرتُ تلكَ السجايا ومن هذا الذي عني ثناكا
فلا والله ما حاولتَ غدرأ فكلُّ الناس يغدرُ ما خلاكا
فيا مَنْ غاب عني وهو رُوحِي وكيف أطيع من رُوحِي انفكاكا
وما فارقتني طوعاً ولكن دهاك من المنية ما دهاكا
يَعزُّ عليّ حين أديرُ عيني أفتشُ في مكانِكَ لا أراكا
ختمتُ على ودادك في ضميري وليس يزالُ نحتوماً هناكا
فوا أسفي لجسمِكَ كيف يبلى ويذهبُ بعدَ بهجته سناكا
فيا قبرَ الحبيب ودِدَتُ أنّي حملتُ ولو على عيني ثراكا
ولا زال السلامُ عليك مني يُزَف على النسيم إلى ذراكا

وقالت السيدة 'تماضر' الخنساء الشاعرة المحضمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ - رائية أخاها صخرأ :

قَدَتِي بِعَيْنِيكَ أُمِّ بِالْعَيْنِ عُبُورُ
كَانَ عَيْنِي لَذْكَرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ
تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقٌّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا عِبْرُ
يَا صَخْرُ وَرَّادَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسِيدَنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ
لَمْ تَلْفِهِ جَارَةٌ يَمْشِي بِطَاحَتِهَا
مِثْلَ الرَّدِينِي لَمْ تَسْفُدْ شَبِيبَتَهُ
طَلَقَ الْيَدَيْنِ بِفَعْلِ الْخَيْرِ مَعْتَمِدُ
حِمَالِ أُلُويَةٍ ، هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ
أُمِّ أَقْفَرْتُ إِذْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
فِيضٌ يُسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ
إِذْ رَأَى الدَّهْرُ أَنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوُ لِنَحَّارُ
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَرَبِّةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ السَّبَرِ دُ أَسْوَارُ
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أُمَّارُ
شَهَادُ أُنْدِيَةٍ ، لِلْجَيْشِ جَرَّارُ

وقالت أعرابية ترثي ابنها :

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلْهِبًا
وَقَدْ أَضْرَمْتَ نَارُ الْمَصِيبَةِ شَعْلًا
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرِّكْبَ هَلْ يَخْبِرُونَنِي
فَلَا بَكَ فِيهِمْ نَخْبَرُ عَنْكَ صَادِقُ
فَيَا وَلَدِي مُذْغَبْتَ كَدَرْتُ عَيْشَتِي
وَفَكْرِي مَقُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبُ
وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بِلَاقِعِ
وَقَدْ حَرَقْتَ مِنِّي الشُّؤُونََ الْمَدَامُ

وقالت ليلي الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفقى إذا لم تُصبه في الحياة المعابر
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً بأخلدَ من غيبته المقابر
ومن كان مما يُحدث الدهر جازعاً فلا بد يوماً أن يُرى وهو صابر
وليس لذي عيش عن الموت مقصر وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحيّ مما يُحدث الدهر مُعتبٌ ولا الميت إن لم يصبر الحيّ فاشر
وكل شبابٍ أو جديد إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثي ابنتها :

إن سالَ من غرب العيون 'مُحورُ' فالدهر باغٍ والزمان غدورُ
فلكل عين حقٌ مدار الدما ولكل قلبٍ لوعةٌ وثبور
سُتر السنا وتحجبت شمسُ الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي أهوى وجرت عني الأسى وغدت بقلبي جذوةٌ وسَميرُ
يا ليتَه لَمَّا نوى عهد النوى وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماءٍ حشاشي نَارٌ لها بين الضلوع زفير
لو بُثَّ حزني في الورى لم يُلْتَفِت لمصاب قيس والمصاب كبير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى سَحراً وأكوابُ الدموع تدور
فتناولتُ منها ابنتي فتغيرت وجناتٌ خدتِ شأنها التغير
فدوّت أزاهيرُ الحياة بروضها وانقَدَتْ منها مائسٌ ونصير
لبست ثيابَ السقم في صغرو قد ذاقَت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحىً وبشر بالشفاء إنَّ الطبيب بطبّه مفرور
وصفَّ التجرع وهو يزعم أنه بالبُرءِ من كل السقام بشير

فنتنفستُ للحزن قائلة له عجل ببرثي حيث أنت خير
وارحم شبابي إن والدتي غدتُ ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حُرمت طيب الكرى
تشكو السهاد وفي الجفون فتور
لما رأيت يأس الطبيب وعجزه قالت ودمع المقلتين غزير
أماه قد كلَّ الطبيب وفاتني بما أوَّملُ في الحياة نصير
أماه قد عز اللقاء وفي غدٍ سترين نَعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقا بابنتي جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدي بإزاء لحدي برهة فترك روح راعها المقدور
أماه قد سلفت لنا أمنية يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضت وتخلفت مُذ بان يوم البين وهو عسير
عودي إلى ربيع خلا وما أثر قد خُلفت عني لها تأثير
صوفي جهاز العرس تذكاري أفلي قد كان منه إلى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتي لك بعدذا لبس السواد ونفث المسطور
والقبر صار لفصن قدي روضة ريحانها عند المزار زهور
أماه لا تنسي بحق بُنوتي قبري لثلا يحزن المقبور
فأجبتها والدمع يحبس منطقي والدهر من بعد الجوار يحور
بفتاه يا كبدي ولوعة سُهجتي قد زال صفو شأنه التكدير
لا توص ثكلى قد أذاب فؤادها حزن عليك وحسرة وزفير
أبكبك حتى نلتقي في جنة برياض خلد زيلتها الحور
إن قيل «عائشة» أقول لقد فنى عيشي وصبري - والإله خير

ولهي على « توحيدة » الحسن التي قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي راض وبالكِ شاكرُ وغفور
مُتعتِ بالرضوان في خلد الرضا ما ازبنتُ لك غرفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي المرحومة عائشة هانم تيمور :

ألا يا موتُ ويحكَ لم تُراعِ حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركتَ الكتبَ باكية بكاءَ يشيب الطفل في عهد الرضاع
ولم تهَبِ الفضائلَ والمعالى وطولَ السعي في خير المساعي
ولم يمنعك مما رُمْتَ نثرُ ولا شِعْرُ ولا حُسْنُ ابتداع
تراك تجودُ بالأرزاءِ حتى عددنا البخل من كرم الطباع
فدُبْ يا قلبُ لانتكُ في جمود وزِدْ يا دمعُ لا تكُ في امتناع
ولا تبخلِ عليّ وكن جوماً فكنز العلم أمسى في ضياع
سنبقى بعد (عائشة) حيارى كسربِ في الفلاة بغير راع
لقد فقيدتُ ولم تفقدِ علّاهي وهل شمسُ تغيبُ بلا شعاع
هي الدُّر المصون ببطنِ أرض وقد كانت كذلك في قناع
هي البحرُ الخضم وما سمعنا بأن البحر يُدفنُ في التلاع
وكانت المكارم خيرَ عون وللخيرات كانت خير داع
لها القدحُ المعلى في العوالي وفي نشر المعارف طول باع
فيا شمسَ المحامد غيبتِ عنّا وخلفتِ البكاءَ لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف وقد وتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر وجددتِ العُلا بعد انقطاع
وشدّتِ صُروح طُهرِ باذخاتٍ

'محضنة' كتّحسين القلاع

وقال المرحوم حفني بك راثياً لمرحوم عبدالله باشا فكري :

ليدع المدعون العلم والأدبا فقد تغيّب (عبدالله) واحتجبوا
وليذنب أدعياء الفضل كيف قضت آراءهم إذ قضي من يحفظ النسباً
وليفخر اليوم قومٌ بالبراع ، ولا خوف عليهم فمن يخشونه ذهبوا
وليرتق من شاء أعواد المنابر إذ مات الذي يتقيه كل من خطبها
لو عاش لم يطرّق الأسماع ذِكْرهم في طلعة الشمس من ذا يصرع الشهباء
فليس من شاء بالإنشاء لا عجب مضى الذي كان من آياته عجيباً

طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى

وكوكب بعد أن أبدى الهدى غرباً

أجل فقد مات (عبدالله) وأسفاً

وأوجشت مصر من (فكري) فواحرّبا

فكل نفس لعلياه شكت وبكت

وكل فكر (بفكري) ماج واضطربا

قضى الحياة ونصر الحق دينه لا ينثني رهبا عنه ولا رغباً

سارت جنازته والعلم في جزع والفضل يندبّه في ضمن من ندباً

وقال أحمد بك شوقي يرثي المرحوم مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٣٦هـ :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مآتم والداني

يا خادم الإسلام أجر مجاهد في الله ، من خلد ومن رضوان

الله يشهد أن موتك بالحجا والجد ، والإقدام ، والعرفان

إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا ، فأنت الباني

بالله فتش عن فؤادك في الثرى هل فيه آمال وفيه أمان ؟

وجدانك الحيّ المقيم على المدى ولربّ حي ميت الوجدان

الناس : جاري في الحياة لغاية ومضلل يجري بغير عيان

والخلد في الدنيا وليس بهين عليا المراتب لم تتح لجبان
فلوان رُسل الله قد جبنوا لما ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحب من طول الحياة بذلة قصر يربك تقاصر الأقران
دقات قلب المرء قائمة له : إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني
للمرء في الدنيا وجم شؤونها ما شاء من ربح ومن خسران
فهي القضاء لرأغب متطلع وهي المضيق لمؤثر السلوان
الناس غاد في الشقاء ورائح يشقى له الرحاء ، وهو الهاني
ومنعم لم يلق إلا لذّة في طيها شجن من الأشجان
فاصبر على نعم الحياة وبؤسها نعم الحياة وبؤسها سيّان
يا طاهر الغدوات والروحات والخطرات ، والإسرار والإعلان
هل قام قبلك في المدائن فاتحاً غازٍ بغير مُهندي وسنان
يدعو إلى العلم الشريف وعنده أن العلوم دعائم العمران
لفوك في علم البلاد مُنكساً جزع الهلال على فلق الفتيان
ما احمر من خجل ولا من رتبة لكنما يبكي بدمع قاني
يزجون نعشك في السناء وفي السنا

فكأنما في نعشك القمران
وكأنه نعش الحسين بكر بلا يخال بين بكى وبين حنان
في ذمة الله الكريم وبرّه ماض من عرف ومن إحسان
ومشى جلال الموت وهو حقيقة وجلالك المصدوق يلتقيان
شقت لمظرك الجيوب عقائل وبكتك بالدمع الهتون غواني
والخلق حولك خاشعون كهمهم

إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بأي قلب ترتقى بعد المنابر ، أم بأي لسان
فلو ان اوطانا تصور ميكللا دفنوك بين جوانح الأوطان
أو كان يحمل في الجوارح ميئت حملوك في الأسماع والأجفان
أو صيغ من غر الفضائل والعلى
كفن كلبست أحاسن الأكفان
أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرآن
يا صب مصر ويا شهيد غرامها هذا ثرى مصر ، فنسم بأمان
اخلع على مصر شبابك عاليا والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصر آمن شبابك ترتدي مجدا تتيه به على البلدان
فلو ان بالهزمين من عزماته بعض المضاء تحرك الهرمان
علمت شبان المدائن والقري كيف الحياة تكون في الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيداها قبر أبر على عظامك حاني
أقسمت أنك في التراب طهارة ملك يهاب سؤاله الملكان

وقال ابن هانئ الأندلسي يري ابراهيم بن جعفر بن علي :

وهب الدهر نفيسا فاسترد ربا جاد بخيل فحسد
خاب من يرجو زمانا دائما تعرف البأساء منه والنكد
فلقد أذكر من كان سها ولقد نبه من كان رقد
قل لمن شاء يقل ما شاءه إن خصمي في حياتي لألد
منتض نضلا إذا شاء مضى رائش سها إذا شاء قصد
مات من لو عاش في سرباله غلب النور عليه فاتقد
إنما كان شهابا ثاقبا صعد الليل له ثم خمد
لا رجاء في خلود كلنا وارد الماء الذي كان ورد

وقال شاعر النيل أحمد بك شوقي راثياً :

خَلَقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلُّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُولَدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ يَمِرَّ خِيَالَهُ بِالْكَائِنَاتِ
وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرِّوَاقِي كَنَعَشِ الْمَرْءِ بَيْنَ النَّائِحَاتِ
وَمَا سَلَّمَ الْوَلِيدُ مِنْ اشْتِغَاءِ فَهَلْ يَخْلُو الْمُعْتَمِرُ مِنْ أَذَا
هِيَ الدُّنْيَا قَتَالٌ نَحْنُ فِيهِ مَقَاصِدُ لِلْجَسَامِ وَلِلْقَنَاقِ
وَكُلُّ النَّاسِ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِ كَمَا دُفِعَ الْجَبَانُ إِلَى الثِّبَاتِ
'نَزَوَّعٌ مَا 'نَزَوَّعٌ' ثُمَّ نَرْمَى بِسَهْمٍ مِنْ يَسَدِ الْمَقْدُورِ آتِ

وقال المرحوم محمد بك حافظ إبراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضِيرَاتِ
عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى عَلَى الْحَسَنَاتِ
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادِيَّ الْمَوْتِ قَبْلَهُ فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فَوَاهِي الْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَ النَّظَرَاتِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي حَيَالُ الْقَبْرِ فِي عُرْفَاتِ
أَبْنَتُ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً وَفَرَّقَتْ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
وَوَفَّقَتْ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَبِي فَأُطْلِمْتُ نُوراً مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
وَقَفْتُ (لَهَانُوتُو، وَرِينَان) وَقِفَةً أَمْدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالْانْفِجَاتِ
وَخَفْتُ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ فَخَافَكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالنَّزَعَاتِ
وَأَرَصَدْتُ لِلْبَاغِي عَلَى دِينِ أَحْمَدَ شِبَاةَ يَرَاعُ سَاحِرَ النِّفَاطِ
مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عَجَباً بِرَبِّهِ وَيَخْطُرُ بَيْنَ الْمَسِّ وَالْقَبَلَاتِ
بَكَى الشَّرْقُ فَارْتَجَبَتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَةً وَضَاقَتْ عَيْنُونَ الْكَوْنِ بِالْعِبَرَاتِ

بكى عالمُ الإسلامِ عصره سراج الدِّياجي هادمَ الشبهاتِ
فيا وَيْحَ للشورى إذا جدَّ جِدها وطاشت بها الآراءُ مشتجراتِ
ويا وَيْحَ (للفُتُيا) إذا قِيلَ مَنْ لها ويا وَيْحَ للخيراتِ والصدقاتِ
بكيننا على فِسرَدٍ ، وإن بكاءنا على أنفُسِ اللهِ مُنْقَطَعاتِ
تَعَهَّدَها فضل الإمامِ وحاطها بإحسانه والدهرُ غيرَ مؤاتي

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، معزياً عن مَلِكٍ ،
ومهنئاً بملك :

هناهُمَ محاذُكَ العِزَّاءَ المَقْدَمَا فما عَبَسَ المَهِزُونَ حتَّى تَبَسَها
'ثُغُورُ ابتِسامٍ في ثُغُورِ مَدَامِ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهَا
تَدِيرُ بِجَارِي الدَّمْعِ والبُشْرِ واضِح كَوَابِلُ غَيْثٍ فِي ضَحَى الشَّمْسِ قَدَمِي
سَقَى الغَيْثَ عَنَّا تُرْبَةُ المَلِكِ الَّذِي عَهْدُنَا سَجَايَاهُ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مَسَا
وَدَامَتْ يَدُ النِّعَمِ عَلَى المَلِكِ الَّذِي تَدَانَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَزَّ بِهِ الحِمَى
مَلِيكَانِ : هَذَا قَدْ هَوَى لَضَرْيَحِهِ بِرَغْمِي ، وَهَذَا لِلْأَسِيرَةِ قَدْ سَمَا
وَدَوَّحَةٍ فَضْلُ شَاذَوِي تَكَافَأَتْ فَعُصْنُ ذَوَى مِنْهَا وَآخِرُ قَدْ نَمَا
كَأَنَّ دِيَارَ المَلِكِ غَابَ إِذَا انْقَضَى بِهِ ضَيِّغَمُ أَنْشَاءِ الدَّهْرِ ضَيِّغَمَا
فَإِنْ تَلَّكَ أَوْقَاتُ المُوَيْدِ قَدْ خَلَتْ فَقَدْ جَدَدَتْ عَلَيْكَ وَقْتَنَا وَمَوْسِمَا
هُوَ الغَيْثُ وَلَسَى بِالثَّنَاءِ مُشْبِعاً وَأَبْقَاكَ بَجْرًا بِأَوَاهِبِ مُفْعَمَا
إِذَا الغَيْثُ صَلَّسَى خَلْفَ جَدْوَاكَ رَاكِمَا

ثَنَتْ عَزَمَهُ الاعْتِرَافُ فَسَلَمَا
يُرَاعِكَ يَوْمَ السَّلْمِ يَنْهَلُ دِيمَةً وَسَيْفُكَ يَوْمَ الحَرْبِ يَنْهَلُ فِي الدِّمَامَا
فَعِيشُ اللُّوَرَى وَاسْمُ سَعِيدٍ مُهْنَتَا فَحِظْ اللُّوَرَى فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلَمَا
أَعَدْتَ زَمَانَ البِشْرِ والجُودِ وَالثَّنَا إِلَى أَنْ مَلَأْتَ العَيْنَ وَالكُفَّ رَاقِمَا



وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يرثي الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة ١٩٢٧ م^١ :

أبكي وعين الشرق تبكي معي	على الأريب الكاتب الألمي
جرى عصي الدمع من أجله	فزاد في الجود على الطبع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد اليراع المميز المبدع
ليس لمصر في رجالها	حظ ولا للشام في أروع
مصاب (صروف) مصاب النهى	فليبه كل فؤاد يعي
(صروف) لا تبعد فلسا الذي	يطويه طاوي ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكن	لم يسكت الآثار في المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة	في معهد العلم وفي المصنع



الباب الثامن في الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره	تروح له بالواعظات وتغتدي
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم	فميف ولا تطلب يجهد فتتكدي
عسى سائل ذو حاجة إن منعه	من اليوم سؤلاً أن يسرك في غد
ولا تقعدن عن سمي ما قد ورثته	وما اسطمت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله	وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نطق ولا تجر	وذا الذم فاذهمه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد في بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونسخ في العلوم والمعارف فنال الإجازات العالية سنة ١٨٧٠ م . ثم نزع إلى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأملن ودّ امرئ قل خيرَه ولا تكُ عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حملت الخوون أمانة فإنك قد أسندتها شرّ مسند
ولا تظهرن ودّ امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذهبن أو احمد
وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ :
يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا^١
إما تري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى^٢
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى^٣
فكان كالليل البهيم حل في أرجائه ضوء صباح فانجلى^٤
وغاض ماء شيرتي دهر رمي خواطر القلب بتبريح الجوى^٥
وآض روض اللو يابساً ذاوياً من بعد ما قد كان محتاج الثرى^٦
وضرم النأي المشت جذوة ما تأتلي تسفع أثناء الحشى^٧
واتخذ التسهيد عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيف الكرى^٨

- (١) الظبية: الأنثى من الغزلان والمها جمع مهاء، وهي الأنثى من البقر الوحشي.
الخزامى نبت معروف طيب الرائحة، النقا اسم موضع. (٢) إما أصلها إن ما فإن
شرطية وما زائدة، وتري أصلها ترين وتري فعل الشرط وجوابه فيما بعد، فكل
إلخ. حاكى أشبه طرة صبح يعني وجه صبح وطرة كل شيء حافته وجانبه (٣) اشتعل:
فشا وانتشر، جزل ما غلظ من الخطب، الغضى جمع غضاة وهي نوع من الشجري يبقى
جمره طويلاً (٤) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً، والبهيم هو الأسود الذي لا
خوء فيه، حل نزل، أرجائه: جمع رجا بالقصر الطرف فانجلى فأنكشف وظهر.
(٥) غاض نقص أو ذهب، الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح
البلوغ في المشقة إلى غايتها. (٦) آض رجع، يابساً يابساً، ذاوياً ذابلاً، محتاج من
قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه، الثرى بالقصر التراب النندي. (٧) ضرم أشعل
وأوقد، النأي البعد. المشت المفرق، جذوة هي الجرة العظيمة ما تأتلي ما تقصر،
تسفع تحرك وتهلك، أثناء الحشى يعني مارق من البطن وأراد به القلب والجوف.
(٨) التسهيد والسهاد: السهر وهو عدم النوم، مألفاً صاحباً. واناؤف هو الموضع
الذي تقع فيه الألفة أي الاجتماع والصحبة، جفا هجر، والأجفان أغطية السيون =
(٢٦ - جواهر الأدب ٢)

فكل ما لا قيتُه مُغتَفَرُ^١ في جنب ما أسأره شحط النوى^١
لو لا بس الصخر الأصم بعض ما يلقاه قلبي ففض أصلاد الصفا^٢
إذا ذوى الغصن الرطيب فاغلمن^٣ أن قصاره نفاذ وتوى^٣
شجيت لا بل أجرضتني غصة^٤ عنودها أقتل لي من الشجى^٤
إن يحم عن عيني البكا تجلدي فالقلب موقوف على سبل البكا^٥
لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظان لأصاني الردى^٦
منزلة ما خللتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حيجا^٧
ما خللت أن الدهر يثني على ضراء لا يرضى بها صب الكدى^٨
شم سحاب خلب بارقه وموقف بين ارتجاء ومنى^٩
أرمق العيش على برض فإن رمت ارتشافك رمت صعب المنسى^٩
أراجع لي الدهر حولا كاملا إلى الذي عود أن لا يرتجى^{١٠}
يا دهر إن لم تك عتبي فائتد^{١٠} فإن إروادك والعتبي سوى^{١٠}

= واحدا جفن ، الطيف ما يراه الإنسان من خيال المحبوب ، الكرى النوم
(١) مغتفر : متجاوز عنه ، سأره ابقاه شحط ابعده ، النوى البعاد (٢) لا بس
خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفراض التفرق وأصلاد جمع صلد
وهي الحجارة الصلبة الشديدة (٣) ذوى جف وذبل ، الرطيب الناعم الرطب
قصاره آخر أمره وغايته ، نفاذ فناء وذهاب ، وتوى بالتاء الهلاك (٤) شجيت :
حزنت او غصصت ، والغص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم اي اختنقت به
وأجرضتني خنقتني وغصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها .
(٥) إن حرف شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدي تصبري فالقلب الشرط
وسبل الطرق واحدا سبيل . (٦) الأحلام : جمع حلم وهو ما يراه الإنسان في
منامه وناجتني أخبرتني ، لأصاني لقتلني مكاني بلا تأخير ، الردى الهلاك .
(٧) المنزلة : الدرجة ، ما خللتها : ما حسبتها ، الحجا : العقل (٨) يثني يعطفني :
ضراء الصخرة الصماء ، الكدى بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور .
(٩) أرمق العيش أعطاني منه بقدر ما يسد رمقي ، برض العطاء القليل .
(١٠) العتبي : الرضى ، فائتد : ارفق ، والإرواد الرفق .

رفه علي طالما أنصبتني واستبق بعض ماء غصن ملتحي^١
 لا تحسبن يا دهر أني ضارع^٢ لنكبة تمرقني عرق المدي^٣
 مارست من لو هوت الأفلاك من جوانب الجو عليه ما شكا^٤
 لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحيها غما^٥
 رضيت قسراً وعلى القسر رضى من كان ذا سُخط على صرف القضاء^٦
 إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياء للبلى^٧
 ما كنت أدري والزمان مولع^٨ بشت ملموم وتنكيت قوى^٩
 أن القضاء قاذفي في هوة لا تستبل نفس من فيها هوى^{١٠}
 فإن عثرت بعدها إن وألت نفسي من هاة فقولا لا لما^{١١}
 وإن تكن مدتها موصولة بالحتف سلطت الأسي على الأسا^{١٢}
 إن امرء القيس جرى إلى مدي فاعتاقه حمامه دون المدي^{١٣}

(١) رفه : وسع أنصبتني اتعبتني، استبق ابق، ملتحي الذاهب لحاء أي قشره الظاهر (٢) ضارع ذليل خاشع ، لنكبة : المصيبة والشدة ، تمرقني تزيل لحمي عن عظمي ، المدي بالضم جمع مدية وهي السكين (٣) مارست بقاء الخطاب عالجت ، هوت سقطت ، الأفلاك جمع فلك وهي التي تجري فيها الشمس والقمر والنجوم ، جوانب الأطراف ، والجو الفضاء الذي بين السماء والأرض (٤) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التي قالها ، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق ، المصدور الذي يشتكي صدره ، جاش علاوار رفع اللغام الزبد (٥) القسر القهر ، السخط الغضب . (٦) الجديدين الليل والنهار ، استوليا غلبا وملكاً وأدنياء قرباه ، البلى للاخلاق (٧) ما كنت أعلم وجاء بالمعمول في البيت الذي بعده (٨) قاذفي رام بي والهوة الحفرة التي يتسع أسفلها ويضيق أعلاها ، لا تستقبل أي لا تبرأ ولا تفتيق ، هوى سقط (٩) عثرت زلت ، وقوله لا لما أي نجا وهو دعاء للعائر بعدم السلامة (١٠) ضمير مدتها عائد على النكبة ، الحتف الموت ، الأسي بضم الهمزة جمع أسوة وهي التعزية (١١) امرؤ القيس معلوم انه كان هو طريد أبيه لقوله الشعر وخلاصة قصته ان بني اسد قتل اباه وكان ملكاً عليهم فبعد عناء توجه الى قيصر ملك الروم واستنجد به على قتلة أبيه فوعده وكان قد تمسك ابنة قيصر فحضر احداً من =

وخامرت^١ نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قدحوى^١
 وإن^٢ الأشج القيل ساقته نفسه إلى الردى حذار^٢ إشمات^٢ العبدى^٢
 واخترم^٣ الوضاح من دون التي أمثلها^٣ سيف^٣ الحمام^٣ المنتضى^٣
 فقد سما قبلي^٤ يزيد^٤ طالباً شأ^٤ العلأ^٤ فما^٤ وهى^٤ ولاونى^٤
 فاعترضت^٥ دون الذي رام وقد جد به^٥ الجيد^٥ اللهم^٥ الأربى^٥
 هل أنا بدع^٦ من عراني^٦ علا جار^٦ عليهم صرف^٦ دهر واعتدى^٦
 فإن^٧ أنا لثني^٧ المقادير الذي أكيد^٧ لم آل^٧ في رأب^٧ الثأى^٧
 وقد سما^٨ عمرو^٨ إلى أوتار^٨ه فاحتط^٨ منها^٨ كل^٨ عالي^٨ المستمى^٨

= بني اسد وأخير قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره ان يقتله او يخذله بعد ما وعدده فأرسل معه عسكرياً أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات، المدى الغاية، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه، وحامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت، ابو الجبر من ملوك كنده خلاصة قصته انه تألب قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من اساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمروض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذي نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته انه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب الى «ريثقل» ملك الترك فبذل الحجاج الى ريثقل مالاً فسلمه الى اعوان الحجاج وكان في الطريق مقيداً معه رجل من بني تميم على سطح برج فرمى بنفسه من اعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه الى الحجاج (٣) اخترم اي اهلك واقتطع (٤) سما علا . ويزيد هو ابن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بني أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدنست بنو أمية رجلاً من بني كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، الشأ والغاية ، العلا الشرف ، قم وهى ضعف ولاونى ولا فتر (٥) فاعترضت عارضت رام طلب ، جد بالفتح أسرع الجد بالكسر العزم : اللهم بالتصغير والأربى اسمان من اسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٦) بدع الذي يكون اول مخترع من كل امر ؛ عراني الأشراف واحدهما عرني وهو الانف (٧) أنا لثني اعطيتني ، والمقادير جمع مقدار وهو القدر ، أكيد اطلبه واحتمل عليه ، لم آل لم أقصر ، رأب أصلح ، الثأى الفاسد (٨) سماعلا واوتار جمع وتر وهو طلب الدم ، فاحتط فأنزل والمستمى المكان العالي المرتفع .

فاستنزل الزباء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى مُنتمى^١
وسيفٌ استعلت به ممته حتى رمى أبعد شأو المرتقى^٢
فجرّع الأحبوش سما نافعاً واحتل من غمدان محراب الدّمي
ثم ابن هندٍ باشرت نيرانه يوم أورات تميمًا بالصلا^٣
ما اعتن لي يأس يُناجي همي إلا تحداه رجاء فاكنمى :
أليه بالعمولات يرتقي بها النّجاء بين أجواز الفلا^٤
خصوص كاشاح الحنايا ضمير يرتغن بالأمشاج من جذب الهري^٥

(١) الزباء: اسم امرأة، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذي بين السماء والأرض. منتمى، موضع مرتفع إليه وخلاصة قصة الزباء وعمران الزباء لما قتلت جذية الأبرش قعد عمرو ابن أخته. مكانه وكان قصير وزيره كما كان لحاله وكان وقت قتل خاله نجاة على فرس تسمى العصي فطلب قصير أن يجده له عمرو انقه واذنيه دهاء منه لأخذ ثار خاله فرحل قصير إلى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح في جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء إلى نفق لها لتهرب منه فرأت عمرًا على باب النفق فقصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت: «بيدي لا بيد عمرو» وماتت مكانها فاستولى على ملكها. (٢) سيف يعني به سيف بن ذي يزن ملك اليمن، استعلت علت والشأو الغاية، المرتقى موضع المرمى وهو الذي يقال له الغرض والهدف والقرطاس، فجرع فسقى، الجرع القليل من الماء، والأحبوش ملك الحبش، ونافعاً بالغا، واحتل نزل بالمكان، غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا بصنعاء. (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له أخ مسترصب من بني تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بني تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً منهم إلى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة إذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى في النار تمام المائة، وبشرت خالطت يوم أورات يوم معروف من أيام العرب أورات اسم موضع، تيميا قبيلة، الصلا بالفتح وهج النار، ما اعتن ما اعتنر تحداه اعتمده وقصده فاكنمى استتر وتغطى (٥) ألية قسماً باليعملات جمع يعملة هي الناقة الصلبة الشديدة، النجاء السرعة، أجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهي الصحراء (٦) خوص الإبل الفائرة العميون من الهزال: والأشباح الأشخاص جمع شبح، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمير جمع ضامر =

يرسبن في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا^١
 أخفافهن من حقا ومن وجى مرثومة تخضب مبيض الحصا^٢
 يحلن كل شاحب محقوقف من طول اتد آب الغدو والسرى^٣
 بار برى طول الطوى جئانه فهو كقدح النبع محي القرا^٤
 بنوي التي فضلها رب العلى لما دحا تربتها على البنى^٥
 حتى إذ قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى^٦
 ثمت طاف وانثنى مستلما ثمت جاء المروتين فسمى^٧
 وأوجب الحج وثنى 'عمرة' من بعد ما عج ولبى ودعا^٨
 ثمت راح في الملبين إلى حيث تحجى المأزمان ومينى^٩

= وهو المهزول ، ويرعفن يسلن مأخوذ من الرعاب وهو سيلان الدم من الأنف
 والأمشاج الأخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق
 والبرى جمع برة وهي الحلقة التي تكون في انف البعير . (١) يرسبن يغبن والرسوب
 الخوض في الماء والمغيب فيه ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة ويطفون يعلون ،
 والآل سحاب كلما يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل
 بمنزلة الحوافر للخيول وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الإبل من كثرة المشي ؛
 وجى في الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة ؛ وتخضب تصبغ
 (٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره ، ومحقوقف معوج وتدآب مداومة
 والسرى سير الليل (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبیر للشاحب وبرى من برى
 القلم وهو إضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجئانه جسمه وقدح عود صلب تعمل
 منه السهام والنبع شجر يعمل منه القسي واحدا نبعة ومحى معوج ، والقرا الظهر
 (٦) بنوي يقصد والتي فضلها رب العلى يعني مكة ، ودحا بسط والبنى جمع بنية
 وهو الشيء ابني (٦) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبارة وهي الدمعة . ٧ ثمت
 هي ثم ريدت عليها ثاء التأنيث وانثنى انعطف ، ومستلما لمس الحجر الأسود بيده
 او بفمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسمى فسمى . (٨) أوجب الحج ألزمه
 نفسه وثنى عمرة ألزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية
 (٩) راح خرج بالرواح وهو الخروج بالعشي ، والملبين جمع ملب وهو المجيب
 بالتلبية تحجى أقام .

ثم أتى التعريف يقرؤ نخباً مواقفاً بين ألال فالنقا^١
 واستأنف السبعَ وسبعاً بعدها والسعي ما بين العقاب والصوى^٢
 وراح للتوديع فيمن راح قد أحرز أجراً وقل هجر اللغا^٣
 بذاك أم بالخليل تعدو المرطى ناشزة أكتادها قب الكلى^٤
 شعناً تعادى كسراحين الغضا ميل الحماليق يبارين الشبا^٥
 يحملن كل شمري باسل شهم الجنان خائض غمر الوغى^٦
 يغشى صلا الحرب مجديه إذا كان لظى الحرب كربه المصطفى^٧
 لو مثل الحنف له قرناً لما صدته عنه هيبة ولا انثنى^٨
 ولو حمى المقدار عنه مهجة لرامها أو يستبيح ما حمى^٩
 تغدو المنايا طائعات أمره ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى^{١٠}

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو: يتتبع
 المواضع نخباً متواضعاً لله تعالى، ألال موضع بعرفات، النقا الرمل. (٢) استأنف
 ابتداء السبع رمي الجمار السبع وسبعاً أراد الثانية التي تلي الأولى، والسعي المشي
 والعقاب جمع عقبة. (٣) وراح للتوديع: لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج
 بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة، أحرز أجراً ملكه وأصابه، وقل
 أبغض، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام، واللغا الباطل من الكلام. (٤) أقسم
 بذاك أم بالخليل، تعدو تجري: المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه، وناشزة
 مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض أي مرتفع، وأكتادها جمع كتد
 وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف وقب ضامرة. (٥) شعناً مغبرين يعني
 مقربين من الله تعالى، تعادى أصله تتعادى تسابق، سراحين ذئاب الواحد سرحان
 الغضا شجر غليظ يدوم جمرة، ميل الحماليق مائلة العيون يبارين، يعارضن، الشبا
 جمع شبة: وشبة كل شيء حده. (٦) يحملن أي الخليل شمري مأخوذ من التشمير،
 باسل شجاع، شهم الجنان حديد القلب، خائض داخل غمر الماء الكثير، الوغى الحرب
 (٧) يغشى يدخل، صلا حر النار كلظى. (٨) مثل صور، الحنف الهلاك، وقرنك
 الذي يقارنك في بطش أو قتال أو علم (٩) حمى منع، المقدار المقدار، المهجة النفس،
 لرامها لطلبها وأو بمعنى حتى، ويستبيح: يدرك ذلك الشيء نافذاً أمره فيه وهو
 منصوب بأن مضمره بعد أو. (١٠) تغدو تأتي بالغدوة وورد تعدو أي تسرع.

بل قسماً بالشّم من يعرّب هل لمقسم من بعد هذا منتهى^١
 هم الألى أجروا ينابيع الندى هامية لمن عرا أو اعتقى^٢
 هم الذين دوّخوا من انتخى وقوّموا من صعر ومن صفا^٣
 هم الذين جرّعوا فيما حلوا أفاوق الضيم بمراة الحسا^٤
 أزال حشوا نثرة موضونة حتى أوارى بين أثناء الحشى^٥
 وصاحي: صارم في منتهى مثل مدب النمل يعلو في الربى^٦
 أبيض كالملح إذا انتضيت له لم يلق شيئاً حده إلا فرى^٧
 كان بين عيره وغربه مفتاداً تأكلت فيه الجذى^٨
 يري المنون حين تقفو إثره في ظلم الأكباد سبلاً لا ترى^٩
 ومشرف الأقطار خاطٍ نحضه حابى القصيرى جرّشع عرد النسى^{١٠}

(١) قسماً يميناً بالشّم الطوال أو أشرف الناس، يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان، لمقسم لحالف منتهى الغاية. (٢) ينابيع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة، عرا قصد وتعرض للطلب، أو اعتقى أو طلب من غير تعرض (٣) دوّخوا أذلوا، انتخى تكبر، صعر تكبر أيضاً وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر والصفا الميل (٤) جرّعوا سقوا ما حلوا خاصموا، أفاوق هو شرب مقطوع بنفس بعد نفس: الضيم الذل بمراة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا. حشوا ما أدخل في جوفه فكأنه صار حشواً إذا لبسها، نثرة درع واسعة موضونة بحكمة الذبح، أوارى أغطي وأثناء جمع ثنا وهو ما تثنى، نها أي تراكب على بعض، الحشى جمع حشوة وهو الثوب المجتمع. (٦) صاحي يعني سيفه وفرسه، مدب النمل ودبيبه مشيه. (٧) أنضيته جردته من غمده، وفرى قطع. (٨) العير هنا الموضع النائي في وسط السيف، الغرب الحد يعني حد السيف، مفتاداً موضع النار أكل بعضها بعضاً والجذى جمع جذوة وهي الجمرة العظيمة (٩) المنون المنية وتقفو تتبع، سبلاً طرقاً (١٠) مشرف مرتفع عال، والأقطار النواحي، خاط غليظ؛ والنحض اللحم، مرتفع، القصير ضلع في الجنب وهي الضلع السفلى جرّشع غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود في الخيل وعرد الشديد من كل شيء، النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهي إلى الرسغ.

قريبُ ما بين القطاةِ والمطا بعيدُ ما بين القذال والصَّلا^١
 سامي التليل في دَسِيعٍ مفعَمٍ رَحِب اللبان في أَمِيناتِ العُجى^٢
 رُكْبَنَ في حواشٍ مَكْتَنَّةٍ إلى نسور مثل ملفوظ النوى^٣
 يرضخ بالبَّيْد الحصى فإن رَقى إلى الربى أَوْرى بها نارَ الحبأ^٤
 يُديرُ إغليطين في مَلُومَة إلى لَمُوحَيْن بِالْحَاظِ اللَّأى^٥
 مُدَاخِلُ الحلقِ رَحِيبُ شَجَرِه مَخْلُوتُ الصهوة ممسودٌ وأي^٦
 يجري فتكبو الريحُ في غَايَاتِه حَسْرَى تلوذ بجراثيم السحأ^٧
 لو اعتسفت الأرض فوق مَتْنِه يحويبُها ما خفت أن يشكو الوجى^٨
 تظنه وهو يُرى محتجباً عن العيون إن دأى أو إن ردى^٩
 إذا اجتهدتَ نظراً في إثرِه قلت سناً أو مضاً أو برقاً خفاً^{١٠}

(١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله: سمي بذلك لأنه يعطى أي يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره أي حيث ينمقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعذار هو اللجام، الصلا العجز وهو آخر الوركين. (٢) سامي هو العالي المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مفرز العنق ودسيع في الظهر ومفعم ممتلئ والرحب: الواسع، اللبان الصدر وأمينات القويات الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عجاية، وهي عصب مركب به شيء كفص الخاتم. (٣) ركبن يعني العجى، حواشٍ جمع حوشب، وهو عظم في باطن الحافر. مَكْتَنَّةٌ مستورة أو مَكْتَنَزَةٌ. (٤) ضخ يكسر، البید جمع بيداء وهي القفار، رقى: ارتفع الرى جمع ربوة وأورى أوقدها الحبأ دابة تضيء بالليل اسمها الحبأحب فرخم لضرورة الشعر. (٥) الإغليط وعله ثمر المرخ شبه أذني الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلا الرطب تشبه آذان الخيل، ومملومة هي الهامة المجتمعة. (٦) مداخل الحلق، بمجموعه، شجر هو مجتمع اللحيين (٧) فتكبو فتعثر، غاية هي منتهى جريه، حَسْرَى منكشفة، تلوذ تلجأ، جراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر، والسحأ ضرب من الشجر. (٨) اعتسفت الأرض قطعنها باعتساف منك أي على غير هدى، متنه ظهره، يحويبها يقطعها ويحرقها الوجى أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ. (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأياً وردى يردى ردياً إذا جرى جرياً سريعاً (١٠) سنا الضوء وأومض أضاء أي لمع.

كأنما الجوزاءُ في أرساغِه
 مما عتدي الكافيان فقد من
 فإن سمعتَ برحى منصوبة
 وإن رأيتَ نارَ حرب تلتظي
 خيرُ النفوس السائلات جهرة
 إن العراق لم أفارق أهله
 ولا أطبسى عيني مذ فارقتهم
 هم الشناخيبُ المنيفاتُ الذرا
 هم البحور زاخِرٌ آذيتها
 إن كنت أبصرت لهم من بعدهم
 حاشا الأميرين اللذين أوفدا
 هما اللذان أثبتا لي أملا
 والنجم في جبهته إذا بدا^١
 أعددتُه فليتنا عني من نأى^٢
 للحرب فاعلم أني قطبُ الرحى^٣
 فاعلم بأني مُسعرُ ذاك اللظى^٤
 على ظباتِ المرهفات والقنا^٥
 عن شأنِ صدئي ولا قلى^٦
 شيء يروق العين من هذا الورى^٧
 والناس أذحالُ سواهم وهوى^٨
 والناس ضحضاح ثعاب وأضى^٩
 مثلاً فأغضيت على وخز السفا^{١٠}
 عليّ ظلاً من نعم قد ضفا^{١١}
 قد وقف اليأسُ به على شفا^{١٢}

(١) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان، وأرساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة، والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيلة، وبدا ظهر . (٢) العتاد ما يتخذ عدة للدهر، فليتنا فليبعد من نأى إذا بعد (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تماركوا، قطب : الحديد أو الخشبة التي تدور عليها . (٤) تلتظى تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب . (٥) جهرة عياناً، وظبابة جمع ظبة كثبة : حد السيد والمرهفات السيوف الرقاق (٦) العراق قطرمعروف على شاطئ، دجلة والفرات وشأن بغض وصدني منفي وصرفني والقلى البفض . (٧) أطبى استمال، ويروق يعجب . (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنفيات المرتفعات الطوال وهي الشواهد والذرا جمع ذروة وهي أعالي الجبال، وأذحال جمع دحل وهي الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيّق أعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل (٩) زاخِر الماء الكثير الفائض والآذي الموج وضحضاح الماء القليل . (١٠) أغضيت صبرت على المكره وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . (١١) أوفدا : أرسلوا، وضفا كثر، من قولهم : ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال (١٢) شفا الشيء طرفه وحرقه .

تلافيا العيش الذي رتقه صرف الزمان فاستساغ وصفا^١
 وأجريا ماء الحيا لي رعداً فاهتز غصني بعد ما كان ذوى^٢
 هما اللذان سموا بناظري من بعد إغضائي على لذع القذى^٣
 هما اللذان عمرا لي جانباً من الرجاء كان قدماً قد عفا^٤
 وقلداني منة لو قرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفى^٥
 بالعشر من معشارها وكان كالبحسوة في آذي^٦ بحر قد طمى^٧
 إن ابن ميكال الأمير انتائني من بند ما قد كنت كالشيء اللقا^٨
 ومذ ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرع والباع الوزى^٩
 ذاك الذي ما زال يسمو للعلا بفعله حتى علا فوق العلا^{١٠}
 لو كان يرقى احد يحوده ويجده إلى السماء لارتقى^{١١}
 ما إن أتى بحر نداه معتف على أوارى علم إلا ارتوى^{١٢}
 نفسي الفداء لأميري ومن تحت السماء لأميري الفدا
 لا زال شكري لها مواصلا لفظي أو يعناقني صرف المنى^{١٣}

(١) تلافيا تداركا، رتقه كدره والمرنق الماء الكدر، صرف الزمان ثقليه من حال إلى حال واستساغ سلس في الحلق وطاب (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب، ورعدا السعة في العيش فاهتز غصني وطال وأصل الهز التحريك، ذوى ذبل .
 (٣) سموا بناظري رفعا ناظري والباء للتعدي إغضائي تغافلي . لذع حرق، القذى ما يقع في العين (٤) قدماً قديماً عفا درس (٥) وقلداني منة : اي جعلها في عنقي وهو موضع القلادة، منة . نعمة وجمعها منن وقرنت قيسست . ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم (٦) الحبسوة الجرعة مما يشرب . الآذي الموج وطمى امتلأ وارتفع (٧) ابن ميكال هو عبدالله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من أمراء فارس وانتائني نعشني واللقا الشيء المطروح . (٨) صنبعى عضدي : وأبو العباس هو اسماعيل بن عبدالله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحد والباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم . والوزى القصير . (٩) يسمو يرتفع (١٠) يرقى يرتفع . (١١) الندى الكرم معتف طالب للرفد أو ارى حرارة الشمس والنار . وعلم جبل صغير، ارتوى اكتفى من الماء وغيره (١٢) أو يعناقني : او يصرفني . وأو بمعنى حتى والصرف التقلب .

إن الألى فارقتُ من غير قلى ما زاغ قلبي عنهم وما هفا^١
 لكن لي عزماً إذا امتطيته لمبهم الخطب فآه^٢ فانفأى^٣
 ولو أشاء ضم قطريه الصبا عليّ في ظل نعم وغنى^٤
 ولا عبتني غادة^٥ وهنانة^٦ تضني وفي ترشافها برء الضنى^٧
 تفري بسيف لحظها إن نظرت^٨ نظرة غضبي منك أثناء الحشا^٩
 في خدنها روض^{١٠} من الورد على النسرين بالألحاظ منها يجتنى^{١١}
 لو ناجت الأعصم لآنحط لها طوع القياد في شماريخ الذرا^{١٢}
 أو صابت القانت في مخلوق مستصعب المسلك وعر المرتقى^{١٣}
 ألهاه عن تسبيحه ودينه تأيسها حتى تراه قد صبا^{١٤}
 كأنما الصباء مقطوب بها ماء جنى ورد إذا الليل عسا^{١٥}
 يمتاحه راشف^{١٦} برد ريقها بين بياض الظلم منها واللى^{١٧}
 سقى العقيق فالخزير فالملأ إلى النحيت فلقريئات الدنا^{١٨}

(١) من غير قلى من غير بغض، ما زاغ ما مال، ولا هفا ولا زال (٢) عزمها
 عقد أعلى فعل أمر، المبهم من الأمور المغلق، وآه شقه (٣) ضم قطريه جمع ناحيته
 نعم ما امتد عليه منه والنعم ضد البؤس وهو طيب العيش وسعته (٤) لا عبتني من
 اللعب ومعناه ما زحتني عادة الفتاة الناعمة وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة
 الحديث وقضني تسقم والصنى الهزال من المرض والترشبات المص في الثغر أو فوقه،
 برء الضنى ذهاب السقم أي هي تضنى وفي تقبيلها البرء من السقم (٥) تفري تقطع،
 اللحظ النظر، غضبي مغاضبة. أثناء الحشى ما انثنى منها أي ما انعطف والحشا
 الكبد وما اقصل بها ٦. النسرين التور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة،
 يجتنى يقتطف (٧) ناجت كلمت، الأعصم الوعل الذي في إحدى يديه بياض وربما
 كان البياض فيها وسائر يديه أسوداً أو أحمر، لآنحط لنزل، القياد التذلل (٨) صابت
 صادفت والقانت القائم بالمباداة ومخلوق الجبل الأملس ومستصعب صعب والوعر
 الصعب والمرتقى المصعد (٩) ألهاه شغله، تأيسها أنسها وحديثها؛ صبا مال ولها
 (١٠) الصباء الحمرة ومقطب ممزوج، ماء جنى ورد أو ما أخذ من الورد طرياً،
 عسا الليل أظلم (١١) يمتاحه يستقيه، راشف استناول الشراب بشفتيه اللى سمرة.
 الشفتين (١٢) العقيق والخزير والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها.

فالمربد الأعلى الذي تلتقي به مصارع الأسد بالحظ المسها^١
 عمل كل مقوم سميت به مآثر الآباء في فروع العللا^٢
 من الألى جواهرهم إذا اعتزوا من جوهر منه النسيب المصطفى^٣
 صلى عليه الله ما جن الدجى وما جرت في فلك شمس الضحى^٤
 حوّن أغارته الجنوب جانباً منها وواصت صوبه يد الصبا^٥
 نأى يمانياً فلما انتشرت أحضانها وامنت كسراه غطا^٦
 فجعل الأفق فكل جانب منها كأن من قطر المزن حبا^٧
 وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث في هاتا ثوى^٨
 إذا خبت بروقه عننت لها ربح الصبا تشب منها ما خسا^٩
 وإن كنت رعوته حدا بها راعي الجنوب فحدث كما حدا^{١٠}

(١) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحظ المسها أي قتلهم لحظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاة وألحظ نظرات (٢) مقوم السيد الكريم وأصله فعل الإبل ومآثره جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شيء أعلاه (٣) من الألى من الذين وجوهرهم أصلهم وإذا اعتزوا إذا انتسبوا والمصطفى المختار محمد ﷺ (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة (٥) جون فاعل سقى المقدمة وهي هنا السحاب الأسود وتأتي للأبيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلية تجيء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦) نأى يمانياً أي طلع من ناحية اليمن وأصل الحضن ما دون الإبط إلى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طنب العجا وإنما كني بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها وغطا ارتفع أو انبسط (٧) فجعل فغطى والأفق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا متلاوذا يريد السحاب (٨) طبق الأرض، فكل بقعة فكل مكان وفي هاتا أي هنا وثوى أقام (٩) خبت بروقه أي خمدت وسكنت وعننت عرضت وتشب توقد (١٠) وإن وفنت ضعفت وفترت، وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الإبل بالفناء .

كَانَ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكَهِ بَرٌّ كَاتِدَاعِي بَيْنَ سَجَرِهِ وَوَحْيٍ^١
 لَمْ يَرَ كَالْمَزْنِ سَوَامًا هَيَّالًا تَحْسَبُهَا مَرْعِيَّةٌ وَهِيَ بَيْدِي^٢
 تَقُولُ لِلْأَجْرَزِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوَاقِهِ ثِقِي بَرِّي وَحْيًا^٣
 فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابِ سِنْبًا عَحْسَبًا وَطَبَّقَ الْبَطْنَانِ بِالْمَاءِ وَالرَّوْيِ^٤
 كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِيبَ صَوْبِهِ بِحَرٍّ طَلَمَا تَيَّسَرُهُ ثُمَّ سَجَا^٥
 ذَاكَ الْجَدَا لَا زَالَ لَخْنُصُوصًا بِهِ قَوْمٌ هُمْ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجِيدًا^٦
 لَسْتُ إِذَا مَا يَهْطَلْتَنِي غُمْرَةً مِمَّنْ يَقُولُ (بَلِّغَ السَّيْلَ الزُّبْيِ)^٧
 وَإِنْ ثَوَّتْ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةً تَمَلُّ مَا بَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا^٨
 نَهْنَهْتُهَا مَكْظُومَةً حَقَّ يُرَى غَخْضُوضًا مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَفَا^٩
 وَلَا أَقُولُ إِنَّ عَرَّتَنِي نَكْبَةً قَوْلُ الْقَنُوطِ انْقَدَّ فِي الْبَطْنِ السَّلَا^{١٠}

(١) كَانَ فِي أَحْضَانِهِ فِي نَوَاحِي هَذَا الْإِفْقِ فَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْإِفْقِ أَوْ عَلَى السَّحَابِ وَهُوَ أَحْسَنُ، وَالْبَرَكُ الْأَوَّلُ الصَّدْرُ وَالثَّانِي الْإِبِلُ (٢) الْمَزْنُ السَّحَابُ وَسَوَامًا بَلَا رَاعِيَةً وَبِهَلَا هِيَ الَّتِي لَمْ تَحْلُبْ فَتَرَكْتَ ضَرْعَهَا مَلَأَى مِنْ أَلْبَانِهَا لِفَصَائِلِهَا .
 وَسَدَى الْمَهْمَلَةُ الَّتِي لَا رَاعِي لَهَا (٣) الْأَجْرَازُ جَمْعُ جَرَزٍ وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَمْ يَصْبِهَا الْمَطَرُ وَاسْتَوْثَقَتْ حَمَلَتْ مَا يَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ وَثَقِيَ بَرِّي أَيِ بَشْبَعٍ مِنَ الْمَاءِ وَحْيًا خَصْبٍ (٤) الْأَحْدَابُ جَمْعُ حَدَبٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَغَلِظَ وَسَيَّيَا غَطَاءٌ ، مُحْسَبًا كَافِيًا وَطَبَّقَ غَطَى وَالْبَطْنَانُ جَمْعُ بَطْنٍ وَهُوَ الْفَسَامُضُ مِنَ الْأَرْضِ وَالرَّوْيُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ (٥) الْبَيْدَاءُ الْفَقْرُ وَغَبَ صَوْبُهُ عَقِبَ مَطَرِهِ وَانْتَصَبَ غَبٌ عَلَى الظَّرْفِ وَالصُّوبُ تَزُولُ الْمَطَرُ (٦) الْجَدَا الْأَوَّلُ النَّائِلُ وَالْعَطَاءُ وَالَّذِي فِي آخِرِ الْبَيْتِ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْجَدَاءَ بِالْمَدِّ وَهُوَ الْعَنَاءُ ثُمَّ قَصَرَهُ لِحُضْرَةِ الشَّعْرِ وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ (٧) يَهْطَلْتَنِي شَقْتُ عَلَيَّ وَغُمْرَةٌ هِيَ الْكَرْبَةُ وَالشَّدَّةُ وَاحِدَةُ الْغُمَرَاتِ وَالزُّبْيُ جَمْعُ زُبْيَةٍ وَهِيَ حَفْرَةٌ تَحْفَرُ لِلْأَسَدِ فِي الْمَكَانِ الْعَالِيِ مِنَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ يَبْلُغُهَا إِلَّا سَيْلٌ عَظِيمٌ وَهُوَ مِثْلُ تَضْرِبِهِ الْعَرَبُ إِذَا اشْتَدَّ أَحْدَهُمُ الْأَمْرُ (٨) ثَوَّتْ أَقَامَتْ زَفْرَةً هِيَ تَرْجِيْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ وَالرَّجَاءِ الْجَانِبِ (٩) نَهْنَهْتُهَا كَفَفْتُهَا وَزَجَرْتُهَا مَكْظُومَةٌ مَتَجَرِّعَةٌ وَغَخْضُوضًا مَتَذَلَّلًا وَطَفَا كَثُرًا وَتَكَبَّرَ (١٠) عَرَّتَنِي أَصَابَتَنِي ، نَكْبَةٌ مَصِيبَةٌ الْقَنُوطُ الْيَأْسُ انْقَدَّ انْقَطَعَ وَالسَّلَا يَفْتَحُ السَّيْنُ الْمَشِيمَةُ الَّتِي تَتَمَلَّقُ بِالْوَلَدِ وَتَسْقُطُ مَعَهُ .

قد مارست مني الخطوبُ مارساً 'يساور' الهولَ إذا الهولُ علا^١
 ليَ التواءُ إنْ مُعاديَ التوى وليَ استواءُ إنْ مُواليَ استوى^٢
 طعمي شريٌّ للعدوِّ نارة والراح والاريُّ لمن ودّي ابتغى^٣
 لدنٌ إذا لويئتُ سهلٌ معطفي ألوي إذا خُوشنتُ مرهوب الشدا^٤
 وصونٌ عريض المرء أن يبذل ما ضنَّ به ممّا حواه وانتضى^٥
 والحمدُ خيرٌ ما اتخذتُ عدّةً وأنفسُ الاذخار من بعد التقى^٦
 وكلُّ قرنٍ ناجمٍ في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا^٧
 والناس كالنبت فمنهم رائقٌ غصٌ نضيرٌ عوده مرّ الجنى^٨
 ومنه ما تقتحمُ العين فإت ذقت جناه أنساغَ عذباً في اللها^٩
 يُقومُ الشارخ من زيفانه فيستوي ما انعاجَ منه وانحنى^{١٠}
 والشيخ إن قوّته من زيفه لم يُقمِ التثقيف منه ما التوى^{١١}
 كذلك الغصنُ يسيرٌ عطفه لدناً شديداً غمزه إذا عسا^{١٢}
 من ظلم النابِ تحاموا ظلمه وعزّ عنهم جانباه واحتفى^{١٣}

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الامور ، مارساً شديداً ، يساور الهول ويطاوله والحول الشدة :علا ارتفع (٢) التواء انعواج ، معادي العدو ، الموالي الصديق الذي يوالي ، استوى اعتدل (٣) شري حنظل والأري العسل الابيض ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لويئت أخذت باللين (٥) انتضى اختار (٦) عدة عدة والمعجب والغصن الطري الاخضر الناعم وكذلك النضير (٩) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه إلى غيره وجناه ما اجتني منه وانساغ سهل بلعه وعذباً حلواً واللها جمع لهاة وهي اللحم المعلقة بأصل الحنك (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله (١١) من زيفه من ميله . لم يقم أي يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج (١٢) لدناً ليناً والغصن التقويم عسا صلب . (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم امتنع والعزة الشدة احتفى امتنع .

عبيدُ ذي المال وإن لم يَطمعوا من غمره في جُرعة تشفي الصدى^١
 وهم لمن أملت أعداءُ وإنت^٢ شاركهم فيما أفساد وحوى^٣
 عاججتُ أيامي وما الغيرُ كمن تآزر الدّهر عليه واعتدى^٤
 لا يرفع اللبُّ بلا جدٍ ولا يحطُّك الجهلُ إذا الجدُ علا^٥
 مَنْ لم يعظه الدّهرُ لم يَنفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا^٦
 مَنْ لم تُفده عِبراً أيامُهِ كان العمى أولى به من الهدى^٧
 مَنْ قاس ما لم يره بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى^٨
 مَنْ ملّك الحرصُ القياد لم يزل يكرعُ من ماء الدّل صرى^٩
 مَنْ عارض الاطباع باليأس رنت^{١٠} إليه عين العز من حيث رنا^{١١}
 مَنْ عطف النفس على مكروها كان الغنى قرينه حيث انتوى^{١٢}
 مَنْ لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطا^{١٣}
 مَنْ ضيّع الحزم جبي لنفسه ندامة الذّاع من سفع الذّكا^{١٤}
 مَنْ ناط بالعبجُب عرى أخلاقه نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرى^{١٥}
 مَنْ طال فوق مُنتهى بسطته أعجزه نيلُ الدنى بِلَه القُصا^{١٦}

(١) الغمر الماء الكثير الحرعة القليل من الماء تشفى تبرأ ، والصدى العطش
 (٢) أملت افتقر (٣) عاججت أيامي أي امتحنتها واختبرتها الغر الذي لم يحرب
 الأمور وتآزر من الإزار (٤) لا يرفع اللب من الرفعة أي لا تعملو منزلته واللب
 العقل وجمعه ألباب . والجد بالفتح الحظ والبخت (٥) راح أتى بالعشي . غدا
 أتى بالغدو (٦) من لم تفده أي تكسبه عبراً جمع عبرة وهي التذكرة (٧) من
 قاس من مثل ، وأراه ما يدنو أي ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القياد الطاعة
 يكرع أي يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذي قد طال مكثه
 جمع صراة (٩) الاطباع جمع طمع ، واليأس انقطاع الرجاء ورننت نظرت .
 (١٠) عطف أمال ورد ، وقرينه صاحبه ، وحيث انتوى أي حيث نوى من النية
 بمعنى القصد . وقيل من النوى وهو البعد (١١) تقاصرت قصرت ، وفسیحات
 واسعات والخطا جمع خطوة (١٢) الحزم الاحتراس بالأفعال ، ندامة حسرة ؛ الذّاع
 أشد حرقه ، سفع إحراق ، الذكا التهاك النار (١٣) ناط علق وألصق ، نيطت علقت
 والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع ، البسطة الفضيلة ، أعجزه أضعفه .

والناس ألف منهم كواحد والناس ألف منهم كواحد
وللفق من ماله ما قد مت وللفق من ماله ما قد مت
وإنما المرء حديث بعده وإنما المرء حديث بعده
إني حلبت الدهر شطريه فقد إني حلبت الدهر شطريه فقد
وفر عن تجربة نابي فقل وفر عن تجربة نابي فقل
واللوم للحر مقيم رادع واللوم للحر مقيم رادع
وآفة العقل الهوى فمن علا وآفة العقل الهوى فمن علا
كم من أخ مسخوطة أخلاقه كم من أخ مسخوطة أخلاقه
إذا بلوت السيف محموداً فلا إذا بلوت السيف محموداً فلا
والطيرف يجتاز المدى وربما والطيرف يجتاز المدى وربما
من لك بالمهذب الندب الذي من لك بالمهذب الندب الذي
إذا تصفحت أمور الناس لم إذا تصفحت أمور الناس لم
عول على الصبر الجميل فإنه عول على الصبر الجميل فإنه
وعطف النفس على سبل الأسي وعطف النفس على سبل الأسي

- (١) عنى : قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ .
(٤) حلبت الدهر جريته وشطريه نصفيه وأراد بشطريه أول زمانه وآخره
أونعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجرب نابي أي كشف عن أمره وهذا مأخوذ من قولهم
فر عن الدابة إذا فتح فاهها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها، البازل من الأبل
الذي أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب : أذلها (٦) اللوم بالفتح من الملامة
وهي العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف (٧) آفة العقل مضرته ومفسدته والهوى
الشهوة (٨) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا ، أخلاقه طبائعه أصفيته الود
أخلصت له الود (٩) بلوت اختبرت ، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئاً .
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يجوز ، لمعدها لجريه وعثار مصدر
عثر يعثر عثراً (١١) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل الخفيف في الحاجة .
(١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد ، اكتفى أجتزأ به .
(١٣) عول على الصبر أي ارجع اليه واعتمد عليه (١٤) الأسي : التصبرة .
(٢٧ جواهر الأدب - ٢)

والدهر يَكْبُو بالفق وتارة^١ ينهض^٢ من عشرة إذا كبا^٣
لا تعجب^٤ من هالك كيف هوى بل فاعجب^٥ من سالم كيف نجا
إن نجوم^٦ المجد أمست أفتلا وظله القالص^٧ أضحى قد أزي^٨
إلا بقايا من أناس بهم^٩ إلى سبيل المكر^{١٠} مات يقتدى^{١١}
إذا الأحاديث انتضت^{١٢} أنباءهم كانت كنشر الروض غاداه السدى^{١٣}
لا يسمع السامع في مجلسهم هُجراً إذا جالسهم ولا خنا^{١٤}
ما أنعم العيشة لو أن الفق يقبل^{١٥} منه الموت أسناء الرشا^{١٦}
أو لو تحلى بالشباب عمره لم يستلبه^{١٧} الشيب هاتيك الحلى^{١٨}
والليل ملق بالمواي بركة والعيس^{١٩} ينبئن أفاحيص القطا^{٢٠}
بحيث لا تهدي لسمع نبأه إلا نشيم^{٢١} اليوم أو صوت^{٢٢} الصدى^{٢٣}
شايعتهم على السرى حتى إذا مالت^{٢٤} أداة الرجل بالجلس^{٢٥} الدوى^{٢٦}
قلت^{٢٧} لهم : ان الهوينا غيبها وهن^{٢٨} فجد واتحمدوا غيب^{٢٩} السرى^{٣٠}
وموَحش^{٣١} الأقطار طام^{٣٢} ماؤه مدعثر^{٣٣} الأعضاء مهزوم^{٣٤} الجبا^{٣٥}

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات، القالص المرتفع وفرس قالس طويل القوائم
أزى قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) انتضت أظهرت من أضأ الشيء إذا
ظهر : الأنباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجراً بضم الهاء القبيح من
القول وكذا الخنا أيضاً . (٦) العيشة الحياة ، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها .
(٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيينه لم يستلبه لم يجرده الحلى جمع حلية (٨) المواي جمع موماة
وهي القفر ، البرك الصدر ، العيس الأبيض من الأبل ينبئن يخرجن : أفاحيص القطا
أو كارهها وواحدها فحوص (٩) نبأ الصوت الخفي ونشيم اليوم صوته واليوم الهام ،
الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتهم تابعتم على رأيهم في سير الليل ، أداة الرجل حوائج
الرجل ، الجبس الرجل الثقيل الجبان ، الدوى الأحق (١١) وهن ضعف فجدوا
فاجتهدوا (١٢) موَحش الأقطار يعني به بشراً أو حوضاً الموَحش ضد المونس
والأقطار النواحي وطام مرتفع ، مدعثر مهزوم الأعضاء ما حوالبه من صفائح
الحجارة التي تمعضه ، والجبا بفتح الجيم ما حول البشر أو الحوض .

كأنما الريشُ على أرجائه زرقُ نصالٍ أرهفت لثمتي^١
 وردته والذنبُ يعوي حوله مُستكٌ سم السمع من طول الطوى^٢
 ومنتجٍ أم أبيه أمه لم يتخون جسمه مس الضوى^٣
 أفرشته بنت أخيه فانشئت عن ولد يورى به ويشتوى^٤
 ومرقبٍ مخلوق أرجاؤه مستصعب الملك وعمر المرتقى^٥
 والشخصُ في الآل يرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا يرى^٦
 أوفيت الشمس تقي ريقها والظل من تحت الحذاء محتذى^٧
 وطارق يؤنس الذنب إذا تضور الذنب عشاءً وانضوى^٨
 أوى الى ناري وهي مألَف يدعو العفاة ضوؤها الى القرى^٩
 لله ما طيف خيال زائر تزفته للقلب أحلام الرؤى^{١٠}
 يحوب أجواز الفلا محترراً هو لدجى الليل إذا الليل انبرى^{١١}

- (١) أرجاؤه نواحيه زرق نصال بيض نصال، أرهفت رفقت، تمتي تسقي الماء
 (٢) وردته يعني وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء في قوله طام ماؤه .
 (٣) ومنتج يريد رب وغصن منتج أي مولود، أم أبيه أمه، يريد غصناً قطع
 من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على
 الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنها منها فصارت أماً لأبيه وأماً له .
 (٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصناً آخر (٥) مرقب الموضع العالي الذي
 ينظر منه الى بعد ومخلوق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من
 بعد، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أي اليه وتمج تلقى ، وريقها
 لعابها، ولعاب الشمس إنما يكون في وقت الظهيرة (٨) وطارق الذي يجي بالليل
 وتضور صاح من الجوع . (٩) أوى الى ناري أي انضم الى ناري ومألَف الموضع
 الذي يجتمع فيه الأحباب والعفاة طلاب المعروف . (١٠) لله ما طيف ، اللام في
 هذا بمعنى التمتع وما زائدة ، والطيف ما يراه النائم في صورة محبوبة ، خيال
 الشخص الذي يتخيل لك، وتزفه تحمله (١١) يحوب يقطع أجواز أوساط والفلا
 جمع فلاة وهي القفر من الأرض ، والدجى : الظلمة وانبرى اعترض .

سائله إن أفصح عن أنبائه أنى تسدى الليل أم أنى اهتدى؟^١
أو كان يدري قبلها ما فارس^٢ وما مواميسها القفار^٣ والقرى^٤
وسائلي بمزعجي في وطني ما ضاق بي جنبه ولا نبا^٥
قلت: القضاء مالك أمر الفق من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وزر^٦ ومزدرى
لا غرو إن لح زمان^٧ جائر فاعترق العظم المنخ^٨ وانتقى^٩
فقد ترى الناحل مخضرا^{١٠} وقد تلقى أخا الاقتار يوما قد نما^{١١}
يا هؤلئيا هل نشدتن لنا ناقة البرقع عن عيني طلا^{١٢}
مسا أنصفت أم الصبيين التي أصبت^{١٣} أخا العلم ولما يصطبى^{١٤}
استحي بيضا بين أفوادك أن يقتادك البيض اقتياد المهتدى^{١٥}
هيهات ما أسفع^{١٦} (هاتا) زلة^{١٧} أطربا بعد المشيب والجلال^{١٨}
يا رب ليل جمعت قطريه لي بنت^{١٩} ثمانين عروسا تجتلي^{٢٠}

(١) سائله يعني الخيال. وعن أنبائه يعني عن أخباره وإن أفصح أي وإن أبان
وأنى كيف تسدى قطع الليل بالسير، وأم أنى أي من أين (٢) أو كان يدري قبلها
يريد قبل هذه الذروة، وما فارس يريد بلاد فارس، والموامي واحدها مومة وهي
الارض المقفرة (٣) بمزعجي بمزيلي ومخرجي والياء بمعنى عن فكأنه قال وسائلي
عن مزعجي الجنب بفتح الجيم الناحية (٤) لا غرو لا عجب، لح عرض فاعترق
العظم أي ازال عنه اللحم، المنخ الذي فيه المنخ، انتقى استخرج منه النق وهو المنخ
(٥) القاحل اليابس، أخا الاقتار المقل من المال نما زاد واستغنى (٦) يا هؤلئيا
هؤلاء ونشدتن طلبتن ناقة البرقع أي المتقنع به (٧) ما أنصفت أم الصبيين هذا
تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل في بؤبؤ العين
أصبت أخا العلم أي رددته إلى الصبا (٨) استحي فعل أمر من الاستحياء بمعنى
الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود والفودان جانب الرأس أي ناحيته من
يمين وشمال، والبيض الثمانية النساء المهتدى الأسير (٩) هيهات كلمة تبعيد وهما
إشارة للمؤنث، وزلة خطيئة وسقطة، الجلا بفتح الجيم الخسار الشعر عن مقدم
الرأس (١٠) جمعت قطريه أي جانبيه أول الليل وآخرة بنت ثمانين هنا الخمر
وإنما سماها بنت ثمانين لانه من شرها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلي من جلوت
العروس وهو إظهارها.

لم يملك الماء عليها أمرها ولم يدنسها الضرام المحتضى^١
حيناً هي الداء ، وأحياناً بها من دائها إذا هيج^٢ يشتفى
قد صانها الخمار لما اختارها ضنا بها على سواها واحتبى^٣
فهي ترى من طول عهد إن بدت في كأسها لأعين الناس كلا عى^٤
كان قرن الشمس في ذرورها بفعلها في الصحن والكاس اقتدى^٥
نازعتها أرواح لا تسطو على نديمه شربه إذا انتشى^٦
كان نور الروض نظم لفظه مرتجلاً أو منشداً أو إن شدا^٧
من كل ما نال الفتى قد نلتها والمرء يبقى بعده حسن الثنا^٨
فإن أعش صاحبته دهرى عالما بما انطوى من صرفه وما انتشى
وإن أمت فقد تنامت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى^٩

وقال المثقب العبدى الحكيم الجاهلي من قصيدة :

لا تقولن إذا ما لم ترد أن تتم الوعد في شيء « نعم »
حسن قول « نعم » من بعد « لا » وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
إن « لا » بعد « نعم » فاحشة فبلا قابلاً إذا خفت الندم
وإذا قلت « نعم » فاصبر لها بنجاز الوعد إن الخلف ذم

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حديثها وسورتها ولم يغيرها والضرام الخطب الدقيق يوقد به الخطب الغليظ والمحتضى العود تحرك به النار. (٢) صانها حفظها، ضنا بخلا، اختبى ستر (٣) كلا عى يعني أنه يعمى من نظر إليها فكيف من شربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ، والكاس القدح إذا كان فيه خمر ، اقتدى اتبع أثره (٥) نازعتها ناولتها ، أرواح الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم الصاحب ، الشرة الحدة ، انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض مرتجلاً الذي يأتي بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ، وشدا غنى ومنه الشادي (٧) الثنا هنا الثناء وهو في الأصل علم للخير والشر (٨) تنامت لذتي بلغت النهاية.

أكرم الجار وراعِ حقه إن عِرفانَ الفَقِّ الحَقِّ كرم
لا تراني راتعاً من مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم
إن مَرَّ الناس من يمدحني حين يلقاني وإن غبتُ شتم
وكلامٍ سيئٍ قد وقرت عنه أذناي وما بي من صمم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الحنأ أبقي وإن كان ظلم

وقال الأفوه الأزدي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها :

البيت لا يبني إلا على عمدٍ ولا عمّاد إذا لم تُرس أوتادُ
فإن تجمّع أوتادُ وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلحُ الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّأ لهم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقّساد
إذا تولى سراة الناس أمرهم فما على ذلك أمرُ القوم فازدادوا

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أما والله إن الظلم شؤمٌ ولا زال المسيءُ هو الظلومُ
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ
ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند المليك - من المعلوم؟
ستنقطع اللذاذة عن أناس من الدنيا وتنقطعُ الهوم
لأمر ما تصرمت الليالي لأمر ما تحركت النجوم
سل الأيتام عن أمم تقضتْ ستنبئك المعالم والرسومُ
ترومُ الخلد في دار الدنايا فكم قد رام غيرك ما ترومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا تلبه الغنية يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفتنى فما شيءٌ من الدنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين من الشهوات في لجج تعوم

وقال :

عليك ببر الوالدين كليهما ولا تصحب إلا تقياً مهنذباً وقارن إذا قارنت حراً مؤدباً وكف الأذى واحفظ لسانك واتق ونافس ببذل المال في طلب العلى وكن واثقاً بالله في كل حادث وبالله فاستعصم ، ولا ترج غيرَه وعض عن المكروه طرفك واجتنب ولا تب في الدنيا بناء مؤمل

وبر ذوى القربى وبر الأباعد عفيفاً ذكياً منجزاً للمواعد فتي من بني الأحرار زين المشاهد فديتك في رد الخليل المساعد بهمة محمود الخلائق ماجد يصنك مدى الأيام من شر حاسد ولاتك في النعماء عنه يجاهد أذى الجار واستمسك بحبل المحامد خلوداً فما حي عليها بخالد

وقال ايضاً :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً واهتم للسفر القريب فإنه واجعل تزودك الخافة والتقى واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى واحذر مصاحبة اللئام فإنهم أهل المودة ما أنزلتهم الرضا لاتفش سرأما استطعت إلى امرى فكما تراه بسر غيرك صانعاً لا تبد أن بمنطق في مجلس خالصت يحسن كل ظن بالفتى ودع المزاح فرُب لفظة مازح وخفاظ جار لا تضعه فإنه

فلقد تفارقها وأنت مودع أنأى من السفر البعيد وأشنع فلعل حتفك في مسائلك أسرع والفقر مقرون بمن لا يقنع منعوك صفو ودا دم وتصنعوا وإذا منعت قسمهم لك منع يفشي إليك سرائر استودع فكذا بسر لا بحالة يصنع قبل السؤال فإن ذلك يشنع ولعله خرق سقيه أرقع جلبت إليك بلا بلا لا تدفع لا يبلغ الشرف الجسم مضيع

وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة فأقلته ، إن ثواب ذلك أوسع
وإذا اتتمنت على السرائر فاخفها واستر عيوب أخيك حين تطلع
وأطع أباك بكل ما أوصى به إن المطيع أباه لا يتضعضع
وقال :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعيش سالماً والقول فيك جميل
ولا تُرين الناس إلا تجملاً نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قلّ ماله ويفنى غني المال وهو ذليل
ولا خير في ودّ امرئ مُتلون إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

وقال عبدالله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٥٨٠ هـ :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التّوى فشاور ليبيًا ولا تعصه
وإن فاصح منك يومًا دنا فلا تتأ عنه ولا تقصه
وذا الحق لا تنتقص حقه فإن القطيعة في نقصه
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثًا إذا أنت لم تحسه
ونص الحديث إلى أهل فإن الأمانة في نصه
وكم من فتي عازب لبه وقد تعجب العين من شخصه
وأمّر تحسبه أنوكا ويأتيك بالأمر من فسه

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي المتوفى سنة ٦٥ هـ :

حسدوا الفقى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وترى اللبيب 'محسناً' لم يحترم
وكذلك من عظمته عليه نعمة
فاترك 'مجاراة السفية' فإنها
فإذا جرىت مع السفية كما جرى
وإذا عتبت على السفية و'لمتة'
يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء الذي السقام وذي الضنى

كما 'يصح' به وأنت سقيم
وأراك 'تصلح' بالرشاد عقولنا
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
أبدأ بنفسك فإنها عن غيرها
فإنك 'يقبل' ما وعظت ويقتدى
بالعلم منك ، وينفع التعليم

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأمه الخندساء الشاعرة :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
ويعجبك الطير فتبتليه
فما عظم الرجال لهم بفخر
بغاث الطير أكثرها قراخا
ضعاف الطير أطولها جسوما
لقد عظم البعير بغير 'لب'
'يصرّفه' الصبي بكل وجه
فإن أك في شرارك قليلا
وفي أثوابه أسد مزير
فيخلف ظنك الرجل الطير
ولكن فخرهم كرم وخير
وأما الصقر مقلّة زور
ولم تطل البزاة ولا الصقور
فلم يستغن بالعظم البعير
ويحبسه على الحسف الجير
فباني في خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضي الله تبارك وتعالى عنه :

دع الأيامَ تفعل ما تشاءُ وطبُ نفساً إذا حُكِمَ القضاءُ
ولا تجزع لحادثه الليالي فما لحواث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلدأ وشيمتك السباحة والسخاء
يُغطى بالسباحة كل عيبٍ وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حُزن يدومُ ولا سرور ولا عُسرٌ عليك ولا رخاء
ولا تُري الأعادي قطُ ذلاً فإن شماتةَ الأعدا بلاء
ولا تترج السباحة من بخيل فما في النار للظمان ماءُ
ورزقك ليس ينقصه الثاني وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلبٍ قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرضٌ تقيمه ولا سماء
وأرضُ الله واسعة ولكن إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ يوصي أبنائه :

ابني، إني قد كبرتُ ورابي بصري، وفي لمنظرٍ مُستمتعٍ
أوصيكم بتقى الإله فإنه يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببرٍ والدكم وطاعة أمره إن الأبر من البنين الأطوعُ
إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يده بأمره، ما يصنع
ودعوا الضغائن، لا تكن من شأنكم

إن الضغائن للقرابة توضع
يزجي عقاربته ليعث بينكم حرباً كما بعث المروق الأخدع
إن الذين تروهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا
وإذا مضيت إلى سبيلي فابعثوا رجلاً له قلبٌ حديد أصم

الباب الثامن في الحكم - قيس بن الخطيم - صالح بن عبد القدوس ٤٢٧

إن الحوادث تخرمن وإنما عمر الفقى في أهله مُستَوْدَعُ
يسمى ويجمعُ جاهداً مستهتراً جداً ، وليس بآكل ما يجمع

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ م من قصيدة :

وما بعضُ الإقامة في ديار يهانُ بها الفقى إلا بلاء
وبعضُ خلائق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطى مناهُ ويأبى الله إلا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعدَ شدتها رخاء
ولا يعطى الحريصُ غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى وفقرُ النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزُر بصاحبه السخاء
وبعضُ الداء ملتصق شفاء وداء النوك ليس له شفاء

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ :

المرء يجمعُ والزمانُ يفرقُ ويظل يرقعُ والخطوب تمزقُ
ولأن يعادي عاقلاً خير له من أن يكونَ له صديق أحق
فارباً بنفسك أن تصادقَ أحقاً إن الصديق على "صديق مُصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي عقول ذوي القول انطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم من يستشارُ إذا استشير فيطرقُ
حق يحلُ بكل واد قلبه فيرى ويعرفُ ما يقول فينطقُ
ما الناس إلا عاملان فعاملٌ قد مات من عطش وآخرُ يفرق
والناس في طلب المعاش وإنما بالجهد يرزق منهم من يرزق

لو يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عَقُولِهِمْ أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مِنْ ثَرَى يَتَصَدَّقُ
لَكِنَّهُ فَضَّلَ الْمَلِيكَ عَلَيْهِمْ هَذَا عَلَيْهِ مُوسِعٌ وَمُضِيقٌ

وقال أيضاً :

صَرَمْتُ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ
وَالدَّهْرُ فِيهِ تَصَرَّمٌ وَتَقَلَّبُ
وَكَذَلِكَ وَصَلُ الْغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ آلُ بِلَقَعَةٍ وَبَرَقُ خُلَّتَبُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقْدَ عَدَاكَ زَمَانُهُ وَاجْتَهَدَ فَعُمُرُكَ مَرُّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
دَعَاكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصَّبَا وَادْكُرْ ذُنُوبَكَ وَابْكُهَا يَا مُذْنِبُ
وَاحْشَى مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ يَحْصِي مَا أَحْنَيْتَ وَيُكْتَبُ
وَاللَّيْلُ ، فَاعْلَمْ ، وَالنَّهَارُ كَلَامُهَُا أَنْفَاسُنَا فِيهِ تُعَدُّ وَتَحْسَبُ
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكُ حِينَ كَسَيْتَهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ ، وَأَنْتَ لَا تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أَوْدَعَتْهَا سَرَدَتْهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَّبُ
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَّاعٌ يَذْهَبُ
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
تُبْنَى لِدَارِهِ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرُ الْخَوَّونَ لِأَنَّهُ مَا زَالَ قَدِيمًا لِلرَّجَالِ يُهْذَبُ
وَكَذَلِكَ الْأَيَّامُ فِي غَصَاتِهَا مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَاةً فَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُسَرُّ بِالترْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحَرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِي الرِّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيسُ وَيَتَعَبُ
كَمْ عَاجَزَ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْتَسُ وَيُخَيَّبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفُزْ إِنْ التَّقْيُ هُوَ الْبَهِي الْأَهْيَبُ

واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع لربه لمقرب
أذ الأمانة، والحيانة فاجتنب واعدل ولا تنظلم يطيب المكسب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دُعَاءَهُ لا يُحْجِب
وإذا أصابك في زَمَانِكَ شِدَّةٌ وَأَصَابَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهُ الْأَصْعَبُ
فادع لربك إنه أدنى لمن يدعوهُ من حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
واحذر مؤاخاة الدني لأنهُ يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
واختر صديقك واصنطفيه تفاخراً إن القَرينَ إلى المقارنِ يُنسب
ودع الكذوبَ ولا يكنْ لك صاحباً

إن الكذوبَ لبئسَ خِلاً يصحب
وذو الحسود وإن تقادم عهده فالحقد باق في الصدور مقيب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطى
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارةً في كلِّ نادٍ تحطّب
والسرَّ فاكتمه ولا تنطق به فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعد التنافر يصعب
إن القلوب إذا تنافر ودها شبه الزجاج كسرها لا يشعب
واحذر عدوك إذ تراه باسماء فالليث يبدو فابه إذ يغضب
لا خير في ود امرئ مستملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرّب
وإذا رأيت الرزق ضاق ببِلْدَةٍ وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فأرحل فأرض الله واسعة الفضا

طولاً وعرضاً شرقاً وغرباً

وقال أبو الفتح البُسقي المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ :

زيادة المرء في دنياه نقصانٌ وربحه غير محضٍ الخير خسرانٌ
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
يا خادماً الجسم كم تسعى لخدمته أطلب الربح مما فيه خسران ؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وكن على الدهر معوناً لذي أملٍ يرجو نداك فإن الحرَّ معون
واشد يدك بجبلٍ الله معتماً فإنه الركن إن خانتك أركان
من يتق الله يُحمد في عواقبه ويكفه شرَّ من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلبٍ فإن ناصره عجززٌ وخذلان
من كان للخير مَناعاً فليس له على الحقيقة خلان وأخذان
من جادَ بالمال جاد الناس قاطبةً إليه ، والمال للانسان فتان
مَنْ سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين حذلان
مَنْ يزرع الشرَّ يحصد في عواقبه ندامة ، ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأثرار نام وفي ردائه منهم صلٌ وثعبان
كن ريق البشر إن الحرَّ ممتة صحيفةٌ وعليها البشرُ عنوان
ورافق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذمه إنسان
ولا يفرتك حظ جرَّه خرَّق فالخُرْق هدمٌ ورفقُ المرء بنيان
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالرَّوض يزدان بالأزوار فاغمه والحر بالعدل والإحسان يزدان
صنَّ حر وجهك لا تهتك غلالته فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظلّ للمرء يعرى من نهى وتقى
والناس أعوان من والته دولته
«سحبان» من غير مال باقل حصر
لا تودع السر وشتاء به مذلا
لا تستشر غير ندب حازم يقيظ
فللتدابير فرسان إذا ركضوا
وللأمور مواقيت مقدرة
فلا تكن عجلا في الأمر تطلبه
كفى من العيش ما قد سد من عوز
وذو القناعة راض من معيشته
حسب الفقى عقله خلا ببعائمه
إذا نبأ بكرم موطن فله
يا ظالما فرحا بالعرز ساعده
يا أيها العالم المرضي سيرته
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج
لا تحسبن سرورا دائما أبدا
وكل كسر فإن الدين يجبره
وإن أظلت أوراق وأفنان
وهم عليه إذا عادته أعوان
و«باقل» في شرا مال سحبان
فما رعى غنما في الدو سرحان
قد استوى فيه إسرار وإعلان
فيها أبروا كما للحرب فرسان
وكل أمر له حد وميزان
فليس يحمّد قبل النضج بحران
ففيه للحرب قنيان وغنيان
وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
إذا تحاماه إخوان وخلائان
وراءه في بسيط الأرض أوطان
إن كنت في سنة فالدهر يقطان
أبشّر فأنت بغير الماء ريان
فأنت ما بينها لا شك ظمان
من سره زمن ساءته أزمان
وما لكسر قناة الدين جبران

وقال ابن أبي بكر المقرئ اتوفى سنة ٧٨٥ هـ :

زيادة القول تحكي النقص في العمل
إن اللسان صغير جرمه وله
عقل الفقى ليس يغني عن مشاورة
ومنطق المرء قد يهديه للزلل
جرم كبير كما قد قيل في المثل
كحدا سيف لا تغني عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً أو مخطيء غير منسوب إلى الخطل
لا تحقر الرأي يأتبك الحقير به فالنحل وهو ذباب طائر العسل
ولا يغربك ود من أخي أمل حتى تجربته في غيبة الأمل
لا تجزعن لخطب ما به حيل تغني وإلا فلا تمعز عن الحيل
وقدر شكر الفقي لله نعمته كقدر صبر الفقي للحادث الجلل
وإن أخوف نهج ما خشيت به ذهاب حرية أو مرتضى عمل
لا تفرحن بسقطات الرجال ولا تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه فاطلب لنفسك ما تعلوه به وصيل
وكل علم جناه ممكن أبداً إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل
والمال صنه ورثته العدو ولا تحتج حياتك للاخوان في الأكل
فخير مال الفقي مال يصون به عرضاً ويُنْفقه في أشرف السبل
وأفضل البر ما لا من يتبعه ولا تَقْدَمُه شيء من المثل

وقال الإمام علي الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرء في لذته يحُرُّ ذيل التيه في خطوته
يزجره الوعظ فلا ينتهي كأنه الميت في سكرته
يسارز الله بعصيانه جهراً ولا يخشاه في خلوته
وإن يقع في شدة يبتهل فإن نجا عاد إلى عادته
إرغب لمولاه وكن راشداً واعلم بأن العز في خدمته
واتل كتاب الله تهد به واتبع الشرع على سنته
لا تحمصن فالحرص يزري بالفقي ويذهب الرّونق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة كيف يخاف المرء من فوتته؟

ما فاتك اليوم سيأتي غداً ما في الذي قدّر من حيلته
والرزق مضمون على واحد مفاتيح الأشياء في قبضته
قد يُررق العاجز مع عجزه ويحرم الكيس مع فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أتى فقد نهاك الله عن نهركه
إن عضك الدهر فكن صابراً على الذي نالك من عضته
أو مسك الضر فلا تشكي إلا لمن تطمع في رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد يؤتى على الإنسان من لفظته
من أطلق القول بلا مهلة لا شك أن يعثر في عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندم المرء على سكنته
من أظهر الناس على سره يستوجب البكي على مقلته
من مازح الناس استخفوا به وكان مذموماً على مزاحته
من جعل الخمر شفاءً له فلا شفاء الله من علمته
من نازع الأقيال في أمرهم بات بعيد الرأس عن جنته
من لاعب الثعبان في كفه هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحمق في حاله كان هو الأحمق في عشرته
لا تصحب النذل فتزدى به لا خير في النذل ولا صحبته
من اعتراك الشك في جنسه وحاله فانظر إلى شيمته
من غرس الخنظل لا يرتجى أن يجتني السكر من غرسه
من جعل الحق له ناصراً أيده الله على نصرته

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أنلّهو وأيامنا تذهب ؟ ويلعبُ والموت لا يلعبُ
عجبتُ لذي لعب قد لها عجبتُ ومالي لا أعجبُ
أيلهو ويلعبُ فمن نفسه تموت ومنزلُهُ يخرب
نرى كل ما ساءنا دائماً على كل ما سرّنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ننذرَ أيها أطلبُ
أحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا عنها مهربُ
وكلُّ له مدّةٌ تنقضي وكلُّ له أثرٌ يكتبُ

وقال صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الجد في الجدّ والحرمان في الكسل فانصَبْ تُصب عن قريب غاية الأمل
واصبرْ على كل ما يأتي الزمان به صبر الحُسام بكف الدارع البطل
وجانب الحِرْص والأطماع تحطّ بما ترجو من العزّ والتأييد في عجل
ولا تكوننْ على ما فات ذا حزن ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم في كل الأمور ولا تسرع ببادرة يوماً الى رجل
وإن بليت بشخص لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهاً في محاورة ولا حليماً لكي تقصى عن الزلل
ولا يفرك من يُبدي بشاشته إليك خدعاً فإنّ السمّ في العسل
وإن أردت نجاحاً في كل آونة فاكتنم أمورك عن حاف ومُستعمل
إنّ الفقى من بماضي الحزم متصفٌ

وما تعود نقص القول والعمل

ولا يُقيم بأرض طاب مسكنها حتى يقدّ أديم السهل والجبل
ولا يضيّع ساعات الزّمان فلن يعود ما فات من أيامه الأول

ولا يُراقب إلا من يُراقبه ولا يُصاحب إلا كل ذي نُبَل
ولا يعد عيوباً للورى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً بل التجارب تهديه على مَهَل
ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنها للمعالي أوضح السبل
فمن تكن حلة التقوى ملابسه لم يخش في دهره يوماً من العطل
من لم تفده صروف الدهر تجربة فيما يحاول فليسكن مع العمل
من سالتنه الليالي فليثق عجلاً منها بحرب عدو جاء بالهيل
من ضيع الحزم لم يظفر بمحاجة ومن رمى بسهام العجب لم ينل
من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمدٍ بمدح الفعل متّصّل

وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ :

من ضيّع الحزم في أفعاله ندما وظل مُكتئباً والقلوب قد سقما
ما المرء إلا الذي طابت فضائله والدين زين زين العاقل الفهما
والعلم أنفس شيء أنت ذاخره فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
تعلم العلم واجلس في مجالسه ما خاب قط لبيب جالس العلما
والوالدين فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكيداً تستوجب النقما
ولازم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرماً
واحذر من المزح كم في المزح من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبر النفس وأرشدها إذا جهلت وإن حضرت طعاماً لا تكن نهما

وقال عمر بن الوردی المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده :

إعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكر لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم أفل

واترك الغادة لا تحفل بها تمس في عز رفيع وتجل
وافتكروا في منتهى حسن الذي أنت تمواه تجدد أمراً جلل
واهجر الحرة إن كنت فتى

كيف يسعى في جنون من عقل ؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ، إلا وصل
ليس من يقطع طرفاً بطلا إنما من يتقى الله البطل
كتب الموت على الخلق فكم فل من جيش وأفنى من دول
أين غرود وكنعان ومن ملك الأرض وولسى وعزل ؟
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تنف القل ؟
أين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول ؟
سيعيد الله كلا منهم وسيجزي فاعلاً ما قد فعل
أطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل للفق في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدا وجمال العلم إصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن يحرم الإعراب بالنطق اختبل
إنظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرقد لا تبغ النحر
فهو عنوان على الفضل وما

أحسن الشعر إذا لم يبتذل
أنا لا أختار تقييل يدي قطعها أجل من تلك القبل
ملك كسرى عنه تغني كيسة
وعن البحر اجتزاء بالوشل

إطرح الدنيا فمن عاداتها تخفض العالى وتعلي من سفل
عيشة الرأغب في تحصيلها عيشة الجاهل فيها أو أقل
كم جهول بات فيها مكثراً وعليم بات منها في علل
كم شجاع لم ينل فيها المنى وجبان قال غايات الأمل
فاترك الحيلة فيها واتكل إنما الحيلة في ترك الحيل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفسى ما قد حصل
قد يسود المرء من دون أب

وبحسب السبك قد ينفي الدغل
لأنما الورد من الشوك وما ينبت الفرجس إلا من يصل
قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أم أقل
بين تبذير وبخل رتبة وكل هذين ان زاد قتل
ليس يخلو المرء من صيد ولو حاول العزلة في رأس الجبل
دار جار السوء بالصبر وان لم تجد صبراً فما أحنى الشغل
جانب السلطان واحذر بطشه

لا تمنى من إذا قال فعل
ان يصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
قصر الآمال في الدنيا تفز فدليل العقل تقصير الأمل
غب، وررغباً تزد حباً فمن أكثر التردد أقصاه الملل
لا يضر الفضل إقلال كما لا يضر الشمس أطباق الطفل
خذ بنصل السيف واترك غنده

واعتبر فضّل الفقى دون الخلل
حبك الأوطان عجز ظاهر فاغترب تلقى عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسناً وسرى البدر به البدر اكنمّل

وقال العميد ابو إسماعيل الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ^١ :

أصالة الرأي صانستني عن الخطل وحلية الفضل زانطني لدى العطّل^٢
 مجدي أخير أو مجدي أو لا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل^٣
 فمِ الإقامة بالزّوراء؟ لا سكنى بها ولا ناقي فيهما ولا جلي^٤
 ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عُرّي متناه عن الخلل^٥
 فلا صديق اليه مُشتكي حزني ولا أنيس اليه مُنتهى جذلي^٦
 طال اغترابي حتى حن راحلتي ورحلها وقرأ العسالة الذبل^٧
 وصبح من لغب نضوي وعج لما ألقى ركابي ولجّ الركب في عذلي^٨

(١) هو العميد ابو إسماعيل الحسين بن علي الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ (٢) صانطني حفظتني والخطل الخطأ (٣) مجد وشرف وشرع سواء ورأد الوقت الذي بعد العصر وقبل الغروب [المعنى] شرفي وقت تجردتي من الإمارة وشرفي وقت تسربلي بها سواء. إن حالي كالشمس في كون ضوءها وقت الضحى مخالفاً لضوءها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئاً، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد . وصفر خال وعري جرد والخلل كسوة غمد السيف (٥) الجذل السرور [المعنى] اعتزلني الناس ببغداد فلم يأتوا إلي بها حبيب أبث إليه كدري من جور الزمان فيفرجه عني ويساعدني على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحي فيزيد سروري ويدفع وحشتي (٦) حن مال . والراحلة ما يرحل عليه من الأبل مذكراً كان أو مؤنثاً . والرحل العدة التي يركب عليها وقرأ ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الحافة (٧) ضج صوت . واللفب التعب ونضوي اي مضوي بمعنى مهزول وعج صوت وبع تمادى . والعذل اللوم [المعنى] امتد بعدي حتى صوت من أجل تعب ركبتي وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر إلى أصحابي الذين معي فيه وتمادوا في لومي على هذا السفر الذي امتد ولم ينته إلا ليكي أطلب بامتداد بعدي عن وطني ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتي .

أريدُ بسطة كَفَّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ الْمُعْطَى قَبْلِي
والدَّهْرُ يَعْمَلُ كَيْسَ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ^١
وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مُعْتَقِلٌ بِمِثْلِهِ غَيْرُ هَيْسَابٍ وَلَا وَكَلٍ^٢
حَلَوُ الْفَكَاهَةِ مَرُّ الْجَدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ الْبَأْسِ مِنْهُ رَقَّةُ الْغَزْلِ^٣
طَرَدْتُ سَرَحَ الْكُرَى عَنْ وَرْدِ مِقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْقَفْلِ^٤
وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرْبٍ صَاحٍ وَآخِرَ مِنْ تَحْرِ الْكُرَى ثَمَلٌ^٥
فَقُلْتُ : أَدْعُوكَ لِلْجُلْسَى لَتَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَحْذُلُنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ^٦
تَنَامُ عَنِّي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وَصَبِغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحِلْ^٧
فَهَلْ تَعِينُ عَلَى غِيٍّ هَمَمْتُ بِهِ وَالْفِيءُ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الْقَفْلِ^٨
إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي نَعْلٍ^٩

(١) يعكس يرد ويقنعني يرضيني والكد التعب والقفل الرجوع «المعنى» والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلني بعد التعب في السفر والتفرير راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التي هي مطمح نظري في تكبد المصاعب (٢) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض وهيب خواف ووكل عاجز «المعنى» ورب صاحب اعتدل قامته كاعتدل صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف الخواف ولا يعجز عن شيء من شئونه ، التفقت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطاً للسامع (٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام (٤) طردت أبعدت وسرح الكرى وثباته والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء وأغرى أولع ، وسوام ثبات (٥) ميل منحني وطرب نشط وثل سكران «المعنى» وأصحابي منحنون على رحالهم ، فربق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر خمل متشاغل من تغلبه عليه (٦) الجلى الأمر العظيم ، وتحذلني تتركني والحادث الجلل العظيم (٧) تستحيل تتحول وصبغ ظلام ويحل شأني ينتقل (٨) غي ضلال ، ويزجر يمنع «المعنى» قد غفرت ما حصل من تقصيرك في بنومك فـ هل تساعدني على ضلال أردته ولا تخش عقابه بالذم على فعله . (٩) الطروق المجيء ليلاً والحى القبيلة ، وإضم اسم جبل وحماه منعه ، ورماة كسعاة خفراء ، وثل قبيلة من طيىء .

يحمون بالبيض والسمر اللدان به	سود الغدائر حمراً الحلى والحلل ^١
فيسر بنا في ذمام الليل معتسفاً	فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل ^٢
فالحب حيث العدا والأسد رابضة	حول الكيناس لها غاب من الأسل ^٣
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت	نصالها بمياه الغنج والكحل ^٤
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها	ما بالكرائم من جبن ومن بحل
تببت نار الهوى منهن في كبد	حرثى وقار القرى منهم على القل ^٥
يقتلن أنضاء حب لا حيراء بهم	وينحرون كرام الخيل والإبل ^٦
يشفى لديخ العولي في بيوتهم	بنهله من غدير الخمر والعسل ^٧
لعل لي الإمامة بالجزع ثانية	يدب منها نسيم البرء في علي ^٨
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت	برشفة من نبال الأعين النجل ^٩

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الغدائر الضفائر من الشعر، والحلى ما تتحلى به المرأة، والحلل الثياب المزركشة (٢) ذمام كفالة ، ومعتسفاً متكلفاً طريقاً غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التي يحلون بها (٣) الحب : المحبوب ورابضة واقفة ، والكيناس بيت الظبي والغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود « المعنى » المحبوب في مكان به الرقباء ورجال الحي مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه (٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادي ، والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض في منعطف الوادي قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٥) مقرى : إكرام الضيف ، والقلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل . (٦) إن نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جملهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها لفرط كرمهم يذبجون جياد الأفراس والجمال لضيافهم . (٧) أي يبرأ من قتل في حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن (٨) الإمامة نزولاً ويدب يسري (٩) أكره أبغض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاط والنجل الواسعات « المعنى » لا أبغض الوحزة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأيمن الواسعات لنسائها .

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تسعدني بالملح من خلل الأستار والكلل^١
ولا أخلُ بغزلانٍ تغازلني ولو دهمتني أسودُ الغيل بالغيل^٢
حُبُّ السلامة يثني عزمَ صاحبه عن المعالي ويفري المرء بالكسل^٣
فإن جَنَحْتَ اليه فاتخذَ نَفَقاً في الأرض أو سلماً في الجوفاعترل^٤
ودع غمار العلى للمقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل^٥
يرضى الذليل بخفض العيش مسكناً والعزُّ عند رَسَمِ الأنيق الذلل^٦
فادرأ بها في نخور البید جافلةً معارضاتٍ مثاني اللجج بالجدل^٧
إن العلى حدثتني وهي صادقةٌ فيما تحدثت أن العزَّ في النقل^٨
لو أن في شرف المأوى بلوغَ منى لم تبحر الشمس يوماً دارةً الحمل
أهبت ناظر لو ناديت مستمعاً والخط عني بالجهال في شغل
لعله إن بدا فضلي ونقصهم لعينه نام عنهم أو تنفسه لي
أعللُ النفس بالأمال أرقبها ما أضيقت العيش لولا فسحة الأمل
لم أرَ تَض العيشَ والأيام مُقبلةً فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرُفاني بقيمتها فصنتها عن رخص القدر مُبتذل
وعادة السيف أن يزهي بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل

(١) الصفاح : السيف، وخلل الثقب الخفيف النافذ في الشيء والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية « المعنى » ولا أخاف ضرب السيف من رجال هذه القبيلة مسعدة لي بخفيف نظري لها من ثقوب أستار بيوتهم وحجراتهم (٢) أي لأترك النظر من خلل الأستار إلى نساء هذه القبيلة التي تحادثنني ولو أصابتني شجعانها بالهلاك فجأة (٣) أي الرغبة في النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتشاغل والفتور عنها (٤) النفق كجبل سرب في الأرض له منفذ من مكان آخر (٥) غمار كثير والبلل القليل (٦) رسم سرعة، والأنيق الذلل أي الإبل المروضة التي ليست يجموحة (٧) أدفع بهذه الأنيق في أوائل الصحاري، مسرعة مقابلات بأزمتهأ أعنة الخيل التي تصحبها في السير أي غير متأخرة عنها فيه (٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أوثق أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والاستفل
تقدمتني أناسٌ كان شوْطهم وراء خطوي لو أمشي على مهل
هذا جزاءُ امرئٍ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل
فإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوةً بأخطا الشمس عن زحل
فاصبر لها غير متمال ولا ضجير في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فإنما رجل الدنيا وواحدُها من لا يعمل في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزةٌ فتظن شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرت

مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوجٌ بمعتدل
إن كان ينجع شيء في نياتهم على العهود فسبق السيف للعدل
يا وادراً سُور عيش كله كدرٌ أنفقت صفوك في أيامك الأول
قيم اقتحامك لبحر البحر تركبه؟ وأنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدار لا ثبات بها فهل سمعت بطل غير مُنتقل؟
ويا خبيراً على الأسرار مُطلعاً

أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحك لأمر إن فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع العمل

وقال المرحوم عبدالله باشا فكري يخاطب نجله المرحوم أمين باشا :

إذا نام غر في دجى الخطب فاسهر وقم للمعالي والعوالي وشمس
وخل أحاديث الأمانى فإنها علالة نفس العاجز المتحير
وسارع إلى مارمت مادمت قادراً عليه فإن لم تبصر النجاح فاصبر

ولا تأتِ أمراً لا ترجي تمامه
وأكثر من الشورى فإنك إن تصيب
ولا تستشر في الأمر غير مجرب
ولا تبغ رأياً من خؤون خادع
فمن يتبع في الخطب خدعة خائن
ومن يتبع في أمره رأي جاهل
ولا تصغ في رد الصديق لكاذب
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً
وعود مقال الصديق نفسك وارضه
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
ولا تقف زلات العباد تعدها
ولا تعرض لاعتراض عليهم

ولا موردأما لم تجد حسن مصدر
تجد مادحاً أو تخطيء الرأي تعذر
لأمثاله أو حازم متبصر
ولا جاهل غر قليل التدبر
يعض بنات النادم المتحسر
يقنعه إلى أمر من الغي منكر
تموم وإن يعرض لك الشك فاخبر
تذل ولا تحقر سواك تحقش
تصدق ولا تركن إلى قول مفتر
لكفيك في الإنفاق إمساك مقتر
فلست على هذا الورى بساطر
دع الخلق للخلق تسلم وتوجس

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمي المتوفى سنة ٥١ هـ :

أبني إن أباك كارب يومه
أوصيك بإصاء امرئ لك ناصح
الله فاتقيه وأوف بنذره
والضيف أكرمه فإن مبيتته
واعلم بأن الضيف خير هله
وصل الموصل ما صفا لك وده
واحذر محل السوء لا تحلل به
واستأن تطفر في أمورك كلها

فإذا دُعيت إلى المكارم فاعجل
طبن برّيب الدهر غير مغفل
وإذا حلفت بمارياً فتحلل
حق ولا تك لمنة للنزل
ببيت ليلته وإن لم يسأل
واجذذ حبال الخائن المتبدل
وإذا نبا بك منزل فتحول
وإذا عزمتم على الهدى فتوكل

٤٤٤ : الباب الثامن في الحكم - الشيخ ناصيف اليازجي - السيد أحمد الهاشمي

واستغنِ ما أغناكَ ربك بالغنى وإذا تصيبك خصاصة ، فتحمّل
وإذا افتقرت فلا تكن متجشّماً ترجو الفواضيل عند غير المفضل
وإذا تشاجرَ في فؤادك مرة أمان فاعمدْ للأعف الأجل
وإذا هممت بأمر سوء فانتد وإذا هممت بأمر خير فاعجل

وقال فقيده اللغة ناصيف بن عبدالله اليازجي اللبناني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ :

دع يومَ أمس وخذي شأن يوم غد واعدُد لنفسك فيه أفضل العدَدِ
واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يدك لتسبل لرزق من أحد
والبس لكل زمان بُردة حضرت حتى تحاك لك الأخرى من الرد
ودر مع الدهر وانظر في عواقبه حذارِ أن تبطل عيناك بالرمد
مق ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرد
واعلم بأن عليك العارَ تلبسه من عضه الكلب لا من عضه الأسد
لا تأمل الخير من ذي نعمة حدثت فهو الحريص على أثوابه الجسد

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضاً لامية الطغرائي :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ولازم الخير في حيل ومبرّ تحل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه لا بد يحزاه في سهل وفي جبل
وانتبت ثبات الرواسي الشاخات ولا تركز إلى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعرفونك من نوب ولا تكن جازعاً في الحوادث الجلل
واصبر على مضض الأيام محتملاً ففيه قرع لباب النجح والأمل
تأن متشداً فيما تروم ولا تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لا تطلب العيز في دار ولدت بها فاعز عند رسيم الأينق الدلس
شتر وجد لأمر أنت طالبه إذ لا تنال المعالي قط بالكسل

واحذر مساوىء أخلاق تشان بها وأسوأ السوء سوء الخلق والبخل
واخفض جناحك للعولى وجدّ ونل ما أقبح الكبر والإمساك بالرّجل
لا تسأل النذل واقصد ماجداً حدياً

في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل
ولا تجادل جهولا ليس يفهم ما تقول فالشر كل الشر في الجدل
ولا تكن لنزول الخطب مضطرباً في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
الجود أحسن ما أوليت من خلق والعفو أنقى لداء الضغن والدخل
والحلم ملجأ فساد الأمر يصلحه والبذل خير فيعال الماجد البطل
لا تقمّح غمرات البحر مرتكباً وأنت يكفيك منه مصّة الوشل
ولا تعاشر سوى حزم أخا ثقة وارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل
لا تنخدع لصديق يدّعي مَلَقاً

بل حاذر الناس واصحبهم على دخل
لا تأمن أحداً واحذر مكائدهم وظن شرّاً وكن منهم على وجل
ولا تغرّك الدنيا بزهرتها فهل سمعت بظل غير منتقل
إن الغني غني النفس في كرم بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
إن الصنيعة للأندال تُفسدهم كما تضر رياحُ الورد بالجمعل
مرارة النصيح تحلوي مضاضتها وربما صحت الأجسام بالعلل
دع التكلف لا يحدّيك منفعة ليس التكهّل في العينين كالكلج
أرى الرعاء رعاء الشاء في ترفٍ في أرفع العيش بين الخيل والحوّل
وسادة العضر قد ألقوا مقاليدهم الى الطغام شيرار الناس والسفل
تحكّوا في قضايا الناس واحتكّوا وحكّوا كل ذي جمل أخى خبل
من كل غر جهول لا يرى رشداً كباقل مثلاً في العي والخلل
تغنّ لشرّ زمان ظل طوع يد اللثام يسقيهم علاً على نهل

القبضُ والبَسْطُ في أيدي ذوي شطط

من كلِّ سكران من خمر الهوى ثمل

تَسْطُو الكلابُ على أسدِ الشرى سفهاً

والباز الأشهب يخشى صولة الحجل

والقرد يضحك من نمر على هزؤ والكلب يوعِدُ ليث الغيل بالغيل

نال المرامَ علوجٌ لا خلاق لهم فوق المؤمل من شبٍ ومكتهل

أملئ لهم دهرهم فاستمهلوا أبداً مرخى لهم من مروع العيش والطوك

شرُّ العصور زمانٌ يستمد به خيبٌ لثم غندا في الشر كالثمل

لا يعلم الرشد من غبي وليس له سوى الشرارة في قول وفي عمل

يشكو الطوى كل ذي فضل وذي أرب

وسوقنةُ الناس في رغد وفي جذل

مالي وللبلدة الحقاء أسكنها مساكن لذوي خرق أولى حيل

وليس لي ناقةٌ فيها ولا جل وليس لي ثم من ثور ولا حمل

لا يستقيم رفاقٌ لي بمثلهم وهل يطابق مُعوجٌ بمعتدل ؟

قد ذقتهم وبَلوت الحال عندهم فما حصلتُ على صاب ولا غسل

لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت مسافة الخلف بين القول والعمل

أضحت مواعيدُ عُرُقوب لهم مثلاً وما مواعيدُهم إلا على دخل

أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم إذ سوء أفعالهم أوفى على القليل

ساءت سريرتهم، حالت طريقةتهم زاغت بصيرتهم عن أقوم السبل

علم بلا عمل، حُكم بلا حكم ظلم على عجل وعدٌ على مهل

الإفك والزورُ والبهتان عندهم والسعي في الأرض بالإفساد والخلل

الكذب مستحسن والصدق عندهم مستهجن من صفات العاجز الوكل

أهنى الطعام لحوم الناس عندهم والنسمُ فيما لديهم شربة العسل

نكثُ العهود سجايهم ودأبهم سخلف الوعود وذا من أسوأ الثقل
يا دهرُ مالك والأحرار تقهرهم تذلل كل كريم الأصل مقتبل
حتى متى يا زمان السوء تفعل ما تشيب فيه النواصي غير محتمل
تؤخر الفاعل المرفوع تحفظه مقدماً لمفاعيل على البذل
وساقة الجيش قد أضحت مقدمة مثل التليل غدا في مؤخر الكفل
فلمست أحفظ في ذي الدهر من أسف أطال أيام عمري ام دنا أجلي
واهاً لقلبي يوم البين إذ ظعنوا فالعين في لجج والقلب في شغل
كيف التصبر من ناري نوّى وجوّى ؟

وفي الحشا نلّكُ جرح غير مندمل نور النواظر في الأحداق والمقل
فقد فقدتُ الألى كانت بيهجتهم ولا ابتفيت لهم في الناس من بدل
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا ما أستطيع به توديع مرتحل
لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد ولا من الدمع ما أبكي على طلل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به والروح في وصب واللب في ذهل
قلبي على لهب والجسم في نصب منادماً ، وسير غير منفصل
حسي الغرام حليف والجوى أبدأ أتت على عجل كالقابس العجل
خذها محبرة غسّيداء غانية من خاطب لبنات النظم في عطل
جاءت من الهاشمي لا تبتغي مهراً

وقال محمد اليميني الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ :

ولا تحتقرن كيد الضعيف فرما تموتُ الأفاعي من سموم العقارب
وقد هدّ قدام عرش بلقيس هُدْ هُدْ وخرب حفر الفار سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرُك فاحترز عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك يكرر علمينا جيشه بالعجائب

وما راعني غدرُ الشبابِ لأنني أنستُ بهذا الخلق من كل صاحب
وغدُرُ الفقى في عهدِهِ ووفائِهِ وغدرُ المواضي في نُبُوِّ المضاربِ

وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامح أخاك إذا خلطَ منه الإصابة بالغَلَسَطُ
وتجافَ عن تعنيفِهِ إن زاعَ يوماً أو سَقَطُ
واحفظ صنيعةَكَ عندهُ شَكَرَ الصنيعةِ أو غَمَطُ
وأطيعه إن عاصى، وهُنْ إن عزَّ، وادن إذا شَحَطُ
واقن الوفاءَ ولو أخَلَّ بما اشترطت وما اشترط
واعلم بألك إن طلبتَ مُهذَّباً رُمْتَ الشططُ
مَن ذا الذي ماساءَ قطُ ومَن له الحسنَى فقط ؟

وقال أيضاً :

اسمع أخَيَّ وصيَّةً من ناصح لا تَعَجَلْ بِقَضِيَّةٍ مَبْتَوَّةٍ
وقِفِ القضيةَ فيه حتى تجتَلِي فهماك إن ترَ ما يُشِينُ فَيَوَّارِهِ
واعلم بأن التبرَّ في عِرْقِ الثرى وفضيلة الدينارِ يظهرُ سرها
ومن الغباوة أن تُعَظَّمَ جاهلاً أو أن تهينَ مُهذَّباً في نفسه
ما شاب محض النصيح منه بغشٍّ في مَدْحٍ من لم تلمه أو خدشٍ
وصففيه في حالٍ رضاه وبطشه كرمًا وإن ترَ ما يزينُ فأفشه
خافِ إلى أن يُسْتَشَارَ بنفسه من حكمه لا من ملاحه نقشه
ليصقال ملبسه ورَوِّق رَقَشِهِ لدُروس بزته ورثته فرشه

الباب التاسع في العلم

قال مؤيد الدين الأصهباني المعروف بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

من قاس بالعلم الثراء فإنه في حُكْمه أعمى البصيرة كاذبُ
العلم تخدمه بنفسك دائماً والمال يخدمُ عنك فيه نائبُ
والمال يُسَلِّبُ أو يبيدُ لحادثٍ والعلم لا يُخشى عليه السالِبُ
والعلم نقشٌ في قِوَادِكِ راسخٌ والمال ظِلٌّ عن فَنَائِكِ ذاهِبُ
هذا على الإنفاقِ يَغْزُرُ فَيَنْضَهُ أبدأً وذلك حينَ قُتِفِقُ ناضِبُ

العلم أشرفُ شيءٍ قاله رَجُلٌ من لم يكن فيه علم لم يكن رَجُلًا
تعلم العلممَ واعمل يا أَخِي بِهِ فالعلم زَيْنٌ لمن بالعلم قد سَمِعِلَا

العلم مُبْلَغُ قومٍ ذُرْوَةُ الشرفِ وصاحب العلم محفوظ من التلفِ
يا صاحبَ العلم مهلاً لا تُدَنَّسَهُ بالموبقات ، فما للعلم من خلفِ
العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرفِ

لو كان نور العلم يُدْرَكُ بالمنى ما كان يبقى في البرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تَكُ غافلاً فندامة العقبى لمن ينكاسل

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
وإن امرأ لم يُخَيَّرْ بالعلم قلبه فليس له حَتَّى النشور نُشورُ

لكل مُجِدٍّ في الوَرَى نفعٌ فاضِلٌ وليس يُفِيدُ العلم من دون عامِلِ
يسابق بعض الناس بعضاً يخدم وما كل كرمٍ بالهوى كرمٌ بأسِلِ
إذا لم يَكُنْ نفعٌ لذي العلم والحجا فما هو بين الناس إلا كجاهِلِ

كذلك إذا لم ينفع المرء غيره يُعَدُّ كَشَوَكٍ بين زَهْرٍ الخَائِلِ

يا ساعياً وطِلابُ المالِ هُمَّتِهِ إني أراكَ ضعيفَ العَقْلِ والدينِ
عليك بالعلم لا تطلب له بَدَلًا واعلم بأنك فيه غيرُ مَغْنُونِ
العلم يُجْنِدِي وَيَبْقَى للفقى أَبَدًا والمال يَفْنَى وإن أُجْدِيَ إلى حينِ
هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لَصَاحِبِيهِ ما زال بالبعد بين العِزِّ والهونِ

العلم زَيْنٌ وتَشْرِيفٌ لَصَاحِبِهِ فاطلب هُدًى فنون العلم والأدبِ
كَمْ سَيِّدٍ بَطَلَسَ آبَاؤُهُ 'نَجْبٌ' كانوا الرؤوس فأَمْسَى بَعْدَهُمُ ذَنْبُ
ومُتَوَفَّى خَامِلِ الآبَاءِ ذِي أدبٍ قالَ المعالي بالآداب والرُّتَبِ
العلم كَنْزٌ وَذَخْرٌ لا فناءَ لَهُ نعم القرين إذا ما صَاحِبٌ صَاحِبِ
قد يجمع المال شخص ثم يَحْرُمُهُ عما قليل فيلقى الذلَّ والحربا
وجامع العلم مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ولا يُحَازِرُ مِنْهُ الفُتُورُ والسُّلْبُ
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ولا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا ولا ذَهَبًا

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب يزدادُ رَفْعُ الفقَى قَسْدُ رَأْيِ بِلَا طَلَبِ
فالعلم طَوْقُ النَمَى يزهو به شَرْفًا والجهلُ قَسِيدٌ لَهُ يَبْتَلِيهِ بِاللَّعِبِ
كَمْ يَرْفَعُ العلمُ أَشْخَاصًا إلى رُتَبٍ ويخفُضُ الجهلُ أَشْرَافًا بِلَا أدبِ
العلم كَنْزٌ فلا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ والمرءُ ما زادَ علْمًا زادَ بالرتبِ
فالعلم فاطلب لِيُجْنِدِيكَ جَوْهَرَهُ كالقوتِ للجسم لا تطلب غِنَى الذَّهَبِ

العلمُ زَيْنٌ فَكُنْ للعلم مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عِشْتَ مُقْتَسِبًا
اركن إليه وثِقْ بالله وأغْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيًّا رَزِينُ العَقْلِ مُحْتَسِبًا
وَكَنْ فِتَى سَالِكًا مُحْضُ التَّقَى وَرِعًا لِلدِّينِ مُتَعَتِّبًا فِي العلمِ مُتَنَمِّيًا

فمن تخلق بالآداب ظلّ بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التسمّثال أكفاء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
وإن أتيت بجود في ذوي نسب
ففر بعلم تعيش حيّا به أبداً
أبوهم آدم والأم حواء
يُفاخرون به فالطين والماء
على الهدى لمن استهدى أدلاء
والجاهلون لأهل العلم أعداء
فإن نسبتنا جوداً وعلياء
الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلم يفرس كل فضل فاجتهد
واعلم بأن العلم ليس يناله
إلا أخو العلم الذي يزهو به
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
فلعل يوماً أن حضرت بمجلس
ألا يفوتك فضل ذاك المقرّر
من ممة في مطعم أو ملبس
في حالته عارياً أو مكنتي
واهجر له طيب الرقاد وعبس
كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في العلم والمعلم والتعليم :

قم للمعلم وفه التبجيلا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي
سبحانك اللهم ، خير معلم
أخرجت هذا العقل من ظلماته
وطبعته بيد المعلم ، تارة
أرسلت بالثورة موسى مرشداً
وفجرت ينبوع البيان محمداً
كاد المعلم أن يكون رسولا
يبني وينشئ أنفساً وعقولا؟
علمت بالقلم القرون الأولى
وهديته النور المبين سبيلا
صدأ الحديد ، وتارة مصقولا
وابن البتول فعلم الإنجيلا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

علمت يونانا ومصرَ فزالتا
واليوم أصبحتا بحالٍ طفولةٍ
من مشرقِ الأرضِ الشمس تظاهرت
يا أرضُ منذُ فقد المعلمُ نفسه
ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمهم
في عالمِ صحبِ الحياة مُقَيِّدًا
صرَّعته دنيا المُستبد كما هوتُ
سُفراط أعطى الكأس وهي منية
عرضوا الحياة عليه وهي غباوة
إن الشجاعة في القلوب كثيرة
أُمعلمي الوادي وساسة نشئه
والحاملين إذا دُعوا ليُعلموا
ونيتُ خطا التعليم بعد محمد
حق رأينا مصرَ تخطو إصبعها
تلك الكفورُ وحشوها أُمية
نجدُ الذين (بنى) المسلة جدم
ويُدَلِّلون إذا أريدَ قيادهم
يتلو الرجال عليهم شهواتهم
الجهل لا تحيا عليه جماعة
ربُّوا على الانصاف فتیان الحمى
فهو الذي يبني الطباع قويمه
وتقيمُ منطق كل أعوج منطق

عن كل شمس ما تريدُ أفولا
في العلم تلتشمسانه تطفيلًا
ما بال مغربها عليه أديلا
بين الشمس وبين شرقك حيلًا
واستعذبوا فيها العذاب وبيلًا
بالفرد ، مخزومًا به ، مغلولًا
من ضربة الشمس الرءُوس ذهولا
شفقي محب يشتهي التقبيلًا
فأبى وآثر أن يموت نبيلًا
ووجدتُ شجعان العقول قليلًا
والطابعين شبابهُ المأمولا
عبء الأمانة ، فادحًا مسئولًا
ومشى الهويننا بعد إسماعيلًا
في العلم ، إن مَسَّتِ الممالك ميلًا
من عهدٍ (خو) لم تر القنديلا
لا يحسنون لإبرة تشكيلا
كالْبُهْم تأنسُ إذ ترى التدليلا
فالناجِحون أَلْذَمُ ترتيلا
كيف الحياة على يدي عزريلا ؟
تجدوهم كهف الحقوق كهولا
وهو الذي يبني النفوس عُدولا
ويُريدُ رأيا في الأمور أصيلا

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روح العدالة في الشباب ضيلاً
وإذا المعلم ساء لحظاً بصيرة جاءت على يده البصائر حوًلاً
وإذا أتى الارشاد من سبب الهوى ومن الغرور فسمته التضليلاً
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
إني لأعذرُكم وأحسبُ عيبئسكم من بين أعباء الرجال ثقيلاً
وجد المساعد غيركم وحرمتسُموا في مصرّ عون الأمهات جليلاً
وإذا النساء نشأت في أُمية رضع الرجال جهالة وخوًلاً
ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة ، وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدنيا الحكيمة منها وبحسن تربية الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمتاً تخلّت أو أباً مشغولاً

الباب العاشر في العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغهم أدنى إلى شرف من الانسان
ولربما طعن الفقي أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
ألم تر أن العقل زين لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب
يقول لك العقل الذي زين الفقي إذا لم تكن تقدر عدوك داره
ولاقيه بالترحيب والبشر والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يد الجاني التي لست قادراً على قطعها وارقب سقوط جداره
العقل حلة فخر من تسربلها كانت له نسباً تغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم بالعقل ينجو الفقي من حومة الطلب

وأفضل قسمٍ الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيءٌ يُقاربُهُ
يعيش الفقى بالعقل في الناس إنسه على العقل يحري علمه وتجاربهُ
يشين الفقى في الناس قلةً عقله وإن كُرُمَت أعرافه ومناسبهُ
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهبَ الله لامرئٍ هبةً أشرفَ من عقله ومن أدبِهِ
هما حياةُ الفتى فإن عُدما فإن فقد الحياةَ أجل بهُ

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً وإن لم يكن في قومه بحسب
وإن حلَّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

ومن كان ذا مال ولم يكُ عاقلاً فذاك حمارٌ حملوه من التبر
أرى العقل مِرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياء في عالم الفكر

ذو العقل في معترك الأقدار مُقتدر لكن ذا الجمل مغلوبٌ ومفلولٌ
وعقل ذي الحزم مرآة الأمور بها يرى الحقائق ، والمجهولُ بمحولٌ

وعقولُ الأنام لو تستوي لم يكُ فرقٌ بين النبيِّ والنسبيهِ
بحور الأرض لو غدا مُستنقياً لتساوى النهار والليل فيه

الباب الحادي عشر في الأدب

قال أبو تمام في مكارم الأخلاق :

إذا جاربت في خلقٍ دينياً فأنت وَمَنُ 'تجاربه' سواءُ
رأيت الحرَّ يَحْتَنِبُ الخازي ويحميه عن الغدر الوفاءُ

وما من شدة إلا سيأتي لها من بعد شدتها رخاء
لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء
يعيش المرء ما استحيًا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

وقال أيضاً في الحرية :

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها لساني معقولا وقلبي مقفلا
وإن صريح الحزم والرأي لا يرى إذا بلفقه الشمس أن يتحوّلا

وقال أبو فراس الحمداني في نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشتري بعد التجارب صاحباً إلا وددت بأنني لم أشره
وتركت حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه في مره
والمرء ليس بغانم في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره

قال أبو العلاء الممرّي في الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأثام وجانب كل ما قبحا
فكم شيوخ غدواً بيضاً مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنا سبحا
وليس عندهم دين ولا نسل فلا تغرك أيد تحمل السبحا
لوتعقل الأرض ودت أنها صفرت منهم فلم يرفيها ناظر شبحا

وقال الطفرائي في المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أراك توددأ منه أضر من العدو الحاقد
ولربما رضي العدو إذا رأى منك الجميل فصار غير معاند

ورضا الحسود زوالُ نعمتك التي أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمي حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكلُ نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفوا على الحسود نعمة ربه ويذوب من كمدٍ فؤادُ الحاسد

وقال ابن الرومي في عدم الإكثار من الأصحاب :

عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثر من الصحاب
فإن الداءَ أكثرُ ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غداً عدواً مُبيناً والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت مُصاحبة الكثير من الصواب

وقال في الانفراد والوحدة :

ذقتُ الطعامَ فما التذت براحة من صحبة الأخيار والأشرار
أما الصديق فلا أحبُّ لقاءَه حذر القلى وكراهة الإعوار
وأرى العدو قذى فأكره قرنه فهجرت هذا الخلق عن أعدار
من جور إخوان الزمان سرورهم بتفاضل الأحوال والأخطار
لو أن إن الصفاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
أُحب قوماً لم يحبوا ربهـم إلا لفردوس لديه وفار ؟!

وقال المتنبي يلفت نظر العقلاء الى طلب المعالي :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطمع الموت في أمر حقير كطمع الموت في امر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة في المرء تنفي ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وقال بشار بن برد في وصف الأخ الحقيقي :

خيرُ إخوانك المشاركُ في المرِّ وأين الشريك في المرِّ أينما ؟
الذي إن شهدت سرَّك في الحسي وإن غبت كان أذنًا وعينا
مثل سِرِّ الباقوت إن مسه النسا ر جَلَّاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شيننا
وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً عاد كلُّ الوري زوراً ومينا

وقال أبو العتاهية في صنع الجميل مع الناس :

خيرُ أيام الفقى يومٌ نفعُ واصطناع الخير أبقى ما صنعُ
ما يُنالُ الخيرُ بالشر ولا يحصدُ الزارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذي درت به واسلُ عما بان منها وانقطع
إنما الدنيا متاعٌ زائلٌ فاقصد فيه وخذ منه ودعُ
وارضَ للناس بما ترضى به واتبع الحق فنعيم المتبع
كن ابن من شئت واكتسب أدبا

يُغنيك محمودُه عن النسب
إن الفقى من يقول هانذا ليس الفقى من يقول كان أبي
لكلّ شيء زينة في الوري وزينة المرء تمامُ الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فينا وإن كان وضع النسب

وأنشد أبو عبدالله نبطويه لنفسه في كون التعلم في الصغر كالنقش في الحجر :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر ولست بناس ما تعلمت في الصغر
ولو فُلق القلب المعلم في الصبا لألفي فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كَلَّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان : عقل ومنطق^١ فمن فاته هذا وهذا فقد دمر^٢

وما يندش خلف الأحمر^٣ في كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال :

خير ما ورث الرجال بنبيهم أدب^٤ صالح وحسن^٥ ثناء
هو خير من الدنانير والأوراق^٦ في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى ، والدين والأدب الصالح لا يفنيان حتى اللقاء^٧
إن تأدبت يا بني صغيراً كنت يوماً^٨ تعد في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفت^٩ كبيراً^{١٠} في زمرة الغوغاء
ليس عطفي للعود إن كان رطباً وإذا كان يابساً بسواء

ومن شعر المنصور الفقيه في كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :

أيها الطالب الحريص تعلم إن للحق مذنباً قد ضللت^١
ليس يجدي عليك علمك إن لم تك مستعملاً لما قد علمته^٢
قد لعمرني اغتربت في طلب العلم وحاولت جمعه فجمعه^٣
ولقيت الرجال فيه وزاحمت عليه الجميع حتى سمعته^٤
ثم ضيعت أو نسيت ، وما ينتفع^٥ علم نسيت^٦ أو أضعته^٧
وسواء عليك علمك إن لم يجدر^٨ نفعاً عليه أم ما جهلته^٩
كم إلى كم تخادع النفس جهلاً ثم تجري خلاف ما قد عرفت^{١٠}
تصف الحق والطريق إليه فإذا ما عميت خالفت سمت^{١١}

وقال محمود سامي باشا البارودي في انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها قبلوغ العيز في نسيل الفرص
واغتتم^١ عمرك إبان الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص

- (١) أي هلك (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من شيوخ النحويين
البصريين توفي سنة ١٨٠ هـ (٣) جمع ورق مثله وهي الدراهم المضروبة من الفضة .
(٤) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة (٥) أي وجدت (٦) نصب على الحال .

وابتدر سمعك واعلم أن من بادر الصيد مع الفجر قنص
واجتنب كل غبي مائس فهو كالعير إذا جد قص
إنما الجاهل في العين قدّي حيثما كان وفي الصدر غصص
واختبر من شئت تعرفه فما يعرف الأخلاق إلا من فحوص
إن ذا الحاجة إن لم يغترب عن حياء مثل طير في قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزي في كون الحركة بركة :^٢
بسيره نقص الهلال ، وزادا فاجعل كراك إذا اعتزمت سهادا
لولا انصلات البيض من أغماها مشحودة لم تفضل الأغما
وفضيلة الحيوان في حركاته لولا منافع لكان جمادا
ما العمر إلا راحل ، وأظنه اتخذ الشبية للمسافة زادا
لا تخلعن عن اللسان لجامه وتوق فرط جماحه المعتادا
فأله خص الاستماع بآلة مثنى ، وجارحة الكلام فرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي^٣ في طلب العلا :
حاول جسيات الأمور ، ولا تقل إن الحمادة والعلا أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا عن غاية فيها الطلاب سباق
لا تشفقن فإن يومك إن أتى ميقاته لم ينفع الإشفاق
وإذا عجزت عن العدو فداره وامزح له إن المزاح وفاق

(١) الحمار (٢) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتصرفت به الاحوال فذهب إلى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٥٢٤ هـ (٣) الكرى النوم (٤) السهاد السهر ٥ تجرد (٦) السيوف (٧) جمع غمد وهو قراب السيف (٨) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة . وينسب إلى سعد تميم وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني ، وله ديوان حافل توفي سنة ٤٠٥ هـ ببغداد . وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

فالنارُ بالماء الذي هو ضيدها 'تعطي النضاج'، وطبعها الإحراقُ

وقال المعتمد بن عباد في وجوب التضحية لفدية الوطن :

إن يسلب القوم العدى وطني وتسليحي الجموع
فالقلبُ بينَ ضلوعيه لم تسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهم ألا تحصني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيءٌ دَفُوع
أجلي تأخر لم يكن بهَواي ذلتي والخضوع
ما سرتُ قط إلى القتلا ل و كان من أملي الرجوع
شمُ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبدالله في وجوب عدم الثقة بالغير :

تولت بهجة الدنيا فكلُّ جديدها خلقُ
وخان الناسُ كلهمُ فما أدري بمن أثقُ
رأيتُ معالم الخير ات سُدَّت دونها الطرقُ
فلا أدبٌ ولا كرمٌ ولا فضلٌ ولا خلقُ
فلستُ مُصدقُ الأقوا م في شيء وإن صدَّقوا

وقال الأبيوردي الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ بخراسان في تقلب الزمان

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنتُ لنا رغبةً أو رهبةً عطاؤها
فلما انتهت أيامنا علقنا بنا شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وصيرنا نلاقي النائباتِ بأوجه رفاق الحواشي كادية طرماؤها
إذا ما هممنا أن نسبح بما جئنا علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في درام الخير بين الناس ما داموا درجات فإذا
تساووا هلكوا :

مَتَى تَصِلُ الْعِطَاشُ إِلَى ارْتَوَاءٍ إِذَا اسْتَقْتِ الْبَحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَثْنِي الْأَصَاغِرَ عَنْ مَرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الزَّوَايَا
وَمَنْ تَرَفَّعَ الْوَضْعَاءُ يَوْمًا عَلَى الرُّفْعَاءِ مِنْ إِحْدَى الْبِلايَا
إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي فَقَدْ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمَنَايَا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله :
مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَأَلَ بِالْدَمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَمْنُ وَنَصْفَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِثَارٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وقال معن بن أوفى في لزوم التحفظ بآثار الآباء والجدود :
وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ أَسَانَا فِي جَوَارِمِ الصَّنِيْعَا
إِذَا الْمَجْدُ الرَّفِيعُ قَوَارِثُهُ بُنَاةُ السُّوْمِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان :
لَا تَحْمِلَنَّ لِمَنْ يَتَمَنَّيْكَ مِنْ الْأَثَامِ عَلَيْكَ مِنْهُ
وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جَنَّةُ
مَنْ الرِّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية :
وَقَالُوا تَوَصَّلْ بِالْخُضُوعِ إِلَى الْغِنَى وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْخُضُوعَ هُوَ الْفَقْرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمَالِ شَيْئَانِ حَرَّ مَا عَلِيَّ الْغِنَى : نَفْسِي الْأَبِيَّةُ وَالْدَهْرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا الْيَسْرُ أَبْصُرْتُ دُونَهُ مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفِي بِهَا الْعُسْرُ

وقال الشريف الرضي في كون المال خادماً للإنسان :
اشْتَرَى الْعِزَّ بِمَا بَيْعَ فَمَا الْعِزُّ بِغَالٍ

ليس بالمغبون عقلا مُشترَ عزّاً بمال
إنما يُدْخَرُ المالُ لحاجاتِ الرجالِ
والفقى مَنْ جَعَلَ الأموالَ أثمانَ المعالي

وقال أبو تمام في كون العز والمجد لا يُنالان إلا بالتعب والجهد :
قد عَلِمْنَا أَن لَيْسَ إِلَّا بِشَقِّ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبَ الْمَجْدَ يَوْرَثُ الْمَرْءُ خَبَلًا وَمُمُومًا تَقْضِي قَضَا الْحِزْمَا
فَتَرَاهُ وَهُوَ الْخَلِيَّ شَجِيحًا وَتَرَاهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ سَقِيمًا
تَيَمَّمَتْهُ الْعَلَى فَلَيْسَ يَمُدُّهُ إِلَهٌ وَهُوَ بُؤْسًا وَلَا النِّعَمِ نَعِيمًا
وقال نخيس بن أرطاة في لزوم تجنب الإنسان كل ما يُعاب :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيَى فَقَالَ غَشَّ شَتْنِي وَالنَّصِيحُ مَرُ
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبٌ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرُ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ يَحْيَى يُقَالُ عَلَيْهِ بِقَاءُ فَرُ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنْ الْحَرَّ حُرُ

وقال ابن هانيء (متنبى الغرب) في : أن ليس للإنسان إلا ما سعى :
وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعْيِهِ فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا
وَبِالْهَمَةِ الْعُلْيَاءُ تَرْقَى إِلَى الْعَلَى فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرًا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدَّمَ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَ

وقال بعضهم في كون التقليد في الخير فضيلة :
إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِلَالُ أَمْرٍ فَكُنْهُ تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَعْجَبُكَ
وَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرَمَاتِ إِذَا جِثَّتْهَا حَاجِبٌ يَعْجَبُكَ

وقال أبو روح ظفر بن عبدالله في الهمة والعزيمة الماضية :
السِّيفُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي حَدِّهِ مِرَّةً نَهَاهُ الدَّهْرُ عَنْ إِفْسَائِهِ
وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي صَدْرِهِ نَارًا مَضْرُمَةً عَلَى أَحْشَائِهِ

ولو أن أطراف السيوف وفين لي لأخذتُ حقّ الدهر من أبنائه
 همّهم مؤرقة جفوف كلما أرخى الظلام عليّ ذيل خيائه
 همّهم النفوس منوطة ببعنائها والمرء يخندعه لسان رجائه
 وقال عمارة اليميني المتوفى سنة ٦٦٩ في الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلمِ وشفرة السيوف تستغني عن القلمِ
 وخيرُ خيلك إن غامرت في شرف عزمٍ يفرق بين الساق والقدمِ
 لا يدركُ المجد إلا كلُّ مقتحمٍ في موجٍ ملتطمٍ أو فوجٍ مضطرمِ
 وربّ أمرٍ يهاب الناس غايته والأمر أهونُ فيه من يدٍ لِفمِ
 تنمى قوى الشيء بالتدريب إن رزقت
 لطفاً ويقوى شرارُ النار بالصرمِ

وقال أبو الحسن التهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ في الأدب العام :

لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها فلو أردت دوام البؤس لم يدُم
 فالدهر كالطيف بؤساء وأنعمه عن غير قصدٍ فلا تحمد ولا تلُم
 لا تحسبن حسب الآباء مكرمة لمن يقصّر عن غايات مجدهم
 حسن الرّجال بحسنهم وفسخهم بطوّلهم في المعالي لا بطوّلهم
 ما اغتابني حاسدٌ إلا شرفتُ به فحاسدي مُنعِمٌ في زيّ مُنتقمِ
 فالله يكبلُ حَسادي فأنعمهم عندي وإن وقعت عن غير قصدٍ هم

وقال أبو تمام في كون المرء يجمع والزمان يفرق :

ولكنني لم أحور دفراً مجتمعا ففُزْتُ به إلا بشغلٍ مُبدّدِ
 ولم تُعطني الأيامُ نوماً مُسكناً الذُّبى إلا بنومٍ مُشرّدِ
 وطولُ مقام المرء في الحيّ "مخلّق" لِدِيابِجَتَيْهِ فاغترِبْ تتجدّدِ
 فإني رأيتُ الشمسَ زبدت بحبّة إلى الناس أن ليست عليهم بسرّ مدِ
 وليس يُجلّي الكرب رُفحٌ مُسدّدٌ إذا هو لم يؤنّس برأي مُسدّدِ

وقال أبو تمام في كون الحركة بركة :

من أبْنِ ١ البُيُوت أصبح في ثوبٍ من العيش ليس بالفضفاضِ
والفقى من تعرّفته الليالي في الفياضي كالخية النضاضِ
صلتانُ أعداؤه حيثُ كانوا في حديث من عزمه مستفاضِ
كلّ يوم له بصرفِ الليالي فتسكةٌ مثل فتكة البراضِ

وقال بعضهم في ان الأمور تسهل بالصبر والاطمئنان لا بالذل والهوان :

إذا ضيّقتُ أمراً ضاق جداً وإن هوتت ما قد عزّ هانا
فلا تهلكُ شيء فأت بأساً فكم أمرٌ تصعب ثم لانا
سأصبرُ من رفيقي إن جفاني على كل الأذى الا الهوانا

وقال الحسين بن مطير في مكارم الأخلاق :

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيبَ وأن أعابا
وأصفحُ عن سباب الناس حيلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا
ومن هابَ الرجالَ تهيبوهُ ومن حقّرَ الرجالَ فلن يُهابا

وقال القطامي في التآني السلامة وفي المجلة الندامة :

والناسُ من يلقَ خيرَ أقانلونَ له ما يشتهي، ولأم الخطيء الهبل
قد يدركُ التآني بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المستمعيل الزللُ
وربما فاتَ قَوماً بعضُ أمرهم من التآني وكان الحرمُ لوعجلوا
والعيشُ لا عيشَ الا ما تقرُّ به عينٌ ولا حالٌ إلا سوف تَنسَقِلُ

وقال رجل من بني أسد في انه لا خير في ود يحيى تكلفاً :

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي إذا صدّ عني ذو المودة أحربُ
ولكني إن دُمتُ وإن يكن له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ

(١) ابن : لازم وأقام، والفضفاض بفتح الفاء الشيء الواسع والصلتان الرجلان
الجاد في أموره .

ألا إن خيرَ الودِّ 'ودُّ تطوَّعتْ' له النفس لا 'ودُّ أتى وهو متعب'
وقال القاضي الجرجاني في كون النفس الأبية لا تقبل الدنيا وتستقبل المنايا :

يقولون لي : فيك انقباضٌ وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجبا
إذا قيل هذا منهلٌ قلت قد رأى ولكن نفس الحرِّ تحتملُ الظبا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيمتُ لكن لأخدمنا
أشقى به غرساً ؟ وأجنيه ذلة إذن فاتباعُ الجهل قد كان أحزما

وقال البعيث بن حريث في كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان :

وإن مسيري في البلادِ ومنزلي لبالمَنْزل الأقصى إذا لم أقربِ
ولستُ وإن قربت يوماً ببائعٍ بلادي ولا ديني ابتغاءَ التحبيب
ويمتدده قوم كثير تجارةً ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وقال عمرو بن الأطنابة في اقتحام الأخطار لنيل الفخار :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأجذي الحمد بالثمن الربيع
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيع
وقتولي كلما جشأتُ وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعدُ عن عِرْضٍ صحيح

وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :

الحمد شهد لا ترى مشتاره يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غل الحامله ويجسبه الذي لم يوه عاتقه خفيف الحمل

وقال بعضهم في الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف :

كم فاقسة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلبٌ شج قد خامرته 'لوعة' ما تنجلي

وقال أبو تمام في صدق اليقين :

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيش من الصبر لا يحصى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُرُوعاً ما لها زَرَدُ

وقال هدية العنذري في وجوب وضع الشيء في موضعه :

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

وقال بعضهم في وجوب الثبات على المبدأ :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق شتى وقاسيت فيها الدين والفظعما
كلّاً بلوت فلا النعماء تبطرني ولا تخشعت من لأوائها جزعاً
لا يئلاً الهول صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعما

عوّد بنيك على الآداب في الصغر كما تقر بهم عيناك في الكبر
فلما مثل الآداب تجمعها في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير
إن الأديب إذا زلت به قدم يهوى على فرش الديباج والسرر
الناس صنفان : ذو علم ومستمع واع وسائرهم كاللغو والفكر

من لم يكن عقله مؤدّب لم يغنه واعظ من النسب
كم من وضعي الأصول في أمم قد سوّده بالعقل والأدب
لا تباسن إذا ما كنت ذا أدب على خمورك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهب الإبريز يختلط بالتراب إذ صار إكليلاً على الملك

السبع سبع ولو كلت مخالبه والكلب كلب ولو بين السباع ربي
وهكذا الذهب الإبريز خالطه صفر النحاس وكان الفضل للذهب
لا يعجبك أثواب على رجل دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تَفُحْ منه روائحه
وليس يسودُ المرءُ إلا بنفسه
إذا العودُ لم يُشْمَرْ ولو كان شعبةً
قد ينفعُ الأدبُ الأحداثُ من صغر
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
لم يفرقِ الناسُ بين العود والخطب
وإن عدَّ آباءُ كراماً ذوي حسب
من المئمراتِ اعتدَّة الناس من خطب
وليس ينفعُ بعد الشيبة الأدب
ولن يلين إذا قومته الخشب

وقال حاتم الطائي في الكرم :

أماويُّ إنَّ المالَ غادرٌ ورائحُ
أماويُّ إني لا أقولُ لسائلٍ
أماويُّ إِمَّا مانعٌ قهْبَيْنِ
أماويُّ إن يصبغ صداي بققرة
تري أن ما أنفقتُ لم يك ضَرْفِي
ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ
إذا جاء يوماً حلَّ في مالنا النذرُ
وإمَّا عطاءٌ لا ينهنيهُ الزجرُ
من الأرض لا ماءٌ لدي ولا تخمرُ
وأن يَدَيَّ مِمَّا بَخِلْتُ به صفرُ

وقال حاتم الطائي أيضاً في الإيثار :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها
إذا كنت ربّاً للقلوص فلا تدعُ
أنحسها فأردفنه فإن حملتكما
لتشرب ماء الحوض قبل الركائبِ
لأبعثها خفّاً وأترك صاحبي
رفيقك يمشي خلفها غيرَ راكبٍ
فذاك وإن كان العقابُ فعاقيب

وقال بعض الشعراء المتقدمين في ذم الغيرة :

ما أحسن الغيرة في حينها
من لم يزلْ مُنْتَهماً عِرسه
أوشك أن يُفترسها بالذي
حَسْبُكَ من تحصينها وضعها
لا تطلّع منك على ريبَةٍ
وأقبح الغيرة في كلِّ حينٍ
مناصباً فيها لريب الظنونِ
يخاف أن يبرزها للعيونِ
منك إلى عرض صحيح ودينِ
فيتبعُ المقرونُ حبل القرينِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في كرم الضيافة :

أُضاحِكُ ضيفي قبل إنزال رَحله وَيُخْصِبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الحِصْبُ للضيافِ أن يكثر القِرَى ولكنَّا وَجْهَ الكريمِ خصيبُ

وقالت ليلي الأخيلية في العِفة :

وذي حاجةٍ قلنا له : لا تَبْجُحْ فليسَ إليها ما حبيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

وقال ابن الرومي في القناعة :

مرحباً بالكفافِ يأتي هنيئاً وعلى المتعباتِ ذَلِيلُ العفَاءِ
ضِلَّةٌ لا مَرى يُشْمَرُ في الجمعِ لمعيشٍ مُشْمَرٌ للفناءِ
دائماً يَكْنَزُ القناطيرَ للوا رث والعمرَ دائماً في انقضاءِ
يحسبُ الحظَّ كُلَّهُ في يديه وهو منه على مدى الجَوَازِ
ليس في أجلِ النعيمِ له حُظٌّ وما ذاقَ عاجلِ النعماءِ
ذلكَ الخائبُ الشَّقِيُّ وإنْ كانَ نَ يرى أَنه مِن السُّعْداءِ
حَسْبُ ذي إربةٍ ورأيٍ جَلِيٍّ نظرت عينه بيلاً غلواءِ
صِحَّةِ الدِّينِ والجوارحِ والعِزِّ ض وإحرازِ مُسْكَةِ الحَوَابِ
تِلْكَ خيرٌ لِمعارفِ المجدِّ مِمَّا يجرع الناسُ من فضولِ الثراءِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في القناعة :

أَحِبُّ الفَقْرَ ينفى الفواحشَ سمعُه كأن به عن كلِّ فاحشةٍ وقنبراً
سليمَ دَواعي الصدرِ لا بأسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْراً
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنتُ مُحْتالاً لِزَلَّتْهُ عُدْراً
غنى النفس ما يكفيك من سدِّ خلة فإن زاد شيئاً عاد داك الغنى فقراً

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين :

لولا أُميمة لم أجزع من العدم ولم أجُبْ في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي أن اليتيمة يحفوها ذَوو الرحم
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يلم بها فيهلك الستر عن لحم وعن وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزال على الحرم

وقال مسكين في كتان السر :

وفتيان صدق لست مُطلعَ بعضهم على سر بعض غير أني جماعها
لكل امرئٍ شِعْب من القلب فارغ وموضع نجوى لا يُرام اطلاعها
يظنون شقي في البسلاد وسرهم إلى صخرة أعين الرجال انصداعها

وقال أبو العتاهية في المغفرة :

إني شكرت لظالمي ظلمي وغفرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيتهُ أسدى إليَّ يداً لما أبانَ يجهله حلمي
رَجَعَتِ إِسَاءَتُهُ عَلَيهِ وَإِحْسَانِي فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وغدوتُ ذا أَجْرٍ ومحمدة وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له وأنا المُسيء اليه في الحُكم
ما زال يظلمني وأرحمه حق بَكيت له من الظلم

وقال ابن مطير في إكرام النفس :

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعاً لها في فعل شيءٍ يُضِيرُهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا

وقال بشار في السعادة :

وما خابَ بينَ الله والناسَ عَامِلٌ له في التقى وفي الحمادِ سوقُ
ولا ضاقَ فضلُ الله عن مُتَعَفِّفٍ ولكن أخلاقَ الرجالِ تضيّقُ

وقال أبو تمام في الصداقة الكاذبة :

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطن متجهم

وقال بعض الشعراء المحدثين في الثقة :

في انقباض وحشة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتمل

وقال أبو تمام في القناعة :

من زاحف الأيام ثم عبا لها غير القناعة لم يزل مفلولا
من كان مرعى عزمه ومومه روض الأماني لم يزل مهزولا
لو جاز سلطان القنوع وحكمه في الأرض ما كان القليل قليلا
وقال أبو العلاء المعري في الخمر :

أبائي نبي يجعل الخمر طليقة فتحمل شيئاً من همومي وأحزاني
وهيات لو حللت لما كنت شارباً مخففة في الحلم كفة ميزاني
وله أيضاً في أن الملك أجير الرعية :

مثل الملقام فكم أعائير أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فسعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وقال أيضاً في رياء المؤاخذ :

رؤيدك قد غررت وأنت حر* بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصبيان صباحاً ويشريها على عمد مساء
يقول لكم : غدتوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
إذا فعل الفق ما عنة ينهى فمن جهتين ، لاجية ، أساء

وله أيضاً :

إذا كان علمُ الناس ليس بنافع ولا دافع ، فالخُسْرُ للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتسمّ وضاعت حكمة الحكماء

وله أيضاً في سلطان العقل :

يرتجي الناس أن يقومَ إمامٌ ناطق في الكتيبةِ الخرساء
كذب الظن لا إمامَ سوى العقل مُشيراً في صُبحهِ والمساء
إنما هذه المذاهبُ أسبا ب' لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله أيضاً في رياء العباد :

لعَلَّ "أناساً في المحاريبِ خوّفوا بآي، كناس في المشارب أطربوا
إذا رامَ كيداً بالصلاة مُقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقربُ

وله أيضاً :

أيا جَسَدَ المرءِ ماذا دها ك وقد كُنتَ من عنصرٍ طيب
تصيرُ ظهوراً إذا ما رَجَعْتَ إلى الأصلِ كالطرّ الصيب

وقال أيضاً في قسمة الأرزاق :

لقد جاءَنا هذا الشتاء وتحتة فقيرٌ مُعرّى أو أميرٌ مُدرّجُ
وقد يُرزق المجدود أقوات أمةٍ ويُجرم قوتنا واحدٌ وهو أحوجُ

وقال أيضاً في ذم البطالة :

ويُعجبي دأبُ الذين ترهّبوا سوى أكلهم كدّ النفوس الشحائح
فما حبسَ النفسَ المسيحَ تعبُّداً ولكن مشى في الأرض مشية سائح

وقال أيضاً في الرّفق بالحيوان :

قد رابّني مَغْدَى الفقيرِ يحمّله على العَيْرِ ضرباً ساء ما يتقلّدُ
يحمّله ما لا يطيق فإن ونى أحال على ذي كَفرة يتجلّدُ

وله أيضاً في أين الحقيقة :

'نفارق العيش لم نظفر بمعرفة
لم يعطنا العلم أخبارٌ يجيءُ بها
وابيض ما اخضر من نبت الزمان بنا
وكلّ زرعٍ إذا ما هاج محصود

وقال أيضاً في حقيقة الايمان :

ما الخيرُ صومٌ يذوبُ الصائمون له
وإنما هو ترك الشرِّ مطرَحاً
ولا صلاة ولا صُوف على الجسد
وتنفُضُكَ الصَّدْرُ من غِلٍ ومن حَسَدٍ

وقال أيضاً في خرافات النساء :

سألتُ منجّها عن الطفل الذي
فأجابها مائة ، ليأخذ درهماً
في المهد كم عائشٌ من دهره ؟
وأنتي الجمامُ وليدها في شهره !

وقال أيضاً في راحة الموت :

قدِمَ الفقى ومضى بغير تَنَبُّهٍ
لقد استراح من الحياة مُعْجَلٌ
كهلّال أوّل ليلة من شهره
لو عاش كابدَ شِدَّةً في دهره

وقال أيضاً في العفة :

أحسِنَ جِواراً للفتاة وعدّها
كتجاور العنين لن تتلاقيا
أختَ السماء على دُنُوِّ الدار
وحجاز بينهما قصيرُ جدار

وقال أيضاً في بقاء الملك :

مضى الأنام فلولا علم حالهم
في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا
لقلت قول زهير آية سلكوا
منه فكيف اعتقادي أنهم هلكوا

وقال أيضاً في الصبر والأذى :

إذا قال فيك الناس ما لا تحبّه
وقد نظقوا مئناً على الله وافقروا
فصبراً يفيء ود العدو إليك
فما لهم لا يفترون عليك

الدين المعاملة ، للمعري أيضاً :

سَبَّحْ وصلْ وطُفْ بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلستَ بناسكٍ
جهيل الديانة من إذا عرضت له أطعمه لم يُلَفْ بالمتاسكِ

قتل الأفراد ، وقتل الأمم ، للمرحوم أديب بك إسحاق :

قَتَلَ امرئ في غابةٍ جريسة لا تُغْتَفَرُ
وقَتَلَ شَعْبَ آمِنٍ مسألةً فيها نظَرُ
والحقُّ للقوة لا يُعطاهَا إلا مَنْ ظَفِرُ
ذي حالة الدنيا فكن من شرّها على حَذَرُ

الوطن ، لابن الرومي :

وطنٌ به صَحِبْتُ الشبيبة والصِّبا وليست ثوب العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتُسه وعليه أغصان الشباب تيمد

البنات ، لمعن بن أوس :

رَأَيْتُ رجالاً يكرهون بناتهم وفيهنّ لا نغلو نساءً صوالحُ
وفيهنّ والأيامُ يعثرون بالفتى عوائد لا يملئنها ونوائحُ

الكرم ، للبستي :

فسامح ، ولا تستوفِ حَقَّك كله وأبقِ فلم يستقصِ قط كريمُ
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصِدِ كلا طرفي قصدِ الأمور ذميمُ
الشهيد حيّ ، والميت هو خائن الوطن ، للأمير الجليل شكيب أرسلان :

بالله لا تَنَدَبُوا قَتْلِي ، ولا تَهَنُّوا

بعمدي ، ولا تفرقوا في النُوح والحزنِ
إنَّ الشهيدَ لَحَيٌّ عند خالقه وإنما الميتُ حقاً خائنُ الوطنِ

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبري باشا :

يادواةُ اجعلي مِدَادَكَ وِرْدَاً لوفود الأقلام حيناً غحينا

وليكن كالزمان حالاً وحالاً تارة آسيناً وأخرى مَعِينَا
أكرمي العلم وامنحي خادميه ماءك الغالي النفيس الثمينَا
وابذلي الصافي المطهر منه لهُدَاة السرائر المرشدينَا
وإذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينَا
واستمد من الشرور مِدَاداً فاجعليه من قِسْمَةِ الظالمينَا
واقذفي النقطة التي بات فيها غضبُ القاهر المُنْذِلُ كمينَا
ليراع امرئ إذا خَطَّ سطرأ نبذ الحق وارتضى المينَ دينَا
وإذا كان فيك نقطة سوءٍ 'كُونْتُ' من خبائثِ تكوينِنَا
فاجعليها قِسطَ الذين استباحوا في السياساتِ حُرْمَةَ الأضعفينَا
وإذا خِيفَتْ أن يكون من الصخر جلاميدُ 'ترجم' السامعينَا
فابجلي بالمِدَادِ 'بخلاً وإن' 'أعطيت فيه المثلين' ثم المدينَا
فإذا أعوز المِدادُ طبيباً يصف الداءَ دائماً مستعينَا
فامنحيه المِدادَ منا وعرفاً واستطبي معونة المحسنينَا
وإذا مهجة الحماهم أسدتُ نقطة سرّها الذكي المصونا
فاجعليها على المودات وقفاً وهبها رسائل الشيقينَا
فإذا لم تكن بقلبك إلا ما أعدّ الاخلاص للمخلصينَا
فاجعليه حظي لأكتب منه شرح حالي (لسيد المرسلينَا)

القيّار ، للشيخ نجيب الحداد المتوفى سنة ١٨٩٩ م من قصيده طويلة :

لكلّ نقيصة في النار عار وشرّ مصائب المرء القيّارُ
هو الداء الذي لا بُرء منه وليس لذنوب صاحبه اغتفار
تشادُ له المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتيها الدمار
تصيب النازلين بها سُهادُ وافلاسُ فيأسُ فانتحارُ

الوطنية للشاعر المرحوم مصطفى أفندي صادق الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م :
 بلادي هواها في لساني وفي دمي 'بمجدها قلبي ويدعو لها في
 ولا خيرَ فيمن لا يُحب بلاده ولا في حليف الحب إن لم يُقيم
 الرجوع الى الحق خير من التماذي في الباطل : للمرحوم مصطفى لطفي
 المنفلوطي المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ :

إذا ما سَفِهَ نالني منه نازلٌ من الدم لم 'يخرج' بوقفه صدري
 أعودُ الى نفسي فإن كان صادقاً عتبت على نفسي وأصلحت من أمري
 والا فما ذنبي الى الناس ان طغى هواها فما ترضى بخير ولا شر
 النفس الابية للشاعر الكبير أحمد أفندي نسيم :

ولم أذرع بالذلّ شيمة حازم عن العز والملياء لا يتنكب
 كذا أنا يا نفسي فكوني أبيّة ومالك الامذهب الفضل مذهب
 الجمال : لشاعر المتجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبي :

لقد عصفت بالمكرّمات زعازعٌ وعقّت رسوم الاكرمين رياح
 اذا أظلمت أخلاقنا وقجّمت قهل نافع أن الوجوه ملاح

الادب : للمرحوم محمد أفندي امام المتوفى سنة ١٩١٧ م :

لم يثبت الخير مال ولا نسب انما الخير كل الخير في الادب
 مزية تملأ الدنيا محاسنها سلم لكمال الفضل والحسب

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ :

حكم الألى يحكمون الناس يضحكني وسوء فعلهم في الناس يُبكي
 ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك من هذي الولاة بهاتيك المساكين

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوي المتوفى

سنة ١٩٣٦ م :

إذا كان نشر العلم ذنباً مُعاقباً عليه فأني أشهد الله مذنب

الثبات على المبدأ . لشاعر الشام أسعد أفندي رستم :
 لا بدّ للمرء مما ليس يُرضيه إذا تداخل فيما ليس يعنيه
 فأبدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرء يُعرف أصلاً من مبادئه
 طلب الحال : للشاعر الجليل أحمد أفندي محرم :

صرفت رجائي عن مطالب آفة وليس الذي يرجو الحال بكيس
 أقول لنفسي والاسى لثيورها مكانك ان النفس بالنفس تأتسي
 وقال محمد بن بشير في الصبر الجميل :

ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
 لا تأسن وان طالت مطالبه اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
 أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
 قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرق زلجا
 ولا يغرّنك صفو أنت شاربها فرُبما كان بالتكدير ممتزجا

وقال الأضبط بن قريع في الادب العام :

ليكل ضيق من الأمر سعة والصبح والمساء فلاح معه
 قد يجمع الهال غير آكله وبأكل الهال غير من جمعه
 ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
 فاقبل من الدهر ما أأك به من قر عينا بعيشه نفعه
 وصل حبال البعيد ان وصل السحب وأقص القريب ان قطعته
 لا تعاد الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعة

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فعول شعراء الجاهلية في الصبر
 صبر النفس عند كل ملء ان فى الصبر حيلة المحتال
 لا تضيقن بالأمور فقد تكشف غاؤها بغير احتيال
 ربما تذكره النفوس من الأمر فرجة كحل العقول

الباب الثاني عشر في الصبر والتأني

تصبر ففي الأواء قد يحمّد الصبرُ ولولا صُروف الدهر لم يُعرف الحرُّ
وإن الذي أبلى هو العون فانتدبُ جميل الرضا يبقى لك الذكر والأجرُ
وثيق بالذي أعطى ولا تك جازعاً فليس يحزم أن يروّعك الضرُّ
فلا نعمٌ تبقى ولا تقمٌ ولا يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر
تقلب هذا الأمر ليس بدائم لديه مع الأيام حلو ولا مر
اصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح إلى الطاعات في البكر
إني رأيتُ وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جدّ في أمر يؤمّله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

عليك بإظهار التجلّد للعدي ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظرُ الرّيحان يشمّ فاضراً ويُطرحُ في البيدا إذا ما تغيرا

صبراً على نوب الزّمان وإن أبى القلب الجريحُ
فلكلّ شيءٍ آخر إما جميل أو قبيحُ

الدهر أدبني والصبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغساني
وحنّكتني من الأيام تجربة حق نهيتُ الذي قد كان ينهاني

إني رأيت الصبرَ خيرَ معمولٍ في النَّائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكتدت بعُرى الغنى فجعلتها لي مَعقلا
فإذا نبأ بي منزل جاوزته وجعلت من غيره لي منزلاً
وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

إذا ما أذاك الدهر يوماً بنكبةٍ فأفرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوما ترى يُسرّاً ويوما ترى عُسرا

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويُحمدُ منه الصبرِ مما يُصيبه
فمن قلّ فيما يتّقيه اضطباره لقد قلّ فيما يرتجيه يُصيبه
اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرٌ وكلّ وقتٍ له أمرٌ وتدبيرٌ
وللمهيمن في حالاتنا نظرٌ وفوق تدبيرنا لله تدبيرٌ

اصبرُ ففي الصبرِ خيرٌ لو علمت به لكنت باركت شكرًا صاحب النعم
واعلم بأنك ان لم تصطرّ كرمًا صبرتَ قهرًا على ما خطّ بالقلم
كن حليمًا اذا بُليت بغِيظٍ وصبورًا اذا أتتك مُصيبه
فالليالي من الزمان حبالٍ مُثقلاتٌ يلدن كلّ عجيبة

تصبرُ أيها العبدُ اللبيبُ لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات وان تنامت يكون وراءها فرجٌ قريب
أي صاحبي اذ رمت أن تكسب العلا وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كلّ حالة فما صابر فيما يرومُ بنادم

بنى الله للأخيار بيتًا سماؤه همومٌ وأحزانه وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابَه وقال لهم مِفْتَاحُ بابكمُ الصبر
اصبرُ قليلاً وكن بالله معتصماً لا تعجلن فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل

اذا جرحت مساوهم فؤادي صبرتُ على الاساءة وانطويتُ
وجئتُ اليهم طلق المحيّا كأنني لا سمعتُ ولا رأيتُ
ثانٍ ولا تضيق للأمر ذرعاً فكم بالنتجح يظفر من تأنى
ثانٍ فعيناً المرء تأنى ينلُ نجحاً ويدرك ما تمنى

ثانٍ ولا تعجل بكونك صاحباً لعلّ له عذراً وأنت تلومُ

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق
عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
عليك بالصدق في كل الأمور ولا تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لي حيلة فيمن يَنِيْمٌ وليس للكذاب حيلة
من كان يَحْدَقُ ما يَقُو ل فحيلتي فيه قليلة
نعم نعم انما التام ذو ضرر لكننا الكاذب الجاني أشد ضرر
أخو النميعة إن يسمع ينم ومن يكذب يقل ما يشاء قولاً بغير أثر
لذاك لي حيلة في من ينم وما لي حيلة في كذوب ملء فيه شرر
لي حيلة في من ينم فإنني أطوي حديثي دونه وخطابي
لكننا الكذاب يخلق قوله ما حيلتي في المفتري الكذاب
لا يكذب المرء الا من مهنته أو فعله السوء ، أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب
اياك من كذب الكذوب وافكه فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه
إذا عرف الانسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً
فان قال لم تصنع له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

الباب الخامس عشر في التواضع

ان شئت أن تبني بناء شامخاً يلزم لذا البنيان أس راسخ
ان البناء هو الكمال وأسسه الصخري فهو الاتضاع الباذخ

٨٠؛ الباب السادس عشر في الكرم والوفاء - الباب السابع عشر في البخل

تواضع لرب العرش عليك ترفع' فما خاب عبد' للمهمين يخضع'
تواضع' تكن' كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع'
ولا تك' كالمدخان يعلو بنفسه الى طبقات الجو وهو وضيع'
اذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة' فلن وتواضع واترك الكبر والمعجبا'
تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة' فان رفيع القوم من يتواضع'

الباب السادس عشر في الكرم والكرماء

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث' مالا
فقد كملت خيرا ته غير أنه جواد' فما يبغي من المال باقيا
ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الحسن'
أبى الجود في الدنيا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجود'
ان الكريم الذي لا مال في يده مثل' الشجاع الذي في كفه شل'
والمال مثل الحصى ما دام في يدنا فليس ينفع' الا حين ينتقل'
لو أشبهتك بحار الأرض في كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرقي'
أو أشبه العيث جوداً منك منهملا لم ينج في الأرض مخلوق من الفرق'
من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكين'
أنت اذا جدت ضاحك' أبداً وهو اذا جاد داعم' العين'
ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
فنوال الأمير بدرة' مال ونوال الغمام قطرة' ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخل يجمع المال مدته وللحوادث والايام ما يدع'
كدودة القز ما تبنيه يهدمها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

إن هذا الفقى يصون رغيـفاً ما إليه من ناظر من سبيل
 في جـراب في جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل
 شرابك مختوم وخـبزك لا يرى ولحمك بين الفرقدين معلق
 نديمك عطشان وضيفك جائع وكلبك نباح وبابك مغلق
 نوالك دونه شوك القناد وخـبزك كالثرثرا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في منام لحرمت الرقاد على العباد
 قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب إن الحريص على الدنيا لفي تعب
 وذو حرص تراه يلثم وفرأ لوارثه ويدفع عن حماه
 ككلب الصيد يمسك وهو هاو فريسته ليأكلها سواه
 حسي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع
 من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
 ما طار طير وارقفع إلا كما طار وقع
 أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز إذا وُضعا
 خبز البخيل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبعنا
 إياك والحرص إن الحرص متعبة فإن فعلت فراع القصد في الطلب
 قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب
 إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاء الخفساء إذ فجعت بصخر
 ودون رغيـفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر
 تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال
 علي اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال
 رغيـف في الحجاب عليه قفل وحرّاس وأبواب منيعه
 رأى في بيته ضيف رغيـفا فقال لضيفه هذا وديعه

رأى «الصيف» مكتوباً على باب داره فصحفه «ضيفاً» فقام إلى السيف
فقلنا له «خيراً» فظنّ بأننا نقول له «خُبْراً» فمات من الخوف
وقال أبو محمد إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ في ذمّ البخل :
وأميرة بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل
وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتي لو علمته إذا نال شيئاً أن يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر وأحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه في ما سيفنى وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفواً أليس مصيرُ ذاك إلى انتقال
إن الله عباداً فطنوا طلقوا الدنيا وعافوا الفتن
فكروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي ووطن
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفناً
عجبت للمرء في دنياه تطمعه في العيش والأجل المحتوم يقطعه
يسى ويضج في عشواء يخبطها أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يفتر بالدهر مسروراً بصحبته وقد تيقن أن الدهر يصرعه
ويجمع المال حيرصاً لا يفارقه وما درى أنه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درمه وليس يشفق من دين يضيعه

وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة من أنفق العمر في ما ليس ينفعه
 ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
 تأمل إذا نلت بالأمر لذة فأفنديتها هل أنت إلا كحالم؟
 ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها
 فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كلاح في ظهر الفلاة سرابها
 وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب مهمن اجتذباها
 فإن تجتنبها كنت سيماً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها
 فدع عنك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقى ارتكابها
 ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
 إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً مومها
 هي الدنيا تقول بلى فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
 فلا يفرركموا مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي
 يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقدار
 دار متى ما أضحكك في يومها أبكك غداً، تباً لها من دار

الباب التاسع عشر في الأسرار

ولست بمُبْدٍ للرجال سريري ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
 لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
 فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم
 صن السر عن مستخير وحاذر فما الرأي إلا الحذر
 أسيرك سر إن صنته وأنت أسير له إن ظهر
 كل علم ليس في القِرطاس ضاع كل سر جاوز الإثنين شاع

إذا لم يكن في الورى صاحب وفيه ثلاث خصال حميده
وفاء وسر ، وحفظ الولا فصحبته قط ليست مفيده

الباب العشرون في اللسان

لا يُعجبنيك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
يُصاب الفم من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرت في القول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل
احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنيك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان
الصمت زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة فلنندم من على الكلام مرارا
إن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره بمقوت
ما زل ذو صمت وما من مكثر إلا يزل وما يعاب صمت
إن كان ينطق فاطق من فضة فالصمت در زانه الياقوت
احفظ لسانك واستعد من شره إن اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس فإذا استوى فهناك حلمك راجح
عود لسانك قول الخير تنسج به من زلة اللفظ أو من زلة القدم
واحذر لسانك من خيل تناديه إن النديم لمشتق من الندم

الباب الحادي والعشرون في المعاشرة

إذا المرء لا يراك إلا تكلفا فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفوُ الوداد طبيعة فلا خير في ودِّ يجيء تكلفا
ولا خير في خيلٍ يخونُ خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكرُ عيشاً قد تقادمَ عهده ويظهر سرّاً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوق صادق الوعد منصفا
صافٍ الكرامَ فخيرَ مَنْ صافيتُهُ مَنْ كان ذا أدبٍ وكان ظريفا
واحذرْ مؤاخاةَ اللئيمِ فإنه يُبدي القبيحَ ويُنكرُ المعروفا
إن الكريمَ وإن تضعُضَ حاله فالخلقُ منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهمٍ قلبُهم بها فأصبت منها فضة وزيوفا
ولن يصحبَ الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الفيء إلا أن تصاحب غاوباً وما الرشد إلا أن تصاحب ذا رشداً
أخو الفسق لا يفرُّرك منه توددٌ فكل حبال الفاسقين مَهينٌ
وصاحب إذا ما كنت يوماً مصاحباً أخا ثقة بالغيب منك أمين
اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله واحذر مقارنسة اللئيم الشائن
كم من قرين شائنٍ لقرينه ومُهْجِنٍ منه لكل محاسن
وعينك إن أبدت إليك مساوياً من الناس قل يا عينُ للناس أعينُ
وعاشرٌ بمعروف وكن متودداً ولا تَلقَ إلا بالتي هي أحسنُ

الباب الثاني والعشرون في القناعة

وأكل كُسيرة في جَنبٍ ببق أحبُّ إليَّ من أكل الرغيف
ولبسُ عباءةٍ وقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
هي القناعة فالزمها تعيش مَلِكاً لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن مَلِك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

قَنَعْتُ بالقوتِ من زَمَانِي وَصُنْتُ نفسي عن الهوانِ
 خوفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلانٍ على فلانٍ
 من كنتُ عن ماله غَنِيًّا فلا أُبالي إذا جَفَانِي
 ومن رآني بعينِ نقصٍ رأيتُه بالقي رآني
 ومن رآني بعينِ رَمٍّ رأيتُه كاملَ المعاني
 إذا المرءُ عُوْفِي في جسمه وملّكه الله قلباً قنوعاً
 وألقى المطامعَ عن نفسه فذاك الغنيُّ ولو مات جوعاً

النفس تجزعُ أن تكون فقيرةً والفقير خيرٌ من غنى يُطغىها
 وغنى النفوس هو الكفاف فإن أَبَتْ فجميعُ ما في الأرض لا يكفيها
 إن القنوع نقيسُ النفسُ راشداً وهو الغنيُّ الذي يحيا بلا نصيبِ
 وذو المطامع مغرورٌ ومفتقرٌ ولو حوى مُلكَ سلطانٍ وعلم نبي
 أفادتني القناعة كلَّ عَزٍ وهل عَزٌّ أعزُّ من القناعة
 ولقد طلبتُ رضا البرية جاهداً فإذا رضاهم غايةٌ لا تُدرَكُ
 وأرى القناعة للفقى كنزاً له والبيرُّ أفضلُ ما به يتمسكُ

الباب الثالث والعشرون في الحسد

تخلق الناسُ بالأدناسِ واعتَمَدوا من الصفاتِ الدها والمكر والحسدا
 كرهتُ منظرهم من سوءِ مخبرهم وقد تعاميت حتى لا أرى أحداً
 اصْبِرْ على كيدِ الحسودِ فإنَّ صَبْرَكَ قاتلهُ
 فالنارُ تأكلُ نفسها إن لم تجد ما تأكله
 دَعِ الحسودَ وما يلقاه من كمدٍ يكفيك منه لَهيبُ النارِ في كبدِهِ
 إنْ لَمْتُ ذا حَسَدٍ نفستُ كربته وإن سَكَتَ فقد عذَّبته بيَدِهِ

أيا حاسداً لي على نِعْمتي أتدري على من أسأت الأدب
 أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترضَ لي ما وهب
 فأخزأك ربّي بأنت زادني وسدتّ عليك وجوه الطلب
 ان شئت قتل الحاسدين تعمداً من غير مُدَيّاتٍ عليك ولا قوّد
 وبغير دم قاتل وصوارم وعقاب ربّ ليس يغفل عن أحد
 عظمّ تجاه عيونهم محسودهم فتراهم واموتى النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون في الحلم

ألا انّ حلم المرء أكرمُ نسبة تسامى بها عند الفخار حلمُ
 فيا ربّ هب لي منك حِلماً فإنني أرى الحلم لم يَنسُدْمْ عليه كريم
 ولا خيرَ في حلم إذا لم يكن له بواذرُ تحمي صفوه أن يُكْدَرا
 ولا خيرَ في جهل إذا لم يكن له حلم إذا ما أوردَ الأمرُ أصدرَا
 إذا كنتُ محتاجاً الى الحلم إنني الى الجهل في بعض الأحيان أحوج
 ولي فرس للحلم بالحلم ملجس ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
 فمن شاء تقويي فلاني مقوّم ومن شاء تعويجي فلاني معوج
 وما كنت أرضى الجهل خيْدُنَا وصاحباً
 ولكنني أرضى به حين أحرّجُ

إذا كنتَ بين الحلم والجهل ناشئاً وخيّرْتَ أنسى شئت فالحلم أفضلُ
 ولكن إذا أنصفتَ مَنْ ليس مُنصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثلُ
 وعينُ الرضا عن كل عيب كيلة كما أن عين السخط تبدي المساويا
 ولستُ بهيَّاب لمن لا يهابني ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا
 فإن تدن مني تدن منك مودّتي وإن تنأ عني تلاقني عنك نائيا
 كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا مِتْنَا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون: في الحماقة

لكل داء دواء يُسْتَنْطَبُ به الا الحماقة أعيت من يُداويها
لا تَيْأسَنَّ من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الأحمق
فعداوة من عاقل مُتَجَمِّل أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون في الوطن

قال ابن الرومي :
ولي وطنٌ آليت ألا أبيعَه وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرتُ به شَرخَ الشباب مُنْعَمًا بصُحبة قوم أصبحوا في ظلاله
وحببَ أوطانَ الرجال اليهم مأرب قضّاهم الشباب هُنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عمود الصبّ فيها فحنوا ليدالك
وقد ألفتَه النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

الباب السابع والعشرون : في المال

إن الدرهم كالمرا م تجبر العظم الكسيرا
لو نالهُنَّ ثَعْلَبٌ في صُبْحِه أضحى أميرا
إن قِلَّ مالي فلا خيلٌ يُصاحبني وإن زاد مالي فكل الناس خلاني
فكم عدوٌّ لأجل المال صاحبني وكم صديق لفقد المال عاداني
لعمرك إن المال يجعلُ الفقى سريًا وإن الفقر للمرء قد يُزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
وإذا رأيت صعوبة في مطلب فاحمل صعوبة على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فإنه حجر يُلَيِّنُ قَسْوَةَ الأحجار
الناسُ أتباعٌ مَن دامت له نعيم والويل للمرء إن زَلَّتْ به القدم

المال زين ، ومن قسدت دراهمه حي كمن مات الا أنه صنم
لما رأيت أخلائي وخاليتي والكل مستتر عني ومحتشم
أبدوا جفاء وإعراضاً فقلت لهم : أذنبت ذنباً ؟ قالوا ذنبك العدم

فصاحة حسّان وخط ابن مقلّة وحكمة لقمان وزهّد ابن آدم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لا يُباع بدرهم
إذا كنت في حاجة مُرسلاً وأنت بها كلف مُفرّج
فأرسل حكيماً ولا توصيه وذاك الحكيم هو الدرهم

أظهروا للناس زهداً وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصلوا وله حجّوا وزاروا
لو يرى فوق الثرى ولهم ريش لطاروا

المال يفرق بين الأم والولد فذاك أدنى نسيب عند كل يد
عهدي به خادماً كالعبد تملكه فما ليعني تراه سيد البلد ؟

مال يميل إلى الإنسان من صغره وكلما شبّ شبّ الحب في الكبد
لو يجمع الله ما في الأرض قاطبة عند امرئ لم يقلّ حسبي فلا تزد
كل يروح من الدنيا الغرور كما أتى بلا عدد منها ولا عدد
لو كان يأخذ شيئاً قسبنا أحد لم يبق شيء لنا من سالف الأمد
إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
ألا إنما مالي الذي أنا مُنفق وليس لي المال الذي أنا تاركه
من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقلا
لولا دراهمه التي يزهو بها لوجدته في الناس أسوأ حالا
إن الغني إذا تكلم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا

أما الفقير اذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالوا
ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مَهَابَةً وجمالاً
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السِّلَاح لمن أراد قتلاً

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تَغَيَّرَتْ عن حالها فدع المقامَ وبادرِ التَّحْوِيلَا
ليس المقام عليك فَرَضاً واجباً في بلدة تدع العزير ذليلاً
تَنْقُصُ فلذات الهوى في التَّنَقُّلِ وَرَدُ كلِّ صَافٍ ولا تَقِفْ عند مِهْلٍ
ففي الأرض أحبابٌ وفيها مَنَاهِلُ فلا تَبْكُ من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ
تَغَرَّبَ عن الأوطان في طلب العُلا وسافرْ في الأسفار خمسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجٌ همٌّ ، واكتسابٌ مَعِيشَةٌ ، وعِلْمٌ ، وآدَابٌ ، وصَحْبَةٌ ماجِدِ
وإن قيلَ في الأسفارِ ذلٌّ ومُحَنَةٌ وقطعُ الفياثِ واكتسابُ الشَّدَائِدِ
فموتُ الفقى خيرٌ له من حَيَاتِهِ بدارِ هَوَانٍ بينَ واشٍ وحاسِدِ
ارْحَلْ بنفسك من أرضٍ تُضَامُ بها ولا تَكُنْ لفراقِ الأهلِ في حَرْقِ
من ذلٍّ بين أهاليهِ ببلدٍ به فالاغترابُ له مِنْ أَحْسَنِ الخُلُقِ
الكحلُ نوعٌ من الأحجارِ مُنْطَرِحَا في أرضه كالثرى يُرْأَى على الطرُقِ
لما تَغَرَّبَ نال العزَّ أَجْمَعَهُ وصارَ يُحْمَلُ بينَ الجفنِ والحدقِ
ما في المقامِ لذي عَقْلٍ وذِي أدبٍ من راحةٍ فدع الأوطانَ واغترِبْ
سافرْ تجدَ عِوضاً عن تصاحبهِ وانصَبْ فإن لذيدَ العيشِ في النَصَبِ
إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفْسِدُهُ إن سَالَ طَابَ وإن لم يَجْرِمِ يَطِيبْ
والأسدُ لولا فراقَ الغابِ ما قَنِصَتْ والسهمُ لولا فراقَ القوسِ لم يُصِيبْ
والشمسُ لو وَقَفَتْ في الفلكِ دَائِمَةً لملَّها الناسُ من عُجْنَمٍ ومن عَرَبِ
والبدرُ لولا أقولُ منه ما نظرتُ اليه في كلِّ حينٍ عَيْنٌ مُرْتَقِبِ
والتبرُ كالترابِ مُلْقَى في أَمَاكِنِهِ والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطبِ

فإن تغرّب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلو على رتب
إذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بأرض ذل وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحاها
فنفسك فز بها إن خفت ضيا وخل الدار تنمي من بناها
فإنك واجد أرضاً بأرض ونفسك لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
وجانبن ما يشير الأغبياء به فأبى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عز ربسع ظمئت به الى الجنب الذي يهوى به المطر
واستزل الري من در السحاب فإن بليت يداك به فليهنك الظفر

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا
واذا رأيت الرزق ضاق ببلة وخشيت فيها أن يضيق المكسب
فارحل فأرض الله واسعة الفضاء طولاً وعرضاً ، شرقها والمغرب

اذا ما كنت في قوم غريباً فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبجه الكلاب

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن ألق دلوك في الدلاء
يجيء بمائها طوراً وطوراً يجيء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقدّر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحد منهم يؤتمن
وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني مباديه إلا ساءني في العواقب
إني بلوت الناس أطلب منهم أخائقة عند اعتراض الشدائد
فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شامت ولم أرَ فيما سرني غيرَ حاسدٍ
وقال علي بن الجهم وهو مسجون :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهندي لا يغمدُ
فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
والبدري يدركه السرار فتنجلي أيامه وكأنه مُتَجَدِّدُ

الباب الثلاثون في الدعاء والختام

أراني الله وجهك كل يوم صباحاً للتسليم والسرور
وأمتع مُقلتي بصفحتيه لأقترأ الحسن من تلك السطور
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ وطودك ممدود وبابك عامرُ
يود سنائك البدرُ والبدر زاهرُ ويقفونداك البحرُ والبحرُ غامرُ
وهنشت أياماً تَوالت سمودها كما تتوالى في العقود الجواهرُ

يقول مؤلفه فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة
 وخمسة عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

فهرس الجزء الأول

من كتاب جواهر الأدب

صفحة	صفحة
ابن العميد ، رسالة بديع الزمان	٣ فاتحة الكتاب
الهمذاني رسالة أبي محمد عبد الله	٩ إليكم معشر الكتاب
البطلوسي رسالة الشيخ إبراهيم	١٤ تمهيد في مبادئ علم الأدب
اليازجي رسالة أبي العباس القسافي	١٥ مقدمة في علم الانشاء
رسالة صاحب إسماعيل بن عباد	١٦ الباب الأول في اصول الانشاء -
رسالة أبي بكر الخوارزمي ، رسالة	مواد الإنشاء ، خواص الإنشاء ،
المرحوم الشيخ حمزة فتح الله رسالة	عيوب الانشاء ، طبقات الإنشاء ،
المرحوم محمد بك دياب ، رسالة المرحوم	محاسن الانشاء
وفا أفندي محمد ، رسالة مؤلف هذا	٢٢ كيفية الشروع في عمل مواضيع
الكتاب	الانشاء - أركان الكتابة ، كيفية
٥٨ الفصل الثاني في التعارف قبل	نظم الكلام ، الطريق إلى تعلم الكتابة
اللقاء - رسالة الثعالبي ، رسالة	كيفية تهذيب الكلام ، محاسن الانشاء
المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ،	ومعانيه ، فصاحة الألفاظ ومطابقتها
رسالة المرحوم حفي بك ناصف ،	للمعاني ، حقيقة الفصاحة ، الانسجام
» » أحمد أفندي سمير	حل الشعر ، التخلص والاقتضاب
» » أحمد مفتاح	٣٨ كيفية افتتاح مواضيع الانشاء
» » الشيخ طه محمود ،	٤٠ تقسيم الانشاء إلى فني النظم والنثر
» » محمود بك أبو النصر	٤٢ كيفية عمل الشعر
» السيد محمد الببلاوي ، رسالة	٤٤ فنون الانشاء سبعة
المرحوم عبد الكريم سلمان ، رسالة	٤٤ الفن الأول في المكاتبات
مؤلف هذا الكتاب	٤٥ ابواب الرسائل
٦٨ الفصل الثالث في رسائل الهدايا -	٤٥ الرسائل لاهلية
رسالة سعيد بن حميد رسالة حفي	٤٦ الفصل الأول في رسائل الشوق -
بك ناصف ، رسالة محمود بك	رسائل أبي منصور الثعالبي ، رسالة
أبو النصر ، رسالة عبد الله بك	البسطامي ، رسالة عبد الرحمن محمد
الأنصاري ، رسالة المرحوم الشيخ	ابن طاهر ، رسالة أبي الفضل
أحمد مفتاح ، رسالة مؤلف هذا	

صفحة	صفحة
رسالة عبد الخالق ثروت باشا ، » المرحوم أحمد بك رأفت » عبد العزيز محمد باشا » حسن أفندي توفيق العدل	الكتاب الى أستاذه المرحوم الشيخ محمد عبده ، رسالة مؤلف هذا الكتاب الى المغفور له سعد باشا زغلول .
١٠٤ استمناح رجل لعبد الملك بن مروان - استمناح العتاي لأحد أصدقائه ، استمناح أعرابية لابن أبي بكر ، استمناح حكيم فارس للمهلب ، تلطف رجل في استمناح المنصور . استمناح ابن زرار للمعاوية ، استمناح المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطي ، استمناح الصابي ، لبعض الرؤساء ، استمناح عباد الى جعفر وزير المعتز .	٨٦ الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف رسالة الثعالبي ، رسالة عبد الله بن معاوية رسالة ابن حبيب الحلبي ، رسالة الجاحظ ، رسالة ابن مكرم رسالة الخوارزمي ، رسالة بعضهم الى رئيسه ، رسالة ابراهيم اليازجي رسالة زبيدة زوجة الرشيد ، رسالة المأمون ، رسالة بعضهم ، رسالة الجاحظ ، استعطاف أم جعفر بن يحيى الرشيد ، رسالة ابراهيم بن المهدي للمأمون ، رسالة اسحاق ابن العباس للمأمون ، رسالة الفضل ابن الربيع للمأمون ، رسالة تميم ابن جميل للمعتصم ، رسالة الجاحظ الى ابن الزيات ، رسالة رجل من أهل الشام للمنصور ، رسالة روح ابن زنباع لمعاوية ، رسالة ابن الرومي للقاسم ، رسالة الخوارزمي .
١١١ الفصل الثالث في رسائل الشكر - رسالة الثعالبي ، رسالة الحسن ، وهب ، رسالة الأمير أبي الفضل الميكالي . رسالة الشيخ محمد عبده ١١٥ الفصل الرابع في النصيح والمشورة - رسالة الهمداني ، رسالة الاسكندر المقدوني ، رسالة أرسطو الى الاسكندر ، رسالة الإمام علي ، رسالة السيد عبدالله النديم ، رسالة الشيخ محمد عبده .	٩٧ اعتذار لسعيد بن حميد - اعتذار لأبي علي البصير ، اعتذار للبديع .
١٢٤ الفصل الخامس في رسائل العتاب - كتاب الهمداني ، كتاب الجاحظ	٩٩ الفصل الثاني في رسائل حسن التقاضي والطلب - رسالة أبي العيناء

صفحة	صفحة
رسالة لعبدالله باشا فكري ،	كتاب الخوارزمي ، كتاب عبدالله
رسالة حفني بك فاصف ، رسالة	ابن معاوية كتاب الشيخ عبد
الشيخ علي الليثي .	العزیز جاویش ، كتاب معاوية
١٧١ الفصل الحادي عشر فى الوصايا -	الى ابنه يزيد ، كتاب أعرابي
من كلامه عليه الصلاة والسلام	الى ابنه ، كتاب حفني بك
لعمرو . من وصاياه عليه الصلاة	فاصف ، كتاب القاضي الفاضل
والسلام . عهد الإمام علي للأشتر	١٣٧ الفصل السادس فى الشكوى ؛
النخعي ، كتاب أبي بكر الصديق	كتاب الامير الميكالي ، كتاب عبد
كتاب عمر بن الخطاب . وصية	الحمد بن يحيى ، كتاب الشيخ
ابن سعيد المغربي ، وصية هرون	محمد عبده ، كتاب حافظ بك
الرشيد وصية بعض نساء العرب	ابراهيم .
لابنها .	١٤٧ الفصل السابع فى رسائل العيادة
١٨٥ نصيحة رجل لهشام ، نصيحة	كتاب ابن الرومي ، كتاب
أعرابي لابن عبد الملك ، نصيحة	الخوارزمي .
فتاة لأبيها نصيحة الهمداني لوارث	١٦٠ الفصل الثامن فى رسائل التهانى ،
مال ، وصية الرياحى لقومه ، وصية	كتاب الثعالبي ، كتاب بديع
ذى الأصبع لابنه ، وصية ابن	الزمان الهمداني ، كتاب الثعالبي
شداد لابنه .	تهنئة بقسوم ، كتاب الثعالبي
١٩١ الفصل الثاني عشر فى التنصل -	تهنئة برمضان ، رسالة أبي الفرج
كتاب ابن الرومي ، كتاب ابن	البيضا
زيدون .	كتاب المرحوم الشيخ حمزة ،
٢٠٧ مكاتبات متفرقة - كتاب الدولة	» » محمد بك أبو النصر ،
العلية . كتاب ابن العميد .	» » عبدالله باشا فكري
كتاب السيد توفيق البكري ،	١٦٣ الفصل التاسع فى التعازي والتأبين ،
» السيدة وردة اليازجية ،	كتاب الثعالبي ، كتاب الهمداني
» السيدة عائشة تيمور	» اليازجي ، تأبين الأحنف
» السيد عبدالله النديم	ابن قيس ، تأبين الاسكندر .
	١٦٨ الفصل العاشر فى رسائل الاجوبة ،

صفحة	صفحة
المهدي مناظرة العباس بن محمد	كتاب ابراهيم المويلحي بك
مناظرة هارون للمهدي، مناظرة	» ابن هارون .
صالح للمهدي ، مناظرة محمد بن	٢٢٠ الكلام على الرسائل العلمية .
الليث ، مناظرة معاوية بن	٢٢١ الفن الثاني فى المناظرات ،
عبدالله .	مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى
٢٥٠ وفود بكارة الهلالية على معاوية	» أكثم بن صيفي
٢٥١ مناظرة السيف والقلم لابن الوردي .	» حاجب بن زرارة
٢٥٥ مناظرة للآمدي صاحب أبي تمام	» الحارث البكري
مناظرة صاحب البحري مناظرة	» عمرو بن الشريد
الليل والنهار مناظرة الارض	» علقمة بن علاثة
والسما مناظرة بين فصول العام	» خالد بن جعفر الكلبي
مناظرة الربيع مناظرة الصيف،	» قيس بن مسعود الشيباني
مناظرة الخريف، مناظرة الشتاء،	» عامر بن الطفيل العامري
مناظرة البر والبحر ، مناظرة	» عمرو بن معدي كرب
الهواء والماء ، مناظرة الجمل	» الحارث بن ظالم المري
والحصان .	» راوية الكلبي عند كسرى
٢٨٤ الفن الثالث فى الأمثال .	» الأشعث بن قيس
٢٨٥ أمثال القرآن، الظاهرة ، أمثال	» بسطام بن قيس
القرآن الكامنة .	» حاجب بن زرارة
٢٨٧ فى الصدق، فى الصبر والثبات، فى	» قيس بن عاصم
العلم والاسترشاد ، فى الاتحاد	٢٣٤ مناظرات ومشاورات المهدي
والوئام ، فى العفو ، فى الوفاء،	لأهل بيته فى حرب خراسان .
فى الاقتصاد فى الأمر بالمعروف	٢٣٥ مناظرة سلام وجواب المهدي عليه
فى بر الوالدين والاقارب، فى	» الربيع ، مناظرة الفضل
النصيحة، فى الشكر، فى الإغضاء	ابن العباس ، مناظرة علي بن
والتغافل ، فى المدح ، فى التبرئة	المهدي ، مناظرة موسى بن

صفحة	صفحة
جس العمل ، فى شيه الشيه	والتنزيه ، فى حسن الخلق ، فى
منجذب إليه ، فى الإفساد	الكذب والزور ، فى الخيانة
والبغي ، فى المفسدين والمكابرين	ونقض العهد ، فى القتل والانتحار
فى غرور الظلمة ، فى سوء	فى الزنا ، فى الخمر والميسر ، فى
عاقبة الظالمين . الإعراض عن	البخل وحب المال ، فى الربا ، فى
الدعوى ، فى التدخل فيما لا يعنى	العجب والكبرياء فى الاستبداد
فى الكرم والضيافة ، فى التعزية	والاثرة ، فى التفرق والاختلاف
وتهوين الخطب ، فى الكيل	فى الجبن والفرار ، فى الامر بما
والميزان ، فى الرشوة ، فى مال	لا يفعل ، فى الغفلة ، فى إنكار
اليتيم ومتاعه ، فى صك الدين	الجميل ، الذم والإهانة والتحقيق
وانذار المعسر ، فى الاحكام	فى الضالين والمضللين ، فى قرناء
والحكام ، فى اتهام الابرياء	السوء ، فى المنافقين والمرائين ،
والمكابرة فى الحق والباطل ،	فى تمثيل أعمال المرائين والمنافقين
فى أداء الشهادة ، فى الخبر اليقين	فى الإنذار والوعيد ، فى الحياة
فى الاستنكار والتعجب ، فى	الزوجة ، فى آداب النساء ، فى
المحاماة والدفاع ، فى التحدي	الصلح والسلم ، فى الناس بخير
وعدم المبالة ، فى الظن والشك ،	ما تعاونوا ، فى الحث على الصدقة
فى النجوى والمؤامرة ، فى التبرؤ	فى التحية والاستئذان ، فى
والتنصل ، فى موقف المجرمين	آداب المشي ، فى التلطف ، فى
أمام العدالة عند ظهور الحق ،	الدعوة ، فى الشورى ، فى
فى الإفحام والالزام ، فى اليأس	الشفاعة ، فى الاخطاء
والتئيس ، فى امضاء الامر ، فى	والاصرار ، فى المسؤولية عن
حال المجرمين ، فى الشيب	العمل ، الجهاد ، فى الايمان ،
والكبر ، فى صفات الانسان ،	فى الكلام والاستماع فى الجدل
فى الخوف ، فى التضجير	والمناظرة وبضدها تتميز
والتحسر ، فى النسيان ، فى	الاشياء ، فى الحث على العمل ، فى
النفس الأمانة بالسوء ، فى الرؤيا	الجزء على العمل ، فى الجزء من
والاحلام فى زوال المكروه	

صفحة	صفحة
في النعم والسرور ، في الجبال والبحار ، في البساتين والرياحين في التفكير والنظر ، في العظة والعبرة ، في نعم الله وفضله ، في ما استؤثر بعلمه ، في العمل لوجه الله ، في التحذير من النفس في الاعتماد على الله ، في الترغيب ، في التقوى ، في التوبة ، في القرآن الكريم ، في الإنشاء والاستدعاء والكتب والكتابة ، في الاغتراب ، في الضعف والعجز في البلاء وما يصاب الناس به ، في الاغترار بالظهور ، في البشرية والتهنئة ، في الامتنان ، في التحدث بالنعمة ، في التأمين والطمأنينة .	٣١٦ أمثال العرب .
٣٢٣ الفن الرابع في الأوصاف .	
٣٢٤ وصف البلدان - وصف القلاع وصف الدور ، وصف الديار الحالية ، وصف أيام الربيع ، وصف الرياض ، وصف طول الليل والسر ، وصف انتصاف الليل وتناهيه ، وصف طلوع الشمس وغروبها ، وصف الرعد والبرق ، وصف مقدمات المطر وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء وصف المطر والماء والسحاب ، وصف القيظ وشدة الحر ، وصف	
الشيب ، وصف آلات الكتابة وصف الخطباء ، وصف العلماء وصف البلغاء ، وصف الشعر والمنشئين ، وصف الأمراء والأشراف ، وصف القلم ، وصف الخط ، وصف الكتاب وصف عاصفة ، وصف المعلم ، وصف رجل لخصمه ، وصف أبي دلف لرجل أعراي ، وصف الإمام العادل ، وصف عمرو ابن العاص لمصر ، وصف المطر وصف حديقة ، وصف البيان ، وصف المكارم ، وصف القرآن الكريم ، وصف البلاغة ، وصف عمر بن الخطاب وصف علي بن أبي طالب ، وصف كلاب العرب ، وصف حرب ، وصف الكتاب ، وصف التاريخ ، وصف الرجل الكامل ، وصف قناة السويس وصف فرس ، وصف العصا ، وصف كرة القدم ، وصف جيوش ، وصف الحسد ، وصف أفضل الكلام ، وصف الشعراء والمحدثين ، وصف أبي تمام والبحري والمتنبي ، وصف بعض أحياء العرب ، وصف نهج البلاغة ، وصف	

صفحة	صفحة
	حفلة - ومتحف - وصف
	الفونغراف . وصف نظارة .
	وصف سان استيفانو . وصف
	الشمس وصف القمر .
٢ الفن السابع في التاريخ	٣٨٣ الفن الخامس في المقامات - المقامة
تاريخ أدب اللغة العربية	الاسكندرانية . المقامة البشرية .
المقدمة الأولى في التاريخ .	٣٩٣ الفن السادس في الروايات -
» الثانية في توضيح الأولى .	رواية ليلى الأخيلية . روايات بنات
» الثالثة في جزيرة العرب .	الشاعر المقتول . والمرأة المتكلمة
» الرابعة في اللغة العربية .	بالقرآن ، مروان ابن الحكم ،
» الخامسة في تاريخ العربية .	عبيد بن الأبرص ، أبو تراب
» السادسة في حياة العرب .	والشريف العباسي ، المأمون
» السابعة في أخلاقهم .	والمنتظمة ، عمر بن الخطاب
» الثامنة في دينهم .	والهرمزان ، إبراهيم بن المهدي
» التاسعة في ثقافتهم .	الأحنف بن قيس ، معن بن زائدة
» العاشرة في عصور اللغة .	وجاره ، معن بن زائدة والأسود
١٣ العصر الأول عصر الجاهلية -	معاوية والأعرابية . الأحنف بن
حالة اللغة في ذلك العصر .	يدي معاوية الأحنف بين يدي عمر
١٤ سوق عكاظ - كلام العرب .	ابن الخطاب ، أسيد بن عنقاء ،
١٥ أغراض اللغة في الجاهلية - معاني	الفضل وجعفر البرمكي ، براعة
اللغة في الجاهلية ، عبارة اللغة في	الرشيد في الأدب ، الواثق وأبي
الجاهلية .	دؤاد ، المنصور والربيع بن
١٦ تقسيم كلام العرب إلى نثر ونظم	يونس ، الأعرابي ، السائل معاوية
النثر والخطابة ، المجادلة ، خطباء	والأحنف بن قيس الحجاج
العرب ، قس بن ساعدة الإيادي	ورسول المهلب ، حديث معاوية
أكثم بن صيفي ، الكتابة .	وليلى الأخيلية ، سودة بنت
٢١ علوم العرب وفنونها ، علم النجوم	عمارة ومعاوية ، أم سنان بنت
الطب - والبيطرة ، الاخبار -	جشمه ومعاوية .

الجزء الثاني

صفحة	صفحة
١٠٢ القرآن الكريم .	والقصص ، التاريخ - والجغرافيا
١٠٣ إعجاز القرآن الشريف .	الفراسة - والقيافة ، الكهانة
١٠٤ جمع القرآن وكتابته .	والعرافة والزجر .
١٠٤ صاحب الشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .	٢٣ النظم والشعر - والشعراء .
١٠٦ الحديث النبوي .	٢٥ أغراضه وفنونه .
١٠٧ النثر لغة التخاطب والخطابة الكتابية .	٢٦ الفخر والمدح والهجاء - والراء
١٠٨ الخطابة في هذا العصر والخطباء .	الاعتذار - الوصف ، والحكمة
١٠٩ النبي ﷺ وخطبه .	والمثل ، معانيه وأخيلته ، ألفاظه وأساليبه ، أوزانه وقوافيه .
١١١ عمر بن الخطاب وخطبه - خطبته في القضاء إلى أبي موسى .	٢٩ الشعراء وطبقاتهم - والشعراء الجاهليون .
١١٧ عثمان بن عفان وخطبه .	٢٩ امرؤ القيس ومعلقته
١١٨ علي بن أبي طالب وخطبه .	٢٩ النابغة الذبياني
١٢٠ سحبان بن وائل وخطبه .	٤٥ زهير بن أبي سلمى
١٢١ زياد بن أبيه وخطبه .	٥٢ عنتره العبسي
١٢٣ الحجاج الثقفي وخطبه .	٦٠ عمرو بن كلثوم
١٢٥ طارق بن زياد وخطبه .	٦٨ طرفة بن العبد
١٢٦ الكتابة الخطية .	٧٨ أعشى قيس
١٢٧ الانشائية .	٨٢ الحارث بن حلزة
١٢٨ مميزات الكتابة الانشائية .	٨٦ لبيد بن ربيعة
١٢٨ الكتاب في هذا العصر .	٩٥ علقمة الفحل
١٢٩ عبد الحميد الكاتب .	٩٨ أمية بن الصلت وقصيدته
١٣٠ التدوين والتصنيف .	١٠٠ خلفاء بني أمية .
١٣١ الشعر والشعراء .	١٠٠ العصر الثاني عصر صدر الاسلام
١٣٢ أغراض الشعر وفنونه .	حالة اللغة في ذلك العصر
١٣٣ معانيه وأخيلته وألفاظه .	
والشعراء في هذا العصر .	

صفحة	صفحة
١٦٣ الكتابة في هذا العصر	١٣٤ كعب بن زهير وقصيدته بانث
١٦٤ ابن المقفع	سماد
١٦٥ إبراهيم الصولي	١٣٨ عمرو بن معدنيكرب الزبيدي
١٦٦ ابن العميد	١٣٩ الحنساء
١٦٧ بقة خلفاء العباسيين	١٤١ الخطيئة
١٦٨ الصاحب بن عباد	١٤٣ حسان بن ثابت
١٦٩ بديع الزمان الهمذاني	١٤٤ النابغة الجعدي
١٧٠ ابن زيدون	١٤٥ عمرو بن أبي ربيعة
١٧٠ القاضي العادل	١٤٧ الأخطل
١٧١ التدوين والتصنيف	١٤٩ الفرزدق
١٧٢ كتابة التصنيف والتدوين	١٥٠ جرير
١٧٣ العلوم اللسانية ونشأتها	١٥٢ الكميث
١٧٣ الجاحظ	١٥٤ الرواية والرواة
١٧٣ أحمد بن عبد ربه	١٥٥ العصر الثالث عصر الدولة العباسية
١٧٤ الحريري	أحوال اللغة العربية وآدابها في
١٧٥ فن التأريخ	هذا العصر
١٧٦ العروض والقافية ، والنحو ،	١٥٥ خلفاء بني العباس
علم اللغة علوم البلاغة	١٥٦ أغراض اللغة المعاني والأفكار ،
١٧٧ الخليل بن أحمد	الألفاظ والأساليب ، النثر -
١٧٨ سيدييه - الكسائي	المحادثة أو لغة التخاطب ،
١٧٩ العلوم الشرعية - كتب الحديث	الخطابة والخطباء
١٨٠ الامام البخاري - علم الفقه	١٥٩ داود بن علي
١٨١ الامام أبو حنيفة	١٦٠ شبيب بن شيبه
١٨١ الامام مالك	١٦١ الكتابة الخطية والانشائية
١٨٢ الامام الشافعي	١٦٢ ابن مقلة
	١٦٣ الكتابة الانشائية في الرسائل

صفحة	صفحة
٢٠٤ القاضي محيي الدين	١٧٢ الامام أحمد بن حنبل
٢٠٥ شهاب الدين العمري	١٨٢ علم الكلام
٢٠٥ لسان الدين بن الخطيب	١٨٣ أبو الحسن الأشعري
٢٠٦ التدوين والتصنيف - الأدب	١٨٤ الغزالي
٢٠٧ بقية العلوم الاسلامية	١٨٤ نشأة العلوم الكونية
٢٠٧ كتابة التدوين والتصنيف	١٨٦ الشعر والشعراء
٢٠٨ ابن خلكان ابن خلدون ،	١٨٧ بشار بن برد
جلال الدين السيوطي	١٨٨ أبو نواس
٢٠٩ الشعر والشعراء في هذا العصر	١٨٩ مسلم بن الوليد
البوصيري صفى الدين الحلي ،	١٩٠ أبو العتاهية
ابن نباتة المصري ابن معنوق	١٩١ أبو تمام
الموسوي	١٩٣ البحتري
٢١١ العصر الخامس : النهضة	١٩٤ ابن الرومي
الأخيرة محمد علي باشا	١٩٥ ابن المعتز
٢١٢ مدرسة الطب	١٩٥ أبو الطيب المتنبي
٢١٢ إيقاظ محمد علي للشرق	١٩٧ ابن هانئ الأندلسي
٢١٣ الخديوي إسماعيل	١٩٨ أبو العلاء المعري
٢١٣ مظاهر النهضة الحديثة في العلوم	٢٠٠ ابن خفاجة الأندلسي
٢١٤ الترجمة والتأليف	٢٠١ الطفرائي
٢١٥ حالة اللغة العربية وآدابها في	٢٠١ البهاء زهير
هذا العصر	٢٠٢ الرواية والرواة
٢١٦ النثر - المحادثة - الخطابة	٢٠٢ العصر الرابع عصر الدولة
٢١٧ الكتابة الخطية ، كتابة	التركية حالة اللغة وآدابها في
التدوين .	ذلك العصر النثر ، لغة
٢١٨ زعماء النهضة العلمية الحديثة .	التخاطب ، الخطابة الكتابة
رفاعة بك الطمطاوي ، عبد الله	الخطية ، الكتابة الانشائية
فكري باشا ، علي مبارك باشا	الكتاب في هذا العصر
الشيخ محمد عبده ، الشيخ حمزة	

صفحة	صفحة
وصف الموز والكثري والتفاح	فتح الله، المرحومة ملك حفني
الخوخ والشمش والرمان	ناصر، الشعر وزعماء النهضة
النخيل والبلح	الحديثة، محمود صفوت
البطيخ، الكرم والعنب	الساعاتي، الشيخ علي اللبشي
الهلال والثريا والزهرة	الشيخ شهاب الدين، حفني ناصر
السماء والأرض والليل	بك، مصطفى كامل باشا، محمد
الغيث والربيع، وصف واد	فريد، سعد زغلول باشا،
جرير علوه رماد، وصف بدر	مصطفى النحاس باشا الغازي
هلال، وصف روض وربيع	مصطفى كمال، محمود سامي
الهلال، الصبح والليل	البارودي باشا، أحمد شوقي بك
الندى على البحر	محمد حافظ إبراهيم بك، إسماعيل
الجو وإدبار الليل، المطر	صبري باشا، خليل بك مطران
الصبح والليل	٢٥٢ أبواب الشعر العربي
وحشة الليل والنجوم	٢٥٢ الباب الأول في المديح
النارنج، الشمس والبدر	٢٥٩ الثاني في الفخر والحماسة
القلم، والسيف، والليمون	٢٥٩ الثالث في شكوى الزمان
النارنج والفسق، والتين	٢٥٩ الرابع في الوصف -
واللوز	وصف الشعراء، آراء الحكماء
الجزر النبق، قصب السكر	والشعراء فيه، شعر فكتور
نهر حوله أشجار الجملناز	هوجو، وصف طيارة لحافظ
الرياض والبرق	إبراهيم، وصف زلزال صقلية
روضة صنعاء، وزهرية	لحافظ إبراهيم، وصف سيف
الغيث، والثلج، ومراة	للبحري وصف القلم له. فلو طي
جواد	وصف أبي الهول لشوقي،
سفر جل ورماني وتفاح،	وصف النحل وملكته لشوقي
الشفائق	وصف مقبرة آمون لشوقي،
اقتران الزهرة والهلال	وصف مكتوب، وصف الخط
الجليد والثلج وصف الرمح	الكتابة والبلاغة.
والسيف والحرب وأبطالها	



فهرس الجزء الثاني من جواهر الأدب

Organization of the Alexandria Library (G)

صفحة	صفحة
٤٠٠	وصف دار بناها صاحب بن عباد
٤٤٩	زوج اثنين
٤٥٣	قصر المعتز بالله
٤٥٤	جواد
٤٧٧	حديقة
٤٧٩	الطبيعة
٤٧٩	النيل لحافظ ابراهيم
٤٧٩	حال اللغة العربية
٤٨٠	قطار البخار - للرصافي
٤٨٠	سكان جزيرة كريد
	البسفور
٤٨٢	المقراض
٤٨٣	الشمعة
٤٨٤	قصر وبركة عليها أشجار
٤٨٤	زلزال صقلية
٤٨٥	شعب بوان
٤٨٦	طيارة لحافظ ابراهيم
٤٨٧	قطار السكة الحديد
٤٨٨	حريق عابدين
٤٨٨	خزان أسوان
٤٨٨	٣٦٨ الباب الخامس في الإستعطاف
٤٩٠	٣٧٥ السادس في التهاني
٤٩٢	والتهادي
٤٩٢	٣٨٠ السابع في المراثي

تم بحمد الله فهرس الجزء الثاني - وبتمامه تم الجزء ان
الأول والثاني من جواهر الأدب

